منشورات وزارة الإعلام

2017

وزارة الإعلام

الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة في الفترة ما بين 1985 إلى 2015م

(دراسة بحثية)

إعداد الباحث

رأفت خليل حمدونة

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

صدق الله العظيم

سورة النمل، الآية: 19

الإهـداء

إلى معلـم البشريـة ومنبـع العلـم نبيّنـا محمـد (ص)، وإلى الشـهداء الأكـرم منـا جميعـاً، وإلى الزمـلاء مـن الأسرى والأسـيرات، وإلى والـدي (أبـو رأفـت) الـذي لم يبخـل عـليَّ يومـاً بـشيء، وإلى والـدتي (أم رأفـت) التـي كان دعاؤهـا سر نجاحـي وحنانهـا بلسـم جراحـي، وإلى إخـواني وأخـواتي، وإلى زوجتـي ورفيقـة دربي، وإلى زهـراتي الأربعـة «نـور وآيـة وجنـى وإيمـان» وقمـري الـذي أشرقـت دنيـايَ برؤيـاه «خليـل»، وإلى عمـوم شـعبي الفلسـطيني الصامـد والمكافـح، أهـدي هـذا العمـل.

الفهرس

الموضـــوع	الصفحة
المقـــــــدمة	1
الإطار النظري للدراسة	4
مشكلة الدراسة	5
محددات ومعيقات الدراسة	7
تساؤلات الدراسة	7
فرضيات الدراسة	8
أهمية الدراسة	8
أهداف الدراسة	9
منهجية الدراسة	10
أدوات وإجراءات الدراسة	13
أسباب اختيار الدراسة	14
مبررات الدراسة	14
مفاهيم ومصطلحات الدراسة	15
الدراسات السابقة	22
تقسيم الدراسة	36
الفصل الأول الحركة الأسيرة النشأة والتطور	38-96

المبحث الأول : الحركة الفلسطينية الأسيرة تاريخها ومراحل تطورها	40
المبحث الثاني : مظاهر تضييق السجان الاسرائيلى على الأسرى الفلسطينيين	59
المبحث الثالث : الوسائل النضالية للأسرى كحالة إبداع في مواجهة الاحتلال	73
المبحث الرابع :عوائق سلطات الاحتلال لطمس الجوانب الإبداعية للأسرى	85

الفصل الثاني **عوامل الإبداع "الظروف والمتغيرات"**	**97-151**
المبحث الأول: العوامل التي ساهمت في تنمية الإبداع لدى الحركة الفلسطينية الأسيرة	99
المبحث الثاني: الهياكل والمؤسسات التى أبدعها الأسرى لمواجهة السجان الاسرائيلى	109
المبحث الثالث: دور الحركة الأسيرة في تعزيز الجوانب الإبداعية لدى الأسرى	121
المبحث الرابع: انعكاس المتغيرات السياسية على واقع الأسرى وإنجازاتهم	132
الفصل الثالث **الحالة الثقافية والتعليمية في السجون**	**152-221**
المبحث الأول: وسائل الاحتلال لتفريغ الأسير من محتواه النضالي والثقافي	154
المبحث الثاني: المسيرة الثقافية للحركة الأسيرة "البداية والتطور"	171

المبحث الثالث: أدب السجون (الخصائص والمميزات)	186
المبحث الرابع: المسيرة التعليمية للأسرى في السجون وأبرز مظاهر الإبداع	206
الفصل الرابع **من مظاهر الإبداع في السجون**	**222-274**
المبحث الأول: الإضرابات المفتوحة عن الطعام	225
المبحث الثاني: أطفال النطف المهربة حالة نضالية مستجدة في السجون	240
المبحث الثالث: تأثير الأسرى ووثيقة الوفاق الوطني كأساس للمصالحة الفلسطينية	251
المبحث الرابع: شكل التجربة الديمقراطية في السجون وانعكاسها على حياة الأسرى	259
خاتمة الدراسة	275
نتائج الدراسة	281
التوصيات	283
المراجع	286
الملاحق	308

فهرست الملاحق

الرقم	العنوان	الصفحة
1	استمارة مقابلة شبه مقننة	309
2	من أشكال التعذيب "بالصور"	329
3	نص وثيقة الأسرى للمصالحة الوطنية الفلسطينية	331
4	رسائل خرجت من السجون "بالصور"	336
5	نماذج سياسية تحررت من السجون	339
6	تحف وفنون خرجت من السجون "بالصور"	341
7	من أدب السجون "بالصور"	343

مقدمة:

المبدعون هم الثروة البشرية التي يجب على الدول اكتشافها، وإطلاق طاقاتها واستثمارها لصالح تقدمها في العالم الذي سوف يكون الحسم فيه للعقل والفكر وحسن استخدام الموارد المالية والبشرية، والصراع بين الدول هو صراعٌ بين عقول أبنائها من أجل الوصول إلى سبقٍ علمي، من ثم فإن الهدف الأسمى في وقتنا المعاصر هو تنمية الإبداع والتفكير بجميع أنماطه[1].

ولعل أهم ما يميز هذه الدراسة أنها ستسلط الضوء على الزاوية الأهم من قضية الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين، والتي ستظهر معالمها بشكلٍ مختلف وغير تقليدي قياساً بما كتب عن الأسرى والسجون، حيث أن العادة جرت في التعاطي مع قضيتهم بالكثير من البكائيات وإبراز جانب الانتهاكات والعذابات التي تحولت في ذهن المتابع والمتضامن الفلسطيني والعربي والدولي إلى شيء مألوف وغير جذاب وغير منصفٍ في آنٍ واحد، تلك الصورة النمطية التي غيَّبت مئات الإضاءات والإشراقات والإبداعات والانتصارات التي تألق بها الأسرى.

كما أن الدراسة استندت للمناهج والأدوات البحثية، وأهمها الملاحظة الشخصية للباحث الذي عاش تجربة الاعتقال لفترة طويلة وفريدة، كونه عايش الكثير من الأحداث والمراحل الدقيقة والحرجة التي مرت على الحركة الأسيرة، على مدار خمسة عشر عاماً من الاعتقال، ما بين العام (1990 حتى 2005م)، عمل خلالها في الكثير من المؤسسات واللجان التنظيمية والاعتقالية، وعمل الباحث أثناء اعتقاله في العديد من المرافق منها (عضو في لجنة الحوار مع إدارة مصلحة السجون واللجنة النضالية العامة، وقام بكتابة عدد من الكتب والروايات والمؤلفات، وأنهى دراسته الجامعية من الجامعة المفتوحة في اسرائيل أثناء اعتقاله، وكونه شغل بعد تحرره مديراً عاماً بهيئة شؤون الأسرى والمحررين، وناطقاً اعلامياً لها، ومديراً لدائرة القانون الدولي، ومستشاراً لوزير الأسرى، ومديراً لمركز الأسرى للدراسات، ومديراً للبرامج في إذاعة صوت الأسرى، وعضواً في لجنة الأسرى للقوى الوطنية والاسلامية، ومقدماً إذاعياً وتلفزيونياً لعدد من البرامج المتخصصة بقضية الأسرى) ، وبلا شك أن تلك التجربة المتراكمة في داخل السجون وخارجها مكّنته من التمييز والترجيح بين عشرات الكتابات وتفحّص الروايات ونقل الأدق والأصدق في دراسته بما يخدم قضية الأسرى، ومصداقية العمل.

واستند الباحث في تبيان حقوق الأسرى وانتهاكات سلطات الاحتلال الإسرائيلي لها لعددٍ كبير من القوانين والاتفاقيات الدولية، وما صاغته وتعارفت عليه وتوصلت إليه الإنسانية، من أعراف ومفاهيم تعطي الحقّ للشعوب المقهورة، برفع الظلم عن كاهلها وتحقيق غاياتها، كلغةٍ عالمية متفق عليها بين الشعوب.

(1) حسام حمدونة: تصور مقترح لتفعيل دور الجامعات والكليات في تنمية الإبداع لدى طلبة الجامعات، فلسطين، مقدمة لمؤتمر السنوى الخامس» لتنمية ثقافة الابداع»وزارة الشباب والرياضة، 2013، ص3.

وستجيب الدراسة عن السؤال الأهم ، هل أبدع الأسرى خلال اعتقالهم ،و تكيفوا مع واقع الاعتقال ؟؟ وواجهوا العراقيل والعقبات التي وضعها السجان لتحطيم معنوياتهم وللحيلولة دون تطوير إمكانياتهم وقدراتهم، وأبدعوا في إيجاد المؤسسات الديمقراطية للتنظيمات الفلسطينية في السجون، وبين السجون، وفي السجن الواحد، وفي التنظيم الواحد، وأبدعوا في تجربة الإضرابات المفتوحة عن الطعام والتي وصلت لمئات الأيام، وأبدعوا حينما أوجدوا معادلة توازنٍ بينهم وبين إدارة مصلحة السجون، رغم الإمكانيات الأخيرة مقابل افتقار الأولى من الإمكانيات المادية، وأبدعوا في أشكال التواصل والاتصال بين السجون وخارجها، وفي تجارب التعليم وحصولهم على الدراسات العليا من جامعاتٍ إسرائيلية وعربية ودولية، وأبدعوا في البناء الثقافي، وفي التأثير السياسي، وصياغتهم لوثيقة الأسرى التي تحولت لوثيقة الوفاق الوطني الفلسطيني لتحقيق الوحدة الوطنية، وأبدعوا في إدخال الهواتف النقالة لداخل السجون لتوفير الاتصال بالأهل في ظل منع الزيارات لسنواتٍ طويلة، وفي إخراج النطف وإنجاب الأطفال كتجربةٍ غير مسبوقة على مستوى حركات التحرر العالمية.

إنّ هذه الدراسة تقدم تفسيراً حول إنجازات الأسرى التي أثرت ايجاباً على مجمل حياة الحركة الأسيرة الفلسطينية، بل على مجمل الحياة النضالية الفلسطينية تأثرًا بتجاربهم، لأن السجون والمعتقلات كانت ولا زالت مدرسةً وطنيةً وتربويةً ودائرة من دوائر العمل النضالي الإبداعي فصاغت وبلورت طلائع الأسرى والمعتقلين، الذين كان لهم عظيم التأثير في بلورة الوعي النضالي والديمقراطي في المجتمع الفلسطيني[2]، وكان لآلاف الأسرى المحررين دورهم في هذا الاتجاه، بعد أن تخرجوا من أكاديمية السجون وتصدروا المواقع والمراكز المتنوعة، وتبوؤوا مواقع سياسية وأماكن مهمة في المؤسسات المجتمعية المختلفة ولعبوا ولا زالوا دوراً مؤثراً في الحياة السياسية، والفكرية، والاجتماعية، والإعلامية، كقادة سياسيين وعسكريين، ووزراء ونواب وأمناء عامّين وأعضاء مكاتب سياسية لفصائل وحركات ثورية، وأعضاء في المجلسين « الوطني والتشريعي»، ومدراء لمؤسسات رسمية وأهلية، وخبراء ومفكرين، ونخب أكاديمية وإدارية.

وسيعرض الباحث في دراسته عددًا كبيرًا من إبداعات الأسرى داخل السجون في مجال الأدب والثقافة والتعليم وحركة الصحافة الاعتقالية والفن والترجمة، ومظاهر الثقافة والمجلات وشكل المكتبات، فكان المشهد الثقافي داخل سجون الاحتلال من أهم معالم الحياة الاعتقالية التي صاغتها الحركة الأسيرة منذ نشأتها[3]، لتميز ذلك المشهد بالمفاهيم الأخلاقية والكفاحية في عمليةٍ لا تتوقف، والذي يجذّر المُثل الإنسانية العليا، مما يعني الاندماج والانخراط في صميم القضية الوطنية بالكلمة الثائرة التي تشعّ شعورًا نضاليًا جامحًا، تتحول إلى رصيدٍ ومخزون ثوري هائل، يمدّ العملية الثورية بشلالاتٍ بشرية مؤمنة بقضيتها تصبّ في نهر الثورة العظيم[4].

(2) خالد الهندى: التجربة الديمقراطية للحركة الفلسطينية الأسيرة، رام الله، مؤسسة ناديا للطباعة والنشر، 2000، ص190.
(3) عبد الستار قاسم وآخرون، التجربة الاعتقالية في المعتقلات الصهيونية، بيروت، دار الأمة للنشر، 1986، ص182.
(4) سلمان جاد الله: المواجهة والاحتراف «رؤية نقدية »، القدس، اصدار مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة، جامعة القدس، 2014م، ص2 ص3.

إنَّ اختيار الباحث لهذا الموضوع لم يكن من باب الإضافة الأدبية للمكتبة النضالية الفلسطينية أو العربية وحسب، وإنّما إنصافاً لمن ضحوا بكلّ حياتهم وزهرات شبابهم من أجل الحرية والسيادة والاستقلال، وإنصافاً لقضيةٍ إنسانية وأخلاقية ووطنية وقومية وسياسية ودينية بحجم معاناة مئات الآلاف من الأسرى والأسيرات، بعرض جوانب مشرقة ومتألقة وغير نمطية ومألوفة عنهم في ظل زحمة وتتابع الأحداث والانتهاكات التقليدية من الأخبار العامة، التي ملأت الصحف والمواقع الالكترونية والمكتبات والبرامج الاذاعية والتلفزيونية، وشغلت اهتمام الجمعيات والمراكز الخاصة بالأسرى والمؤسسات الحقوقية.

الإطار النظري للدراسة

مشكلة الدراسة:

يمثل الابتكار والإبداع أحد الضرورات الأساسية في إدارة الأعمال والمؤسسات، إذ أن الزمانّ في تصاعد والحاجات والطموحات هي الأخرى في نموٍ واتساع، فلا يعد كافيًا أو حتى مرضيًا أداء الأعمال في المؤسسات - على اختلاف أنماطها وأنواعها - بالطرق الروتينية التقليدية لأن الاستمرار بها يؤدي إما إلى الوقوف وهو بالتالي تراجع عن الركب المتسارع في المُضيّ إلى الأمام أو الفشل.

قد يمكننا تعريف الإبداع بأنه أفكار تتصف بأنها جديدة ومفيدة ومتصلة بحلٍ أمثل لمشكلات معينة أو تطوير أساليب أو أهداف أو تعميق رؤية أو تجميع أو إعادة تركيب الأنماط المعروفة في السلوكيات الإدارية في أشكال متميزة ومتطورة تقفز بأصحابها إلى الأمام، إلا أنّ التعريف وحده لا يحقق الإبداع ما لم يتجسّد في العمل، لذا قد يمكن أن يقال أن الإبداع الحقيقي هو في العمل المبدع لا في التفكير وإن كان العمل المبدع يسبقه تفكير مبدع.

التفكير الإبداعي قد يتجاوز الأعراف والتقاليد ويخرق المألوف بشجاعة وإقدام فلا يخضع لقواعد ثابتة أو قرارات محكمة لذا فإنه في الغالب يخيف ويوقع المتعايشين معه بالحذر والارتباك كما هو المعروف في طبيعة البشر من تخوفهم من كل جديد، لذلك فإن الفكر الخلاّق قد لا يعدم أن يجد من يخالفه بشدة وينسب إليه النواقص، حتى يثبت مصداقيته وصحته بعد حين والأمر الذي يهوّن الخطب هو أنه بعد النجاح سيشكّل انتصارًا كبيرًا لأصحابه ويزيد من مصداقيتهم وكفاءتهم. ولا يخلو الأمر من تعارضٍ بين النمطين في التفكير، والحلّ الأمثل هو الجمع بين النمطين وأفضل طريقة لذلك هو إفساح المجال لكلا الفكرين في العمل ولأفرادهما بالمواصلة.

المعاناة تولّد الإبداع، جملة متداولة لدى كل الشعوب، والإبداع لا يقتصر على المعذبين، لكنه أجمل وأصدق وأروع منهم لأنه يخرج من رحم الموت ليصنع الحياة، فأصل كل إبداع التخيل، ولأن الابداع مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية، إما لجلب منفعة أو دفع ضرر، فالحاجة هي التي تدفع إلى الإبداع [5]، وكون الأسير الفلسطيني عاش تجربة كان أحوج فيها لدفع الضرر الذي أوقعه الاحتلال بحقه، فكان كثير التخيل لجلب المنفعة على قلة الإمكان، مما أنتج عنده روح التحدي وروح الابتكار، وجعله يفكر بطريقة غير مألوفة وغير تقليدية ليقهر الظرف الزمني باستغلاله استغلالاً أمثلاً مما أدى إلى الحالة التجديدية فكانت النتيجة إبداعية، فالإبداع ثمرةٌ مميزة، تصدر عن أسيرٍ مميز يحيا ظروفًا خاصة غالبًا ما

(5) وليد رفيق العياصرة: مهارات التفكير الابداعى وحل المشكلات، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2013، ص131.

تكـون معانـاة وقهـرًا أو إحساسًـا بالظلـم، إن عمليـة الإبـداع في الواقـع، هـي تعبـيرٌ عقـلي قائـمٌ عـلى مضمـون وأحاسـيس، يرتفـع بهـم إلى الروحانيـة والإبـداع الفنـي، وهـو أيضـاً صناعـة إنسـانية، تُقـدم للبشريـة مـادةً جماليـة بغـرض إسـعادها.

إنَّ الاهتـمام بإبـداع الأسرى أتى مـن خـلال تقديـر الباحـث بـأن هنالـك قولبـة فلسـطينية وعربيـة ودوليـة غـير دقيقـة اتجـاه الأسرى الفلسـطينيين، فنظـرة الأكثريـة باتجاههـم عـلى أنهـم فقـط مقاتلـين مـن أجـل الحريـة، أي أنهـم لا يفهمـون إلا لغـة واحـدة «هـي لغـة السـلاح والمقاومـة تجـاه العـدو»، مـع أن هـذا الجانـب جـزءٌ مـن حياتهـم، فهـم قبـل أيّ اعتبـار شريحـة متنوعـة مـن الطبقـات والاهتمامـات والمسـتويات الاجتماعيـة والتعليميـة ومـن فئـات متعـددة ومنهـم مـن المثقفـين والأكاديميـين والحقوقيـين والخريجـين ومنهـم مـن فئـات تحتـاج إلى وسـائل وأسـاليب وظـروف تمكنهـم مـن التطـور والابـداع والارتقـاء بالـذات في تخصصـات علميـة وتطلعـات ثقافيـة، فالحركـة الوطنيـة الفلسـطينية الأسـيرة تشـكل مجتمعًـا كامـلاً مصغـرًا يعيـش ظروفًـا قاسـية ولكنـه نشـيطٌ وزاخـرٌ بالحيويـة والإمكانيـات والطاقـات المتنوعـة التـي تطـورت مـن خـلال مؤسسـات الاعتقـال لتأخـذ مكانهـا ودورهـا في اتجاهـات متعـددة.

مـن هنـا فـإن الإحسـاس بالمشـكلة يكمـن في إلقـاء الضـوء عـلى الإبـداع لـدى الأسرى مـن خـلال التعـرف عـلى المشـكلات والمعوقـات الإبداعيـة التـي تواجههـم داخـل مؤسسـتهم ألا وهـي السـجن، وتحديـد الأهـداف الإبداعيـة لديهـم داخـل هـذه الأسـوار، مـن خـلال وضـع رؤيـة وخطـة واضحـة لتحديـد الأهـداف لـدى الأسرى الفلسـطينيين المبدعـين، وتأكيـد الالتـزام بالبرامـج التـي تسـهم في صناعـة الإبـداع، وفي توفـير الدعـم والإرشـاد لهـم، والمحافظـة عـلى التواصـل المسـتمر معهـم، ولـذا لابـدّ أنْ تتضمـن القضيـة اتبـاع خطـة واضحـة عندهـم حـول مفهـوم الإبـداع، يتضمـن وجـود قـدرٍ مـن الثقافـة التاريخيـة الإبداعيـة، والاسـتمرار في نقـل وتوطـين واسـتحداث الأسـاليب والوسـائل العلميـة الإبداعيـة الناجحـة لتطويـر وتعزيـز قـدرات الأسـير الفلسـطيني، لتقييـم واختيـار الخـبرات الفلسـطينية للحركـة الأسـيرة الملائمـة لتفعيـل الجوانـب الإبداعيـة لديهـم حتـى بعـد تحررهـم.

إنَّ التحديـات التـي تواجههـا الحركـة الأسـيرة في الجوانـب الإبداعيـة، تحتـاج إلى أسـس وتصـورات اسـتراتيجية تتمثـل في السياسـات والآليـات لتنفيـذ الأهـداف، تحتـاج إلى تبنـي رؤيـة شـمولية في تطويـر أولويـات الإبـداع، تـؤدي إلى تـآزر مكوناتهـا وتناسـق خططهـا وتوثيـق روابطهـا وتفاعلهـا مـع الأنشـطة الإبداعيـة، وتهيئـة السـبل الإبداعيـة الكفيلـة بتعزيـز وتطويـر وتنسـيق جهودهـا، وضـمان تلبيتهـا وتكاملهـا مـن خـلال إيجـاد آليـةٍ مناسـبة وفعالـة، وتنويـع مصـادر الدعـم المـالي المخصصـة لأنشـطتها بمـا يضمـن قيامهـا بـأداء مهامهـا عـلى الوجـه المطلـوب، والاسـتمرار في نقـل واسـتحداث الأسـاليب والوسـائل العلميـة الناجحـة لرفـع الكفـاءة الإبداعيـة الوطنيـة، وتعزيـز القـدرات التنافسـية الإبداعيـة.

محددات ومعيقات الدراسة:

تتمثل في ندرة المراجع والمصادر في توثيق تأريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة وخصوصاً جوانب الإبداع فيها كون أنّ معظم الدراسات التي تتعلق بالأسرى تتناول معاناتهم وانتهاكات إدارة مصلحة السجون وأجهزة الأمن الإسرائيلية بحقهم، وهنالك مشكلة تكمن في صعوبة التواصل مع الأسرى في داخل السجون إلا من خلال زيارات المحامين والتواصل من خلال أدوات الاتصال المهربة النادرة كالهواتف النقالة، ولكون أنّ الشريحة المستهدفة متواجدة في سجون احتلال مغلقة بدواعٍ أمنية، وأما الصعوبات العملية التي ستواجه الباحث فتتمثل في صعوباتٍ باللقاءات مع أسرى من المحافظات والمدن البعيدة، مثل الأسرى في الضفة الغربية وأسرى ال 48 والأسرى العرب الذين عاشوا نفس تجربة الاعتقال في السجون الإسرائيلية مع أشقائهم الفلسطينيين، وسيستعيض الباحث لتجاوز هذه المشكلات بإجراء مقابلات مباشرة مع الأسرى المحررين من الذين قضوا فترات طويلة من حياتهم في الاعتقال، ومروا بمعظم تجارب ومحطات الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة.

تساؤلات الدراسة:

تتلخص مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

كيف استطاعت الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة أن تواجه ممارسات سلطات الاحتلال الإسرائيلي في السجون بطرق ابتكارية ووسائل ابداعية؟ وما هي أشكال المقاومة التي استخدمتها للتغلب على العوائق التي واجهتها؟

ويتفرع من السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

1. ما هي العلاقة بين ظروف الأسرى القاسية وابتكار أساليب مقاومة لمواجهتها؟
2. هل تنوعت وسائل المقاومة والمجالات الإبداعية لدى الحركة الأسيرة؟
3. كيف استطاعت الحركة الفلسطينية الأسيرة من تراكم إنجازاتها الإبداعية؟ وكيف تمكنت من الحفاظ عليها رغم تقلب الظروف والمتغيرات السياسية؟
4. كيف تمكن الأسرى من إيجاد استراتيجيات وأدوات تتلائم مع خصوصية الاعتقال لتنمية قدرات الأسرى وتعزيز أشكال الصمود لديهم؟

فرضيات الدراسة:

- هناك علاقة بين الضغوط التي يمارسها الاحتلال على الأسرى وقدرتهم على بلورة أفكار وأساليب جديدة للتكيف والمواجهة والإبداع.
- هناك علاقة بين المتغيرات السياسية وقوة وتراجع الجوانب الإبداعية للحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة.
- توجد علاقة ما بين اكتساب الخبرات والتجارب وأشكال الإبداع وبين الأسرى قياساً (بالعمر، والفترة الزمنية التي أمضاها في السجون، والأحكام التي فرضت عليهم).

أهمية الدراسة:

أولاً، الأهمية الأكاديمية (العلمية):

تكمن أهمية البحث بكونه جديد وغير تقليدي، بسبب ندرة المراجع التي تتناول الجوانب الإبداعية للحركة الفلسطينية الأسيرة، ومراكمة البناء على دراسات سابقة قديمة تناولت موضوعات متفرقة لم تتطرق للكثير من المظاهر الإبداعية المستجدة في السنوات القليلة الأخيرة، وتحاول الدراسة التطرق لموضوعات جديدة نسبياً في مجال علم النفس الإبداعي وعلم النفس السياسي، والجمع بين العلوم السياسية، ومجالات الإبداع وإسقاطهما على وسائل المقاومة داخل السجون، من خلال إظهار حقيقة الصراع المحتدم في السجون الإسرائيلية بين مخططات السجان الساعية لتقويض إمكانيات الأسرى وتصويبها باتجاه السجان بأشكال النضال المدروس من قبل الأسرى بدقة لمواجهة القهر بالصبر، والتدمير بالتنوير، والسعي لتحطيم الأسرى وثقافة القتل لصناعة الحياة والتفاؤل والأمل، وتنبع أهمية الدراسة بإثراء البحث العلمي والمكتبات بمرجع لربما الأول في تركيزه على هذا الجانب المضيء والإنساني، والذي سيساهم حتماً بتوفير المادة للمهتمين للتعرف على قضايا وإضاءات مشرقة غائبة عن الحركة الأسيرة، وتسجل الدراسة تأريخ مقاومة الفلسطينيين داخل السجون والمعتقلات، وتسجيل صور المعاناة وأساليب المقاومة في جوانب كثيرة تختلف عن الأخبار التقليدية اليومية التي تثيرها وسائل الاعلام عن معاناتهم، وأشكال انتهاكات دولة الاحتلال بحقهم.

ثانياً- الأهمية العملية:

- تقديم مادة مشرقة عن الأسرى للرأي العام العالمي تنقض الصورة النمطية التي تسوقها دولة الاحتلال عن الأسرى الفلسطينيين بأنهم (قتلة ومخربون وأياديهم ملطخة بالدماء وغير ذلك من الأوصاف الباطلة).

- توفر الدراسة للمؤسسات الرسمية في السلطة الفلسطينية والمؤسسات الأهلية مادة مستجدة عن الأسرى يمكن الاستفادة منها على الصعيد الحقوقي في ظل الانضمام للاتفاقيات والمواثيق الدولية، وفي التعليم والتثقيف وإبراز الحالة الإبداعية للأسرى الفلسطينيين.

- تزوّد الدراسة جهات الاختصاص في هيئة شؤون الأسرى والمحررين والمؤسسات العاملة في هذا المجال، لتشجيع الجوانب الإبداعية وتعزيزها لدى الأسرى في السجون، من خلال توفير الإمكانيات، وأهمية الانتباه لإمكانيات الأسرى بعد التحرر، من خلال الاستفادة من قدراتهم وتجاربهم المنوعة.

أهداف الدراسة:

- التعرف على أشكال الإبداع للحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة.
- إبـراز جوانـب الإبـداع التـي تميـز بهـا الأسرى في السـجون الإسرائيليـة عـن أسرى آخريـن في حـركات تحـرر عالميـة أخـرى.
- بيـان كيـف تمكنـت الحركـة الأسـيرة مـن الحفـاظ عـلى تراكـم إنجـازات الحركـة الوطنيـة الفلسـطينية الأسـيرة كحالـة إبـداعٍ في ظـروف صعبـة.
- إلقـاء الضـوء عـلى المعوقـات والمشـكلات التـي تحـد مـن مسـتويات الوعـي الإبداعـي في تاريـخ الحركـة الأسـيرة.
- توضيـح الاسـتراتيجيات والسياسـات والآليـات التـي اسـتخدمها الأسرى في تطويـر منظومـة الجوانـب الإبداعيـة لـدى الأسـير الفلسـطيني.
- بيان البرامج التي تسهم في تعزيز وتطوير الإبداع لدى الأسرى الفلسطينيين.

منهجية الدراسة:

لكـون الدراسـة تنـدرج في إطـار الدراسـات البينيـة، لكونهـا تجمـع مـا بـين العلـوم السياسـية والتاريـخ والمجـالات الإبداعيـة، يسـتخدم الباحـث المنهـج التاريخـي التحليـلي، والمنهـج الوصفـي التحليـلي، والاسـتعانة باقـتراب ومنهاجيـة « التحليـل الثقـافي «، والأدوات البحثيـة وأهمهـا « المقابلـة»:

1- المنهج التاريخي التحليلي

التاريـخ هـو السـجل المكتـوب للـماضي والأحـداث الماضيـة[6]، ولكنـه غـير مقفـل، بـل سـجلاً مفتوحـاً، تنهـل منـه كل العلـوم، ونعتمـد عـلى سـجله في البحـث والدراسـة وهنالـك فـرق بـين التاريـخ والدراسـات التاريخيـة المتخصصـة التـي تسـتهدف التعـرف عـلى فـترة أو فـترات حسـب اهتمامـات البحـاث، وكثـيراً مـا تكـون دراسـات للأحـداث والمواقـف الفرديـة والجماعيـة، وكل الدراسـات التاريخيـة عبـارة عـن جـزء مـن بقيـة العلـوم التـي تشـكل جـزءًا مـن التاريـخ [7]، والمنهـج التاريخـي هـو الطريـق الـذي يختـاره الباحـث في تجميـع معلوماتـه وبياناتـه العلميـة في دراسـة الموضـوع، والـذي يسـلكه في التحليـل والتفسـير، وتبيـان الحقائـق ولأن هـذا المنهـج موضوعـه الواسـع هـو التاريـخ فيكـون المنهـج هـو الطريـق الـذي يربـط بـين الحـاضر والمـاضي والمتوقـع، ويعتمـد المنهـج التاريخـي عـلى أدلـة وأدوات ومصـادر يمكـن اسـتعمالها بعـد التأكـد منهـا. ومـن أهـم أدوات المنهـج التاريخـي الملاحظـة والمشـاهدة والمقابلـة والاسـتبيان لأن للتاريـخ شـواهد وأدلـة يمكـن التأكـد منهـا[8]، ومهـم القـول أن أي بحـث مهـما كان الأسـلوب المتبـع فيـه لا غنـى لـه عـن الاسـتعانة بمعطيـات المعرفـة التاريخيـة[9].

ومـن خـلال اسـتخدام هـذا المنهـج سـيقوم الباحـث بجمـع الحقائـق والمعلومـات مـن خـلال الوثائـق والأراشـيف والكتـب التـي أرَّخَـت وقائـع فـترة الدراسـة، وسـيقوم بدراسـة الظواهـر والأحـداث والمواقـف، والبحـث في نشـأة هـذه الظواهـر والتطـورات والعوامـل التـي أدت إلى تكوينهـا بشـكلها الحـالي، وسـيقوم الباحـث بتحليـل وتفسـير هـذه التطـورات اسـتنادًا إلى المنهـج العلمـي، الـذي يربـط النتائـج بأسـبابها، وسـيقوم بعـرض الأنشـطة الإبداعيـة لـلأسرى الفلسـطينيين والتعـرف عليهـا وتبيانهـا، واسـتخلاص القوانـين الاجتماعيـة وآليـات حركـة مجتمـع المعتقلـين منـذ نشـأته، والتغـيرات والتطـورات المتراكمـة التـي طـرأت عليـه، والتـي تأثـر بهـا.

2- المنهج الوصفي التحليلي

حـين يريـد الباحـث أن يـدرس ظاهـرة مـا فـإن أول خطـوة يقـوم بهـا هـي وصـف الظاهـرة التـي يريـد دراسـتها، وجمـع أوصـاف ومعلومـات دقيقـة عنهـا، والأسـلوب الوصفـي يعتمـد عـلى دراسـة الواقـع أو الظاهـرة كـما توجـد في الواقـع ويهتـم بوصفهـا وصفـاً دقيقـاً ويعـبر عنهـا تعبـيراً كيفيـاً أو تعبـيراً كميـاً، فالتعبـير الكيفـي يصـف لنـا الظاهـرة ويوضـح خصائصهـا، أمـا التعبـير

(6) Homer.Hockett: The critical.methed in historical research and wzition , new yourk: the mac millan co,1968,PP:3.

(7) عقيل حسين عقيل: فلسفة مناهج البحث العلمي، طرابلس، جامعة الفاتح، 1999م، ص57.

(8) عقيل حسين عقيل: المصدر نفسه، ص58.

(9) سمير نعيم: المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية، القاهرة، المكتب العربي للأوفست، ط 5، 1992م، ص130.

الكمي فيعطينا وصفاً رقمياً يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ودرجات ارتباطها مع الظواهر المختلفة الأخرى وقد بدأ هذا الأسلوب في البحث في نهاية القرن الثامن عشر حيث قامت دراسات لوصف حالة السجون الانجليزية ومقارنتها بالسجون الفرنسية والألمانية، كما نشطت هذه الدراسات في القرن التاسع عشر حيث ركزت الدراسات الاجتماعية التي قام بها « فردريك لوبلاي » بإجراء دراسات تصف الحالة الاقتصادية والاجتماعية للطبقة العاملة في فرنسا مستخدماً في ذلك أدوات بحث خاصة كالاستبيان والمقابلات، ولكن التطور الهام الذي ساهم في تطوير الأسلوب الوصفي في البحث كان في القرن العشرين، بعد اكتشاف الآلات الحاسبة التي تسطيع تصنيف البيانات والأرقام وتحديد العلاقات بسرعة هائلة، وكان الأسلوب الوصفي مرتبطًا منذ نشأته بدراسة المشكلات المتعلقة بالمجالات الإنسانية وما زال هذا الأسلوب هو الأسلوب الأكثر استخدامًا في الدراسات الإنسانية حتى الآن[10]، فالمنهج الوصفي هو التصور الدقيق للعلاقات المتبادلة بين المجتمع والاتجاهات والميول والرغبات والتطور بحيث يعطي البحث صورة للواقع الحياتي ووضع مؤشرات وبناء تنبؤات مستقبلية [11]، ويتضمن هذا المنهج دراسة الحقائق المتعلقة بطبيعة ظاهرة أو موقف معين أو مجموعة من الأحداث أو الأوضاع أو البشر التي يرغب الباحث في دراستها والتعرف على أبعادها المختلفة [12].

وسيعتمد الباحث على المنهج الوصفي في تفسير أوضاع وأحداث وظواهر الحركة الوطنية الأسيرة، وسيعرض من خلال البحث ما كان كائنًا منذ بدايات الاعتقال، ووصف الظروف التي أحاطت بتلك الحقبة، ومن ثم بدراسة المتغيرات والتطورات التي أثرت على المجتمع الاعتقالي، وسيتناول الباحث أهم ظواهر الإبداع للأسرى، وتفسير الأسباب والمنطلقات والعوامل التي شجعت وساهمت في تطوره، وسيقوم الباحث بوصف تلك المظاهر الإبداعية الإنسانية والشكلية والمادية، وعرض أشكالها وأنواعها، وسيتجاوز الباحث مجرد جمع البيانات الوصفية حول تلك الظواهر والمظاهر، إلى تحليلها والربط والتفسير لهذه البيانات، وتصنيفها وقياسها واستخلاص النتائج منها.

3- اقتراب « التحليل الثقافي»:

وسيستعين الباحث باقتراب ومنهاجية « التحليل الثقافي " الذي يقوم على دراسة المحيط الثقافي للظاهرة وتحليلها، دون إغفال أثرها على هذا المحيط، أي أنّ الدراسة يجب أن تأخذ بعين الاعتبار العلاقة على أساسٍ تبادلي ولا يقتصر تحليلها على اتجاهٍ واحد، وهذا المدخل له العديد من الاقترابات، فهنالك من يتخذون من الملبس أو المأكل اقترابًا للمدخل الثقافي، وآخرون يستخدمون الموسيقى أو العادات والتقاليد.

(10) د. ذوقان عبيدات وآخرين: البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، عمان، دار الفكر للطباعة والنشر، 1998، ص149.

(11) د وجيه محجوب: البحث العلمي ومناهجه، عمان، الأردن، دار المناهج للنشر والتوزيع، 2016، ص248.

(12) د محمد عبد الهادي: أساليب وأعداد وتوثيق البحوث العلمية، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، 1995، ص98.

ويعتقد الباحث أن ما يتناسب مع هذه الدراسة هو اقتراب البنية المعرفية، وهي الجزء العقلي والفكري من بين مكونات الثقافة، كما أن البيئة المعرفية هي أحد أهم العوامل المُشكّلة للثقافة السياسية والتي يعتبر مفهوم الهوية أحدها [13]، فمن خلال دراسة الحالة الثقافية والتعليمية والأدبية وثقافة الديمقراطية وممارستها ونمط الحياة الاعتقالية ونظمه، وتعقب سلوك المعتقلين يصل الباحث باستخدام مدخل «التحليل الثقافي" إلى مستوى الحالة الإبداعية للحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة التي تتميز عن غيرها في السلوك وبعض العادات بحكم ظرف الاعتقال وقوانين السجون المفروضة على الأسرى والمعتقلين.

أدوات وإجراءات الدراسة:

إنّ أهم الأدوات التي سيعتمد عليها الباحث في دراسته هي (الملاحظة والمشاهدة والمقابلة)، مع التأكيد أن الملاحظة ليست المشاهدة مع أنهما يتداخلان كثيرًا، فالمشاهدة هي الوقوف عن كثب على الشيء المراد رؤيته، لأنها مقتصرة على العين في مشاهدة الأشكال والأفعال، والملاحظة هي الربط بين المشاهد والمسموع، لأنها الأداة المستعملة لحاستي السمع والبصر والعقل في وقتٍ واحد، فالمشاهدة عابرة، والملاحظة عميقة وواسعة وتحتوى على الاستنتاج العقلي، فالملاحظة تمكن الباحث من استقراء التاريخ، واستنباط العبر منه، وهي تفسيرية إلى جانب كونها وصفية، لأنها تعتمد على الحس والعقل، وتتعلق بالظاهر والكامن، وتعتبر الملاحظة والمشاهدة أحياناً أداتين هامتين لوسيلة المقابلة، لأنه من خلال المقابلة يمكن مشاهدة المبحوث وتصرفاته، ويمكن ملاحظة ردود أفعاله على الأسئلة المطروحة عليه من قبل الباحث[14]، لأن ملاحظته تميزت بالمعايشة والمشاركة.

والمقابلة أداة هامة للحصول على المعلومات من خلال مصادرها البشرية، فالمقابلة المتميزة بالتخطيط والإعداد المسبق، والقائمة على التأهيل والتدريب الخاص، تفيد الباحث في الحصول على معلومات هامة تفوق في أهميتها ما يمكن أن يحصل عليه من خلال استخدام أدوات أخرى، ومن خلالها يستطيع الباحث اختبار مدى صدق المفحوص، والكشف عن المعلومات المطلوبة، ومدى دقة إجاباته عن طريق توجيه أسئلة أخرى مرتبطة بالمجالات التي شك بها[15].

وسيقوم الباحث بتوظيف فترة معايشته الطويلة للأحداث في السجون عبر مشاهدته وملاحظته وتفسيره لها قبل التحرر، وإجراء عدد كبير من المقابلات المنوعة (المقننة وشبه المقننة والمفتوحة) للفترات والأحداث التي لم يعايشها قبل اعتقاله، وبعد تحرره، وسيحرص الباحث في إجراء المقابلات على أن تكون مع مجموعةٍ من قيادات الحركة الوطنية الأسيرة،

(13) محمد أحمد العجاتي. (2001)، أزمة الهوية في الفكر السياسي العربي، دراسة مقارنة في رؤى حسن حنفي ومحمد عابد الجابري، «رسالة ماجستير غير منشورة»، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، القاهرة، ص8.

(14) عقيل حسين عقيل: مرجع سابق، ص164 – 172.

(15) د. ذوقان عبيدات وآخرين: مرجع سابق، ص109.

والأسرى المحررين من صفقتي التبادل في العام 1985م وفي العام 2011م، والمفرج عنهم في أعقاب اتفاقية أوسلو حول أهم الإبداعات التي لديهم، وسيتم تنوع انتماءاتهم التنظيمية، ومساهماتهم البنائية في الجانب الاعتقالي والتنظيمي والنضالي والكتابات الأدبية والسياسية والتعبوية، وكذلك بسبب مكانتهم التنظيمية، والفكرية، والأهم قدرتهم على وصف الظواهر، والربط بينها وتفسيرهم وتحليلهم لنشوئها وأسبابها ومؤثراتها وانعكاساتها على المجتمع الاعتقالي.

فتجربة الباحث الاعتقالية، والمقابلة مع كوادر الأسرى ستضيف للدراسة الكثير على صعيد شكل المواضيع، ووصف الأشياء بدقة وعن كثب، دون وسطاء قد يساهموا في تمييع الحقائق والمعلومات سواء بالنقص أو الزيادة[16]، وسيستعين الباحث بأدوات أخرى كالحكي والتأريخ الشفاهي، والأراشيف المتوافرة لدى المؤسسات ذات الشأن، والوثائق، والمذكرات، والتراجم.

أسباب اختيار الدراسة:

تحدث الكثيرون عن الحركة الوطنية الأسيرة، وشكل مراحل تطور الفترات الاعتقالية من الناحية التاريخية، وتناولوا معاناة الأسرى، والانتهاكات الإسرائيلية بحقهم، ولكن قلّة من الباحثين ومراكز دراسات الأسرى من تناولوا « الجوانب الإبداعية، والمظاهر الإنسانية، والإمكانيات والقدرات العقلية والصلابة النفسية للأسرى، وأشكال التكيف الإيجابي في مواجهة التضييق الإسرائيلي، وحتى الدراسات الأكاديمية التي وضعت خلال السنوات العشر الأخيرة لم تتطرق لهذه الجوانب التى تميز بها المعتقلون.

وقد وجد الباحث لأسباب ضميرية وأخلاقية وإنسانية وتضامنية، أن يعكف على دراسة الجوانب الإبداعية للحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة التي حافظت على تماسكها وحمت أسراها من الاستهداف الأمني والأخلاقي، واستطاعت أن تُخرّج أجيالاً كان لها الأثر الكبير في عملية النضال والثورة الفلسطينية.

مبررات الدراسة:

وجد الباحث أنه من غير الممكن الاكتفاء بقضايا الشجب والندب، وإظهار المظلومية، وأشكال المعاناة، والانتهاكات اللحظية والتفصيلية في قضايا الأسرى، فما لا يعرفه الكثيرون عن قضايا الأسرى يفوق مرات مضاعفة عن المثار جماهيريًا والمتداول إخباريًا وإعلاميًا، وما تسوقه دولة الاحتلال من حملات تشويه عالميًا عنهم.

ولربما أن أهم المبررات في تناول هذه الدراسة محاولة الباحث إنصاف زملائه بتناول الشق المبدع الآخر عن حياتهم، وجمال الصورة التي يعايشونها، وقوة وثبات الموقف الذي تسلحوا به أمام بطش سجانيهم، وأن يتطرق للجانب الإنساني الذي قضاه لسنوات بمعيتهم، لأن هذا الموضوع لا يمكن أن يكتب أو يوصف، لأن موضوع الأسر لا يمكن أن يتحدث عنه إلا من جرَّب.

(16) عقيل حسين عقيل: مرجع سابق، ص182.

ويرى الباحث أن الحرية تاج فوق رؤوس الأحرار لا يعرفها إلا الأسرى، ولو أتينا بكل الخطباء والفصحاء والشعراء والبلغاء - ممن لم يعتقلوا - لكي يوصفوا مشاعر الأسير وقت الشدة والضيق، والفرح والانتصار في عتمة الزنازين فلن يستطيعوا، ومن هنا وقع التكليف على الباحث لرصد وتتبع وفهم وتحليل الجوانب الإبداعية وأثرها على الحركة الأسيرة، وفهم واستكشاف الظروف والمحددات الإبداعية، وقد تم اختيار الموضوع كرسالة إنسانية ووطنية بطريقة أكاديمية، إيمانًا وأملاً منه بأن تؤدي الرسالة المرجوة، والأمانة العلمية التي ستحمل إشراقاتهم المتوقدة والمبدعة للعالم.

مفاهيم ومصطلحات الدراسة:

- أسرى الحرب: حددت اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949م الفئات التي يحق لها التمتع بوضع أسير الحرب، إذ تنص المادة الرابعة من الاتفاقية على أن الشخص يكتسب هذا الوضع عند وقوعه في قبضة العدو إذا كان منتمياً لإحدى الفئات التالية:

1. القوات المسلحة النظامية.
2. الميليشيات والوحدات المتطوعة وعناصر المقاومة المنظمة.
3. القوات المسلحة النظامية التابعة لطرف غير معترف به من قبل الدولة الحاجزة.
4. الأشخاص الذين يرافقون القوات المسلحة دون أن يكونوا جزءًا منها.
5. أفراد الأطقم الملاحية.
6. سكان الأراضي غير المحتلة المشاركون في الهبة الجماهيرية [17].

- الأسير الفلسطيني: هو المواطن الذي اعتقلته سلطات الاحتلال الإسرائيلي بسبب مقاومته للاحتلال على خلفيةٍ سياسية، أو تنظيمية، أو أمنية، أو عسكرية، ومنهم من اعتقلته أجهزة الأمن والجيش الإسرائيلي ضمن ملفٍ سري وبدون لائحة اتهام لتخوفاتٍ أو مبررات أمنية واهية كالمعتقل الإداري[18]، والأسير الفلسطيني أو العربي هو كل من يقبع في سجون الاحتلال الإسرائيلي على خلفية مشاركته في النضال ضد الاحتلال» [19].

- الأسير المحرر: وهو الأسير أو المعتقل الذي تعرض للسجن والاعتقال, وقضى مدة محكوميته, وأفرج عنه بعد انقضاء هذه المدة, أو تم تحريره بموجب اتفاقية معينة, كتبادل أسرى, أو كنتيجة مفاوضات سياسية [20].

(17) نداء البرغوثي، أسرى الحرب في القانون الدولي، القاهرة، دار النهضة العربية، 2015، ص61.

(18) موقع مركز الأسرى للدراسات: (http://alasra.ps/ar/index.php?act=post&id=24374) .

(19) إسماعيل الداعور: دور الأسرى في الحركات السياسية الفلسطينية(1987 2006)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، 2013، ص19.

(20) إسماعيل الداعور: مرجع سابق، ص19.

- الحركـة الوطنيـة الأسـيرة: هـي مجمـوع الأسرى والأسـيرات الفلسـطينيين الذيـن تعرضـوا للاعتقـال منـذ بدايـة الاحتـلال العسـكري الإنجليـزي لفلسـطين عـام 1917م، إلى الاحتـلال الإسرائيـلي عـام 1948م، واحتـلال الضفـة الغربيـة وقطـاع غـزة مـن قبـل إسرائيـل أيضـاً عـام 1967م إلى الآن[21]، وهـي تطلـق عـلى مجتمـع الأسرى والأسـيرات مـن الذيـن عايشـوا تجربـة الأسر، وقـد بلـغ تعدادهـم لمـا يقـارب مـن المليـون فلسـطيني وفـق رئيـس هيئـة شـؤون الأسرى والمحرريـن [22].

- الشـخصية المبدعـة: هـو «الشـخص المـرن ذو الأفـكار الأصليـة، والمتمتـع بالقـدرة عـلى إعـادة تعـرف الأشـياء أو إعـادة تنظيمهـا، والـذي يمكنـه التوصـل إلى اسـتخدام الأشـياء المتداولـة بطـرق وأسـاليب جديـدة تعطيهـا معـانٍ تختلـف عـما هـو متـداول أو متفـق عليـه. وهـو «وعـاءٌ ممتلـئٌ بالانفعـالات التـي تـأتي مـن كل المواقـع، مـن السـماء، مـن قصاصـات الـورق، ومـن شـكلٍ عابـر، أو مـن نسـيج العنكبـوت، والمبـدع يـودع مـا يـرى أو يسـمع أو يقـرأ ليخفـف مـن وطـأة الانفعـالات مـن ازدحـام عقلـه بالـرؤى(23)، واتفـق كثـير مـن علـماء النفـس عـلى تعريـف الشـخصية المبدعـة التـي تفضـل التفكـير في نسـق مفتـوح الـذي يـؤدي إلى السـلوك الإبداعـي واسـتقلاليته، وتقيـم الأفـكار والكفايـة الذاتيـة والثـورة ضـد المألـوف والمثابـرة والتكيـف والمرونـة في حـل المشـكلة والأصالـة في إنتـاج الحلـول، وسرعـة الإنجـاز والدافعيـة، كـما تتميـز الشـخصية المبدعـة بطلاقـة وأصالـة ومرونـة التفكـير والتطويـر وتحـدي الصعـاب وهـي أكـثر مرونـة نفسـية وذات شـخصية مؤثـرة وأكـثر ميـلاً لتأكيـد الـذات ومطالبهـا، وأنهـا ذات إرادة قويـة ومتحـررة ترفـض الخضـوع والخنـوع، وكثـيرة المثابـرة والفضـول وارتفـاع مسـتوى الطمـوح والمهـارات(24).

- إبـداع الأسرى: مـا تميـز بـه الأسرى مـن أشـكال الإبـداع، كعمليـة ذهنيـة ومعرفيـة تتضمـن الطلاقـة والمرونـة والأصالـة(25)، ولقـد وجـد الباحـث في مجتمـع الأسرى هـذه الأبعـاد مـن الطلاقـة التشـكيلية المتوفـرة في كميـة الأفـكار التـي أنتجهـا الأسـير خـلال فـترة زمنيـة محـددة مكّنتـه مـن إنجـاز علمـي أو ثقـافي أو مـادي، ومرونـة تشـكيلية تشـير إلى قـدرة الأسـير في السـجون عـلى تغيـير اهتماماتـه الذهنيـة والعقليـة (26)، بمـا يتناسـب مـع واقـع الأسر بخـلاف واقـع الحريـة ووسـائل النضـال واسـتبدالها بوسـائل نضـال مختلفـة ضـد الاحتـلال حتـى في ظـل الاعتقـال، والأصالـة التـي ميـزت إنتـاج الحركـة الوطنيـة الأسـيرة بالنـدرة والجـدة وعـدم التكـرار مـن خـلال مـا يقـوم بـه كأدب السـجون والدراسـات والإنتـاج الثقـافي والمـادي المتعـدد.

(21) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة – جامعة القدس، موسوعة تجارب الأسرى الفلسطينيين والعرب، القدس، فلسطين، 2014م، ص43 .

22) موقع صحيفة رأى اليوم: http://www.raialyoum.com/?p=256617

(23) أحمد شعبان المرغاوين: الإبداع لدى مرحلة الجامعية الأولي دراسة ميدانية، مجلة التربية المعاصرة، 2003، ص51.

(24) طارق عبد الرؤوف عامر: الابداع مفاهيمه واساليبه ونظرياته، القاهرة، الدار العالمية للنشر والتوزيع، 2005، ص75.

(25) وليد رفيق العياصرة: مرجع سابق، ص43.

(26) (ابداع الأسرى) كما تشير الدراسة.

- مصلحة السجون الإسرائيلية العامة: بالعربية (مصلحة السجون الإسرائيلية-الشاباص) بالعبرية (שירות בתי הסוהר) بالانجليزية (Israel Prison Service) تأسست عام 1949م وهي تتبع لوزارة الداخلية الإسرائيلية وتمثل الذراع التنفيذية لإنفاذ القانون في إسرائيل ويقع مقرها الرئيسي في مدينة الرملة وسط إسرائيل وهي مسؤولة عن 32 سجن منتشرة في إسرائيل وتضم 35 الف سجين و 8 آلاف موظف عام 2009، نسبة السجناء الأمنيين (سجناء المقاومة الفلسطينية/الباحث) بلغت 40 % ونسبة السجناء الجنائيين بلغت60%[27].

- الجهاز الثقافي: يتكون الجهاز الثقافي في السجون من المفوض العام، واللجنة الثقافية العامة لهذا الفصيل أو ذاك، ويقف على رأس الجهاز الثقافي أحد أعضاء اللجنة المركزية أو اللجنة التنفيذية أو أحد أعضاء المنظمات الحزبية أو المكاتب السياسية - وفق مسميات الهيكلية التنظيمية لكل فصيل – ويتكون هذا الجهاز من موجهي الأقسام الثقافيين ولجانه الثقافية وموجهي الغرف الثقافيين[28]، وفي الحقيقة لا يوجد في المعتقل جهاز ثقافي وإنما أجهزة حيث يمتلك كل فصيل خاصة الفصائل الكبيرة جهازه الخاص، وعلى الرغم من تعدد الأجهزة الا أنها تتوافق في الترتيب والوظيفة[29].

- أدب السجون: هو أحد أشكال إبداعات الأسرى، وكل ما أنتجوه عبر هذه المسيرة النضالية والجماعية الطويلة، هذا النتاج الفكري والأدبي[30] الذي عكس أبعاد هذه الظاهرة وجوهرها وعبَّر عن مضمونها الإنساني وتفوقها الأخلاقي وهويتها عبر رموز ولغة حيَّة وإيماءات ونصوص وأشكال تعبير وملامح خاصة وهوية إنسانية مميزة [31].

- الإضراب المفتوح عن الطعام: يعرف أيضاً بمعركة الأمعاء الخاوية وممكن أن يكون فردي أو جماعي ومطلبي لتحسين شروط الحياة أو سياسي بهدف الحرية، ويعد خطوة سلمية لإبراز مطالب الأسرى ومشروع دوليًا، وهو قرار يقضي بعدم تناول كافة أشكال المواد الغذائية باستثناء الماء والملح حتى تحقيق المطالب، وقد تلجأ إدارة مصلحة السجون لإرغام الأسير أثناء إضرابه على تناول المدعمات والفيتامينات عن طريق التغذية القسرية بطريقة عنيفة وخطيرة محرمة دوليًا قد تودي بحياة المضربين [32].

- اللوائح والأنظمة الداخلية: هي قوانين ونظم ترقى لمرتبة الدستور « الناظم لحياة الدول والمجتمعات الطبيعية، وتحظى اللوائح والأنظمة الداخلية باحترام وتقدير كبيرين

(27) زياد أبو زياد: تأثير حقبة أوسلو على وحدة وانجازات الحركة الأسيرة في السجون الإسرائيلية 19932012)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة القدس، القدس – أبو ديس، (2012)، ص10.

(28) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة – جامعة القدس: مرجع سابق، ص48 .

(29) محمد لطفي ياسين: مرجع سابق، ص108.

(30) «أدب السجون « كل ما كتبه الأسرى عن السجن وغيره داخل الإعتقال وليس خارجه، بشرط أن يكون من أجناس الأدب كالرواية والقصة والشعر والنثر والخاطرة والمسرحية والرسالة.

(31) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: مرجع سابق، ص74.

(32) ابراهيم أبو الهيجا: المنسيون فى غياهب الاعتقال الصهيونى، جمهورية مصر العربية، مركز الاعلام العربي، 2004: ص160.

مـن كافـة الأسرى، وتشـكل مرجعيتهـم المتعاقـد عليهـا لفـض المشـكلات التـي تواجههـم[33] واللوائـح الداخليـة للتنظيـمات داخـل السـجون تبـين أسـس الحيـاة في المجتمـع الاعتقـالي وبعـض جوانـب سـلطته الثوريـة مـن جانـب آخـر تتبنـى التنظيـمات المختلفـة نظامـاً داخليـاً أو دسـتوراً اعتقاليـاً يحكـم علاقـات التنظيـم الواحـد ويوضـح أسـس التنظيـم الاعتقـالي ورؤيته الفكريـة والهيـكل التنظيمـي بهيئاتـه والقوانـين التـي تحكـم نشـاطها، كـما يوضـح الأخطـاء وكيفيـة معالجتهـا[34].

- اتفاقيـات جنيـف: انصرفـت اللجنـة الدوليـة للصليـب الأحمـر في أعقـاب الحـرب العالميـة الثانيـة إلى وضـع اتفاقيـة لحمايـة المدنيـين في زمـن الحـرب، حيـث التقـت 63 دولـة عـام 1949م في جنيـف وتبنـت أربـع اتفاقيـات (35): الأولى: حـول تحسـين مصـير الجرحـى والمـرضى في القـوات المسـلحة، والثانيـة: حـول القـوات البحريـة، والثالثـة: حـول معاملـة أسرى الحـرب، والرابعـة: حـول حمايـة المدنيـين(36) وعـلى الرغـم مـن مصادقـة إسرائيـل عـلى اتفاقيـات جنيـف الأربعـة فهـي لم تعـترف بـالأسرى الفلسـطينيين كأسرى حـرب (37) رغـم دعـوة المنظـمات الدوليـة والحقوقيـة لهـا باحـترام الاتفاقيـات الدوليـة والقانـون في معاملـة السـجناء يتعلـق بتلـك الحقـوق الفلسـطينيين لديهـا(38).

- صفقـة تبـادل 1985م: تعتـبر مـن أكـبر صفقـات تبـادل الأسرى بـين إسرائيـل و الجبهـة الشـعبية لتحريـر فلسـطين القيـادة العامـة - أحمـد جبريـل بموجـب اتفاقيـة تبـادل لـلأسرى وقعـت في جنيـف عـن 3 جنـود إسرائيليـين، مقابـل إفـراج إسرائيـل عـن 1155 أسـيراً، مـن بينهـم 153 أسـيراً لبنانيـاً[39].

- وثيقـة الوفـاق الوطنـي: مجموعـة مـن النقـاط التـي وضعتهـا الحركـة الوطنيـة الأسـيرة في السـجون الإسرائيليـة وتحديـداً في سـجن هداريـم، وقـد اسـتندت النقـاط لاتفـاق القاهـرة مـارس/آذار 2005م، مـن أجـل إنجـاح الحـوار الوطنـي الفلسـطيني الشـامل لإنهـاء الانقسـام، والوثيقـة وضعـت آليـة أو برنامـج عمـل سـياسي للفصائـل الوطنيـة والإسـلامية الفلسـطينية بتاريـخ 9/5/2006م بعـد استشـعارها خطـر الانقسـام الـذي يهـدد القضيـة الفلسـطينية[40].

- القيـادة الجماعيـة: وتعنـي تصريـف أمـور الأسرى وشـؤونهم مـن قبـل الهيئـات المنتخبـة، مـن خـلال التشـاور الحثيـث فيـما بينهـا وبـين قواعدهـا التنظيميـة، سـواء داخـل كل فصيـل مـن فصائـل العمـل الوطنـي أو بـين الفصائـل كافـة، وخاصـة عندمـا يتعلـق الأمـر بمصـير الأسرى ككل[41].

(33) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: مرجع سابق، ص58.
(34) قدري أبو بكر: من القمع إلى السلطة الثورية، عمان، دار الجليل للنشر، 1989، ص161.
(35) أنظر لملحق اتفاقية جنيف بشأن معاملة الأسرى: ص266.
(36) ناصر عبد الجواد، الأسرى (حقوقهم واجباتهم أحكامهم)، ط 2، الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2013، ص28.
(37) غادة فريد بدر: أسرانا في سجون الاحتلال الاسرائيلي، عمان، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، 2006، ص177.
(38) مركز التخطيط الفلسطيني: البيان الختامى لمؤتمر الامم المتحدة فى فينا، مجلة المركز، العدد 29، غزة، 2011، ص204.
(39) سكاى نيوز: http://www.skynewsarabia.com/web/article/645137
(40) محمـد أبـو شريعـة: الحركـة الأسـيرة وتأثيرهـا في السياسـة الفلسـطينية 2006 2012)، رسـالة ماجسـتير غـير منشـورة، كليـة العلـوم السياسـية، جامعـة الأزهـر، غـزة، فلسـطين، (2013)، ص8.
(41) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة – جامعة القدس، موسوعة تجارب الأسرى الفلسطينيين والعرب، فلسطين، القدس، 2014م، ص57.

- العـزل: يعتـبر العـزل عقاباً مـن أقـسى أنـواع العقوبـات التـي تلجـأ اليـه سـلطات الاحتـلال الإسرائيليـة ضـد الأسرى الفلسـطينيين والعـرب فتضعهـم في زنازيـن معتمـة ضيقـة ولفـترات طويلـة مـن الزمـن، ويحـرم الأسـير المعـزول مـن أبسـط الحقـوق الإنسـانية والأساسـية[42].

- الاعتقـال الإداري: يسـتند لقانـون الطـوارىء الـذي فرضتـه السـلطات البريطانيـة في سـبتمبر/ أيلـول 1945 م، ويعتـبر الاعتقـال الإداري بحـق الأسرى الفلسـطينيين في السـجون وفي المحاكـم العسـكرية الإسرائيليـة مـن أكـثر الأسـاليب خرقـاً لحقـوق الإنسـان، ويتـم بموجبـه تحويـل المعتقـل للحبـس إداريـاً بـدون تهمـة أو محاكمـة لفـترات تـتراوح بـين 3- 6 أشـهر[43]، ويمكـن تجديـد الاعتقـال الإداري لمـدة إضافيـة مسـاء يـوم انتهـاء أمـر الاعتقـال السـاري[44]، وأثنـاء الحجـز لا يسـمح للمعتقـل أو محاميـه بالاطـلاع عـلى أيـة تفاصيـل عـن أسـباب الاعتقـال الموجهـة لـه، وبالتـالي يحـرم مـن حـق الدفـاع عـن النفـس، واسـتمرت سياسـة الاعتقـال الإداري حتـى بوجـود الاتفاقيـات السياسـية بـين الجانـب الفلسـطيني والإسرائيـلي [45].

- الجلسـة: تطلـق عـلى إجـراء وتقليـد أصيـل لـدى الأسرى، حيـث يجتمـع الأسرى بموجبـه عـلى شـكل حلقـات صغـيرة داخـل الغـرف أو الزنازيـن أو في سـاحة النزهـة لمناقشـة مواضيـع ثقافية أو سياسـية أو أمـور داخليـة، وهـي أشـبه بالحصـة المدرسـية أو المحـاضرة الجامعيـة وهنـاك جلسـات خاصـة لـكل تنظيـم وجلسـات مشـتركة وتمتـاز بالالتـزام والدقـة في مواعيدهـا[46].

- الفـورة: هـي تعبـير عـن النزهـة اليوميـة التـي يقضيهـا الأسـير في سـاحة السـجن المخصصـة لذلـك، وكلمـة فـورة مشـتقة مـن فـار فـوراً وفورانـاً، أي يتحـرك بقصـد النشـاط والحركـة، وبشـكل دائـري – وفي الغالـب – مـن اليمـين إلى اليسـار، بعكـس عقـارب السـاعة.[47]

- الصنـدوق الاعتقـالي العـام: هـو مصطلـح افـتراضي لمهمـة حساسـة تتكـون مـن إدارة الـواردات مـن «دكان الأسـير – الكنتـين « بعـد عدهـا وحصرهـا وتقييدهـا في سـجل خـاص يكـون في عهـدة الأسـير المكلـف بالقيـام بهـذه العمليـة، وهـو أسـير يتـم التوافـق عليـه مـن قبـل الفصائـل المتواجـدة في المعتقـل، لأن دوره وصلاحياتـه تشـمل الاتصـال بـالأسرى كافـة، وللأسـير المكلـف مسـاعدين يسـمى كل منهـم أمـين الصنـدوق الاعتقـالي لقسـمه [48].

(42) المصدر نفسه، ص57.

(43) وزارة شؤون الأسرى والمحررين: تقرير شامل عن أوضاع الأسرى فى السجون الاسرائيلية، فلسطين، الدائرة الاعلامية للوزارة، 17 / 4/ 2007، ص18.

(44) Prisoners of Peace Administrative Detention During the Oslo Process, B»TSELEM ,Jerusalem ,july, 1997,PP.11.

(45) Amnesty International Report 1998,Israel (state of) and the occupied Territories , Amnesty International Publications , United Kingdom ,London ,pp.207.

(46) عيسى قراقع: الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية 1999-1993م، فلسطين، معهد الدراسات الدولية، جامعة بير زيت 2000م، صXIII.

(67) محمد أبو شريعة : مرجع سابق، ص9.

(48) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة – جامعة القدس: مرجع سابق، ص57.

- الكبسولة: مشتقة من الكلمة الانجليزية « capsule» أي الوعاء البلاستيكي الذي يوضع فيه الدواء ويكون رقيقاً ومحكم الإغلاق [49]ومكتوب على ورق رقيق بخط صغير جدًا[50] ولا يتم هضمه في حال بلعه كونه ملفوف ومتقن بالنايلون الشفاف، ويتم إغلاقها بواسطة التسخين على لهب بسيط ويتم وضع عنوان المادة المكتوبة على ظهر الكبسولة وتستخدم لنقل المادة المكتوبة من سجن لآخر أو للخارج عبر وضعها في الفم والمعدة [51].

- النطف المهربة: ثورة إنسانية في وجه السجان الذي حرم الأسرى من حق الإنجاب في ظل الأحكام الخيالية والردعية، فقام عدد من الأسرى وخاصة المتزوجين بتهريب السائل المنوي عن طريق الزيارات وزرعه في رحم الزوجة [52]، ونجح عدد من الأسرى بالإنجاب بهذه الطريقة التي تم احتضانها وتفهمها اجتماعياً، وسمي أطفال الأسرى عن طريق النطف المهربة « بسفراء الحرية «

- البوسطة: تعبير يطلق على سيارة نقل الأسرى التابعة لإدارة مصلحة السجون وهي غالباً عبارة عن مركبة كبيرة، ولا يوجد فيها سوى فتحات صغيرة جداً، وتشبه المركبة خزاناً مغلقاً لنقل الأسرى، وتحمل أبشع أنواع الإذلال والعقاب والضرر الصحي حيث تكون مملوءة بالأوساخ والروائح الكريهة، وهناك مركبة صغيرة تسمى « ترانزيت « تستخدم في حالات خاصة لنقل عدد من الأسرى، ويشرف على البوسطة شرطة خاصة تسمى فرقة « البوسطة عادة من وحدة الناحشون « تمتاز بمعاملتها الفظة للأسرى المنقولين [53].

- العصافير: وهو المصطلح الذي أطلقه المعتقلون الفلسطينيون على العملاء في سجون الاحتلال، ويرجع سبب التسمية إلى طريقة تسليم هؤلاء العملاء أنفسهم لإدارة السجون، حيث أنهم ينتظرون قدوم إدارة السجن من أجل العدد، أو تفتيش المعتقلين فيستغلون الموقف ويهربون إلى إدارة المعتقل كما يفر الطائر من عشه، حيث يقال للشخص الذي سلم نفسه لإدارة المعتقل « عصفر « أي أصبح عصفوراً وانضم إلى مجتمع العملاء [54].

(49) جمعية الأسرى والمحررين: الأسرى الفلسطينيون وجبروت التعذيب الاسرائيلى فى السجون الاسرائيلية، غزة، فلسطين، مركز الدراسات والتوثيق والمعلومات، 2005، ص12.

(50) أنظر ملحق شكل الرسائل التى تخرج من السجون : ص288 .

(51) عيسى قراقع: مرجع سابق، صXIV

(52) نائل رمضان: أحكام الأسرى فى سجون الاحتلال الاسرائيلى، بيروت، لبنان، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2012، ص103.

(53) عيسى قراقع: مرجع سابق، صXII.

(54) عبد الناصر فروانة: الأسرى الفلسطينيون: آلام وآمال، القاهرة، صادر عن جامعة الدول العربية، 2015، ص317.

الدراسات السابقة:

أ – دراسات في موضوع الإبداع:

1. دين كيث سايمنتن (1993) بعنوان: (العبقرية والابداع والقيادة) ترجمة د. شاكر عبد الحميد[55].

تناولت الدراسة تعريفات واضحة « للابداع والقيادة والعبقرية والعلاقة التى بينهما » ، والاجابة على السؤال ، ما هى الأسباب التى جعلت من يحتلون هذه المنزلة المتفوقة على سواهم من البشر ؟ والخلفية الأسرية والتعليم ومستوى الذكاء ؟ وهل يوجد عمر خاص يصل عنده الابداع إلى ذروته ؟ ، وللاجابة على السؤال قام المؤلف بتعريف مجال يسمى « القياس التاريخى » ، وقد بدأ بشرح الأسلوب : اختيار وحدات التحليل ، سواء كانت من الفلاسفة أو الأفراد أو من المعارك الحربية التاريخية ، او كانت لحناً موسيقياً كلاسيكياً ، ثم تحديد المتغيرات الحاسمة فى التحليل وحسابها ، والقيام بعد ذلك بحساب العلاقات السببية الأكثر احتمالا من خلال تحليلات احصائية متقدمة ، وتوصل الباحث إلى أن النضج العقلى المبكر ، ومعدل الانتاجية ، وكذلك طول العمر الابداعى ، كلها قابلة للتطبيق على القيادة ، وعلى الابداع على حد سواء .واستفاد الباحث من الدراسة فى تعريف المصطلحات ، والتطبيق الاحصائى الذى استخدمه الباحث واسقاطه على واقع الأسرى ، وتفسير العلاقة بين الابداع وبين انتاجية الأسرى على مستوى الثقافة والتعليم وطول تجربة الاعتقال وبناء الشخصية القيادية ، وسلامة البناء التنظيمى كأحد الشروط المهمة فى تخريج الكادر المبدع على قاعدة استراتيجيات البقاء والتعايش مع الواقع واستثماره نحو الأفضل .

2. د.أيمن عامر (2003) بعنوان (الحل الابداعى للمشكلات بين الوعى والأسلوب) .

تناولت دراسة الباحث ظاهرة نفسية مهمة ، وهى ظاهرة الابداع ، وركز الباحث خلال دراسته على زاوية الوعى بالابداع ، وأثر ذلك على كفاءة التفكير الابداعى ، واحتوت دراسته على سبعة فصول ، انصبت الفصول الأربعة الأولى على على شرح للمفاهيم الرئيسية فى الميدان ، وأهم البحوث الامبريقية والمحاولات التنظيرية ، وتنصرف الفصول الثلاثة الباقية إلى عرض البحوث التى أسهم بها المؤلف ، وما توصل اليه من نتائج ، وبيان مواضع الاتفاق والاختلاف مع بحوث سابقيه .

(55) دين كيث سايمنتن : العبقرية والابداع والقيادة ، ترجمة د . شاكر عبد الحميد ، الكويت ، الناشر المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، 1993 .

ومـن أهـم النتائـج التـى توصـل اليهـا المؤلـف النتيجـة القائلـة بارتبـاط كفـاءة حـل المشـكلات « سـواء كانـت هـذه المشـكلات ضعيفـة البنـاء أم محكمـة البنـاء « بـكل مـن الأسـلوب الابداعـى للشـخص ، ووعيـه بعمليـات الابـداع للشـخص ، ووعيـه بعمليـات الابـداع كـما تتـم لديـه ، كنتيجـة بالغـة الأهميـة نظريـاً وتطبيقيـاً ، تهـم المنشـغلين بالعلـوم النفسـية ، والتربويـة كذلـك .

وثمـة نتائـج كثـيرة توصـل اليهـا الباحـث لهـا أهميتهـا أيضـاً وان لم تبلـغ الدرجـة نفسـها مـن الشـمول ، وركـز الباحـث فى تحليلـه عـلى مكونـين رئيسـيين مـن مكونـات الشـخصية « الأسـلوب الابداعـى ، والوعـى بعمليـات الابـداع « وتأثيرهـما فى كفـاءة الحـل الابداعـى للمشـكلات ، وموقـع هذيـن المكونـين مـن منظومـة الشـخصية .

وهدفـت الدراسـة إلى تحقيـق عـدة أهـداف منهـا مـا هـو نظـرى ، ومنهـا مـا هـو منهجـى ، ومنهـا مـا هـو تطبيقـى ، كالاسـهام فى تضييـق مسـاحة الغمـوض والخلـط فى تعريـف مفهومـى « الأسـلوب الابداعـى ، والوعـى بعمليـات الابـداع « مـن خـلال مجموعـة مـن الاختبـارات ، والاسـهام فى فى حسـم النتائـج المتعارضـة فى الانتـاج الفكـرى السـابق عـن علاقـة الأسـلوب الابداعـى بالمسـتوى الابداعـى، بقيـاس هـذه العلاقـة فى ضـوء عـدد مـن المتغـيرات الوسـيطة مثـل الوعـى بالابـداع .

واسـتفاد الباحـث مـن دراسـة د. عامـر فى تعريـف مصطلحـات الابـداع ، ومقومـات وسـمات الشـخصية المبدعـة ، وابـداع الأسرى فى حـل المشـكلات والمعوقـات التـى وضعتهـا إدارة مصلحـة السـجون الاسرائيليـة فى وجههـم ، وكيفيـة التصـدى لهـا بطـرق ابتكاريـة واعيـة وبخطـوات نضاليـة محكمـة[56] .

3. د. مؤيـد عبـد الحسـين الفضـل (2009م) بعنـوان: (الإبـداع في اتخـاذ القـرارات الإداريـة)(57).

هدفـت الدراسـة لإبـراز مبـدأ التنافسـية والـصراع مـن أجـل البقـاء، والالتزامـات الكبـيرة في اتخـاذ القـرارات، معتـبراً الكاتـب « الفضـل « أن صناعـة القـرار يجـب أن تتـم عـلى أسـس منهجيـة علميـة معتمـدة عـلى أدوات التفكـير والتخطيـط والبدائـل التـي تصـل لترشـيد القـرارات وصـولاً إلى أفضـل النتائـج التـي تميـز الشـخص والتنظيـم والمنظمـة الناجحـة، ويهـدف الكتـاب إلى تبيـان طبيعـة القـرارات الإبداعيـة ومتطلباتهـا، وكيـف توظـف الإبـداع في هـذا الجانـب بحيـث يمكـن أن يـؤدي ذلـك إلى أفضـل المعالجـات الإداريـة والأحـكام المثـلى عـلى الأشـياء والوصـول الأقـصر والأسرع للأهـداف المرجـوة بأخـف وأقـل الأضرار والوصـول لحـل المشـكلات المختلفـة مـن خـلال اختيـار البديـل الأمثـل وبالتـالي اتخـاذ القـرار الأمثـل عـلى أساسـه.

ويـرى د. الفضـل تميـز في بحثـه في مجـال الإبـداع الإداري، ومنحـت دراسـته الباحـث إشراقـة في مجـال اتخـاذ القـرارات، وحـل المشـكلات، واختيـار الأسـاليب والوسـائل التكتيكيـة والاسـتراتيجية،

(56) د.أمين عامر: الحل الابداعى للمشكلات بين الوعى والأسلوب ، القاهرة ، مكتبة الدار العربية للكتاب، 2003 .
(57) مؤيد عبد الحسين الفضل: الابداع فى اتخاذ القرارات الادارية، الأردن، اثراء للنشر والتوزيع، 2009.

والبدائل لاستدراك الفشل وتحقيق النجاحات، وأسقط الباحث النظريات الإبداعية الإدارية على واقع الأسر في مجابهة سياسات إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية وطواقمها، للوصول لحياة تضمن للأسرى الكرامة والحقوق الأساسية والإنسانية.

4. د. وليد رفيق العياصرة (2013م) بعنوان: (مهارات التفكير الإبداعي وحل المشكلات)(58).

هدفت الدراسة إلى معالجة موضوعاً هاماً وحيوياً في مهارات التفكير الإبداعي وحل المشكلات واستراتيجيات تعليمه، وخصائصه ومبادئه، وناقش الباحث خلالها العلاقة بين التفكير الإبداعي وبين استراتيجية حل المشكلات، وقدم أمثلة تفصيلية ونماذج تطبيقية في تعليم التفكير الإبداعي، وعرض المباديء النظرية والجوانب العملية لممارسته، وتطرق إلى مدخل في التفكير كمعالج حقيقي للمعلومات وكقوة فعالة باعثة على النشاط والمهمة، وإلى التفكير الإبداعي الذي يحقق زيادة الوعي ويعالج القضايا ويزيد من كفاءة العمل الذهني، وأشار بالتفصيل لصفات الشخص المبدع في أحلك الظروف.

ويرى الباحث أن « د.عياصرة « قدم فصولاً مهمة في تعريف الإبداع، والشخصية المبدعة، والابتكار والذكاء ومكونات التفكير، ودور الوراثة والبيئة والمهارات المكتسبة في تنميته، وشكلت تلك المقدمة النظرية مرجعاً للباحث بإسقاط تلك المكونات على واقع الأسرى لقياس مستوى الإبداع لديهم، في فضاء الخيال الواسع، وعدم الاستسلام للمشكلات، والنقد والانضباط الذاتي، والاتصاف بالعقل المفتوح والقدرة على القيادة والتكيف مع المحيط، والمرونة في المواقف للخروج بأفضل الحلول.

لكن الدراسة ركزت على مهارات التفكير لدى الطلبة، وتنمية الرغبة في العمل للتعلم، وتنمية القدرة لديهم على التفكير، مما جعل الدراسة ذات اهتمام تعليمي وارشادي، غير موسعة لتشمل كل مجالات الإبداع وأنواعه وأشكاله.

ب– دراسات عامة عن الأسرى والمعتقلين:

1. دراسة قدري أبو بكر (1989م) بعنوان: (المعتقلون الفلسطينيون من القمع إلى السلطة الثورية)(59).

تناول الباحث في دراسته سمات السلطة الثورية التي نشأت في المعتقلات الإسرائيلية، والحدود الديموغرافية والجغرافية الضيقة التي قامت عليها، ودور القيم والإيمان بالقضية وصمود هذه السلطة أمام أشرس أنواع القمع من جانب الاحتلال، واعتبر الكاتب أنّ مجتمع الأسرى سار ضمن قوانين تحميه وأفراده والتي تم التوافق عليها بالإقناع والشكل الديمقراطي،

(58) وليد رفيق العياصرة: مرجع سابق.
(59) قدري أبو بكر: مرجع سابق.

واعتبر الكاتب أن حالة إبداعٍ وُجدت في السجون على الرغم من قلة الإمكان، فأسسوا هياكل تنظيمية وقوانين اعتقاليه، وألزموا أنفسهم ببرامج ثقافية ثورية رغم كلّ محاولات التحطيم من قبل إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية، ووصف الحركة الوطنية الأسيرة بالمجتمع الاعتقالي المسيّس الذي يمتاز بالنضوج ورقي العلاقات السائدة فيه وبالقيم الإنسانية الثورية المحاربة لكل السلوكيات اللامسؤولة والفردية، ومجتمع اشتراكي في كلّ قوانينه «كلّ شيءٍ للجميع، وحرب ضد الفردية، ولا حياة للفرد في ظل التنظيم ولا تنظيم إلا ببناء الفرد المؤطّر، والتلاحم هو السلاح الأقوى في مواجهة الأعداء، وروح العمل الجماعي هي السائدة».

ويرى الباحث أن الكاتب قدري أبو بكر وفق في وضع القارىء بالكثير من جوانب الحياة الاعتقالية، واستفاد الكاتب من الدراسة بشكل كبير فيما يتعلق بالعلاقات الفصائلية، والأسس التي رسختها، ويرى الباحث أن الدراسة افتقرت للكثير من مظاهر الإبداع الأخرى بالإضافة، للوائح الداخلية، والدساتير الاعتقالية التي نظمت شكل العلاقات الفصائلية داخل المعتقلات.

2. دراسة رأفت حمدونة، ومحمد أبو جلالة (1992م) بعنوان: (نجوم فوق الجبين) (60).

الدراسة عبارة عن كتاب، قدم فيه المؤلفان اللذان أمضيا فترة اعتقال طويلة أهمية انتقاء العنصر التنظيمي في المواجهة مع المحتل الإسرائيلي قبل الاعتقال، واعتبرا أن العنصر المتميز بالنقاء الأمني والثقافة العالية والانتماء الصادق يستطيع تحقيق الكثير من الانتصارات الميدانية خارج الاعتقال، والصمود والتضحية والقدرة على الصبر في مواجهة السجان خلال فترة التحقيق والاعتقال، وتناول الكاتبان الأعمال الفدائية التي قام بها أسرى عزل « نيتسان – الرملة « كأسوأ مكان عرفه المعتقلون في تاريخ الحركة الوطنية الأسيرة، وتحدثا عن الظروف المعيشية القاسية فيه من كل النواحي (الصحة والغذاء والعلاقات الفصائلية والحالات النضالية والجانب الثقافي).

استفاد الباحث من الكتاب عند تناوله لظروف العزل، والحياة اليومية للمعزولين رغم تجريدهم من كل الحقوق الأساسية والإنسانية، ولكن الكتاب افتقر لتنوع المصادر لإثراء التجربة التنظيمية لكل الفصائل الوطنية والإسلامي، وعكس الكتاب الحالة التنظيمية التي عايشها الكاتبان وفق انتمائهم التنظيمي.

3. دراسة سلمان جاد الله (2000م) بعنوان: (أدب المواجهة) (61).

جاءت دراسة الباحث الأسير المحرر جاد الله والذي أمضى في السجون الإسرائيلية إثني عشر عاماً، ويعد من رواد الحركة الأدبية في السجون لتؤكد على الكثير من السمات الجمالية لأدب

(60) رأفت حمدونة، محمد أبو جلالة: نجوم فوق الجبين، غزة، فلسطين، اللجنة الثقافية لحركة الجهاد الاسلامي، 1992.
(61) سلمان جاد الله: أدب المواجهة، غزة، فلسطين، جمعية الأسرى والمحررين2000م.

السجون والأوضاع الثقافية العامة داخل المعتقلات، واستعرض الباحث الذي تميز بالجرأة في كتابه عدد من الموضوعات كان أولها أهمية الرقي الثقافي للأجيال الفلسطينية والعربية لتوازي حجم التحديات المفروضة مع الاحتلال، واعتبر الكاتب جاد الله أن هناك أزمة ثقافة فلسطينية وعربية قياساً بتنشأة المستوطنين اليهود في هذا المجال، واعتبر التطبيع مع الفلسطينيين والعرب حلماً صهيونياً لإنهاء الصراع بوسائل أخرى غير العنف، ثم تناول أشكال المقاومة وبيئة الأسر وأيدلوجيا الثورة في السجون وخارجها، والإنتاج الأدبي لرواد الحركة الأدبية والثقافية والتعليمية والفنون بأشكالها وتنوعها خلال الاعتقال، ومراحل تطور الحركة الأسيرة وسماتها مستنداً للمعيار الثقافي والأدبي والتغيرات التي أحدثتها نضالات الأسرى التراكمية على قاعدة المواجهة الواعية والاحترافية، واعتبر الباحث أن كتاب جاد الله من أهم المراجع التي تناولت أدب المواجهة داخل الاعتقال، وشكل مرجعاً غنياً له في مبحث أدب السجون والثقافة والفنون، لكن الكاتب جاد الله لم يتوسع في كتابه ليرفق التجارب الأدبية والإبداعية بكاملها، واكتفى بدائرة أحاطت به من الأدباء والكتاب.

4. دراسة عيسى قراقع (2000م) بعنوان: (لأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية بعد أوسلو 1999-1993م)(62).

تناول الباحث والأسير المحرر عيسى قراقع - الذي شغل وزيراً للأسرى في الحكومة الفلسطينية السادسة عشر، وعين رئيساً لهيئة شؤون الأسرى والمحررين في آب 2014م - في دراسته الأوضاع الاعتقالية ما قبل اتفاقية أوسلو في العام 1993م، ومن ثم بيَّن الأوضاع الاعتقالية وانعكاس التسوية السياسية على مجمل أوضاعهم الاعتقالية، وعرض الكاتب تذمر الأسرى في السجون على الاتفاقيات لافتقارها لمواد واضحة بموجبها يتم الإفراج عنهم في أعقاب التوقيع عليها بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، وترك الأمر لحسن نوايا قادة دولة الاحتلال، وقسّم الكاتب دراسته لمراحل التطور التي مرت بها الحركة الأسيرة، وقد بدأها بمرحلة حماية الذات في بداية السبعينيات، ومرحلة بناء المؤسسة الاعتقالية وتحسين شروط الاعتقال، ومرحلة تحقيق المنجزات من خلال محطاتٍ نضالية على مدار سنوات الثمانينيات، ومرحلة النضال الشامل حتى العام 1992م، ومن ثم كانت المتغيرات السياسية وانعكاس عملية السلام على الأسرى.

ووفق الباحث قراقع في دراسته التي تميزت بالمنهجية والتحليل للحصول على درجة الماجستير من «جامعة بيرزيت»، وشكلت مرجعاً مهماً للباحث في ما يتعلق بالوضع القانوني وانعكاس التسوية السياسية كمتغير مهم على الحركة الأسيرة وأشكال النضال المتمثلة بالإضرابات السياسية المفتوحة عن الطعام لإثارة قضيتهم والتأكيد عليها في هذه الفترة الزمنية المهمة، ولكن الكاتب قراقع لم يؤكد على الجوانب الإبداعية لتلك المرحلة رغم التراخي الذي أصاب الحركة الأسيرة، ومن تلك الجوانب استمرار الحالة الديمقراطية والتعليمية والثقافية، والحفاظ على المؤسسات الاعتقالية والهياكل التنظيمية، وتواصل الحالة النضالية، وشكل العلاقات الفصائلية.

(62) عيسى قراقع: مرجع سابق.

5. دراسة منقذ أبو عطوان (2006م) بعنوان: (مأسسة الحياة الاعتقالية للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية -1967 2005م)(63).

جاءت الدراسة للتأكيد على الضوابط التي حكمت العلاقات بين الأسرى وإدارة مصلحة السجون، والأسرى أنفسهم، والآليات التي اتبعها الأسرى لإيجاد عمل مؤسسي منظم، وتحويل السجن من مؤسسة احتلالية قائمة لإنهائهم وشطبهم من المسرح التاريخي كفاعلين أساسيين، إلى مؤسسة تعيد إنتاج ذات وطنية مقاومة، وقدّم الباحث أبو عطوان من خلال الدراسة تحول الأسرى على عدة محاور أساسية، ساعدتهم في تحويل مؤسسة السجن من مؤسسةٍ هدامةٍ للنفس والجسد إلى مؤسسةٍ تعيد إنتاج إنسان مقاوم واستنتج أنّ هناك عدة آلياتٍ اعتمد عليها الأسرى في عملية التحول كالتحول التاريخي للسجون، ومن حالة علاقات قائمة على أساسٍ فردي، إلى علاقات اجتماعية قائمة على أسس جماعية ومن علاقات جماعية مؤطرة داخل قوى مختلفة، إلى علاقاتٍ جماعية ممأسسة، والتشكل المؤسسي بعد توحد النصوص داخل المجتمع الأسيري، وكيف أسهم هذا التوحد في جعل السجون المتناثرة والمشتتة في مواقع مختلفة كأنها سجنٌ واحد.

ويرى الباحث أن الكاتب « أبا عطوان « أحسن في توصيفه للفترات والتحولات، وتعتبر دراسته مرجعًا ومستندًا قويًّا لكل باحث يحتاج لتفاصيل بناء المؤسسات الاعتقالية واللوائح الداخلية والعلاقات الفصائلية، ويرى الباحث أن الدراسة ستكون أشمل في حال تناولها لانعكاس المتغيرات السياسية على الحالة الاعتقالية.

6. دراسة جهاد البطش (2007م) بعنوان: (المعتقلون الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية)(64).

قسم الباحث دراسته لخمسة فصول، في أولها أعطى لمحة عن المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية قبل عام 1967م، وأنواع الاعتقال ومراحله، وعن قضية التعذيب في السجون، والثاني: وضح المعلومات عن السجون من حيث أماكنها، وإنشائها، والتطور التاريخي لها، والفعاليات المهمة التي شهدته، وأهمية كل سجن بالنسبة لإسرائيل، وما عاناه المعتقلون فيه، والثالث: يعكس صورة عن مجتمع المعتقلين من حيث استطاعتهم بناء تنظيات ذات نظم متفرعة من القاعدة حتى رأس الهرم، وكذلك شكل هذا المجتمع من الناحية الأمنية والثقافية والاجتماعية، والرابع تحدث عن الدور النضالي للأسرى الفلسطينيين، والذي أخذ صوراً عديدة كعلاقتهم بالحركة الوطنية، والإضرابات والتمرد والهروب، إضافة إلى عمليات تبادل الأسرى، ودور النساء والأطفال الفلسطينيين الذين اعتقلتهم إسرائيل على خلفية وطنية داخل السجون، والفصل الخامس بين الباحث مواقف الأطراف والجهات المختلفة من

(63) منقذ أبو عطوان: استغلال الأيدي العاملة الأسيرة في سجون الاحتلال الاسرائيلي، فلسطين، بدو دار نشر ،2006.
(64) د. جهاد البطش: المعتقلون الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية، غزة، فلسطين، مكتبة اليازجي، 2007.

قضيـة المعتقلـين الفلسـطينيين وأهمهـا الموقـف الفلسـطيني مـن مؤسسـات، وشـخصيات، وأهـالي المعتقلـين، والموقـف الإسرائيـلي غـير الرسـمي، إضافـة إلى الموقـف العـربي والـدولي خاصـة الأمريـكي، والـذي شـذّ عـن غالبيـة مواقـف دول العـالم اتجـاه القضيـة بشـكل عـام ومـن ضمنهـا قضيـة المعتقلـين وتكفـل بالدعـم المطلـق والكامـل للغطرسـة والممارسـات الإسرائيليـة.

وبـلا شـك شـكلت دراسـة، د. البطـش « مرجعـاً مهـماً للباحثـين والمختصـين في قضيـة الأسرى، واسـتفاد منهـا الباحـث في تتبـع مراحـل الحركـة الأسـيرة، وتطـور العلاقـات التنظيميـة في السـجون، وتطـور الأوضـاع الاجتماعيـة وواقـع السـجون، والموقـف الفلسـطيني والعـربي والـدولي مـن قضيـة الأسرى.

7. دراسـة مفيـد عرقـوب (2008م) بعنـوان: (بنـاء الجملـة في شـعر المعتقلـين الفلسـطينيين في السـجون الإسرائيليـة مـن العـام 2005-1967م)(65).

هدفـت دراسـة « د. عرقـوب « لإبـراز محـاولات إدارة مصلحـة السـجون الإسرائيليـة في تفريغ الأسـير الفلسـطيني مـن محتـواه الثقـافي، ودور الحركـة الفلسـطينية الأسـيرة لمواجهـة هـذه المحـاولات، وإقـدام الأسرى عـلى خطـوات احتجاجيـة لكـسر الحصـار الثقـافي، وتحويـل غـرف السـجون وخيـام المعتقـلات إلى فصـولٍ دراسـية وقاعـاتٍ تعليميـة.

وتنـاول الباحـث « د. عرقـوب « ظـروف بدايـة وإرهاصـات مرحلـةٍ أدبيـة ذات أهميـة في حيـاة أدب الأسر، والـذي سُـمّي بـأدب السـجون، وتطـرق إلى أهميـة اسـتغلال الوقـت لـدى الأسرى، كأداة جعلـت مـن الاعتقـال منحـة لصالحهـم، وتقويـض سياسـة السـجان الـذي سـعى لـزرع الفـتن والخلافـات بـين الأسرى، وركـز عـلى الحركـة الثقافيـة والتعليميـة في السـجون، ومـا حملـت مـن تعلـم لغـات وإنتـاج أدبي ودراسـة التاريـخ الفلسـطيني والسياسـة، وكل التخصصـات، وإنهـاء مراحل تعليميـة ابتـداءً مـن الثانويـة العامـة وحتـى الدراسـات العليـا.

ويـرى الباحـث أن دراسـة « د. عرقـوب « تشـكل مرجعـاً أدبيـاً وثقافيـاً للمختصـين والمهتمـين بـأدب السـجون، وشـكلت الدراسـة مرجعـا مهـماً لـه في الفصـل الثالـث الـذي تنـاول الحالـة الثقافيـة والتعليميـة في السـجون كأحـد أهـم المظاهـر الإبداعيـة في السـجون، ولكـن الباحـث « د. عرقـوب « تطلـع لأدب الأسرى مـن خـلال نوافـذ محـددة، لم تتوسـع لتشـمل عـددًا كبـيرًا ومتنوعًـا لكتـاب وأدبـاء الحركـة الوطنيـة الأسـيرة.

8. دراسـة زيـاد أبـو زيـاد (2012م) بعنـوان: (تأثـير حقبـة أوسـلو عـلى وحـدة وإنجـازات الحركـة الأسـيرة في السـجون الإسرائيليـة -1993 2012م)(66).

(65) مفيـد عرقـوب: بنـاء الجملـة في شـعر المعتقلـين الفلسـطينيين في السـجون الاسرائيليـة، رسـالة دكتـوراة، جامعـة عـين شـمس – كليـة الآداب، جمهوريـة مـصر العربيـة، 2008.

(66) زياد أبو زياد: مرجع سابق.

تناولت هذه الدراسة التحولات العميقة التي طرأت على واقع الحركة الأسيرة بعد اتفاقيات أوسلو 1993م، من خلال تبيان الفرق، بين الآليات والأساليب التي استخدمتها الحركة الأسيرة مع بدايات تشكلها، وتلك التي استخدمتها بحقبة أوسلو، والكشف عن التأثيرات التي خلفتها، على وحدة وإنجازات الحركة الأسيرة.

وناقشت الدراسة الفترة الزمنية التي تلت اتفاقية أوسلو في العام 1993م ولغاية العام 2012م، وخلص الكاتب إلى أن الحركة الأسيرة بعد أوسلو عاشت أزمةً حقيقية تمثلت في غياب الإرادة النضالية نتيجة الانقسام السياسي لدى النخبة القيادية والفصائل الكبيرة، وغياب الأمل عند الأسرى بالتحرر والعودة إلى الحياة الطبيعية، وغياب وتغييب الإعداد الواعي من قبل تنظيمات الانقسام السياسي لأجل استرداد الإنجازات التي سلبتها مصلحة السجون العامة، وتراجع العمل بالأدبيات التنظيمية، وإهمال الإفادة والعمل بما راكمته التجربة الاعتقالية، من أساليب وأدوات للصمود والمواجهة والتطور.

ويرى الباحث أن دراسة أبو زياد قدمت مادة ثرية ومنهجية عن بدايات نشأة الحركة الأسيرة، وغطرسة السجان الإسرائيلي في السنوات الأولى من الاعتقال، ووضعت القارىء في التطور التنظيمي للحركة الوطنية الأسيرة، وأوج قوتها في العام 1992 م، وشكلت الدراسة مرجعاً للباحث في قضايا كثيرة، لكن الباحث لم يوافق « أبو زياد « في المبالغة بتراجع الحركة الوطنية الأسيرة في أعقاب اتفاقية أوسلو وغياب الأمل لديهم بالحرية، فبدون شك عاشت الحركة الأسيرة حالة من التراخي في تلك الفترة، لكن الأسرى لم يتراجعوا عن إرثهم النضالي والاعتقالي، ولم تتمكن إدارة مصلحة السجون من النيل من إنجازاتهم التي حافظوا عليها على مدار سنوات الاعتقال، قبل وبعد اتفاقية أوسلو وحتى يومنا هذا.

9. دراسة أ. محمد أبو شريعة (2013م) بعنوان: (الحركة الأسيرة وتأثيرها في السياسة الفلسطينية 2006 - 2012)(67).

ناقش الباحث من خلال رسالة الماجستير لكلية الاقتصاد والعلوم الإدارية بجامعة الأزهر بغزة مدى تأثير الحركة الأسيرة في السياسة الفلسطينية وتأثيرها وتأثرها بها، وقسم الباحث دراسته إلى خمسة فصول، أولها إطاراً نظرياً، والثاني: تناول فيه واقع الحركة الأسيرة في السجون ما قبل اتفاقية أوسلو، والثالث خصص لموقف الحركة الأسيرة من الاتفاقيات الفلسطينية الإسرائيلية، والرابع عن علاقة الحركة الأسيرة بالمؤسسات الوطنية والعربية والدولية والخامس تناول مساهمة الحركة الأسيرة في صناعة القرار السياسي الفلسطيني.

وبالعموم ركز الباحث على الدور البارز الذي لعبته في بلورة وثيقة الوفاق الوطني الفلسطيني التي تم الإعلان عنها في مايو 2006م في أعقاب حالة الانقسام الفلسطيني وفشل كل المحاولات المجتمعية والسياسية والمبادرات الداخلية والخارجية من أجل رأب الصراع

(67) محمد أبو شريعة: مرجع سابق.

الفلسطيني الداخلي بين حركتي فتح وحماس، وما خلف ذلك من آثار جسيمة على واقع الشعب الفلسطيني على كل المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، واعتبر الباحث أن للحركة الأسيرة تاريخ حافل بالبطولة والقوة والتضحية وأنها الأقدر على توجيه البوصلة الفلسطينية نحو الطريق الصحيح والضغط على القيادة الفلسطينية بمختلف اتجاهاتها من أجل تغليب مصلحة الشعب الفلسطيني وقضيته على النزاعات الفصائلية الداخلية.

ويرى الباحث أن أ. أبو شريعة استطاع من خلال دراسته إبراز دور الأسرى وتأثيرهم في السياسة الفلسطينية، وشكلت دراسته إحدى المراجع المهمة له في المبحث الثالث « وثيقة الوفاق الوطني أساس للمصالحة الفلسطينية «، وتمنى الباحث على (أ. أبي شريعة) لو تناول بعمق انعكاس المتغيرات السياسية على الواقع الاعتقالي، خاصةً الانتفاضتين « 1987 – 2000م « كحدثين سياسيين مركزيين أثّرا على الحركة الأسيرة في السجون.

10. دراسة إسماعيل الداعور (2013م) بعنوان: (دور الأسرى في الحركات السياسية الفلسطينية (1987- 2006م)(68).

قدم الباحث أ. الداعور دراسته للحصول على درجة الماجستير في العلوم السياسية من كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية بجامعة الأزهر – غزة، واستعرض الباحث في دراسته دور الأسرى المحررين في الحركات السياسية، والتعرف على سمات الأسرى المحررين بتوجهاتهم السياسية والثقافية والأيديولوجية والاجتماعية، ومدى انخراطهم في الحركات السياسية، ومعرفة أهم التحديات والمعوقات والعراقيل التي تحول دون مشاركة المحررين في لعب دور بارز بصنع القرار السياسي داخل الحركات السياسية الفلسطينية، وتناولت الدراسة نجاحات الحركة الوطنية الأسيرة في تقديم نماذج يحتذى بها في النضال والفكر الثوري والممارسة السياسية، ومشاركة أبناءها من المحررين في صنع القرار السياسي، وتحدثت عن تجارب الأسرى المحررين في الحركات السياسية داخل فلسطين المحتلة وخارجها، وخاصة في أعقاب عملية تبادل 1985م ووصول المحررين إلى أعلى سلم قيادة التنظيمات الفلسطينية، وألقت الدراسة الضوء على أهمية دور الأسرى المحررين في الحركات السياسية و صياغة المشروع الوطني الفلسطيني في مناهضة السياسات العنصرية والمشروع الصهيوني.

وبلا شك تعتبر الدراسة مرجعاً لأي باحث للتعرف على دور الأسرى المحررين في المشاركة السياسية في الحركات السياسية الفلسطينية، وتمنى الباحث على أ. الداعور لو تناول خلال دراسته آليات بناء هذا الكادر التنظيمي، ومحطات تدرجه ثقافياً وتنظيمياً خلال الاعتقال، والتعرف على البرامج التي جعلته قادراً ومؤهلاً لتبوّء مكانة كبيرة في المجتمع الفلسطيني بعد التحرر.

(68) إسماعيل الداعور: مرجع سابق.

11. أحمد أبو السعود (2014م) بعنوان: (ومضات من خلف القضبان)(69).

استعرض «أبو السعود" الذي عاش تجربة الاعتقال لخمسة وعشرين عاماً متواصلة، وتم تحريره من الأسر في صفقة « وفاء الأحرار- 2011م « – في دراسته موجزاً عن بدايات الحركة الوطنية الأسيرة وقسوة ظروف الاعتقال في البدايات، ومراحل تطور الاعتقال وأشكال نضالات الأسرى، ونشأة الجماعة الإسلامية وتنامي قوتها والتحولات على الهيئة القيادية في السجون، وتناول الإضرابات المفتوحة عن الطعام بشقيها المطلبي والسياسي، وانعكاس اتفاقية أوسلو والانقسام الفلسطيني على الأسرى، وتطرق للكثير من الوقائع والأحداث والتطورات والنشاطات التي أثرت على مسيرة الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، وحياة الاعتقال من مختلف جوانبها.

ويرى الباحث أن الكاتب « أبو السعود « تميز بالنظرة النقدية للأحداث، وقدم مقترحات عملية ملموسة وذات قيمة في محاولة وضع الحلول المناسبة لمناحي حياة الاعتقال بما يحقق المزيد من الانتصارات وزيادة الفعالية المطلوبة لنضال الأسرى وتحقيق أهدافهم ومطالبهم العادلة، بالإضافة لتوثيق الكاتب لمحطات نضالية مركزية تُوّجت بالعشرات من الشهداء، والتي أنجزت عددًا كبيرًا من الحقوق الأساسية للأسرى الفلسطينيين، كانت قد تنكرت لها إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية.

وشكل الكتاب مرجعاً مهماً في عدد من مباحث الدراسة، ولكن الباحث وجد أن الكاتب « أبو السعود «، تعمق في تأريخ الكثير من المتغيرات وفقاً لتجربة الرفاق في الجبهة الشعبية التي انتمى الكاتب اليها، وبلا شك ستكون الدراسة أشمل لو عرَّج الكاتب على تجارب التنظيمات الفلسطينية الأخرى التي عاشت ظروفاً وبرامج مختلفة.

12. دراسة د. فهد أبو الحاج (2014م) بعنوان: (التجربة الديمقراطية للأسرى الفلسطينيين في المعتقلات الإسرائيلية في الفترة 2007-1967م)(70).

تناول الباحث الأسير المحرر د. أبو الحاج الذي أفرج عنه في صفقة تبادل 1985م في دراسته تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة من حيث نشأتها والظروف الموضوعية التي أحاطت بها، وركز على نضال الأسرى من أجل تطوير ظروفهم الحياتية اليومية، وتتبّع الباحث ولادة وتطور مفاهيم العمل الديمقراطي لدى فصائل الحركة الأسيرة الفلسطينية، مشيراً للعوامل الذاتية والموضوعية المؤثرة فيها، وكذلك آليات وأدوات تطبيق الديمقراطية كنظام حكم ونظام حياة من خلال تراكم التجربة ونضوجها من نشوء القيادة الفردية إلى القيادة الجماعية وصولاً لإدخال مفاهيم الانتخابات وتداول السلطة وصياغة لوائح داخلية مفصلة تتناول مناحي الحياة اليومية كافة ووجود هيكلية تنظيمية واضحة.

(69) أحمد أبو السعود: ومضات من خلف القضبان، غزة، فلسطين، وزارة الثقافة، 2014.

(70) فهد أبو الحاج: التجربة الديمقراطية للأسرى الفلسطينيين في المعتقلات الإسرائيلية في الفترة 2007-1967، القدس، فلسطين، مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة، 2014م.

واستعرض د.أبو الحاج في دراسته الحالة الديمقراطية داخل الفصيل الواحد، وبين فصائل العمل النضالي في المعتقلات، وتمثيل هذه العلاقات بطريقة ديمقراطية، والوصول إلى بناء المؤسسات الاعتقالية، ووضع دستور ونظم داخلية ديمقراطية تحكم هذه العلاقات وآليات تطبيقها.

وشكلت دراسة د.أبو الحاج مرجعاً للباحث في فصل مظاهر الإبداع في السجون، ولكن الدراسة اقتصرت على التجربة الديمقراطية لفصائل منظمة التحرير الفلسطينية، ولم تتطرق لتجربة التنظيمات الإسلامية التي عاشت تجربة مماثلة في حياتها الاعتقالية وفي أدبياتها، ولوائحها الداخية، وممارستها التنظيمية وعلاقاتها ومشاركتها في المؤسسات الاعتقالية على قاعدة الديمقراطية وحسم المواقف بالتراضي أو بالأغلبية.

13. مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة (2014م) بعنوان: (موسوعة الأسرى الفلسطينيين والعرب - الجزء الأول)(71).

هدفت الموسوعة لتوثيق تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، من خلال سرد التجارب الفردية والجماعية للأسرى، وقدمت تفسيرات علمية شاملة ووافية حول ظاهرة الأسرى الفلسطينيين والعرب داخل المعتقلات والسجون الإسرائيلية منذ أن عرفت فلسطين عهد الاحتلالات المتتالية، وذلك من خلال تقديم الإجابة على الأسئلة المثارة حول موضوع الاختصاص وهو «الأسرى»، واعتمدت الموسوعة على مقابلات مع الأسرى في السجون والمحررين خارجها، وتطرقت للمصطلحات الأساسية المتداولة في السجون، وإنتاجات الأسرى الأدبية، وشهداء الحركة الأسيرة، والتعريف بالسجون وبالتعريف بالحركة الأسيرة وبداية نشأتها وتطورها وأشكال التعذيب والانتهاكات الإسرائيلية بحق الأسرى والأسيرات.

واعتبر الباحث الموسوعة عملاً ضخماً ومهماً لم يسبق له مثيل في توثيق وتأريخ تجارب المعتقلين المنوعة في السجون، والتعريف بالمصطلحات والمفاهيم الأساسية المستخدمة في حياتهم الاعتقالية، وتوثيق أدبيات الأسرى، وشهداء الحركة الوطنية الأسيرة، والتعريف بالسجون والمعتقلات بالشرح والصورة، ولكن الموسوعة في جزئها الأول لم تتناول التجربة الأدبية لعدد كبير من الأسرى وفق قوائمها، وافتقرت لتنوع التجارب والشهادات، وستكون الموسوعة في أجزائها الأخرى مميزة حينما تكون شاملة ومنوعة في عرضها لكل التجارب والانتماءات السياسية بشكلٍ متوازي.

14. د. نداء البرغوثي (2014م) بعنوان: (أسرى الحرب في القانون الدولي) (72).

جاءت هذه الدراسة لتعالج جانباً جوهرياً في قضايا الأسرى من حيث القواعد العامة لنظام أسرى الحرب في القانون الدولي المعاصر، ومدى انطباقها على المعتقلين الفلسطينيي في السجون الإسرائيلية، بهدف التعرف على الوضع القانوني لهؤلاء المعتقلين، وتحديد القانون واجب

(71) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة - جامعة القدس: مرجع سابق.
(72) نداء البرغوثي: مرجع سابق.

التطبيق عليهم، والحقوق المقررة لهم، والوسائل التي يمكن من خلالها حمل إسرائيل على أداء التزاماتها الدولية اتجاههم.

واحتوت الدراسة على عدد من المباحث ذات العلاقة بالوضع القانوني، بدأت بالتطور التاريخي لنظام أسرى الحرب وخصائصه، وانتهت بسياسة إسرائيل اتجاه الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين، وموقفها من تطبيق الأحكام الخاصة بأسرى الحرب على الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين.

وتميزت الدراسة بالمنهجية الأكاديمية كونها قدمت للحصول على درجة الدكتوراة في العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة، واتسمت بتنوع مصادرها وخاصة الأجنبية، وشكلت الدراسة مرجعاً للباحث في الجانب القانوني، وتمنى الباحث من "د. نداء" لو استندت للمراجع العبرية في مبررات تنكر دولة الاحتلال بالتعامل مع الأسرى والمعتقلين في سجونها بناءاً على الاتفاقيات الدولية وخاصة اتفاقيتي جنيف الثالثة والرابعة.

15. دراسة الباحث عبد الناصر فروانة (2015) بعنوان: (الأسرى الفلسطينيون.. آلام وآمال)(73).

تناول الباحث والأسير المحرر فروانة في الكتاب عددًا من القضايا المهمة ذات العلاقة بالقضايا الاعتقالية بدأها بالخلفية التاريخية للسجون والمعتقلات ومراحل تطورها، والتعذيب الجسدي والنفسي، وانتهى بشهداء الحركة الوطنية الأسيرة، مروراً بانتهاكات متعددة يتعرض لها الأسرى في حياتهم اليومية الاجتماعية والمعيشية، وتطرق لخصوصية أسرى القدس والمناطق الفلسطينية المحتلة عام 1948م، وقضية الأسرى العرب كجزء أصيل من مكونات الحركة الأسيرة، وتحدث الكتاب عن الأوضاع الثقافية والتعليمية والإضرابات المفتوحة عن الطعام والإنجاب من خلف القضبان وتهريب الهواتف النقالة، وعمليات تبادل الأسرى والعملية السياسية وآثارها على واقع الأسرى.

واعتبر الباحث كتاب المحرر فروانة مميزاً ومنوعاً عن الحركة الأسيرة وتاريخها، كونه عرَّج على عدد كبير وواسع من الموضوعات، وشكل مرجعاً للباحث في الكثير من فصول الدراسة، ولكن الكتاب افتقر لقائمة المصادر والمراجع، ولتوثيق تجارب وكتابات وأبحاث سابقة تعززه وتثريه، وتم طرح معظم القضايا بإيجاز نظراً لتنوعها وتزاحمها.

(73) عبد الناصر فروانة: الأسرى الفلسطينيون.. آلام وآمال: مرجع سابق.

التعقيب على الدراسات السابقة:

من خلال عرض الباحث للدراسات السابقة لم تطرق الكتب المتخصصة بالإبداع « إبداعات الأسرى » بل أسقطت نظريات الإبداع على الكثير من الشرائح المجتمعية دونهم، حتى الدراسات التي تناولت موضوع الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة من جوانب مختلفة، لم تتطرق غالبيتها لهذا الموضع، والدراسات التي تناولت بعض مظاهر الإبداع لم تكن بشكل منهجي ومعمق بل ظهرت في سياق الدراسات كموضوع فرعي، ولأن دولة الاحتلال تكثف من الحملات الإعلامية التي تشوه صورتهم الإنسانية فشكلت الدراسة بمضمونها الإنساني والأخلاقي والإبداعي رداً على تلك الحملات.

وبلا شك أن الدراسات السابقة ساعدت الباحث في بناء منهجية دراسته وتكوين رؤية عن مجمل الجوانب المتعلقة بظروف الاعتقال من الناحية التاريخية، ومن خلالها تم التعرف على وثائق وبيانات الحركة الأسيرة وتاريخ السجون، والأساليب الإحصائية للباحثين في تحليل النتائج وتوصياتهم، وأغنت تلك الدراسات هذه الدراسة بالخبرات الواردة فيها، ووجد الباحث أنّ الكثير من الدراسات السابقة كانت عامة ولم تستقِ معلوماتها من المصادر الأولية كالرسائل الداخلية بين الفصائل ومرجعياتهم في الخارج والمقابلات مع أسرى محررين وخاصة من الكوادر التي تحررت فى صفقة وفاء الأحرار (2011م) من ذوي المحكوميات العالية ومن أمضوا فترات طويلة وصلت لثلاثين عاماً متواصلة، ومن تلك الدراسات السابقة من تناولت فترات قديمة باستثناء عدد قليل من الدراسات الجديدة، وبغالبيتها لم تشمل إبداعات الأسرى الحديثة كتهريب وسائل الاتصال لكسر منع الزيارات، وتهريب النطف كثورة إنسانية، والإضرابات المفتوحة والأطول عن الطعام في الأعوام ما بين (2012 – 2015م) ضد الاعتقال الإداري، وغيرها من مظاهر الإبداع التي ستتناولها دراسة الباحث، كما وأن الدراسات السابقة وإن تطرقت لأفكار هنا وهناك إلا أنها بدت مشتتةً بين مطالب البحث الأكاديمي الصارمة، التي تتطلب الالتزام بعنوان محدد والالتصاق به، وبين شحّ المعلومات والمصادر الأولية، كما وجد الباحث بأن هناك اختلافات عديدة بين الرسائل والكتابات البحثية، الأمر الذي أنتج تداخلات وتشابه بين الدراسات، واختلاف الروايات.

تقسيم الدراسة المقترحة:

قام الباحث بتقسيم دراسته إلى إطار نظري وأربعة فصول و خاتمة، تضمن كل فصل منها أربعة مباحث، كان أولها مقدمة عن نشأة الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، ومظاهر التضييق والانتهاكات بحق الأسرى في الكثير من النواحي، واجتهد خلالها في تقسيم مراحل تطور الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، والوسائل النضالية التي اتبعها الأسرى في مواجهة الاحتلال، وعوائق سلطات الاحتلال لطمس الجوانب الإبداعية للمعتقلين، وبيَّن في الفصل الثاني العوامل التي ساهمت في تنمية الإبداع لدى الحركة الأسيرة، والآليات الاعتقالية لتطوير منظومة الجوانب الإبداعية داخل السجون، وانعكاس المتغيرات السياسية على واقع الأسرى وإنجازاتهم، وعرض الباحث بالتحليل في الفصل الثالث وسائل الاحتلال لتفريغ المعتقلين من

محتواهـم النضـالي والثقـافي، والمسـيرة الثقافيـة للحركـة الأسـيرة، والعوامـل التـي سـاعدت في ظهـور أدب السـجون، والمسـيرة التعليميـة لـلأسرى كأحـد أهـم مظاهـر الإبـداع في السـجون، وتجلّـت تلـك المظاهـر في الفصـل الرابـع بتنـاول الإضراب المفتـوح عـن الطعـام (التعريـف، والجـذور، والأنـواع)، وظاهـرة أطفـال النطـف المهربـة كحالـة نضاليـة مسـتجدة في تاريـخ حـركات التحـرر العالميـة، وجهـود المعتقلـين الفلسـطينيين في إنهـاء الانقسـام الفلسـطيني عـلى السـاحة السياسـية الداخليـة مـن خـلال « وثيقـة الأسرى « كأسـاس للمصالحـة، والتجربـة الديمقراطيـة في السـجون وانعكاسـها عـلى حيـاة الأسرى، وانتهـت الدراسـة بالخاتمـة والنتائـج والتوصيـات وقائمـة المراجـع.

الفصل الأول
الحركة الأسيرة النشأة والتطور

الفصل الأول
الحركة الأسيرة النشأة والتطور

وثق المؤرخون الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة من العام 1967م في أعقاب هزيمة حزيران، واحتلال ما تبقى من فلسطين التاريخية، وزجّ الآلاف من أبنائها في معتقلات الاحتلال وارتفاع عددهم بشكلٍ كبير، بحيث أصبحت حياة المعتقل ظاهرة بارزة في حياة الشعب الفلسطيني ككل(74)، في أعقاب بلورة القواعد الأساسية وظهور الحركات والتنظيمات الفلسطينية وبروز الأعمال الفدائية ضد الاحتلال الإسرائيلي.

وللتأريخ فإن جذور الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة لا تنحصر بالعام 1967م بل تعود لفترة الانتداب البريطاني لفلسطين الذي سجن الثوار وأعدمهم في سجن عكا « عطا الزير ومحمد جمجوم وفؤاد حجازي " في العام 1933م والشيخ المجاهد فرحان السعدي والشيخ يوسف أبو دية في العام 1939م واعتقال العشرات من المقاومين أمثالهم، وتشير الوثائق إلى أن العصابات الصهيونية أقامت معسكرات اعتقال للفلسطينيين وتصفية البعض منهم خلال حرب 1948 م (75) ، وهناك صعوبة كبيرة في تحديد عدد الأسرى الذين تم اعتقالهم في السجون الإسرائيلية في الفترة ما بين 1948 – 1949م في أعقاب الحرب من الفلسطينيين والعرب، لأن الإحصائيات المتوفرة جزئية في تلك الفترات، وعليه فقد تباينت المصادر بشأن العدد الدقيق الذي يتراوح ما بين 7000 معتقل كحد أدنى و 12000 معتقل كحد أقصى (76).

سيتناول الباحث في هذا الفصل أربعة مباحث تتحدث عن نشأة وتطور الحركة الأسيرة، وسيتناول في المبحث الأول: تعريف عام بالحركة الوطنية الأسيرة وبداياتها، ومراحل تطورها، ومعاملة إدارة مصلحة السجون وانتهاكاتها بحق الأسرى، وفي المبحث الثاني سيتطرق لمظاهر التضييق، والوضع القانوني لهم، وفي الثالث سيوضح الوسائل النضالية التي استخدمها الأسرى كحالة إبداع في مواجهة الاحتلال لتحقيق حقوقهم، وفي الأخير سيُبيّن، عوائق سلطات الاحتلال لطمس الجوانب الإبداعية للأسرى وكيفية التغلب عليها من قبل المعتقلين.

(74) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص11.

(75) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص18 .

(76) مصطفى كبها، وديع عواودة، أسرى بلا حراب « المعتقلون الفلسطينيون والمعتقلات الاسرائيلية الأولى 1948 – 1949، بسروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2013، ص21.

المبحث الأول
الحركة الأسيرة تاريخها ومراحل تطورها

تناول المؤرخون والباحثون في قضايا الأسرى ظروف الاعتقال في أعقاب « نكسة حزيران من العام 1967م »، والتي حرصت سلطات الاحتلال الإسرائيلي منذ البدايات على معاقبة المناضلين الفلسطينيين وإبقائهم في ظروف اعتقالية متدنية للغاية في تلبيتها للاحتياجات الإنسانية الأولية، وما نقصده بشروط الاعتقال هي مجمل الشروط المادية التي يوفرها السجن لقاطنه لأجل ممارسة حياته بصفته كائناً حياً في المعاملة والسكن والمنام والملبس والمأكل والعلاج الطبي[77].

في هذه المرحلة تجرّع المعتقلون الأوائل مرارة سياسة استهدفتهم من أبواب كثيرة وطنية ونفسية واجتماعية وفكرية، فقد اتبعت حكومة إسرائيل في هذه المرحلة كل الأساليب الممكنة لأجل تحقيق هدفها في تطويع المناضل الأسير لإخضاعه تمهيداً لشطبه وطنياً وإنسانياً[78].

وحينما يتحدث الباحث عن الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة يقصد بها « جموع الأسرى والأسيرات الذين دخلوا السجون « كون أن إسرائيل اعتقلت منذ بدء احتلال فلسطين آلاف النساء من بينهن أمهات وقاصرات وكبيرات سن [79]، شاركن في المقاومة، ورفعن أصواتهن عالياً مطالبات باسترداد حقوقهن المغتصبة وأرضهن السليبة[80]، فساهمت المرأة الفلسطينية وشاركت بفعالية وعطاء في كل مجالات العمل النضالي الكفاحي[81]، وامتشقت البندقية وقاومت وخاضت غمار الكفاح المسلح[82]، وتعرضت للاعتقال والإبعاد والإقامة الجبرية [83]، وفي السجون خاضت الأسيرات العديد من النضالات والخطوات الاحتجاجية والإضرابات المفتوحة عن الطعام في سبيل تحسين شروط حياتهن المعيشية، والتصدي لسياسات القمع والبطش اللواتي تعرضن لها[84].

في هذا المبحث سيتناول الباحث ظروف الاعتقال الأولى، وتقسيم مراحل تطور الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة ومراحل النضال، وذروة تحقيق الإنجازات والانتصارات، والإضاءات المشرقة والإبداعية فيها.

(77) عيسى قراقع: مرجع سابق، ص24.
(78) وكالة الانباء والمعلومات الفلسطينيةوفا: http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=3999
(79) فراس أبو هلال: معاناة الأسير الفلسطيني، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2009 ص85.
(80) وليد الفاهوم، فلسطينيات في سجن النساء الاسرائيلي، عمان، دار الجليل للنشر، 1985، ص7.
(81) سامي الأخرس: فيروزيات نضالية، غزة، فلسطين، مطبعة الأندلس، 2015، ص49.
(82) جمعية الدراسات النسوية، المجموعة العربية للتنمية: الأسيرات المحررات الفلسطينيات، غزة، فلسطين، شركة مطابع بيت المقدس، 2014، ص5.
(83) وليد الفاهوم، الحركة النسائية الفلسطينية، رام الله، مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 2000، ص95.
(84) غادة بدر: مرجع سابق، ص84.

أولاً– ظروف الاعتقال الأولى:

باجماع الباحثين، كانت بدايات الاعتقال لا تصلح للحياة الآدمية، وبعيدة كل البعد عن شروط الحياة الإنسانية، والاتفاقيات والمواثيق الدولية التي وضعت قوانين وقواعد لمعاملة الأسرى وقت النزاعات والحروب، ولم تكن تلك المعاملة عفوية أو نتيجة لظروف سياسية معينة بل كانت ممنهجة من قبل الحكومات الإسرائيلية وإدارة مصلحة السجون.

وللمقارنة بين سجون الاحتلال الإسرائيلي بسجون أخرى في العالم، وتجربة المعتقلين الفلسطينيين بأسرى آخرين من حركات التحرر العالمية، وجد الباحث أن السجون الإسرائيلية تعد من أسوأ سجون العالم، وانتهاكات سلطات الاحتلال بحق المعتقلين غير مسبوقة في الكثير من نواحي الحياة - وعلى سبيل المثال لا الحصر - تحدث نلسون مانديلا في مذكراته التي نشرت في العام 1994م بعد خروجه من السجن بعد 27 عاماً من الاعتقال في سجون نظام الفصل العنصري « الابرتهايد «، عن تجاربه في الزراعة حيث وافقت إدارة السجن السماح له بزراعة قطعة صغيرة، وكانت تجاربه في الزراعة محلاً للاحتفال والذكر في رسائله لزوجته، في مقابل ذلك منعت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية عن الأسرى الفلسطينيين كل مظهر للحياة في سجونها.

ويعتبر الباحث أن السجون الإسرائيلية أقسى بظروف اعتقالها من أسوأ عشرة سجون على مستوى العالم وهي « سجن ألكاتارز الاتحادي الأميركي الذي يضم أخطر المساجين على الإطلاق، ومعسكر 22 السياسي الذي تم إنشاؤه عام 1965م في شمال كوريا في مكان منعزل تماماً وحراسته بالكلاب والأسلحة الحديثة، وإحاطة السجن بسور مكهرب لإحباط أي محاولات هرب، و سجن سان كوينتين الأميركي المكتظ بولاية كاليفورنيا، وسجن غوانتانامو الذي أقامه جورج بوش (الرئيس الأميركي السابق) من أجل حربه مع العراق وأفغانستان، واشتهار هذا السجن بإجراءات التعذيب، وسجن نيروبي بكينيا، وسجن فلورانس الأميركي الذي أُنشئ من أجل احتواء أشد المساجين شغباً والمشتهر بالعزل الانفرادي، وسجن سانت الفرنسي الذي أنشيء عام 1867م، وهو واحد من أهم ثلاثة سجون في فرنسا، وتم استخدامه أثناء الحرب العالمية الثانية، وتأقلم السجناء فيه مع الفئران وقضية الازدحام، وسجن مينتوزا بالأرجنتين المعروف بالازدحام وقضاء الحاجة بالزجاجات مما يجعل هناك روائح كريهة وانتشار الأمراض، بالإضافة إلى عدم وجود عناية طبية كافية، وسجن سابينيتا الفنزويلي المزدحم والمشهور بسوء العناية الطبية واستخدام أسلحة نارية.

ويرى الباحث أن الظروف المعيشية لأسوأ عشرة سجون في العالم مجتمعة موجودة في سجون الاحتلال من إجراءات التحقيق والتعذيب وقتل الأسرى باستخدام الأسلحة الحية، وسوء الطعام، والاكتظاظ، والتفتيشات العارية، والاقتحامات الليلية، والاستهتار الطبي، وانتشار الحشرات ومنها السامة وخاصة في سجون ومعتقلات والأماكن المنعزلة والنائية في صحراء النقب، والأسوار الشاهقة وإستخدام الكلاب في التفتيشات.

ويعتقد الباحث أن استخدام مصطلح " الباستيلات الصهيونية " نسبة إلى سجن الباستيل الذي أُنشئ في فرنسا بين عامي 1370 و1383 كحصن للدفاع عن باريس ومن ثم كسجن للمعارضين السياسيين والمحرضين على الدولة والجناة أخلاقياً يعد تقليل من قسوة الحياة في السجون الإسرائيلية، فلحظة اقتحام السجن من قبل الثوار الفرنسيين عند الساعة السابعة عشرة والنصف من الرابع عشر من تموز 1789م، لم يجد الثوار في سجن الباستيل سوى سبعة من السجناء من مزوري العملة، والنصابين، والمصابين بالأمراض العقلية، والمتهمين بالجنح الأخلاقية، ولم يجدوا سجناء الملك المكبلين بالسلاسل، ولا كل المبالغات التي روجها عوام الناس في فرنسا عن أحوال السجن وأعداد معتقليه، على العكس تفاجئوا بغرف كبيرة مشرقة ومكتبة منظمة، ولم يجدوا الزنازين السيئة التي وصفت وصفًا مرعبًا في التصاوير، وبناءاً على شهادة أحد السجناء، كان السجن في القرن الثامن عشر مريحاً، لأن الطعام كان جيداً، والورق والحبر كانا متوافرين، وكانت مصاريف السجن على نفقة الملك بشكلٍ مباشر، ولهذا يجد الباحث أنه من التجني إسقاط كلمة الباستيلات على سجون ومعتقلات الاحتلال الإسرائيلي، لأنها أكثر جرماً وأشنع ممارسة، وأصعب وأقسى حالاً منه [85]، من حيث طريقة الاعتقال، وما صاحبها من إرهاب وتحقيق واستهداف أخلاقي وأمني وتعذيب نفسي وجسدي، وتضييق كبير على الأسرى الفلسطينيين في كل تفاصيل ومجالات الحياة.

وللاطلاع على واقع السجون الاسرائيلية فى بدايات الاعتقال أجرى الباحث عدد من المقابلات النادرة مع أسرى محررين عايشوا بدايات الاعتقال فى السجون الاسرائيلية ممن بقوا على قيد الحياة، منهم الأسير المحرر عمر خليل عمر المعتقل فى يناير 1968، الذى وصف هذه المرحلة عبر مقابلة مع الباحث بالصعبة جداً، وليست ذات أى معنى للحياة، فلا كتاب ولا راديو ولا تلفاز ولا صحيفة، كنا مقطوعين عن العالم الخارجى، بلا زيارات للأهل، ولا طعام نظيف ولا علاج للمرضى، ومنعونا من التعليم والندوات والجلسات الثقافية، ومنعوا عنا النوم فى النهار، والمعاملة كانت صعبة.

ولم تكن معاملة الأسيرات بأفضل حال من معاملة الرجال، فالأسيرة المحررة الدكتورة مريم أبو دقة والتى اعتقلت فى العام 1969 وصفت ظرف الأسيرات عبر مقابلة مع الباحث بالقاسى جداً وقالت :عاملونا بالكثير من العنف، واستخدوا معنا فى التحقيق التهديد النفسى والاعتداء الجسدى ووسائل الترغيب والترهيب، وبعد التحقيق لم يدخلوا لنا ملابس بل ادخلوا لنا البجامات الرجالية التى تتسع لاثنتين أو أكثر، وسمحوا لنا بخمس دقائق حمام، واذا لم ننتهى بهذه السرعة فتحوا علينا الباب، وأجبرونا على النوم الساعة العاشرة مساءاً، وكانوا يمارسون الدهاء لتحسين صورتهم امام العالم، وذات مرة قالوا لنا: اطلبوا ما تشاءون، فطلبنا منهم الكثير من الطلبات حتى الفرشة، واحضروها لنا مستغربين، حينهاعرفنا أن فى الأمر شيء، وبالفعل كانت زيارة لمنظمة الصليب الأحمر الدولى فى اليوم التالى للاطلاع على ظروف اعتقالنا.

(85) مركز الأسرى للدراسات: http://alasra.ps/ar//index.php?act=post&id=27884

أحد عمداء الأسرى المحرر سليم حسين الزريعى " الملقب بمنديلا فلسطين " والذى اعتقل فى العام 1970، وأمضى فى السجون 27 عاماً متواصلة قال عبر مقابلة للباحث: اتسمت تلك الفترة بالقهر والمعاناة الكبيرة، فلم تسمح فيها لنا إدارة السجون بالجلوس أو الحديث داخل الغرفة وخارجها، وفى حال تم مشاهدة مجموعة تجلس مع بعضها، يتم اقتحام الغرفة والاعتداء عليهم، ومعاقبتهم ونقلهم إلى الزنازين، وكنا مجبرين بالرد على السجان بكلمة " نعم يا سيدى "، و كان الأسرى يدخلون الحمام للاستحمام مرة واحدة كل أسبوع، ويتم تعرية الأسرى كاملا بشكل مهين وبشع جدا أمام ناظر الآخرين ممن معه، ولأقل من خمس دقائق ثم يخرجوه قبل أن ينتهى، ومن الأسرى من كان يرفض الذهاب للحمام ويغتسل فى الغرفة بالماء البارد بطريقته الخاصة، كنا نشعر بأن الحياة عبء فى ظل تلك السياسة، كنا نتمنى لو استشهدنا على أن لا يتم اعتقالنا بهذه الظروف.

وأضاف الزريعى أن الأسير ملزم بالاستيقاظ ما بين الساعة الخامسة والنصف إلى السادسة صباحاً مستعداً ومنتظرا العدد المسمى " السفيراه " ثلاث مرات يومياً فى الصباح والظهيرة والمساء، وكلما اقتضت الحاجة لذلك، وعلى الأسير حين سماع صافرة العدد، أن يقوم بطي فرشته وبطانية بطريقة عسكرية، حيث يمر ضابط القسم من فترة لأخرى للكشف على حالة الانضباط والانصياع للاوامر، و على الاسير أن يجلس منتعلاً حذائه، مستعداً للعدد القادم وعليه أن لا يرفع رأسه بالنظر إلى ضابط العدد، إضافة "لجلوس كل خمسة أسرى معاً إلى أن ينتهي العدد".

وكان التدخين مسموح ولكن تحت رحمة السجان، حيث كان يطلب من السجين انهاء تدخين الاربع سجائر بساعة النزهة، ومن يريد إشعال سيجارته عليه أن يطلب بأدب من السجان ويقول له لو سمحت أريد ولاعة يا سيدي.

" كما كان يمنع على الأسير امتلاك الأوراق أو الأقلام أو الكتب ومن يضبط بحوزته أياً منها، كانت غرفته تتعرض لتفتيش دقيق يتم خلاله قلب الغرفة وتحطيم محتوياتها والعبث بأغراض وملابس الأسرى الاخرين ".

لم تكن شهادة الأسير المحرر أحمد عبد الرحمن ابو حصيرة الذى أمضى 35 عاماً على اعتقالين، كان أولها فى العام 1970 وصف بدايات الاعتقال والمعاملة عبر مقابلة مع الباحث بالمعاملة اللاانسانية وقال: كانوا يعطون الحلاق شفرتين فقط ليحلق لخمسين أسير على الصفر، وأذكر أنه تم الاعتداء علينا بوحشية لأن إحدى الشفر فقدت بعد الحلاقة، وكل ممتلكاتنا هى 4 بطانيات برائحة نتنة ومتسخة، ولم يوجد وسادات بل كنا نضع الحذاء تحت رؤوسنا وعليه بطانية، وقطعة بلاستيكية نضعها تحتنا بسمك 1سم وصحنان " قروانان " وكاسة بلاستيك وملعقة، ووقت العدد يجب أن نكون على ركبنا وأمامنا تلك الأغراض ونبقى ولو لساعات حتى ينادى الضابط أن العدد صحيح، وكانت إدارة السجون تمنع الآذان، وكنا نتناوب على الآذان رغم العقاب، والزيارات كل شهر مرة نصف ساعة، ولا يوجد صلاة جمعة، وكنا نصلى

فقـط العيـد جماعـة بخطيـب يحـضروه لنـا مـن خـارج السـجن، ولم يسـمح بامتـلاك الملابـس بـل كل مـا نلبسـه الغيـار الداخـلى وأبرهـول، وكنـا نعـانى مـن الأمـراض الجلديـة والقمـل، حتـى أننـا ذات مـرة جمعنـاه وقدمنـاه للصليـب الأحمـر حينـما زارنـا ليصـدق مـا نقـول، ولا يوجـد مرحـاض فى الغرفـة بـل ثـلاث جـرادل " واحـد للبـول والثـانى لقضـاء الحاجـة والثالـث للقمامـة " وكنـا ننـام عـلى الجنـب كـون أن كل شـخصيحظى بمـا لا يزيـد عـن 30 سـم، ومـن يذهـب لقضـاء الحاجـة لـن يسـتطيع العـودة لمكانـه بعـد فقدانـه، وقـد يبقـى واقفـاً فى إحـدى الزوايـا.

اتفقـت شـهادة الأسـير المحـرر الدكتـور خـضر محمـود عبـاس المعتقـل فى 1970 مـع زملائـه حينـما تحـدث عـبر مقابلـة مـع الباحـث عـن بدايـة الاعتقـال بمـرارة: " كان الأسرى يشـعرون بالجـوع دومـاً، وكان فطورنـا مـن 3 – 4 فرمـات خبـز، ونصـف بيضـة مقسـومة بالنصـف وكأنهـا بمنشـار لأن القـشرة باقيـة عليهـا بعـد الانفصـال أو نصـف حبـة طماطـم، وأقـل مـن ملعقـة مـربى، و4 حبـات زيتـون، والغـذاء صحـن زربيحـة " شـوربة " وصحـن الـرز لاثنـين وصحـن الطبيـخ لأربعـة ورغيـف الفينـو لأربعـة، أو صحـن ميـة فاصوليـا نـرى فيهـا القشـيرات فقـط مـع قطعـة لحـم كل أسـبوع مـرة، أو قطعـة سـمك كذلـك، وكانـوا يحـضروا لنـا مـا نسـميها بشـوربة المكانـس أو " البيقـة " الشـبيهة بالبازيـلاء، و كان أكل السـبت مقـززاً بسـبب طهيـه يـوم الجمعـة لأسـباب دينيـة عنـد اليهـود لعـدم السـماح باشـعال النـار فيـه، ووجبـة العشـاء قريبـة مـن وجبـة الفطـور، وكانـوا يعتـدون بالـضرب عـلى كل مـن ينـام أثنـاء النهـار" .

أمـا عـن حالـة الحصـار والتضييـق عـلى الأسرى فوصفهـا الأسـير المحـرر محمـود سـليمان الـزق والـذى اعتقـل فى العـام 1971 عـبر مقابلـة مـع الباحـث بالقـول :" حاصرتنـا الإدارة بالكامـل، لم تسـمح باقتنـاء الورقـة والقلـم وحتـى الصحـف والمذيـاع والتلفـاز كان ممنوعـاً علينـا، وكان يسـمح فقـط بسـماع صـوت اسرائيـل باللغـة العربيـة لسـاعتين، سـاعة صباحـاً وسـاعة مسـاءاً للأخبـار وأغـانى أم كلثـوم، وجريـدة الأنبـاء تصدرهـا المخابـرات الاسرائيليـة بشـكل موجـه".

وبالإضافـة إلى المعاملـة غـير الانسـانية قامـت دولـة الاحتـلال فى بدايـة الاعتقـال بتشـغيل الأسرى الفلسـطينيين وفـق نظـام السـخرة بهـدف الاسـتغلال والإذلال والمهانـة فأخرجـت بعـض الأسري للعمـل فى الأعـمال الإنتاجيـة التـي تفيـد الاحتـلال مثـل حياكـة شـبك الدبابـات وإنتـاج بعـض الأمـور للمؤسسـة العسـكرية " ولم يكـن العمـل بحـد ذاتـه شـيئا مفيـدا او يدفـع عـلى الإبـداع والتفكـير كتشـغيل الماكينـات أو التدقيـق أو الإدارة والمتابعـة أو أي شـكل مـن أشـكال العمـل الذهنـي والإداري الـذي مـن شـأنه أن يمنـح العامـل القـدرة عـلى التفكـير وتطويـر أدوات جديـدة للعمـل وغيرهـا مـن الأمـور المرتبطـة بعمليـة الإنتـاج،، فهـو لم يكـن بهـدف التعليـم أو التأهيـل، وإنمـا هـو اسـتغلال بشـع للقـوة العاملـة الأسـيرة، وتجسـيدا للعبوديـة التـي ولـت منـذ عقـود، ولكـن الأسرى رفضـوا هـذا النظـام الإسـتبدادى.

ومع هذا عدد قليل جداً من الأسرى من خرج للعمل في هذه المرافق، الذى انتهى بدم الشهيد الأسير عمر شلبى " فلسطينى من مخيم النيرب بحلب "، الذى سجل للعمل وهمياً، وحينما خرج قام بتكسير كل الأدوات والآليات وقلب المكان رأساً على عقب فقاموا بضربه حتى الشهادة، وكان دمه ثمن لوقف نظام السخرة.

في هذه الحقبة لم يهتم المعتقلون بالإنتماء الفصائلى لأنهم لم يكونوا على معرفة وافية بالتنظيمات من حيث بناءها الادارى وهيكلها التنظيمى وأيضا فانهم لم يكونوا يميزون كثيرا بين الفصائل المختلفة فهم كانوا يعتبرون أنفسهم أبناء حركة وطنية فلسطينية واحدة، هذا بالإضافة إلى ضعف التجربة فان مسألة إقامة أطر تنظيمية وتشكل هياكل إدارية لم تستحوذ على اهتمام خاصلدى المعتقلين، ومن ناحية ثانية فان كثيرا من الروابط والعلاقات التى كانت تسود بين المعتقلين في السنين الأولى بعد عام 1967 كانت تقوم على أساس بلدى أو عشائرى أو شخصى وأحياناً أخرى على أساس الانتماء لمجموعة أو خلية واحدة قبل الاعتقال

ثانياً- مراحل تطور الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة:

1. اجتهادات الباحثين في تقسيم المراحل:

تجربة الحركة الأسيرة النضالية لم تعبر بطريق مستقيم، بل مرت بمراحل من التقدم والتراجع، والتصاعد والهبوط، وقد تركزت جهودها مرحلة ما قبل أوسلو حول النضال ضد مصلحة السجون لتحقيق شروط حياة أفضل، وقد نجح الأسرى في تسجيل نقلات نوعية بين فترة وأخرى في مسيرة صعبة وشاقة، خاض خلالها الأسرى سلسلة من النضالات الجزئية، والشاملة، فكان الثمن سقوط الشهداء والجرحى[86].

ومن الباحثين من قدم اجتهادات في توثيق تجربة الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، فمنهم من اعتمد على الجانب الثقافي[87]، فقسم تطور الحركة الأسيرة لأربع مراحل، الأولى مرحلة القمع الثقافي (1967-1972م)، ومرحلة النضال والتمرد (1972- 1980م)، ومرحلة الازدهار (1980-1991م)، ومرحلة التذبذب من (1992 – مستمرة)[88]، ومنهم من اعتمد على عملية التطور النضالي وحالة الصعود والهبوط في نضال الحركة[89]، وقسمها لخمس مراحل، الأولى: مرحلة حماية الذات الوطنية (1969 – 1971م)، الثانية مرحلة بناء المؤسسة الاعتقالية وتحسين شروط الاعتقال (1972-1979م)، والثالثة: مرحلة تحقيق المنجزات وحمايتها (1980-1987م)، الرابعة: مرحلة النضال الشامل (1987-1992م)،والخامسة:مرحلة ما بعد اتفاقية أوسلو وانشداد الذهن نحو الحرية وانعكاسها على واقع الأسرى (1993 – مستمرة)، ومنهم من اعتمد على معيار نشاط المقاومة للشعب الفلسطيني ودرجة العنف الثوري ضد المحتل وانعكاسه على السجون، واعتبر أن الحركة الأسيرة مرت بعدة مراحل منها: (1967- 1972م)

(86) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص27.
(87) المركز الفلسطينى لقضايا السلام والديمقراطية: ثقافة تحدت القيد، رام الله ،ورشة عمل، 2002، ص16.
(88) المصدر نفسه، ص16.
(89) عيسى قراقع: مرجع سابق، ص24.

مرحلة العنف الثوري والمطاردات والاعتقالات والمحاكمات العالية، والثانية: مرحلة (1973-1981م) حالة من الهدوء في نشاط المقاومة وكان فيها عدد الموقوفين في حد أدنى بسبب استقرار منظمة التحرير ومقاومتها من لبنان، المرحلة الثالثة العمل بالاعتقال الإداري وتبني أساليب العمل الجماهيري والنقابي للمنظمات الفلسطينية (1985-1982م)[90].

ومن الباحثين من استند على توصيف الفترات الاعتقالية وفق حالات السجون المركزية وما مرت به من أحداث وحالات التقدم والتراجع، فاعتبر أن سجن السبع المركزي مر بثلاث مراحل قد تنسحب على باقي السجون والمعتقلات، الأولى: مرحلة تحقيق الإنجازات وبناء الواقع الاعتقالي، والثانية: مرحلة الصدام والمصادمات مع إدارة مصلحة السجون، والثالثة: مرحلة العصر الذهبي، والرابعة: مرحلة الضعف[91]، ومنهم من قسم مسيرة الحركة الأسيرة إلى مرحلتين، الأولى مرحلة المخاض بدأت مع بداية الاحتلال الإسرائيلي واستمرت حتى منتصف السبعينيات، والثانية: مرحلة البناء و بدأت من منتصف السبعينيات لحتى طباعة الدراسة في العام 1986م[92]، ومنهم من اعتمد على التجربة الشخصية والتنظيمية فقسمها إلى أربع مراحل، أولاها مرحلة النهوض العام وتحقيق الإنجازات القوية ووحدة الحركة الوطنية الأسيرة (1987 – 1993م) والثانية مرحلة التراجع في أعقاب اتفاقية أوسلو وسيطرة فكرة التحرر على أذهان الأسرى (1994 – 2001 م) والثالثة تعتبر حالة استنهاض للحركة الأسيرة (2002 – 2006 م)، والرابعة مرحلة الاستقرار النسبى (2007 – مستمرة)[93]، ومن الباحثين من اعتمد على تطور نضالات الأسرى وانعكاسها على واقعهم فاعتبر أن الحركة الأسيرة مرت بأربع مراحل: الأولى بناء المؤسسة الاعتقالية المنظمة(1967- 1973م)، والثانية مرحلة تنظيم الصفوف الداخلية (1974 – 1976م)، الثالثة: مرحلة الدفاع عن الحقوق الإنجازات (1977 – 1987م)، الرابعة: مرحلة القمع في أعقاب الانتفاضة الأولى (1987- 1993م) والمرحلة الأخيرةما بعد اتفاقية أوسلو وانتفاضة الأقصى وانعكاسهن على واقع الحركة الأسيرة [94] ولتلك الفترات الكثير من المحطات المشرقة [95]، التي تراكمت عليها إنجازات وإبداعات الاسرى في فترة الدراسة.

(90) جهاد البطش: مرجع سابق، ص40.

(91) حلمى عنقاوى، المراحل الأولى للمسيرة خلف القضبان، رام الله، مطبعة الغد، 1995 م، ص241.

(92) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص76.

(93) أحمد أبو السعود: مرجع سابق، ص143.

(94) ابراهيم أبو النجا: المنسيون في غياهب الاعتقال الصهيوني، القاهرة، مركز الاعلام العربي، 2004، ص13.

(95) محطات مشرقة تخللت المراحل السابقة : يعتقد الباحث أن حالة الابداع التى يجب أن تسجل للحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة فى بداياتها رغم كل ما ذكرنا من ظروف قاسية شهدتها بدايات السجون من حالات قمع وارهاب بحق الأسرى من قبل الحكومة الاسرائيلية وإدارة مصلحة السجون بعد حرب 1967 والتى كانت أساس انطلاق خطواتهم النضالية الجماعية على طريق الحفاظ على الذات الثورية والوطنية ونحو تحقيق الكرامة والحقوق الأساسية والإنسانية والتى تعتبر نواة الحركة الفلسطينية الأسيرة فى السجون هو بدء حالة النضال والتمرد والاستنهاض وبدء الحياة التنظيمية والقرار الجماعى واللجان الاعتقالية ووضع اللوائح الداخلية فى السجون، وذلك بالتزامن مع بدء الانتماء الفصائلى بين المعتقلين فى نهاية الستينيات وبداية السبعينيات، وفى أعقاب اعتقال الخلايا التنظيمية والخبرات الادارية والشخصيات القيادية، التى عملت على « القضاء على حالة التسيب والفوضى من جهة ولمواجهة إدارة السجون التى تفرض أوضاعاً قاسية تتنافى مع أبسط القيم والأعراف الدولية والانسانية من جانب آخر(محمد لطفى ياسين: التجربة الاعتقالية فى السجون الاسرائيلية، ص115)، ومن أهم ما بلورته هذه التجربة هو بناء الحياة التنظيمية على أساس مركزى، حيث برز ولأول مرة هيكل تنظيمى يقوم على أساس المراتب التالية (موجه عام يقف على رأس التنظيم وموجه قسم وموجه غرفة وموجه خلية، واللجنة المركزية على قمة الهرم التنظيمى تضع السياسة العامة، واللجنة الثقافية، كمشرفة على النشاط الثقافى والجلسات، بالاضافة إلى النشاط الأمنى والمالى والاجتماعى مع الضبط الادارى، وترسيخ الالتزام الثورى بالحياة التنظيمية فى ظل القانون تحت شعار لا فردية ولا انتهازية ولا مساومة بل روح المجموع وصمود ونضال (قدرى أبو بكر: من القمع إلى السلطة الثورية، ص138)، فى تلك الظروف شهدت السجون حرباً بكل ما تعنى الكلمة من معنى بين الانسان الأسير المدافع عن انسانيته وذاته الوطنية وبين سياسة الجلادين الرامية إلى تفريغ هذه الذات وقتلها، وعلى مدار الحركة الأسيرة وجدنا قصة نضالية فى كل سجن وقسم وغرفة وتجارب جماعية وفردية متنوعة شكلت تجربة الانسان الفلسطينى الأسير (جمعية الأسرى والمحررين، السجون والمعتقلات الاسرائيلية، ص6)، فى أعقاب تلك التضحيات تحطمت محاولات إدارة السجون على صخرة العناد الوطنى والصمود النضالى المتواصل، الذى امتلأت صفحاته بالقصصالمشرقة التى كتبها كل مناضل رغم الأنين والألم والمعاناة التى يعيشها الأسرى فى السجون (فاضل يونس: زنزانة رقم 7، ص5) .

مراحل تطور الحركة الأسيرة ما بين 1985 – 2015 م:

بعد عملية تقييم ومراجعة مستفيضة للباحث في تقسيم مراحل تطور الحركة الوطنية الأسيرة وفق اجتهادات الباحثين السابقة وجد الباحث تركيز المعظم على المراحل الأولى للاعتقال، مع افتقارها لفترة زمنية مهمة، هي فترة الدراسة ما بين « 1985 – 2015م".

وكون الباحث عاش معظم هذه التجربة بنفسه في معظم السجون الإسرائيلية وكان شاهداً عليها فقام بتقسيم تلك الحقبة وفق المتغيرات السياسية « كتبادل الأسرى في العام 1985م، والانتفاضة الأولى في 1987م، واتفاقية أوسلو في 1993م، والانتفاضة الثانية في العام 2000م، والانقسام الفلسطيني في 2007م، وعملية تبادل الأسرى مقابل شاليط في العام 2011م، واستهداف حكومة الاحتلال الإسرائيلي للأسرى بسن القوانين والتشريعات والتضييق عليهم والإضرابات الفردية والجماعية التي شهدتها المرحلة الأخيرة ما بين 2012 حتى 2015م وما أحدثته تلك الأحداث على الواقع الاعتقالي وأثرت فيه ما بين مد وجزر، وبناءًا على ذلك قسمها لأربع مراحل وهي:

- **الأولى من (1986 – 1994م) مرحلة النضال الشامل وذروة تحقيق الإنجازات والانتصارات.**
- **الثانية من (1994 – 2000م) مرحلة النضال السياسي.**
- **الثالثة من (2001 – 2006م) مرحلة الاستيعاب ومحاولات الاستنهاض.**
- **الرابعة من (2007 – 2015م) مرحلة الانقسام السياسي والنضال الجماعي والفردي.**

في الخامس من تموز 1970 انتصر الأسرى في سجن عسقلان المركزي في ثاني معاركهم الاستراتيجية على إدارة مصلحة السجون الاسرائيلية في أعقاب الاضراب الأول في العام 1969 في سجني الرملة وبيت ليد، وفي هذا الاضراب استشهد المناضل الوطني الجريح « عبد القادر أبو الفحم « الذي فتح استشهاده أبواب الألم الفلسطيني خلف جدران الاعتقال الاسرائيلي، وأدى إلى إجبار إدارات الاعتقال على كسر سياساتها القمعية، والتخفيف من حدتها، ووقف الاهانات ضد الأسرى، ورفع الضرب والتعذيب عنهم، وتحسين البيئة الصحية لغرف الاعتقال، والتخفيف من ازدحامها، وتحسين قائمة الطعام، والسماح بادخال الكتب التعليمية والثقافية، والسماح للأسرى بالتقدم إلى امتحانات الدراسة الثانوية العامة، ووقف العقوبات الجماعية، والغاء نظام الجلوس على الأرض، والصمت في غرف الاعتقال، ونظام كلمة يا سيدي المذلة، ونظام الطوابير الصباحية والمسائية في ساحات الفسحة اليومية، وايقاف تشغيل الأسرى بالسخرة والاجبار والاكراه في المرافق الصناعية ذات الطابع الحربي والانتاجي داخل المعتقلات، وحصر تشغيل الأسرى في في مطبخ المعتقل والمغسلة ومرافق النظافة داخل كل معتقل، والسماح بانشاء المكتبات، وإقامة النشاطات التعليمية والترفيهية بين الأسرى، وإدخال ادوات وألعاب التسلية، والسماح للأسرى بشراء بعض الحاجات من المقصف الاعتقالي المعروف باسم « الكنتين « وإطالة مدة الفسحة اليومية من نصف ساعة صباحية ومثلها مسائية إلى ساعة، وتحسين نظام الرعاية الصحية داخل عيادات المعتقل، وإجراء العمليات اللازمة للأسرى المحتاجين لها، وغيرها من القضايا المطلبية الضرورية التي كان من شأنها كسر نظام تطويع الدماغ وتمزيقه وبناء نظام اعتقالي جديد أقل قمعاً وتعذيباً من النظام المذل السابق(مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة، موسوعة تجارب الأسرى الفلسطينيين والعرب، ص37)، واستمرت حالة المواجهة بين إدارة مصلحة السجون والأسرى ومرت بالكثير من المحطات المشرقة الاضراب التاريخي عام 1976 في سجن عسقلان والذي استمر 45 يوم ليعلن عن بداية مرحلة جديدة في مسار حركة أسرى الثورة الفلسطينية وفي مسار سلطات سجون الاحتلال بعد الفشل الذريع الذي منيت به تلك السياسات والقفزة النوعية التي طرأت على نضج الثائر الفلسطيني (جبريل الرجوب: زنزانة رقم 704، ص16) ،هذا الاضراب أعطى للمعتقلين الثقة بانفسهم، وعزز دورهم الجماعي، وأكد على أهمية الاطر التنظيمية سواء الخاصة بالفصيل أو العامة ذات العلاقة بالفصائل مجتمعة، وأدركت « ادارة السجون « أن الاضراب جاء نتيجة فعل وتخطيط وأن اليوم ليس كالأمس (حسن عبد الله: الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين، ص31)، وكان اضراب 1980 في سجن نفحة لمدة 33 يوما متتاليا والذي انتهى باستشهاد « على الجعفري وراسم حلاوة، وأنيس دولة وتبعهما الأسير الشهيد اسحاق مراغة في 1983 على خلفية الاضراب نتيجة تراكم المرض بسبب اجباره على التغذية القسرية « كان هذا الاضراب علامة مضيئة في الظلام العميق الذي يغذيه العدو دائماً بالمزيد من ممارسات القمع (محمد القيسي، الهواء المقنع، ص283)، واستطاع الأسرى في هذا الاضراب ان يحققوا إدخال أجهزة التلفاز والمذياع، وتركيب الأسرة للنوم وادخال المزيد من الكتب وتحسين الطعام والرعاية الصحية وزيادة وقت الزيارة لتصل 45 دقيقة واستلام المطبخ وادخال احتياجات الأسرى من ملابس وأغطية والتمكن من الزيارات بين الأسرى (مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة، ص124)، ومن ثم اضراب 1984 لمدة 12 يوم في سجن جنيد حتى دخول مرحلة جديدة من النضال والتي سنتطرق اليها في الحدود الزمنية للدراسة بين عامي 1985 و 2015 م.

وللاطلاع على ظروف ومتغيرات كل مرحلة، وملامحها ومميزاتها من حيث انتهاكات سلطات الاحتلال الإسرائيلي، وأساليب ووسائل الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، وأشكال نضالها ومقاومتها نتناول كل مرحلة منها بالتفصيل:

- **المرحلة الأولى من 1986 – 1994م مرحلة النضال الشامل وذروة تحقيق الإنجازات والانتصارات:**

حاولت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية في أعقاب عملية التبادل في العام 1985م أن تنال من الحركة الوطنية الأسيرة بسبب تحرير عدد كبير من قيادات السجون والكوادر الاعتقالية، والالتفاف عما حققه الأسرى من إنجازات مهمة جداً كنتيجة لإضرابي نفحة 1980م وإضراب جنيد في العام 1984م والذي حقق إدخال التلفاز والراديو وإدخال الكتب والحرامات والملابس، فبدأت بحملة من القمع وفرض الإجراءات الخانقة والمذلة لتصبح الحركة الأسيرة في موقف الدفاع عن منجزاتها التي حققتها بالتضحيات الغالية حيث خاض الأسرى سلسة من الإضرابات الجزئية والشاملة في إطار التصدي لهجمة إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية على حقوقهم، وفي 1987م خاض الأسرى إضراب سجن جنيد استمر 20 يوماً لمناهضة تلك السياسات التي استهدفت البنى التحتية للسجون[96]، لاشك أن عملية تبادل الأسرى في العام 1985م والتي تمت في 20 مايو 1985م م بين إسرائيل والجبهة الشعبية القيادة العامة والتي أطلقت إسرائيل بموجبها سراح 1155 أسيراً مقابل ثلاثة جنود إسرائيليين كانت مؤثرة على الحركة الأسيرة بسبب الإفراج عن مئات الكوادر المجربة والقيادات التنظيمية القادرة والمتمكنة.

ولكن ما لمسه الباحث من زملائه خلال الاعتقال أن من تبقى شعر بمحاولات إدارة السجون لاستغلال هذا الظرف، ولكنها فشلت لدفاع من تبقى من الأسرى عن منجزاتهم بشراسة، وبدؤوا ببث الأمل في روح بعضهم البعض، وعكفوا على تقوية المعنويات وبث روح النضال من جديد، وتم صقل شخصية الأسير المناضل القادر على مواجهة السجان بحرفية وتجربة نضالية عالية، وبدأوا ببرامج ثقافية يومية مكثفة، تخللتها ثلاث جلسات في مجالات متعددة، أهمها نقل التجربة الاعتقالية للجدد، وحافظوا على قمة النشاط والحيوية والانضباط والتنظيم، ولم يسمحوا بلحظة من الفراغ، معتبرين أن الفراغ تربة خصبة للأمراض، وتواصلوا مع الخارج بالأسرى المحررين الذين كان لهم دور بمساندة خطواتهم النضالية.

فالكوادر التي بقيت رهن الاعتقال بعد التبادل لعبت دوراً كبيراً في ملء الفراغ، وبذلت جهوداً استثنائية في قيادة المعتقلين الجدد خاصة في أعقاب انتفاضة 1987م والتي اعتقل فيها عشرات الآلاف بقي منهم ما يقارب من 15.000 معتقل تشربوا ممن تشربوا مفاهيم وأسس التجربة التنظيمية والفكرية والثقافية والإبداعية، حتى أن الأسرى في هذه المرحلة تفاعلوا بشكل كبير جداً مع مستجدات الانتفاضة الفلسطينية فأصدروا المجلات والنشرات والبيانات التي تناولت الانتفاضة تشخيصاً وتحليلاً، وتبنوا الشهداء، وأحيوا في احتفالات

(96) عيسى قراقع: مرجع سابق، ص31.

خاصة مناسبة دخول الانتفاضة في كل شهر جديد من عمرها النضالي وكثفوا مراسلاتهم مع فصائلهم محاولين الإسهام من وحي تجاربهم النضالية بالاقتراح والتصور لعل ذلك يغني ويفيد التجربة [97].

في هذه المرحلة عين دافيد بن ميمون مديراً لمصلحة السجون العامة، وأشار بفخر إلى سياسته القمعية للأسرى أمام لجنة الداخلية في الكنيست الإسرائيلي، لكن سرعان ما قدم استقالته في أعقاب عمليتى هروب من سجن غزة وسجن نفحة الصحراوي ولفشل سياسته بعد عام واحد من التجربة عين مكانه شاؤول ليفي الذي تعامل مع مطالب الأسرى، وولدت مرحلة توازن المصالح بين الحركة الأسيرة وإدارة مصلحة السجون في المعتقلات [98]، وعاد لسياسة مدير مصلحة السجون الأسبق رافي سويسا ولم تكن هذه السياسة احتراماً للأسرى في السجون أو رغبة منه في العمل على تحسين شروط حياتهم بل كان نتيجة لعدة عوامل أهمها:

- **فشل سياسة القبضة الحديدية التي عمل على فرضها سلفه دافيد بن ميمون، والخبرة الواسعة لشاؤول ليفي وقراءته الجيدة لتفاصيل حياة الأسرى واستعدادهم لكل جديد.**
- **طبيعة الأوضاع المأساوية في المعتقلات وشعور مديرية السجون بالاستعدادات التي يقوم بها المعتقلون لمواجهة السياسات التصفوية لمديرية السجون.**
- **التغيرات التي حدثت على مديرية السجون ومن ثم حل اللجنة الأمنية، التخوفات من اشتعال انتفاضة في الخارج يكون الأسرى عنوانها، وتنامي الوعي الدولي وازدياد حملات المساندة للأسرى[99].**

وذروة الإنجازات والانتصارات لهذه المرحلة تجسدت في إضراب 27/9/1992م والتي تجسدت فيها الوحدة والتماسك الاعتقالي، والتعبئة النضالية والروح الوطنية العالية للأسرى، والالتفاف حول قيادة وطنية اعتقالية موحدة، وقوة التنظيمات والمؤسسات الاعتقالية، والتواصل مع الخارج والعلاقات الوطنية الاعتقالية، والتفاهم على الحد الادنى والأقصى لمطالب الأسرى وقد تحققت في هذا الإضراب جميع مطالب الأسرى، كالتعليم الجامعي في الجامعة المفتوحة في إسرائيل، وإدخال البلاطة الكهربائية للطهي في داخل الغرف، والسماح بالمراوح، والاعتراف بممثل الأسرى والتعامل معه، والسماح بالاتصال الهاتفي والزيارات الخاصة، وإغلاق أقسام العزل، والسماح بساعة رياضة صباحية، ووقف التفتيش العاري وزيادة وقت الزيارة وإدخال الأطفال للأسير (100).

(97) حسن عبد الله: الصحافة العبرية فى تجربة المعتقلين الفلسطينيين، القدس، اصدار نقابة الصحفيين الفلسطينيين، 2005، ص37.
(98) خالد الهندى: مرجع سابق، ص42.
(99) عبد الحق شحادة: التجربة النضالية لمعتقل عسقلان، غزة، فلسطين، بدون دار نشر، ص104.
(100) رأفت حمدونة، صرخة من أعماق الذاكرة، غزة، فلسطين، دائرة شؤون الأسرى، 2006، ص32.

في هـذه المرحلـة ظهـرت القـدرة مـن قبـل الأسرى عـلى اسـتيعاب الـتراث النضـالي والاعتقـالي وتمكنوا مـن تخليـد تجربـة مشرفـة تسترشـد بوحـي نظريتهـا ومعالمهـا الأجيـال الاعتقاليـة، ولتـضيء لهـم طريـق النضـال الاعتقـالي دون الوقـوع في الأخطـاء ومـن ثـم السـقوط في هاويـة التخبطـات [101].

- **المرحلة الثانية من 1994 – 2000م مرحلة النضال السياسي:**

منـذ التوقيـع عـلى وثيقـة إعـلان المبـادىء في واشـنطن بتاريـخ 13/9/1993م بـين منظمـة التحريـر الفلسـطينية (م.ت.ف) وحكومـة إسرائيـل حـدث تحـول نفـسي عنـد الأسرى الفلسـطينيين المحتجزيـن في السـجون الإسرائيليـة حيـث ارتفعـت مسـتويات التوقـع لديهـم، والمتعلقـة بإنهـاء معاناتهـم والإفـراج عنهـم، حيـث رأوا أن حصيلـة أيـة تسـوية سياسـية بـين طـرفي النـزاع لابـد وأن تشـمل إطـلاق سراح المعتقلـين، ومـن هنـا فـإن تفاعـل الأسرى مـع الاتفاقيـات الموقعـة كان كبـيراً ومشـبعاً بالآمـال وقـد يكـون هـذا التفاعـل هـو أحـد أبـرز التحـولات الداخليـة عـلى صعيـد مجتمـع الاعتقـال وعـلى كافـة المسـتويات تنظيميـاً وسـلوكياً وثقافيـاً(102).

في هـذه المرحلـة تراجعـت الاهتمامـات عـلى المسـتوى النضـالي والاعتقـالي، وتعطلـت البرامـج الثقافيـة والتنظيميـة والأمنيـة نـزولاً عنـد ترتيبـات الإفراجـات المتتاليـة، وتواصـل تعليـق البرامـج بانتظـار المزيـد مـن الإفراجـات، وهربـت مـع هـذا الانتظـار الرغبـة في العـودة أو إعـادة الانتظـام للحيـاة الاعتقاليـة، وتراخـت القـدرات التنظيميـة والإداريـة والاعتقاليـة عـن ملاحقـة أو تطويـق التراجـع، وأدركـت مصلحـة السـجون العامـة أنهـا أمـام واقـع جديـد يمكنهـا مـن اسـتعادة مـا انتـزع منهـا خـلال السـنوات الماضيـة [103].

في هـذه المرحلـة كان الوضـع خـلال هـذه السـنوات صعبـاً وقاسـياً عـلى المعتقلـين- مـن الناحيـة النفسـية - إلا أنهـم بتجربتهـم الطويلـة الغنيـة كانـوا يحاولـون امتصـاص التطـورات السـلبية والتعامـل مـع المعطيـات الجديـدة وفـق رؤيـة وطنيـة لا تسـمح للاحتـلال بكـسر التجربـة فجـاء موقـف المعتقـلات الفلسـطينيات اللـواتي رفضـن بعـد اتفاقيـة طابـا تجزئـة قضيتهـن عندمـا حـاول الإسرائيليـون اسـتثناء خمـس أسـيرات [104]، وشـهدت هـذه المرحلـة ثلاثـة اضرابـات سياسـية الأول في 21/6/1994م وجـاء عـلى خلفيـة توقيـع القاهـرة، وكان إضرابـاً قصـيراً اسـتمر ثلاثـة أيـام، والثـاني في 18/6/1995م تحـت شـعار إطـلاق سراح جميـع الأسرى والأسـيرات دون اسـتثناء واسـتمر 18 يـوم، فيـما أعلـن الأسرى اضرابهـم الثالـث في 5/2/1998م واسـتمر عـشرة أيـام [105].

في هـذه المرحلـة حاولـت إدارة السـجون الإسرائيليـة النيـل مـن الحركـة الأسـيرة فقامـت بعـزل عـدد مـن الأسرى والقيـادات في سـجن هداريـم، وضيقـت عليهـم في الزيـارات وإدخـال الأطفـال وقضايـا أخـرى، فتـم التنسـيق لإضراب مطلبـي مفتـوح عـن الطعـام في عـام 1/5/2000م، واسـتمر

(101) عبد الحق شحادة: مرجع سابق، ص59.
(102) نفس المصدر، ص59.
(103) زياد أبو زياد: مرجع سابق، ص90.
(104) حسن عبد الله: مرجع سابق، ص41.
(105) نفس المصدر، ص42.

هـذا الإضراب شـهر كامـل(106)، وقـد تبـين فيـما بعـد أن المفاوضـات في هـذا الإضراب جـرت ولأول مـرة مـع الشـاباك الإسرائيـلي(107)، وتـم تحقيـق إخـراج المعزولـين الفـوري، ووقـف التفتيـش العـاري وتـم الوعـد بحـل مشـكلة الهواتـف العموميـة والتعليـم مقابـل التـزام الأسرى بعـدم مزاولة أنشـطة خارجيـة مـن داخـل السـجون ولكـن الشـاباك وإدارة مصلحـة السـجون تنصلـوا مـن الاتفاق بسـبب انفجـار الانتفاضـة الثانيـة (108)، مـع التأكيـد أن مسـتوى الحيـاة أو ظـروف الأسرى كانـت سـهلة نسـبياً في هـذه المرحلـة حيـث سـادت معاملـة هادئـة نسـبياً مـن جانـب السـجانين مـع الأسرى(109).

- المرحلة الثالثة من 2001 – 2006م مرحلة الاستيعاب ومحاولات الاستنهاض:

في أعقـاب الانتفاضـة الفلسـطينية في العـام 2000م، بـدأ الأسرى مـن جديـد بالتدفـق إلى السـجون، ليرتفـع عددهـم وفـق تقريـر 2008م لـوزارة الأسرى إلى أكـثر مـن (11550) أسـير(110) في أعقـاب الاجتيـاح الكبـير للضفـة الغربيـة في التاسـع والعشريـن مـن آذار 2002م، مـا اسـتوجب إعـادة افتتـاح أقسـام كان يقطنهـا أسرى جنائيـون، وسـجون أخـرى كانـت مغلقـة (111)، ومـع الوقـت جـرى إنشـاء أقسـام جديـدة وسـجون ومعتقـلات جديـدة (112)، ومـع ازديـاد العـدد الضخـم مـن الأسرى في السـجون، وصعـود ارئيـل شـارون لسـدة الحكـم، واسـتلام المتطـرف « تسـاحيا هنقبـي « لـوزارة الأمـن الداخـلي المسـؤولة عـن إدارة السـجون، وتعيـين « يعقـوب غانونـت « مديـراً لمصلحـة السـجون(113)، عـاش المعتقلـون ظروفـاً قاسـية جـداً ولا تطـاق، في هـذه الفـترة ظهـرت وحـدات خاصـة (114) للتضييـق عـلى الأسرى، فدخلـت الأقسـام مقنعـة ومسـلحة، ومارسـت الإرهـاب والـصراخ، والقيـود والـضرب، ومصـادرة الممتلـكات الخاصـة، وقامـت بإطـلاق النـار عـلى المعتقلـين وقتلـت الأسرى بالرصـاص الحـي، وأجـرت التفتيشـات والاقتحامـات الليليـة المفاجئـة، وبـررت حكومـة الاحتـلال هـذه الانتهـاكات بالادعـاء أن الأسرى يواصلـون القيـام بعمليـات فدائيـة، وتحريـض، وتنظيـم عمليـات استشـهادية مـن داخـل السـجون، وكان أحـد عناويـن هـذه الهجمـة أجهـزة الهواتـف الخلويـة المهربـة (115) إلى داخـل السـجون.

وبالتـالي وقـف الجميـع « قدامـى وجـدد « عـلى أعتـاب مرحلـة جديـدة حملـت معهـا مـن تبقـى مـن الأسرى القدامـى مـن مرحلـة أوسـلو ، إلى الانتفاضـة الثانيـة بـلا تهيئـة ولا تمهيـد، واصطـدم القدامـى بسـيل هـادر مـن الأسرى الجـدد، في هـذه المرحلـة أصبـح مـن الصعـب صياغـة البرامـج التـي تلائـم احتياجـات هـذا الكـم الهائـل مـن الأسرى، الأمـر الـذي دفـع المؤسسـة الاعتقاليـة

(106) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص83.
(107) أحمد أبو السعود: مرجع سابق، ص79.
(108) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص84.
(109) أحمد أبو السعود: مرجع سابق، ص79.
(110) الدائرة الاعلامية لوزارة شؤون الأسرى: تقرير شامل، غزة، فلسطين، مكتبة الجامعة الاسلامية، 2008، ص2.
(111) أحمد أبو السعود: مرجع سابق، ص77.
(112) منهـا (سـجن ايشـل وأوهليكيـدار « داخـل سـجن السـبع «، وهداريـم قسـمى 4 و 8 ورمِونيـم، وسـجن جلبـوع، والرملـة قسـمى 3 و 4، وسـجن نفحـة الجديـد 10 و 11و 12، وسـجن رمِـون، وأعـاد الاحتـلال افتتـاح معتقـل النقـب، وعـدداً مـن مراكـز الاعتقـال كعوفـر وعتسـيون وقدوميـم) .
(113) محمد صبحة، فؤاد الخفش: اضراب الكرامة، فلسطين، مركز أحرار لدراسات الأسرى وحقوق الانسان، 2012، ص66.
(114) « كوحدة المتسادا والناحشون ودرور وكيتر وغيرها «.
(115) محمد أبو شريعة: : مرجع سابق، ص87.

للعمل على إعادة استنهاض نفسها لاستيعاب التطورات الجديدة بطريقة تعيد إلى الأذهان إلى الآليات التي استخدمتها المؤسسة في استقبال أسرى الانتفاضة الأولى عام 1987م[116].

- المرحلة الرابعة من 2007 – 2015م مرحلة الانقسام السياسي والنضال الجماعي والفردي:

أسفرت الانتخابات التشريعية التي جرت بتاريخ 25/1/2006م عن ولادة مجلس تشريعي جديد حظيت فيه حركة حماس بعد دخول الانتخابات التشريعية بالأغلبية وتم تشكيل الحكومة الفلسطينية العاشرة برئاسة إسماعيل هنية، وارتفعت وتيرة الصدام بين مؤسسة الرئاسة التي تقودها حركة فتح برئاسة محمود عباس وبين حركة حماس، وكانت أحداث هذه المرحلة مقدمة للأحداث الدامية التي شهدتها الأراضي الفلسطينية، والتي دفعت قيادة الحركة الأسيرة في السجون لإطلاق مبادراتهم التي عرفت باسم « وثيقة الأسرى « (117)، والتي سميت بوثيقة الوفاق الوطني في 27/6/2007م كوثيقة نهائية بعد إجراء بعض التعديلات عليها من القوى الفلسطينية، وبعد ثمانية أشهر من الحوارات والمفاوضات، والاقتتال، وهدر الدم، توصل الطرفان « فتح وحماس « في مكة حول تشكيل حكومة وحدة وطنية مستندة لوثيقة الوفاق الوطني والتي سرعان ما فشلت بسبب عدم الانسجام وتباعد الرؤى وعدم تنفيذ ما تم الاتفاق عليه بين الطرفين، وقد كانت النتيجة الانقسام السياسي والجغرافي بين قطاع غزة والضفة الغربية فى 14/6/2007م الذي نقل الحالة الفلسطينية إلى مرحلة مختلفة تماماً عما سبقها(118).

يشار إلى أن أبرز ملامح هذه المرحلة هو الاستقرار النسبي للأوضاع في السجون بشكل عام، بعد أن خبا أوار الانتفاضة، وتوقفت تقريباً سيول الاعتقالات وتمازجت التجارب بين الأسرى القدامى والجدد على ضوء التنقلات الكثيرة، فكان لابد في ظل هجمة إدارة مصلحة السجون من إحياء الأوضاع التنظيمية (119) مقابل هجمة شرسة غير مسبوقة من قبل إدارة السجون بالتعاون مع أجهزة الأمن الاسرائيلية عليهم مستغلة حالة الانقسام الفلسطيني في خارج السجون، وقامت بفرض واقع مشابه داخله، وقامت بفصل الأسرى وصنفتهم تنظيمياً وخاصة أسرى حركتي فتح وحماس.

وقامت في هذه المرحلة الأداة التنفيذية المتمثلة بإدارة مصلحة السجون بهجمة غير مسبوقة على الأسرى في كل السجون.

في نهاية المبحث يرى الباحث أن الحالة الإبداعية للأسرى في هذه الظروف القاسية والمعاملة غير الإنسانية هي قدرتهم على التكيف والصبر والصمود وعدم الانكسار أو الإحباط، والقدرة على تغيير ذلك الواقع الاعتقالي للنقيض عنوة بالخطوات النضالية التكتيكية والاستراتيجية،

(116) زياد أبو زياد: مرجع سابق، ص96.
(117) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص148.
(118) المصدر نفسه: ص165.
(119) أحمد أبو السعود: مرجع سابق، ص184.

والانتقال من مرحلة إلى أخرى، واستطاع الأسرى الانتقال من مرحلة إلى أفضل منها في أعقاب تجميع قواهم واتخاذ مواقف نضالية جماعية ناجحة ومؤثرة لتحقيق الحقوق الأساسية، والوصول للحياة الكريمة ضمن معادلة توازن الرعب مع إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية.

ويعتقد أن أفضل حالات الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة في السجون الإسرائيلية كانت في المرحلة ما بين (1986 – 1994م) فتميزت الحركة الأسيرة في هذه الفترة بقوتها ووحدتها وتناسق خطواتها أمام إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية، والالتفاف الكبير حول قضيتهم في أوساط القوى الوطنية والإسلامية والشارع الفلسطيني، والروح النضالية والثورية التي كان يتسلح بها الشعب الفلسطيني والأسرى في السجون في أعقاب الانتفاضة، وبسبب قوة التنظيمات في المعتقلات رغم كبر العدد نتيجة الاعتقالات التي لم تشهد الحالة الفلسطينية لها مثيل منذ الاحتلال الإسرائيلي، وقوة المؤسسة الاعتقالية في السجون، والتزام الأسرى، وعدم انشغال أذهانهم بأي متغير فلسطيني داخلي كقضية الانقسام السياسي أو انشغال الأسرى بالإفراجات كما حصل في أعقاب أوسلو أو الانقسام الفلسطيني الداخلي على حساب بناء الذات وقوة التظيمات في السجون أمام إدارة مصلحة السجون.

وفيما يتعلق بتراجع الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة فكانت مع بدء نشأتها في العام 1967م أمام إرهاب الإسرائيليين في أعقاب هزيمة حزيران، وتلاها الفترتان (2006-2000م) بسبب الاعتقالات الكبيرة، والفترة التي سبقتها من انشغال الأسرى بالإفراجات السياسية في أعقاب اتفاقية أوسلو.

وفيما يخص الفترات الأخرى فكانت متذبذبة أو استنهاضية أو صاعدة كالفترة ما بين (1987-1972م) و(-2006 2015م) اللتان شهدتا حالة من الاستعفاء والخطوات النضالية الجماعية والفردية، وكانت بمثابة عملية ترميم وبناء ومواجهة لإدارة مصلحة السجون، وتخلل تلك المسيرة النضالية حالة من التذبذب والتطور، وأحياناً التراجع كالفترة ما بين (1994 – 2000م) وفق متغيرات سياسية، أو في أعقاب إفراجات سياسية، أو حالات تبادل، أو خطوات نضالية تكتيكية واستراتيجية.

والواضح في تعقب وتحليل مراحل الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة أنها متأثرة بلا ما لا يدع المجال للشك بالواقع، والمتغيرات السياسية، والأوضاع الداخلية للمجتمع الفلسطيني، ولا مجال لانفصال الواقع الفلسطيني والسياسي وتأثيره على الحركة الأسيرة في السجون.

المبحث الثاني
مظاهر تضييق السجان الاسرائيلي على الأسرى الفلسطينيين

يعتبر الشعب الفلسطيني من أكثر الشعوب معاناة بسبب الاحتلال الإسرائيلي وممارسته القمعية التي طالت جميع نواحي الحياة في فلسطين، حيث أقامت إسرائيل دولتها العنصرية على ثلثي أراضي فلسطين منذ عام (1948م)، ولم تكتف إسرائيل بذلك فقامت باحتلال ما تبقى من الأراضي الفلسطينية عام (1967م)، وقامت باستخدام الاعتقال على نطاق واسع منذ احتلالها للضفة الغربية وقطاع غزة في العام (1967م)، حيث كان الاعتقال والتعذيب أبرز أدوات القمع التي مارسها الاحتلال الإسرائيلي في مواجهة المقاومة الفلسطينية، حيث زجت سلطات الاحتلال بمئات الآلاف من الفلسطينيين داخل المعتقلات والسجون التي تفتقر إلى أدنى مقومات الحياة الإنسانية [120].

استخدمت إسرائيل قانونها الداخلي وقضائها العسكري وغير العسكري لتبرير اعتقال الفلسطينيين، فلقد أصدرت السلطات الاسرائيلية المئات من الأوامر العسكرية، وقامت بعمليات الاعتقال استناداً إلى الأمر العسكرى رقم (378) الذي يجيز للاحتلال اعتقال وتوقيف الفلسطينيين دون إنذار أو حتى تقديم مبررات مقنعة، ولقد جرت عادة إسرائيل على إحالة جميع القضايا المتعلقة بمعتقلين أو موقوفين من الفلسطينيين إلى محاكم عسكرية، وأن يتم اعتقال واحتجاز الفلسطينيين في سجون ومعتقلات داخل اسرائيل وليس داخل الأراضي المحتلة[121].

وانتهج المحققون سياسة تحقيق وتعذيب بطرق محرمة وممنوعة دولياً، وأصبح التعذيب قانوناً مشرعاً من قبل حكومة إسرائيل[122]، رغم المكانة الشرعية والقانونية، وحق الأسرى المشروع بمقاومة الاحتلال وفق اتفاقيات جنيف الثالثة والرابعة وقرارات الأمم المتحدة [123].

في هذا المبحث سيتناول الباحث تعامل دولة الاحتلال مع الأسرى من الناحية القانونية، وعدم التزامها بالاتفاقيات والمواثيق الدولية، وحرمانهم من حقوقهم الأساسية والإنسانية بدءاً من الاعتقال والمكانة القانونية، وأساليب التحقيق والتعذيب، والمحاكم العسكرية الردعية، والتضييق عليهم في كل مناحي الحياة اليومية والمعيشية.

(120) محمود عساف، سميرة خليفة: دور الجامعات الفلسطينية بمحافظات غزة في تعزيز قضية الأسرى في سجون الاحتلال وسبل تفعيله، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص2

(121) نداء البرغوثي: مرجع سابق، ص264.

(122) رياض العيلة، عبير ثابت: الرؤية المستقبلية لحل قضية الأسرى الفلسطينيين، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص5.

(123) وزارة شؤون الأسرى والمحررين، أوقفوا زمن السجن الأسود، رام الله، فلسطين، الدائرة الاعلامية لوزارة الأسرى، 2010، ص5.

أولاً- الوضع القانوني للأسرى في السجون الإسرائيلية:

أيّدت المواثيق والمعاهدات الدولية حق كل شعب في العمل على تحرير أرضه المحتلة بكافة الوسائل المشروعة، وذلك استناداً إلى حق الدفاع الشرعي عن النفس، وحق تقرير المصير الذي نص عليه ميثاق الأمم المتحدة وكذلك الاتفاقيتان الدوليتين الخاصتان بالحقوق المدنية والسياسية وبالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية واللتان أقرتهما الجمعية العامة للأمم المتحدة، وكذلك صدور توصية عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، تقضي بوجوب تضمين جميع المواثيق الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان المعدة من قبل المنظمة مادة تنص على حق الشعوب في تقرير مصيرها وأن تعمل الدول على احترام وتأمين ممارسة هذا الحق [124].

ففي العام 2003م، ومن على منبر الكنيسيت الإسرائيلي اعترف رئيس الوزراء الإسرائيلي «أرائيل شارون» بالاحتلال، ورغم ذلك لم تنصاع إسرائيل للاتفاقيات الدولية في التعامل مع الأسرى الفلسطينيين، ولا للقواعد أو القوانين الشرعية الدولية، حيث أن حروب التحرير والتي نصت عليها قرارات الأمم المتحدة 1514 لعام 1960م تقضي بضرورة استقلال الأقاليم المستعمرة، وإنهاء كافة أشكال الاحتلال، وقرار الأمم المتحدة لعام 1968 م يقضي بمعاملة أسرى حروب التحرير الوطنية كأسرى حرب طبقاً لاتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949م وقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 3103 لعام 1973م يؤكد أن النضال المسلح الذي تخوضه الشعوب ضد الاستعمار من قبيل المنازعات الدولية طبقاً لاتفاقيات جنيف الأربعة لعام 1949م [125].

فإسرائيل كدولة احتلال اعتمدت سياسة التكييف القانوني لمصالحها السياسية والأمنية وقامت بسن الأوامر العسكرية لفرض السيطرة على حياة السكان الفلسطينيين الواقعين تحت الاحتلال بدون الالتزام بقواعد القانون الدولي الإنساني، التي كان من المفروض أن تشكل الإطار القانون الأساسي لترتيب تعامل دولة الاحتلال مع السكان الفلسطينيين وواقع حياتهم تحت الاحتلال [126].

وعلى إثر ذلك صدر الأمر العسكري بنقل جميع الصلاحيات للسلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية للحاكم العسكري، ومنذ أيلول (سبتمبر) 1967م فرضت المحاكم العسكرية الإسرائيلية سطوتها على كافة جوانب الحياة للفلسطينيين.

وبدأت تخضع إجراءات الاعتقال في المناطق المحتلة، وطريقة معاملتهم، لسلسلة من الأوامر العسكرية التي تصدر عن القادة العسكريين في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة وترفض المحاكم العسكرية الإسرائيلية تطبيق تعليمات القانون الدولي[127]، بالرغم من مصادقة إسرائيل على اتفاقيات جنيف الأربعة وعلى العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، وعلى

(124) وليد مزهر: الاعتقال في السياسة الإسرائيلية في منظور القوانين، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص89.

(125) موقع الأسرى للدراسات: http://alasra.ps/ar//index.php?act=post&id=26939

(126) سحر فرنسيس: موقع الأسرى الفلسطينيين في القانون الدولي الانساني، مجلة الدراسات الفلسطينية عدد 98، 2014، ص106.

(127) زكريا العثامنة: أثر حرب حزيران (يونيو) 1967م على المعتقلين الفلسطينيين، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص4.

اتفاقية مناهضة التعذيب 1984م[128]، فلم تعترف بالأسرى الفلسطينيين كأسرى حرب سواء قبل توقيع اتفاقيات أوسلو أو بعد ذلك، وظلت معاملتها لهم تنطلق على أساس اعتبارهم « مجرمين وارهابيين أو مقاتلين غير قانونيين » [129].

ومن الطبيعي في ظل القرارات الدولية، وانتهاكات دولة الاحتلال لمبادئها وموادها، أن تثار التساؤلات عن المكانة القانونية للمعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، ولقد تزايدت هذه التساؤلات في الآونة الأخيرة، بعد حصول فلسطين على وضع الدولة المراقب - غير العضو في الامم المتحدة [130].

اختلف آراء فقهاء القانون الدولي وغيرهم من الكتاب وتباينت مذاهبهم بشأن تكييف وضع المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، ويمكن التمييز، في هذا الصدد، بين اتجاهات ثلاثة، أحدها يذهب إلى إعطائهم وضع المقاتلين من أجل الحرية، ومن ثم أسرى الحرب، وثانيهما يتجه إلى إجراء تمييز داخل المعتقلين أو تقسيمهم إلى طائفتين ، الأولى تضم المقاتلين القانونيين، والذين يحق لهم التمتع بوضع أسرى الحرب، والثانية تضم المعتقلين المدنيين، والاتجاه الثالث، ويرى القائلون به أن المعتقلين الفلسطينيين هم رهائن أو مختطفون لدى سلطة الاحتلال الإسرائيلي[131].

وأيًا كانت الآراء والاجتهادات من قبل فقهاء القانون فيما يتعلق بالمكانة والتسمية القانونية " كأسرى أو معتقلين أو سجناء سياسيين أو رهائن أو محتجزين أو مختطفين"، فهم أسرى حرية لهم حقوق أساسية وإنسانية، ومن المنطقي أن يكون اصطلاح (الأسرى) هو الأكثر ذيوعاً وانتشاراً في الأوساط الفلسطينية، حيث يعبر عن عدالة القضية الفلسطينية، وسمو ونبل الهدف الذي يحتجز الأشخاص من أجله في سجون الاحتلال، وفي المقابل فإن سلطات الاحتلال تستخدم مصطلح السجناء كمرتكبي أفعال يعاقب عليها القانون، ولعل هذا ما يفسر في الواقع إصرار إسرائيل على استعمال هذا التعبير في اتفاقات أوسلو [132].

ثانياً- الحقوق الأساسية للأسرى والمعتقلين وفق الاتفاقيات الدولية:

هناك إجماع قانوني وقيمي وأخلاقي وإنساني يتفق عليه الجميع في معاملة (الأسرى والمعتقلين في السجون) والتأكيد على حقوقهم الإنسانية والآدمية، وفقاً للمادة الثالثة المشتركة في اتفاقيات جنيف الأربع والتي تطالب بمعاملة إنسانية لجميع الأشخاص (الأسرى والمعتقلين) سواء، وعدم تعريضهم للأذى، وتحرم على الدولة الآسرة الإيذاء أو القتل، والتشويه، والتعذيب، والمعاملة

(128) أنظر ملحق اتفاقية مناهضة التعذيب: ص278.
(129) المركز الفلسطيني لحقوق الانسان: http://www.pchrgaza.org/arabic/studies/aseer2007.pdf
(130) نداء البرغوثي: مرجع سابق، ص185.
(131) المصدر نفسه: ص209.
(132) المصدر نفسه: ص203.

القاسية، واللاإنسانية، والمهينة، واحتجاز الرهائن، والمحاكمة غير العادلة)[133].

وأكدت اتفاقيات جنيف الأربع على الحقوق الإنسانية والأساسية للأسرى في مكان الاعتقال وشروطه، في الغذاء والملبس، والشروط الصحية والرعاية الطبية، والدين والأنشطة الفكرية والبدنية، والملكية الشخصية والموارد المالية، والإدارة والنظام، والعلاقات مع الخارج، والعقوبات الجنائية، ونقل المعتقلين، والوفاة، والإفراج والإعادة إلى الوطن[134].

وهناك حقوق إنسانية تضمنتها البروتوكولات والأخلاقيات المتمثلة في: المبادئ الأساسية المتعلقة بحقوق الأسرى، والمتمثلة بتوفير الطعام والشراب والكساء، توفير السكن المناسب لهم، وعدم تكليفهم بما لا يطيقون، وعدم إكراههم على تغيير معتقداتهم، وتوفير العناية الصحية والعلاجية اللازمة لهم، ومواساة أهل الأسير، وتوفير الاتصال الخارجي للأسير والمراسلات والزيارات بينه وبين أهله، وعدم قتل الأسرى مع الحفاظ على حياتهم، وعدم تعذيبهم بدنياً أو معنوياً، وحقهم في المعاملة الإنسانية، وفي احترام أشخاصهم وشرفهم في جميع الأحوال، وفي ممارسة الشعائر الدينية [135]، كما يحق لأسرى الحرب ممارسة نشاطهم الفكري والثقافي والرياضي، ويسمح لهم بإرسال الرسائل والبطاقات واستلامها [136]ولقد اعتبرت اتفاقية جنيف لعام 1949م أسرى الحرب وديعة لدى الدولة الحاجزة وليسوا رهائن أو مجرمين [137].

ومن المفترض أن يتمتع الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية كطلاب حرية بكافة الامتيازات المعطاة لهم بموجب المواثيق الدولية، إلا أن سلطات الاحتلال تسعى جاهدة إلى حرمانهم من أبسط حقوقهم الإنسانية، من خلال سياسة الاعتقال الإسرائيلية التي تبرر موقفها بأسباب واهية[138].

وفي ظل هذا التنكر القانوني عاملت إسرائيل الأسرى الفلسطينيين بعدائية غير مسبوقة، الأمر الذي بات لا يخفى على أحد، وبناءاً عليه شدد البيان الختامي لمؤتمر الأمم المتحدة في فيينا حول الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية في السابع والثامن من آذار / مارس 2011م على عدم قبول الحجة الأمنية التي تسوقها إسرائيل، السلطة القائمة بالاحتلال كمبرر لانتهاكات حقوق الإنسان في سجونها [139].

ثالثاً- أشكال الاعتقال:

في ظل تنكر سلطات الاحتلال للمكانة القانونية للأسرى الفلسطينيين في سجونها، قامت أجهزة الأمن بكل الانتهاكات والممارسات الجسدية والمعنوية والعقابية للأسرى والأسيرات، من خلال سوء المعاملة[140]، بدءاً بلحظة الاعتقال، مروراً بالتعذيب والتحقيق وانتزاع الاعترافات

(133) كمال الأسطل: القانون الدولي الإنساني وقضية الأسرى الفلسطينيين، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص11.
(134) كمال الأسطل: مرجع سابق، ص15.
(135) محمود عساف، سميرة خليفة: مرجع سابق، ص8.
(136) ناصر عبد الجواد: مرجع سابق، ص29.
(137) مصلح عبد العزيز: حقوق الأسير، بغداد، دار البداية ناشرون وموزعون، 2012، ص115.
(138) وليد مزهر: الاعتقال في السياسة الإسرائيلية في منظور القوانين، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص2.
(139) مجلة مركز التخطيط الفلسطيني – العدد 29: البيان الختامي لمؤتمر الأمم المتحدة حول الأسرى في فينا، مركز التخطيط، 2011، ص203.
(140) فتحي كلوب: مرجع سابق، ص1.

عنـوة تحـت الضغـط النفـسي والجسـدي، مـروراً بالمحاكـم العسـكرية والأحـكام الردعيـة، وانتهـاءً بالتضييقـات المعيشـية خـلال الاعتقـال وللتفصيـل أكـثر:

1. ظروف الاعتقال:

مـن الصعـب تقديـر عـدد الاعتقـالات التـي تتـم خـلال السـنوات بشـكل دقيـق، لأن السـلطات الإسرائيليـة لا تـزود المعنيـين بالمعلومـات الكاملـة حـول تلـك الاعتقـالات التـي انخفضـت في أعقـاب اتفاقيـة أوسـلو[141] حتـى انتفاضـة 2000م، ويعتـبر الاعتقـال مـن أهـم أشـكال العنـف السـياسي المبـاشر الـذي يمـارس ضـد الشـعب الفلسـطيني منـذ بـدء الاحتـلال، ويبـدأ العـدوان عـلى المعتقـل منـذ اللحظـة الأولى لاعتقالـه، خاصـة وأن عمليـة الاعتقـال تتـم بطريقـة عنيفـة ومرعبـة بـدءاً مـن الشـتائم والألفـاظ المسـيئة للمعتقـل إلى العنـف الجسـدي والسـلوك العـدائي والمهـين في إجبـار المعتقـل عـلى التعـري، فطريقـة الاعتقـال تتـم بطريقـة وحشـية لإربـاك المعتقـل وتخويفـه، بالإضافـة إلى إلحـاق الأذى الجسـدي، وتفريـغ الحالـة العدوانيـة في جسـد الضحيـة التـي غالبـاً مـا تكـون مكبلـة الأيـدي ومعصوبـة العينـين[142].

فـكل مـن دخـل السـجون الإسرائيليـة، مـورس بحقـه أشـكالاً متعـددةً مـن التعذيـب النفـسي والجسـدي، ويبـدأ التعذيـب منـذ لحظـة الاعتقـال ومـا يصاحبـه مـن إدخـال الخـوف والرعـب في قلـوب الأهـالي؛ حيـث يتعمـد الاحتـلال إبـراز القسـوة والإجـرام تجـاه الأسـير نفسـه وأمـام أبنائـه وأهلـه، كـما يتعمـد الاحتـلال بتقديـم الإهانـات واللكـمات (الـضرب) للأسـير وذويـه قبـل اختطافـه مـن بيتـه، واسـتخدام المربـط البلاسـتيكي لليديـن، واسـتخدام القـوة المبالـغ فيهـا والبـدء بالتحقيـق والقمـع مـن لحظـة الاعتقـال الأولى [143].

2. إعدام الأسرى بعد اعتقالهم:

تصاعـدت سياسـة إعـدام الأسرى بعـد الاعتقـال بشـكل ملحـوظ خـلال انتفاضـة الأقـصى 2000م وأخـذت غطـاءً مـن محكمـة العـدل العليـا الاسرائيليـة التـي أقـرت في عـام 2002م سياسـة التصفيـات التـي يقـوم بهـا الجيـش الإسرائيـلي ضـد مـن تسـميهم بالنشـطاء الفلسـطينيين وقامـت سـلطات الاحتـلال بإعـدام الأسرى بـدم بـارد بوسـائل متعـددة منهـا:

1. إطلاق النار بشكل مباشر على المعتقل عند إلقاء القبض عليه.
2. التنكيل بالمعتقل والاعتداء عليه بالضرب القاسى والشديد مما يؤدى إلى استشهاده.
3. عـدم السـماح بتقديـم الإسـعافات الطبيـة للأسـير الجريـح بعـد إلقـاء القبـض عليـه وتركـه ينـزف حتـى المـوت، كـما تقـوم سـلطات الاحتـلال بعمليـات اختطـاف للجرحـى مـن سـيارات

(141) Oslo: Before and After The Status Human Rights in the Occupied, B»TSELEM ,Jerusalem ,july, 1996,PP.15.

(142) عايـد محمـد الحمـوز: الصلابـة النفسـية وعلاقتهـا ببعـض أسـاليب التعذيـب الإسرائيليـة ضـد الأسرى الفلسـطينيين في محافظـة الخليـل، غـزة، فلسـطين، مؤتمـر الأسرى، جامعـة القـدس المفتوحـة، 2013، ص3.

(143) تحسـين الأسـطل: معالجـة الكاريكاتـير في الصحـف الفلسـطينية لقضيـة الأسرى في السـجون الإسرائيليـة، غـزة، فلسـطين، مؤتمـر الأسرى، جامعـة القـدس المفتوحـة، 2013، ص2.

الإسعاف والمستشفيات وتعذيبهم وتركهم ينزفون حتى الموت.

4. إطلاق النار على المطلوب للاعتقال، وقتله في حين أنه يمكن إلقاء القبض عليه واعتقاله حياً .

5. إطلاق النار على المطلوب الاعتقال وقتله على الرغم من علم جيش الاحتلال ووحداته الخاصة أنه غير مسلح ولم يُبدِ أي مقاومة ولا يشكل خطراً على الجنود ويمكن إلقاء القبض عليه حياً[144]، الأمر الذي اتضح في انتفاضة القدس نهاية 2015م.

رابعاً- وسائل التعذيب:

يقصد «بالتعذيب» وفق اتفاقية مناهضة التعذيب «أي عمل ينتج عنه ألم أو عذاب شديد، جسدياً كان أم عقلياً، يلحق عمداً بشخص ما بقصد الحصول من هذا الشخص، أو من شخص ثالث، على معلومات أو على اعتراف، أو معاقبته على عمل ارتكبه أو يشتبه في أنه ارتكبه، هو أو شخص ثالث أوتخويفه أو إرغامه هو أو أي شخص ثالث - أو عندما يلحق مثل هذا الألم أو العذاب لأي سبب يقوم على التمييز أيًّا كان نوعه، أو يحرض عليه أو يوافق عليه أو يسكت عنه موظف رسمي أو أي شخص يتصرف بصفته الرسمية، ولا يتضمن ذلك الألم أو العذاب الناشئ فقط عن عقوبات قانونية أو الملازم لهذه العقوبات أو الذي يكون نتيجة عرضية لها »[145].

ويتضح من خلال هذا التعريف أن هنالك أربعة شروط أساسية وتراكمية تجعل من أي عمل بمثابة تعذيب:

- يتم عن قصد.
- يسبب الألم أو المعاناة الشديدة.
- يتم لغرض تحقيق أحد الأهداف المشمولة في الميثاق، وبضمنها تخليص المعلومات.
- يتم من قبل موظف رسمي أو بموافقته ([146]).

ويرى الباحث - بلا شك- أن تلك الشروط معززة بما تقوم به دولة الاحتلال مع الأسرى الفلسطينيين، التي تستهدف الأسير الفلسطيني وترتكب جرم مقصود للنيل منه، وانتزاع اعتراف وتخليص معلومات ولو غير حقيقية تحت الضغط والتعذيب لتحقيق الأهداف المشمولة في الميثاق، وعلى الرغم من أن إسرائيل قد وقعت وصادقت على اتفاقية مناهضة التعذيب لعام 1984م، فإنها تعتبر» الدولة» الوحيدة في العالم التي أجازت التعذيب وشرعته

(144) جمعية الأسرى والمحررين :الانتهاكات الاسرائيلية لحقوق الانسان، غزة، فلسطين، دائرة الاعلام والتوثيق، 2005، ص19.

(145) موقع الأمم المتحدة – حقوق الانسان: http://www.ohchr.org/AR/ProfessionalInterest/Pages/CAT.aspx

(146) بتسيلم مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة: http://www.btselem.org/arabic/torture/international-law

بقرار من المحكمة العليا الإسرائيلية، لتعطي بذلك رخصة للمحققين الإسرائيليين وأجهزة الأمن المختلفة في مواصلة تعذيب الأسرى والمعتقلين بأشكال وأساليب متنوعة[147]، فالأسرى في سجون الاحتلال ليسوا مجرد عدد كبير، بل هم مشهد تتجسد في كل جنباته أصناف العنصرية والإهانة والتنكيل والتعذيب واللاإنسانية التي يمارسها الاحتلال بحقهم[148]، وإسرائيل لم تمنع التعذيب، بل على العكس فهي من الدول الاستثنائية التي شرعته ووفرت للمعذب الحماية القانونية بموجب أحكام قانونية صريحة وواضحة [149].

وبموجب هذه التغطية تعرض المعتقلون الفلسطينيون والعرب لمختلف أشكال التعذيب والإهانة والإذلال والتحقير والمس بالكرامة الإنسانية والوطنية، وتفتقت العقلية الصهيونية عن عشرات الوسائل والأساليب في التحقيق، وطورتها سنة بعد أخرى، وتفنن المحققون في تعذيب الأسرى وإهانتهم وإلحاق الأذى بهم على مدار السنين[150].

ولقد تحولت السجون الإسرائيلية إلى مراكز لشن العنف ضد الشعب الفلسطيني وقواه المناضلة ذاك العنف الذي يستهدف الإبادة، ولكن عبر وسيلة أخرى غير حبل المشنقة أو حد المقصلة، وسيلة للتصفية التدريجية للإنسان جسدياً ومعنوياً، لقد أريد للمناضلين الفلسطينيين أن يتحولوا في السجن إلى حطام كائنات لا تمت للبشرية بأية صلة، كائنات مفرغة من كل محتوى إنساني وتشكل عبئًا على نفسها وشعبها[151].

ولقد أقدم الاحتلال على بناء المعتقلات بهدف استكمال ذبح الإنسان الفلسطيني بأشكال أخرى محاولاً قتل قيمه النضالية وتدمير إرادة التحدي فيه والمواجهة في شخصيته وجعله نادماً ومحبطاً على فعله النضالي، ولم يدخل أحد إلى السجون الإسرائيلية إلا وتعرض لصنف أو أكثر من أصناف التعذيب «الجسدي أو النفسي « ومورس بحقه أبشع أساليب التعذيب المحرمة دولياً [152]، فكل من دخل تجربة الاعتقال ومورس بحقه التحقيق والضغط والتعذيب يرى أن هناك مناوبة على « الأسير الضحية « ويكون الحال أشبه بمسرحية متكاملة الأدوار، لكل محقق وجه معين، وهم أشبه بالممثلين، محقق متخصص في التهديد والوعيد، ومحقق للشتيمة والاستهزاء والسخرية، ومحقق يمثل دور الطيب الحنون الذي يواسي ويستدرج بالكلام، وآخر ينهال بالضرب والألفاظ البذيئة القذرة [153]، وهناك نوعان من التعذيب.

أ - التعذيب الجسدي:

تعددت وسائل وأساليب التعذيب الجسدي في زنازين الاحتلال، بدءاً بتغطية الرأس بكيس ملوث، وعدم النوم، وعدم العلاج، واستخدام الجروح في التحقيق، ووضع المعتقل في ثلاجة،

(147) فتحي كلوب: مرجع سابق، ص5.

(148) فراس هلال :معاناة الأسير الفلسطيني، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، لبنان، 2009، ص1.

(149) ربحى قطامش، ثمر شعبان :تعذيب السجناء السياسيين الفلسطينيين فى السجون الاسرائيلية، رام الله، فلسطين، الضمير لرعاية الأسير وحقوق الانسان، 2003، ص101.

(150) زاهى وهبى: مروان البرغوثى ألف يوم فى زنزانة العزل الانفرادى، رام الله، فلسطين، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2011، ص233.

(151) د. إياد شناعة: أوضاع ومعاناة الأسيرات والأطفال الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية « 1967م – 2012م «، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص2.

(152) رفيق حمدونة، منير شقورة: « توثيق تجربة الاعتقال الفلسطينية في السجون الإسرائيلية بين الضرورة والتنفيذ وتاريخها»، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص3.

(153) الأسيرة المحررة روضة إبراهيم حبيب: مقابلة أجراها الباحث، 3/2/2015، غزة.

والوقوف لفترات طويلة، وأسلوب العصافير وما ينتج عنه من تداعيات نفسية، واستخدام المربط البلاستيكي لليدين، رش الماء البارد والساخن على الرأس، وتعرية الأسرى، واستخدام الضرب المبرح، وربطهم من الخلف إما على كرسي صغير الحجم، أو على بلاطة متحركة بهدف إرهاق العمود الفقري للأسير وإعيائه، واستخدام القوة المبالغ فيها أثناء التحقيق والقمع، والشبح لساعات طويلة بل لأيام، إلى جانب استخدامها أساليب الهز العنيف للرأس الذي يؤدي إلى إصابة الأسير بالشلل أو إصابته بعاهة مستديمة وقد يؤدي للوفاة [154]، و(الشبح) أنواع [155] سواء ما تمثل في (الإجبار على الوقوف فترات طويلة)، أو (الوقوف رافعًا اليدين)،أو(ربط الأيدي بالأرجل من الخلف)[156].

ب - التعذيب النفسي:

أجازت لجنة التحقيق لضابط الشرطة استخدام الضغط النفسي غير العنيف من خلال التحقيق الشامل والشديد باستخدام الحيل وما فيها من أعمال الخداع، والإهانة، والتحقير، والتفتيش العاري والحرمان من النوم، والزج في زنازين معتمة رطبة، إضافة إلى الإهانات المعنوية، والتهديد بالقتل، أو النفي، أو هدم البيت، والتهديد بالقضايا اللأخلاقية، او اعتقال الزوج أو الزوجة [157]، واسماع المعتقل أصوات مسجلة لاستغاثات واطلاق نار، ونباح كلاب بوليسية[158]، واستخدام الموسيقى الصاخبة، والحرمان من العبادات، وغير ذلك من ممارسات، والمحقق في الزنازين لا يتوانى من استخدام الوسائل النفسية والجسدية بحق الأطفال والنساء لخصوصيتهن على العكس فهناك شهادات تثبت استغلال المحقق لخصوصية وضعهما السيكولوجي والفسيولجي وللتفصيل أكثر.

ج - تعذيب الأطفال:

أفاد محامو هيئة شؤون الأسرى والمحررين بأن السلطات الإسرائيلية وجنودها وإدارة مصلحة سجونها، مارست واحدًا أو أكثر من أساليب التعذيب أو التنكيل النفسي والجسدي بحق 99% من الأطفال القاصرين الذين يتم اعتقالهم واستجوابهم في مراكز التحقيق [159]، وأن أطفالاً صغاراً وطلاب مدارس ابتدائية يتم اعتقالهم وضربهم وزجهم في ظروف اعتقالية وحشية وبعضهم من المصابين بالغاز أو الرصاص، ويتم التحقيق معهم لساعات طويلة وهم مشبوحون على كرسي ومقيدو اليدين والقدمين، وينهالون على القاصرين دون سن الثامنة عشر عدد من المحققين بالضرب المبرح طالبين منهم الاعتراف وأن الجميع تم ضربهم على بطونهم ووجوههم مسببين لهم آلام شديدة، وتعرض الأطفال لكل ما يتعرض له البالغين من الشبح والضرب والهز العنيف وكل أشكال التعذيب الجسدي والنفسي كالتفتيش العاري والتهديد والترهيب والضغط النفسي[160].

(154) كمال الأسطل: مرجع سابق، ص3.

(155) أنظر ملحق أشكال التعذيب: ص282.

(156) -عايد محمد الحموز: مرجع سابق، ص22.

(157) جيفرى ديلمان، موسى البكري، استخدام إسرائيل للتعذيب بالصدمة الكهربائية، ط1، القدس، مركز المعلومات الفلسطيني لحقوق الإنسان، 1991، ص25.

(158) منية سمارة، محمد الظاهر: سيناريو المعتقلات الصهيونية، عمان، دار المنارات، 1985، ص77.

(159) وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية: http://www.wafa.ps/arabic/index.php?action=detail&id=205736

(160) وكالة معا الاخبارية: https://www.maannews.net/Content.aspx?id=788510

د - تعذيب الأسيرات:

لم تسلم الأسيرات رغم خصوصيتهن من كافة أشكال التعذيب الجسدي والنفسي[161] الذي يتعرض له الرجال، إضافة إلى تعرض الأسيرات الفلسطينيات للتحرش اللفظي من قبل جنود الاحتلال، وانعدام الفحوصات المخبرية والرعاية الصحية للحوامل، والضرب القاسي المهدد للاجهاض في حال الحمل، وغياب الطواقم الطبية المختصة بالأمراض النسائية، والتهديدات اللأخلاقية، بالاضافة للضغوط النفسية باعتقال الأبناء والزوج أو الوالد وهدم البيت[162].

خامساً- أشكال التحقيق:

1. مشاركة الأطباء في التعذيب:

المكان لربما الوحيد في العالم من يشرك الطواقم الطبية العاملة لديه لتعذيب الأسرى والأسيرات بشكل متعمد، إذ أن كثيراً ما انتحل المحقق صفة الطبيب، والكثير من الأطباء ما يتحولون إلى أدوات في يد الأجهزة الأمنية، ينفذون ما يطلب منهم، أو يصمتون أمام تعذيب المخابرات الإسرائيلية للمعتقلين أمامهم، متخلين بذلك عن أخلاقيات المهنة[163].

2 . جهاز كشف الكذب:

ادعت دولة الاحتلال أن ما يسمى كشف جهاز الكذب بمقدوره اكتشاف كذب الأسير على المحقق برصد بعض التغيرات التي تطرأ على جسمه « كنبضات القلب وإفرازات العرق الناجمة عن توترات عصبية، فتقوم دولة الاحتلال بعرض ذلك الأسير أو الأسيرة على خبير مختص يقوم بوضع الأسلاك على الأسير من أذنه وبطنه وأطراف أصابعه والأسلاك، ويقوم المحقق بتوجيه الأسئلة إلى المعتقل مطالبه بالإجابة عليها بسرعة فعندما يحصل تغيير ترتفع

---

(161) الأسيرة المحررة فيروز عرفة وثقت التجربة الاعتقالية بالقول « حينما لم تكتب الأسيرة اعترافاً عن انشطتها للمخابرات فى التحقيق « بدأت معى رحلة الشتم والبصق، والاهانة، والكفر، وبعد فشلهم فى كسر ارادتى بدأوا بممارسة « الاهمال « وهو أسلوب يتبعه المحققون لتحطيم معنويات المعتقل الفلسطينى، وتبدأ الهواجس والأفكار تهاجمه وتؤثر على نفسيته، معتقداً انهم نسوه، فكانوا يتركونى أيام بدون جولات تحقيق، وهنا أقر كانت تراودنى أفكار سيئة ومزعجة أوجه عشرات الأسئلة لنفسى، لماذا يفعلوا ذلك ؟ ماذا يريدون ؟ ما هى خطواتهم التالية() ؟

رواية أخرى تجرم دولة الاحتلال بسبب انتهاكاتها للمبادىء الانسانية التى نصعليها ملحق قائمة القواعد العرفية فى القانون الدولى الانسانى الذى أكد فى القاعدة 127 على تلبية الاحتياجات الخاصة بالنساء المتأثرات بنزاع مسلح فى الحماية والصحة والمساعدة () «.

شهادة الاسيرة المحررة فاطمة الزق فى وصف التعذيب، قالت: «عذبونى نفسيا وجسديا وحاولوا إجهاضي لأكثر من مرة، وقدموا لى دواء غير معروف، وأصابنى نزيف حاد كدت أفقد بسببه جنينى، وتعرضت للضرب بلكمات في وجهي من قبل ضابط المخابرات الإسرائيلي، وأخذونى في منتصف الليل سحبا بالسلاسل والقيود، وتم نقلي من زنزانة إلى أخرى بهدف إرهابى وتعاملوا معى بوحشية وقسوة دون مراعاة لخصوصيتى كمرأة أو كحامل، وحاولوا اجهاضى من خلال الدواء والعلاج غير معروف وفي كل مرة كانوا يطلبون منى فحصالجنين ليس للمساعدة طبعا، وكنت أرفض إجراء الفحصالذي يهدف لقتل جنينى، وحينما باءت محاولاتهم العديدة بالفشل رفضوا أثناء ولادتى وجود أهلي بقربي ولكن الله كان معي دائما، حيث تمت ولادتى بعد معاناة كبيرة مع الطبيبة العنصرية، وكان الإحتلال قد قيدنى خلال الولادة بالسلاسل من القدمين واليدين لثلاثة أيام متواصلة وبعد معاناة فكوا قيودى وكنت في مستشفى « مائير بكفار سابا « حيث كنت أشعر بأنى في ساحة حرب وكانت الطبيبة الإسرائيلية العنصرية تصرخ في وجهى بأنى إرهابية وسأقد إرهابي.

(162) رشاد المدني: واقع الأسيرات الفلسطينيات ومعاناتهم داخل السجون الصهيونية، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص2.

(163) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص211.

الذبذبات فينتبه المحقق إلى موقع الكذب[164]، علمًا بأن هذا الجهاز لا يشكل إثباتاً أمام المحكمة وكذلك ممنوع في العرف الدولي، ولا يجوز استخدامه ضد المعتقلين[165].

3. استخدام العملاء « غرف العار»:

غرف العار تعتبر وسيلة كيدية للمعتقل الفلسطيني على يد بعض المتساقطين أمنياً ممن تعاونوا مع الاحتلال هدفهم إثبات الولاء بوسيلة الحصول على الاعتراف من المعتقلين عن طريق الخداع وتمثيلهم لأدوار وطنية، وكل مايحدث بإيعاز وإشراف رجال المخابرات الإسرائيلية، فيمثلون دور الشرف والنضال بهدف استدراج المعتقل للحديث عن العمليات أو النشاطات التي قام بها أو ممارسة الإرهاب ولإتمام عملية التمثيل فإنهم يضربون المعتقل ويهددونه بإحداث جروح في جسده بأدوات حادة[166].

سادساً– المحاكم العسكرية والأحكام الردعية:

وقع عدد كبير من أفراد قوات منظمات المقاومة الفلسطينية في قبضة قوات الاحتلال الإسرائيلية، التي رفضت اعتبارهم أسرى حرب، واعتبرتهم سجناء وأحالتهم للمحاكمة بالمخالفة لقواعد القانون الدولي الإنساني، ولقد أصدرت بحقهم أحكاماً مختلفة[167]، طبقاً لقوانين الطوارىء وتعديلاتها، ووفقاً للأوامر العسكرية التي أصدرتها الحكومة العسكرية للاحتلال، وغالباً ما يكون الدليل الوحيد ضد المعتقل هو اعترافه أو اعتراف معتقلين آخرين عليه في حين لا يشكل استخدام التعذيب ضده سبباً كافياً لبطلان اعترافه، وإذا كان كل من مثلوا أمام المحاكم العسكرية قد أدينوا فإن ذلك يرجع إلى عدم تمكن أي هيئة دفاع من دحض أي اتهام أمام أي محكمة عسكرية، وما ذاك إلا لأنها جميعاً تتبنى موقفاً مسبقاً من المتهمين وتتلقى أوامرها من الجهات الأمنية والسياسية العليا، وتتعامل مع المعتقلين على قاعدة أن كل فلسطيني يمثل أمام المحاكم العسكرية هو مدان حتى يثبت عكس ذلك[168].

وفي جميع الحالات التي يتراجع فيها المعتقل عن أقواله التي انتزعت منه تحت الضغط ترفض المحكمة الأخذ بأقوال المعتقل في أثناء محاكمته وتعلن عنه النيابة العسكرية شاهداً معادياً وتستند المحكمة إلى ما تقدمه المخابرات من إفادات واعترافات كان المعتقل قد

(164) تقول الأسيرة المحررة روضة حبيب أنهم نقلوني إلى ما يسمى بجهاز الكذب وأبلغني المحقق أنهم دفعوا آلاف الدولارات لتأمينه لفحصالصدق أو الكذب، تعرضت لهذا الأسلوب ثلاث مرات، وكل مرة كنت أمكث 15 ساعة للعملية الواحدة، كنت أشعر بعملية تحقيق قاسية، أي حركة للرأس أو الجسم يعيد الاختبار من جديد كنت أشعر بالتحنيط، كنت أذهب للخبير من الساعة التاسعة والنصف صباحاً حتى نهاية الليل، كنت أشعر بالشلل وأنا مليئة بالأسلاك في كل مكان على جسمي وقلبي، وفي النهاية قال لي أنت انسانة كذابة وخسرنا الكثير من المال دون فائدة، وعقبت كل القضية مسرحية شعرت أن الكرسي نفسه كذاب بالاضافة للمحققين.

(165) وليد مزهر: الاعتقال في السياسة الإسرائيلية في منظور القوانين، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص98.

(166) محمد لطفي ياسين: مرجع سابق، ص32.

(167) نداء البرغوثي: مرجع سابق، ص250.

(168) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص245.

قدمها في أثناء التحقيق، والتي انتزعت منه بالقوة والتعذيب والتحايل، ولا تقبل المحكمة تراجع المعتقل عن أقواله [169].

يخلص الباحث أن أجهزة الأمن الإسرائيلية في تعاطيها مع الشعب الفلسطيني من منظور أمني وعدائي بحت، ترتكب جرائم حرب في إعدامها للمعتقلين أثناء اعتقالهم، وفي مراكز التوقيف والتحقيق وممارسة التعذيب النفسي والجسدي بغطاء من المحاكم الإسرائيلية بمغلفات ومبررات أمنية واهية، أباحت للمحقق والسجان والقاضي العسكري كل ما من شأنه تعنيف وإرهاب المعتقلين والانتقام منهم بشتى الوسائل [170].

ويرى أن الحالة الإبداعية للأسرى والمعتقلين في ظل تلك التجربة المريرة من الاعتقال والتحقيق والسجن هي قدرتهم على التحمل وتميزهم بالقدرات والإمكانيات الشخصية وتكيفهم مع تلك الظروف، وأنهم امتلكوا من القدرات المعرفية والانفعالية، ما يؤهلهم للتصدي للمواقف الضاغطة والتخلص منها، أو ما يعطيهم القدرة على تجنب أثارها السلبية، أو التقليل منها بهدف المحافظة قدر الإمكان على التوازن الانفعالي[171]، واستخدامهم للعديد من استراتيجيات التكيف النفسي والاجتماعي، وتمتعهم حتى ما بعد التحرر» بالقدرة على إعادة التقييم والتي تحتل المرتبة الأولى في الاستخدام في مواجهة الآثار النفسية، يليها التخطيط لحل المشاكل، ثم التحكم بالنفس، يليها الانتماء، تأتي في المرتبة الخامسة استراتيجية تحمل المسؤولية، يليها التفكير بالتمني والتجنب، وجاءت إستراتيجية الارتباك والهروب في المرتبة السابعة والأخيرة في الاستخدام من قبل الأسرى المحررين[172].

(169) زاهى وهبى: مرجع سابق، ص76.

(170) كالتعذيب والترهيب والاستهداف الأمنى والأخلاقى والحرمان من الحقوق الانسانية والأساسية، والتعامل بمنطق العداء والكراهية والقولبة الامنية والسياسية السلبية والتحريض الاعلامي، والأحكام الردعية المستندة للمزاج العسكري، اذ لا منطق ولا عقل ممكن أن يستوعب حكم أسير بستة آلاف وسبعمائة عام (67 مؤبد مدى الحياة)، أو مكوث اسرى فى السجون الاسرائيلية لمدة 34 عام متواصلة، أو حكم طفل دون سن الثامنة عشر لأكثر من عشرين عام، أو أسيرة بالمؤبد مدى الحياة.

(171) -عايد محمد الحموز: مرجع سابق، ص5.

(172) زاهى وهبى: مرجع سابق، ص19.

المبحث الثالث
الوسائل النضالية للأسرى كحالة إبداع في مواجهة الاحتلال

استطاعت الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة - رغم قلة إمكانياتها المادية وعبر نضالات مستمرة توجت بعدد كبير من الشهداء وعبر خطوات نضالية حكيمة ومنسجمة مع الواقع والمتطلبات « تارة بالخطوات التكتيكية وأخرى بالاستراتيجية، وبالوسائل السلمية والحرب النفسية والعنيفة، وبالحوارات والإضرابات3 والمواجهة وترجيع الوجبات، والحرب النفسية، والتواصل بين القلاع الأخرى للسجون والمعتقلات، ومع المؤسسات الفلسطينية والعربية والدولية في الخارج ومع الجماهير» أن تحقق إنجازات كبيرة.

وبالكثير من التضحيات انتقلت الحركة الأسيرة من ضعف التجربة إلى الخبرة والقيادة، ومن العجز إلى الإعداد والريادة، ومن الاستهداف إلى الحماية والأمن، ومن غياب الكادر إلى إعداد القادة، وتم الانتقال من مرحلة إلى أفضل، من العفوية وفقدان الاتزان، إلى مرحلة بناء الذات والتجربة والخطأ، إلى مرحلة التكوين التنظيمي ومأسسة البنى التنظيمية، إلى مرحلة البناء وسيادة السلطة التنظيمية، إلى مرحلة النضال الشامل والنضج والمخاض والانتصار والعزة والكرامة وتحقيق معادلة الرعب مع طواقم إدارة مصلحة السجون، ومن ثم الوصول إلى حالة حقيقية من الإبداع على كل المستويات التنظيمية والإدارية والثقافية والمالية والأمنية والخارجية، والعلاقات الفصائلية والتأثير الإيجابي خارج السجون.

في هذا المبحث سيتطرق الباحث إلى الوسائل النضالية التي استخدمها الأسرى للنهوض بواقعهم، وفي مجابهة السياسات الإسرائيلية بالوسائل النضالية التكتيكية كالمراسلات والحوارات ومقاطعة رجالات الإدارة والعيادة والاستراتيجية كالإضرابات المفتوحة عن الطعام والإضراب عن التدخين والزيارات والنزهة والحلاقة والعمل، وبالوسائل السلمية والعنيفة.

الوسائل النضالية:

أولاً: وسائل سلمية: وتنقسم إلى قسمين تكتيكية واستراتيجية.

1. وسائل سلمية تكتيكية:

أ - المراسلات والحوارات:

في أعقاب اعتراف إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية بالتمثيل الاعتقالي، والتعاطي مع ممثلي الفصائل، واللجنة الوطنية العامة التي تناقش أوضاع الأسرى وتبلور القرارات بالتراضي أو

بالأغلبية وفق سياسة متعارف عليها في كل معتقل، ومع لجنة الحوار التي تجتمع بإدارة السجن لمناقشة مطالب الأسرى والأوضاع بشكل عام، ومع كبار رجالات إدارة مصلحة السجون التي تأتي من خارج السجن، أصبحت وسيلة النضال الأولى للتفاهم هي تقديم الطلبات والمراسلات، والحوار المباشر عن طريق ممثل المعتقل كحلقة وصل بين الأسرى الذين يمثلهم، أو عبر مندوبي الفصائل وموجه القسم في القضايا الميدانية الداخلية، وهذه الوسيلة تقطع الحجة لدى إدارة مصلحة السجون قبل الدخول بأي خطوة نضالية.

ب - إرجاع الوجبات:

في حال تجاهل مطالب الأسرى في أي قضية ملحة، أو التسويف والمماطلة في الردود عليها، تبدأ اللجنة الوطنية العامة ببلورة خطوات نضالية تكتيكية بإرجاع بعض وجبات الطعام قد تصل ليوم كامل، وهذه الخطوة بمثابة رسالة احتجاجية وتحذيرية في نفس الوقت بإمكانية تصعيد الأوضاع وترشيحها للانفجار فيما لو لم تتحقق مطالب الأسرى.

ج - مقاطعة رجالات الإدارة:

كثيراً ما يمارس بعض السجانين بحق الأسرى ممارسات عنيفة بقصد الإهانة وقت التفتيشات، أو انتقامية وقت المواجهات والقمعات، أو غير مقبولة مع الأهالي وقت الزيارات، مما يضطر الأسرى بتبليغ إدارة السجون بمقاطعة ذلك السجان، ويطالبونها بعدم دخوله للأقسام، مبلغين بعدم المسئولية عن أي خطر يتهدده، " وغالباً ما كان هذا الأسلوب مجدياً وفاعلاً يؤدي إلى تأديب أولئك السجانين الذين كانوا يتعرضون لضغوط نفسية شديدة أثناء فترة مقاطعتهم، وكثيراً ما جاء بعض هؤلاء إلى المعتقلين راجياً فك المقاطعة الاجتماعية عنهم[173]، تخوفاً من تطور المقاطعة لتصل للإيذاء الجسدي وتهديد الحياة بحقهم.

د - مقاطعة العيادة:

عشرات الشهداء في السجون كانوا ضحية الإهمال الطبي، وتأجيل العمليات الجراحية الضرورية، وعدم القيام بالفحوصات المخبرية، وتجريب الأدوية على السجون، وعدم توفير العلاجات المناسبة والاكتفاء بحبة الأكامول السحرية، ونتيجة لهذا الواقع أضرب الأسرى وخاصة المرضى منهم عن تسلم الأدوية من الممرض، أو النزول للعيادة، أو مراجعة ما يسمى بمشفى سجن مراج – الرملة، " وكثيراً ما أجدى هذا اللون من الإضرابات لسببين[174]، الأول، أن مقاطعة ذوي الأمراض المزمنة للعيادة قد يودي بحياتهم، وهذا مرتبط بالسبب الثاني وهو تخوفات دولة الاحتلال من عواقب المقاطعة وتداعياتها التي قد تودي بحياة الأسرى والتي تحرك الرأي العام والمؤسسات القومية بالدولة لمعرفة ما يحدث من إجراءات تعسفية في السجون الإسرائيلية إعلامياً وقانونياً لو حصل مكروه لأي أسير نتيجة هذه الخطوة.

(173) حلمى عنقاوى: مرجع سابق، ص67.
(174) حلمى عنقاوى: مرجع سابق، ص64.

2. وسائل سلمية استراتيجية:

قام الأسرى بالعديد من الخطوات النضالية السلمية رداً على انتهاكات إدارة مصلحة السجون، وكانت تلك الخطوات متفاوتة التأثير، وتميزت بالقوة والضعف، وللقليل من التفصيل:

أ - الاضرابات المفتوحة عن الطعام

يعتبر هذا الأسلوب من أفضل الأساليب التى يلجأ اليها المعتقلون داخل السجون، وهو سلاح استراتيجي فتاك، وقد أثبت هذا السلاح فاعليته خلال المسيرة الاعتقالية [175]، منذ سنواتها الاولى وحتى يومنا هذا.

فالإضراب المفتوح عن الطعام ليس هدفاً بحد ذاته، بل هو الخيار الأخير، غير المفضل لدى الأسرى، وتلجأ إليه الحركة الأسيرة بعد استنفاذ كافة الخطوات النضالية التكتيكية[176]، وهناك أهداف ومسميات للإضرابات المفتوحة عن الطعام منها: " الإضرابات الاحتجاجية، والتضامنية، والمطلبية، والسياسية، ومنها الجماعية والفردية، ومنها على الماء والملح فقط ، وأخرى مع تناول المدعمات من المحاليل والفيتامينات»، فالإضرابات تشكل أوسع حالة ضغط على الاحتلال نتيجة تحرك الجماهير الفلسطينية والعربية والدولية، وتدخل المؤسسات الحقوقية والدولية، والتخوف من استشهاد الأسرى الذي يوسع من ظاهرة الغضب العارمة التي تحدث بعد كل إضراب مفتوح عن الطعام.

ب - الإضراب عن الزيارات:

إضراب الأسرى عن زيارات الأهل هو شكل من أشكال النضال لإجبار إدارة السجون على توفير متطلباتهم الضرورية، أو لانتزاع حقوقهم الأساسية المسلوبة، واستخدمت الحركة الأسيرة هذه الوسيلة النضالية لأول مرة في معتقل نابلس في العام 1968م، وقام الأسرى بإضراب شامل عن الزيارات في العام 1973م استمر ثمانية شهور[177]، وأهم أهداف خطوات الإضراب عن الزيارات هو الاحتجاج على ما يتعرض له الأسرى من انتهاكات، وهى خطوة تحريضية للضغط على الاحتلال لمنح الأسرى حقوقهم من خلال المظاهرات والاعتصامات التي يقوم بها أهالي الأسرى والمتضامنين، والتي تحرك الرأي العام باتجاه قضاياهم.

ج - الإضراب عن الحلاقة:

لجأ الأسرى والمعتقلون إلى هذا الشكل من الإضرابات عندما كانوا في بداية صنع التجربة الاعتقالية ظناً منهم أن مثل هذا الأسلوب قد يشكل عامل ضغط على سلطات السجون، ولجأت الأخيرة إلى قمع الأسرى بالقوة فكانت تحلق لهم ذقونهم بالزرنيخ الذي كان يترك

(175) حلمى عنقاوى: مرجع سابق، 65.

(176) ولقد لجأوا إليه لأول مرة فى معتقل نابلس عام 1968 م ()، ثم معتقل عسقلان فى العام 1970 م، حيث استشهاد الأسير عبد القادر أبو الفحم الذى يعتبر أول شهداء الحركة الوطنية الأسيرة.

(177) المصدر نفسه: ،ص76.

رائحة كريهة تلازم كل معتقل فضلاً عما يسببه ذلك من آلام وتشويهات جلدية، وأحياناً كانت تلجأ إلى استخدام شفرات الحلاقة، وكانت تتصبب الدماء من وجوه الأسرى نتيجة الجروح، التي كان السجانون يحدثونها في وجوههم بشكل متعمد[178]، وتتعامل إدارة السجون مع الخطوة بالكثير من الحساسية من الناحية الأمنية، كونها تصعب من تشخيص الأسرى على العدد الأمني نتيجة تشابه الحالة والمظهر لدى الأسرى كلما طال الإضراب.

د- الإضراب عن النزهة:

مرات عدة استخدم الأسرى هذه الوسيلة في خطواتهم النضالية، وكان أول الإضرابات على هذه الطريقة في العام 1968م بسجن بيت ليد « كفاريونا « عندها امتنع الأسرى عن الخروج إلى ساحة التجوال طوال شهري تشرين الأول وتشرين الثاني من ذلك العام، احتجاجاً على ظروف الحياة المعيشية في المعتقل[179]، وتخشى إدارة السجون من الخطوة بسبب مراكمة الضغط النفسي لدى الأسرى لطول بقائهم في الغرف، والذي قد يتطور لانفجار فجائي يهدد حياة السجانين.

هـ- الإضراب عن العمل:

كانت قضية إلزام المعتقل على العمل داخل السجن أو في ورش قريبة من السجن أكثر أوجه التعامل القاسي مع المعتقلين، فقد كان العمل في ورش تتبع شركات خاصة في إسرائيل، وصل لإجبار الأسرى على العمل في صناعة شبك للدبابات، وتم إيقاف هذا الأمر لرفض الأسرى العمل به بفضل دم الشهداء، واستخدم الأسرى هذه الوسيلة كونها تثقل كاهل ميزانية إدارة السجون لو قامت بها في الكثير من المرافق الحيوية في المطابخ والمغاسل وقسم البناء وغيرها.

و - تجنيد السجانين:

في مقابل محاولات إدارة السجون في تجنيد العملاء لصالحها، استطاع الأسرى تجنيد بعض السجانين للقيام بمهمات تخدمهم، في عمليات تهريب الهواتف النقالة، والمناشير لعمليات الهروب، وإيصال الرسائل والقيام بالتواصل بين الأسرى ومع الأهالي في الخارج للقيام ببعض المهمات الضرورية للأسرى[180]، والتي تشكل خطورة أمنية على إدارة مصلحة السجون

(178) حلمى عنقاوى: مرجع سابق، ص62.

المصدر نفسه: 65.

(179) حسن عبد الله: مرجع سابق، ص30.

(180) على سبيل المثال لا الحصر دوّن الأسير العربى المحرر الشهيد سمير القنطار فى مذكراته بعنوان « قصتى « كيف استدرج أحد السجانين لتهريب هاتف نقال له، فقال: قمت ببناء ثقة مع السجان من خلال عدة محادثات عن وضعه المال وأدركت حاجته للمال، وبعد الكثير من المحادثات وبناء الثقة، ناديت الشرطى ليأتى إلى زاوية مطمئنة فى الممر، همست له: أريدك أن تمرر لى هاتفاً، فتراجع مصدوماً من الطلب، فتردد فى البداية، وفكر فى المبلغ المغرى ثم وافق.

واتفقت معه أن أعطيه: 2500 دولار عندما يتسلم الهاتف، و 2500 دولار بعد ان يسلمنى اياه، وبعثت لرفيق لى خارج السجن رقم هاتف الشرطى كى يتم التنسيق بينهما على مكان تسليم الهاتف وزمانه، وبالفعل تم ذلك، ووصلنى الهاتف عن طريق الشرطى فى 1/11/2005.

قصة أخرى فى تجنيد إحدى السجانات دونتها الأسيرة الفلسطينية دلال أبو قمر، وهي من أقدم الأسيرات اللواتي اعتقلن عقب نكسة عام 1967م، تصف ما حدث

3. الحرب النفسية: تتبع الوسائل السلمية وفي غالب الأحيان تتطور لتكون عنيفة مثل:

أ. التهديد بحل التنظيم:

حل التنظيم يعني نهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة، إنهاء لمرحلة الحوار والانضباط والاستقرار من قبل الأسرى ضمن معادلة تم الاتفاق عليها ضمناً بين الأسرى وإدارة السجون، للدخول في مرحلة اللاحوار والفوضى والتصرفات الفردية غير المسؤول عنها التنظيم، والتي تعطي الحق لأي أسير أن يجتهد بطريقته ووسيلته للدفاع عن ذاته والأسرى، فحل التنظيم يعني التصعيد مع إدارة السجون، وبداية عصيان منظم، يبدأ بإدخال عمال المرافق (كنتين، محلقة، مكتبة، مغسلة، عمال المردوان)، بالإضافة لدخول المفوض بالحديث مع الإدارة داخل القسم، وتصل الأمور بقطع الحديث مع إدارة السجن[181].

استخدمت الهيئة القيادية العليا لأسرى حركة الجهاد الإسلامي هذه الوسيلة في سجن ريمون في فبراير 2015م، في أعقاب نقل ممثلهم بشكل تعسفي وبلا مبرر، وفي أعقاب حل التنظيم قام أحد الأسرى [182] بتنفيذ عملية طعن لضابط داخل سجن ريمون مما أوجد حالة إرباك وخوف وعدم استقرار لدى السجانين على حياتهم.

ب. تهديد رجال الإدارة:

يلجأ الأسرى في بعض الأحيان لتهديد سجان، بسبب انتهاك غير بسيط بحق الأسرى أو الاعتداء على أحد الأسرى وقت تفتيش معين، وغالباً ما تأخذ إدارة مصلحة السجون بمثل هذه التهديدات ويتراجع السجانون عن تصرفاتهم، لعلمهم بجدية تلك التهديدات التي يعقبها اعتداءات، ويتعامل الأسرى بهذه الطريقة على قاعدة " أن لا راحة للسجان ما دمت تعباً، لأن جل هم السجان هو لحظة العودة إلى البيت ولقاء أبنائه، فلماذا يعود الى أسرته آمناً مطمئناً بينما الأسرى يعانون(183) ".

معها بعد أن أشبعها ضباط التحقيق ضرباً وشبحاً وإجبارا على الوقوف لساعات طويلة بأوضاع صعبة ومنعاً من النوم، ولكنها رفضت الاعتراف بما يطلبون، وقد تم تجريدها من ملابسها تماماً، وجاءوا بأحد الأسرى الفلسطينيين وطلبوا منه اغتصابها لكنه أغمض عينيه، وقال لدلال بصوت يسمعه الجميع « اصمدي يا دلال فأنا والله لا أرى منك شيئاً»، وتضيف دلال أنها تعرضت لشتى صنوف التعذيب، ومنها الإحراق بالنار، وأعقاب السجائر التي لازالت آثارها بادية على جسدها، ومن الحكايات المدهشة و النادرة التي كشفت عنها دلال أنها نجحت في تجنيد إحدى حارسات السجن في العمل لصالح التنظيم، حيث تقول: «رأيت المجندة في المرة الأولى أثناء التحقيق معي حيث كُنت أتعرض للتعذيب والإذلال، وموورست ضدي سياسة التعرية، وكانت المجندة على مقربة مني وعيناها تفيضان بالدموع، وبقيت الفتاة في ذاكرتي، وعلمت بعد انتهاء التحقيق وانتقالي للمعتقل أنها يهودية هندية، فطلبت منها أن ترسل رسالة إلى إحدى الأسيرات في زنزانة أخرى، فقبلت، ثم توالت الرسائل التي تصل من خلالها إلى أن تم تجنيدها رسمياً لصالحنا، ونجحنا فيما بعد في تجنيد عدد آخر من حارسات السجن، إلا أن الأمر لم يستمر بهذه السهولة، وقد علمنا فيما بعد أن المجندة الهندية اكتشف أمرها، وألقي القبض عليها، ثم حوكمت محاكمة عسكرية «.

(181) موقع بصائر: http://www.basaer-online.com/

(182) الأسير حمزة سلامة سليمان أبو صواوين من سكان مدينة دير البلح وسط قطاع غزة.

(183) زياد أبو زياد: مرجع سابق، ص148.

ثانياً- وسائل عنيفة:

وتنقسم قسمين عنيفة تكتيكية وعنيفة استراتيجية:

1. وسائل عنيفة تكتيكية:

أ - التكبير والطرق على الأبواب:

تعتبر وسيلة مكررة وشائعة، ففي كثير من الأحيان يصل الحد من جانب إدارة السجون للتجاهل المقصود للأسرى في حالات مصيرية قد تودي بحياة أحد الأسرى المرضى التي تستدعي حالته النقل إلى العيادة أو المستشفى، حينها يبدأ الأسرى بالتكبير والطرق على الأبواب والإعلان عن حالة استنفار حتى يجبروا الإدارة على الحضور ونقل الأسير المريض لتلقي العلاج، وقد تكون تلك الوسيلة ممنهجة من جانب الأسرى كحالة نضالية ضمن مشروع طويل متفق عليه بين الفصائل[184]، وهذه الخطوة تخلق الذعر في أوساط السجانين، وقد تصل لحد التمرد الذي يكلف السجانين حياتهم.

ب - القضاء على مظاهر الاستفزاز:

تتبع إدارة مصلحة السجون في كثير من الأحيان سياسة استفزازية للأسرى من خلال بعض الرموز كوضع صور لقادة دولة الاحتلال، أو وضع العلم الإسرائيلي في الأقسام، الأمر الذي يقرأه الأسرى بأبعاد نفسية ورسائل ضمنية مبطنة، فلجأوا إلى القضاء على تلك المظاهر بالقوة[185]، وهذه خطوة معنوية تعبر عن رفض الأسرى لدولة الاحتلال ورموزه ومؤسساته، والبقاء على أفكارهم الوطنية رغم كل ممارسات القمع الإسرائيلية بحقهم.

ج- رفض الوقوف على العدد:

الوقوف على العدد، وعدد مراته في اليوم مر بالكثير من المراحل والأشكال منذ بدء الحركة الأسيرة، كان أسوأها بدايات الاعتقال، بالصحو من النوم، وترتيب مقتنيات الأسرى من بطانيات وصحون، وشكل الجلسة، وعدد مرات العدد، وطول مدة الانتظار وانتهاءها، وشكل الرد على العدد، وأفضله كان في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات الذي انحصر بثلاث مرات يومياً، والوقوف على عدد الظهيرة والمساء فقط مع تحريك اليد صباحاً، واستخدم الأسرى هذه الوسيلة مرات عديدة احتجاجاً على الانتهاكات بحقهم، الأمر الذي تنظر إليه إدارة

(184) من الأمثلة على ذلك أحداث سجن عسقلان في 11/9/1985 بالطرق على الأبواب، مستخدمين في ذلك كل ما وقع في ايديهم من قطع الصابون والصحون وقطع القماش الملتهبة، وبكل ممتلكات الأسرى وما تواجد في الغرف أدوات للطهي، وقد كان صدى الصوت الصادر عن طرق الأبواب يشبه مرابض المدفعية عند اهتزازها من جراء قذف القنابل والحمم، وقامت بعض الغرف في أعقابها باشعال النيران في الفرشات والملابس مما أدى إلى تصاعد الدخان من الغرف بشكل كثيف أدى إلى حالات اختناق وإلى حالة عجز من فعل شيء من جانب ادارة مصلحة السجون حتى استدعت قوات من الخارج للسيطرة على السجن، الأمر الذي تكرر عشرات المرات في كل السجون والمعتقلات الاسرائيلية.

(185) على سبيل المثال قالت المحررة فيروز عرفة: في الخامس عشر من آيار / مايو 1971 قامت مجندة صهيونية تدعى» بعل « وكنا نناديها « نعل» برفع علم اسرائيل أمام غرفتنا بهدف استفزازنا، فقررنا أن نمزقه أثناء خروجنا للفورة، وألقيناه في القمامة، مما استدعى الادارة للتحقيق معنا، وتفتيش الغرف، ومصادرة ما فيها، وتم ضربنا ورشنا بالغاز المسيل للدموع ()، الأمر الذي تكرر في سجن نفحة في 26/5/2015، على يد الأسير أيمن الشرباتي الذي أنزل العلم الاسرائيلي المتواجد في القسم، وقام بحرقه مما أدى إلى حالة استنفار في القسم، وتم عزل الأسير لفترة طويلة.

مصلحة السجون كأحد أنواع حالات التمرد على القوانين، وغالباً ما تتوتر الأوضاع في أعقاب هذه الخطوة وتصل للمواجهة بين الطرفين.

د- رفض العودة للغرف:

عدم الرجوع للغرف أثناء الخروج للفورات « ساحة النزهة «، استخدمها الأسرى كوسيلة نضال محدودة، ولفترة بسيطة، قد تكون لعشر دقائق أو ما يزيد قليلاً، تجنباً للصدام والمواجهة مع إدارة مصلحة السجون، كرسالة تحذير، وقد يصل الأمر للتوتر والاستنفار بين الطرفين إلى حد المواجهة بعد هذه الخطوة فى بعض الأحيان.

هـ - رفض التفتيشات العارية والاقتحامات الليلية:

تعمدت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية باتباع سياسة الإذلال والإهانة للأسرى تحت ذرائع أمنية، ومن تلك السياسات التي سببت الكثير من المواجهات والصدامات العنيفة من جانب الأسرى وحالات الاحتجاج الجماعية هو التفتيش العاري عند دخول أي سجن أو الخروج منه، أو اقتحامات غرف الأسرى ليلاً من فرق خاصة، وإخراج الأسرى في البرد الشديد بعد تقيدهم لساعات طويلة، وخلط ممتلكاتهم وملابسهم، والاطلاع على خصوصياتهم كألبوم الصور العائلي ورسائلهم الخاصة، وقلب كل الغرفة وتخريب كل ما فيها بحجة الأمن، ولقد رفض الأسرى هذا النوع من التفتيشات والاقتحامات، وتعرضوا نتيجة هذا الموقف للضرب الشديد والعزل الانفرادي والغرامات المالية والعقابات المختلفة، لرفضهم هذه الأسلوب غير الإنساني الممكن استعاضته بوسائل تكنلوجية بديلة، ويخشى السجانون غضب الأسرى بعد كل حالة تفتيش تمارس بالقوة تجنباً لصدام يؤذيهم.

و - الاحتكاكات والمشادات اللفظية:

في بدايات الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة تعمد السجانون بإطلاق الكثير من الألفاظ والشتائم والإهانة لعدم بلورة أشكال تنظيمية، أو خطوات نضالية، أو وحدة موقف اعتقالي، وبعد بلورة تلك الشروط وقوة الحركة الأسيرة، لم يجرؤ السجان على المس بالأسرى ولو لفظياً، واستطاع الأسرى وضع حد لتلك الإهانات، ولو وصل الأمر للعزل أو المواجهة.

ز- استخدام الحرائق، ولقد استهدف الأسرى أكثر من مكان للتعبير عن غضبهم كوسيلة احتجاج منها:

- **حرق المنجرة في سجن بئر السبع:**

في أعقاب إجبار إدارة مصلحة السجون الأسرى على فك إضرابهم الأول بالقوة والهروات والدروع في سجن بئر السبع في العام 1970م، اتفق الأسرى على خطوة انتقامية كرد فعل على ذلك، وفي 20/7/1970م قام الأسرى بحرق أكبر مرفق إنتاجي في المعتقل، والتهمت النيران

خمسة عشر ألفاً من الصناديق الخشبية التي كانت معدة للتصدير، وعجزت حينها إدارة السجن والإطفائية التي تم استدعاؤها من الخارج لإخماد الحريق، تلك المبادرة التي أثبتت عدم القدرة على النيل من الأسرى دون ردود [186].

1. حرق الغرف:

لجأ الأسرى مرات عديدة لتلك الوسيلة، بشكل جماعي في السجون، أو بشكل فردي في أقسام العزل، وعلى سبيل المثال لا الحصر في 27/7/2015م أعلن الأسرى حالة التمرد والعصيان في وجه إدارة مصلحة السجون ووحداتها القمعية في سجن نفحة، وقاموا بحرق عدد من الغرف، كنوع من الاحتجاج على تصرفات الإدارة تجاههم، وذلك في أعقاب اقتحام قوات القمع الإسرائيلية للأقسام، مما أدى إلى حالات اختناق وإصابة اثنين من الأسرى وستة سجانين بحروق [187]، وهذه الوسيلة كما هي مؤذية للأسرى أيضاً مؤذية للسجانين الذين يصابون بالاختناق.

2. وسائل عنيفة استراتيجية:

حاولت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية ممارسة سياسة الإذلال والإهانة بحق الأسرى الفلسطينيين منذ بدء الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، التي كان يشبع فيها السجان رغبة كراهيته وعنصريته بالاعتداء على الأسير متى شاء وكيفما شاء، ولم يكن يدرك بأن تلك المعادلة لن تستمر طويلاً، حتى بدأت حالة التململ في العام 1968م، وبلغت الأمور ذروتها بتاريخ 18/2/1969 م، عندما قام أحد السجانين بشتم أحد الأسرى في محاولة لإذلاله وإهانته، فرد عليه الأسير الصاع صاعين، وهنا أقدم السجان على ضرب الأسير، فما كان من الأسير إلا أن ضرب الشرطي، فأعلنت حالة الاستنفار داخل المعتقل (188).

هذه الوسيلة النضالية اتبعها الأسرى بشكل فردي، أو بتغطية وبقرار تنظيمي جماعي يهدف لخلق معادلة رعب مع إدارة السجن، التي لن تسلم من الرد حال أي اعتداء على أي أسير.

شهد الباحث حادثتين مماثلتين في عزل الرملة نيتسان خلال عزله تحت الأرض لعامين متتاليين من " 1990 – 1992 " في ظروف لربما الأسوأ على مدار الحركة الأسيرة بشروط حياة غير مسبوقة، مما أدى ذلك الوضع لحالة انفجار، فقام الأسير أحمد شكرى المحكوم بمدى الحياة بتشفير شرطي وحاول طعن ضابط القسم، "فقامت الادارة باقتحام الغرف، واعتدت على الأسرى، وحدثت مواجهة بين الجانبين وقع فيها جرحى من الشرطة الاسرائيلية، ومن ضمنها جرح ضابط الأمن وأخذ خمس غرز في رأسه ()، وتم عزل الأسير شكرى بعد الاعتداء عليه بظروف قاسية جداً.

(186) حلمى عنقاوى: مرجع سابق، ص204.

(187) وكالة سما الاخبارية: http://samanews.com/ar/index.php?act=post&id=243324

(188) حلمى عنقاوى: مرجع سابق، ص62.

ويروى الباحث تجربة أخرى عايشها فى سجن نفحة فى أعقاب انتفاضة 2000، بعد تفتيش غير مقبول لزوجة أسير فى يوم الزيارات، يومها عمت حالة الغضب الجماعية، ونزل تعميم داخلى بضرورة الرد، وحضر مدير السجن للأسرى واعتذر عما حدث وتعهد بعدم تكراره، الا أن الأسير هانى جابر من سكان الخليل لم يقف على العدد، ليتم انزاله للمحاكمة فى غرفة المدير أو نائبه بوجود عدد من طاقم الادارة، واستطاع أن يخبئ سكين قام باعدادها بنفسه من قطعة معدنية، وقام بطعن المدير وضابط وشرطى ردأ على الحادثة، ومثل هذه الحوادث تكررت عشرات المرات، ودفع الأسرى ثمنها الدماء وسنوات من العزل الطويلة والغرامات والمنع من الزيارات والتضحيات الجسام، إلا أنها حافظت على الأسرى وكرامتهم، وعززت أمام السجان عدالة قضيتهم، وأوجدت حالة من الارباك والقلق لدى إدارة مصلحة السجون، وقوت عزائم وإرادة الأسرى، وتضاعفت ثقتهم بامكانياتهم وقدراتهم وأسلحتهم النضالية التى أوصلتهم لمعادلة توازن الرعب مع جلاديهم رغم قلة الامكان.

في نهاية المبحث يرى الباحث أن الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين يحق لهم التمتع بوضع أسرى الحرب، أو المعتقلين المدنيين المشمولين بحماية اتفاقية جنيف الرابعة والمواثيق الدولية ذات الصلة بكل من الوضعين[189]، وفي كلا الحالتين هناك حقوق إنسانية وأساسية يجب توفيرها وتطبيقها لحفظ كرامتهم كأسرى، وتمنحهم حق الاحتجاج والخصوصية في اختيار الوسيلة النضالية السلمية لتحسين ظروف احتجازهم المأساوية لو أخلت الدولة الآسرة بالاتفاقيات الدولية.

وأبدع الأسرى الفلسطينيون في استخدام وسائل احتجاج سلمية وعنيفة منوعة لتحصيل حقوقهم، فالوسائل العنيفة أوجدت معادلة رعب في المعتقلات بين الأسرى وإدارة مصلحة السجون وطواقمها، وردعت السجان من خلال استهداف حياته في حال الاستمرار في إذلال الأسرى والاعتداء عليهم، في حين أن الوسائل السلمية حركت الجماهير الفلسطينية والعربية والمؤسسات الحقوقية والدولية للضغط على الاحتلال لتطبيق مواد وبنود الاتفاقيات الدولية التي أكدت على حقوق الأسرى.

ويعتقد الباحث أن المظاهر الإبداعية للأسرى والمعتقلين في مواجهة السجان هو تسلحهم بعدالة قضيتهم، واحتكامهم للقانون الدولي والإنساني في عملية الرفض، والاحتراف في المواجهة من خلال مناقشة جماعية مستفيضة عبر مؤسسات اعتقالية للظروف العامة والسياسية المحيطة، واستخدام كل الوسائل والتفكير بجميع البدائل، والانتقال من مرحلة تكتيكية إلى أخرى استراتيجية، ومن وسيلة سلمية بسيطة إلى وسيلة عنيفة معقدة، وانتقاء الفرصة المواتية لبدء المعركة، وشكلها، وأدواتها المتفرعة والموزعة في الجانب الحقوقي والإعلامي والجماهيري، وتهيأة المتضامنين الفلسطينيين والعرب والأحرار من العالم لمساندتهم ودعمهم في خطواتهم التي يعلنون عنها ويجهزون لها عبر الاتصالات المسبقة مع الشخصيات والقيادات والفصائل والمؤسسات الداخلية والخارجية، المحلية منها والدولية.

(189) نداء البرغوثى، أسرى الحرب فى القانون الدولى، القاهرة، دار النهضة العربية، 2015، ص72.

المبحث الرابع
عوائق سلطات الاحتلال لطمس الجوانب الإبداعية للحركة الأسيرة

تتعامل دولة الاحتلال الإسرائيلي مع الأسرى الفلسطينيين كإرهابيين، لا مناضلين طلاب حرية، وأسرى حرب أو معتقلين مدنيين محتجزين على إثر قضية سياسية، واستعلت على الاتفاقيات والمواثيق الدولية في حقوقهم الإنسانية والأساسية، في هذا المبحث سيتطرق الباحث إلى أبرز السياسات والعوائق التي انتهجتها سلطات الاحتلال المتمثلة بإدارة مصلحة السجون الإسرائيلية للنيل من الأسرى، والحد من تطوير قدراتهم وإمكانياتهم على شتى الصعد والمستويات والجوانب، بهدف طمس الجوانب الإبداعية لديهم، ومنها عوائق على المستوى القانوني، وعوائق معيشية واعتقالية، وعلى صعيد السلامة النفسية البيئية، وعوائق فنية وذهنية ورياضية ومالية وتنظيمية.

أولاً- عوائق على المستوى القانوني:

لم تتعامل دولة الاحتلال الإسرائيلي مع الأسرى على خلفية سياسية تنطبق عليهم الاتفاقيات والمواثيق الدولية كأسرى حرب، أو مدنيين تم احتجازهم من مناطق محتلة، بل عاملتهم وفق قوانين وأنظمة إسرائيلية فقط [190]، ولم يستمر وضع الأسرى من الناحية الإسرائيلية عند هذا الحد، بل بدأت المنظومة الإسرائيلية بكاملها « حكومات متعاقبة ووزراء وأعضاء كنيست ومحاكم وصحفيين ودبلوماسيين بالتحريض عليهم داخلياً وخارجياً، واتبعوا معهم سياسة عدائية متطرفة، برز هذا الأمر بصورة جلية في الأعوام الأخيرة لحكومات نتنياهو المتطرفة والمتعاقبة، عبر تصريحات وتحريضات عدد كبير من الوزراء وأعضاء الكنيست [191]، وسن القوانين من قبل القضاة والمحاكم الإسرائيلية التي شرعنت الكثير من الإجراءات كالتعذيب في التحقيق، والأحكام والقوانين الردعية بحق الأسرى، وعقوبات غير منطقية مخالفة للقانون الدولي الإنساني والاتفاقيات الدولية، وصوت الكنيست الإسرائيلي في جلساته لصالح قانون التغذية القسرية بالقراءة الثانية والثالثة، ولصالح قانون شاليط الذي حرم الأسرى من معظم حقوقهم الإنسانية، فمنعت أجهزة الأمن بمقتضاه الزيارات وخاصة أسرى قطاع غزة في أعقاب أسر الجندي جلعاد شاليط بعملية فدائية تتوجت بعملية تبادل للأسرى في العام 2011م رعاية مصرية، بين إسرائيل وحركة حماس في 18 أكتوبر 2011م، وفي مقابله أطلقت إسرائيل

(190) مركز الميزان لحقوق الانسان: صرخات من وراء القضبان، أم الفحم، فلسطين، الرسالة للنشر والاعلام، 2009، ص5.

(191) ومن المحرضين على الأسرى (أفير جنلدمان الناطق باسم الحكومة الاسرائيلية والذى نعت الأسرى بالارهابيين وغير الأبطال كما يدعى الشعب الفلسطيني، وتبنى مكتب رئيس الوزراء الاسرائيلى سياسة تحريضية ممنهجة عليهم فى معظم لقاءاته ومؤتمراته الصحفية، وطالب سلفان شالوم الذى شغل نائب رئيس الوزراء ووزيراً للداخلية باعدام الأسرى، ودعا نفتالي بينت «عن البيت اليهودي» الذى شغل وزيراً للتربية والتعليم ويهود الشتات إلى قتل الأسرى محاكياً دعوة أفيقدور ليبرمان الذى شغل وزير الخارجية الاسرائيلية، ووصفت ميري رغيف التى شغلت وزيرة الثقافة والرياضة الأسرى بالحيوانات البشرية، واقترح داني دانون وزير العلوم والقضاء الخارجي وعمل مندوب اسرائيل فى الأمم المتحدة قانون شاليط الذي ينصعلى مضاعفة معاناة الأسرى والتضييق عليهم، وحرمانهم من الحقوق الأساسية) .

سراح (1027) محتجزاً فلسطينياً في سجونها منهم 994 أسيراً و 33 أسيرة ولقد تمت الصفقة على مرحلتين، الأولى إطلاق سراح 450 أسير و 27 أسيرة، أما المرحلة الثانية فانفردت إسرائيل باختيار الأسماء، حيث أفرجت إسرائيل عن 544 أسيراً و 6 أسيرات بعد شهرين[192].

ونص هذا القانون على المزيد من التضييق بحق الأسرى، وبمقتضاه منعت إدارة السجون الثانوية العامة، وحذفت القنوات الفضائية العربية الإخبارية ، وقامت بالمزيد من التضييق في جوانب عديدة كالطعام، والعلاج، والتفتيشات والاقتحامات الليلية، والعزل الانفرادي، والعقوبات والغرامات والتشديد على الأسرى في كل مناحي حياتهم، وتلاه قانون منع الأسرى من التعليم الجامعي حتى من الجامعة المفتوحة في إسرائيل في أعقاب مقترح قانون قدمه عضو الكنيست " شارون غال"، والتي سمحت بالانتساب لها في أعقاب إضراب 1992م، و قانون منع الأسرى من استخدام الهواتف الذي قدمه وزير الأمن الداخلي جلعاد أردان وعشرات المقترحات والقوانين.

ثانياً- عوائق معيشية واعتقالية:

شهدت السجون منذ نشأتها الكثير من مظاهر التضييق التى لا تعد ولا تحصى بحق الأسرى في كل تفاصيل حياتهم على مدار الساعة، وبشكل ممنهج ومدروس سعت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية بمحاولات إعادة أوضاع الأسرى للمربعات الأولى من تجربة الاعتقال في بداية الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، محاولة بذلك تجاوز كل تاريخهم النضالي الاعتقالي، فقامت بحملات التنقل الواسعة في أوساطهم بهدف إعاقة استقرارهم، وإرباك الأهالي في موضوع الزيارات، وحاولت زرع الفتن والاضطرابات بينهم، وانتشرت الفئران والجرذان والحشرات السامة في عدد من السجون وخاصة الموجودة في معتقلات محاطة بالشبك في صحراء النقب وغيرها، وتواجدت في مناطق الانتظار والغرف ومخازن الأسرى، حتي في بعض خيامهم أو غرفهم دون اهتمام من جانب إدارة السجون لوضع حد لهذه الظاهرة، وقامت بعزل الأسرى في غياهب السجون بظروف صعبة لا تطاق مسلوبين أدنى معايير حقوقهم الإنسانية والمعيشية، وتعرض الأسرى للاعتداءات والضرب والإذلال، ومنهم من تم عزله اجتماعياً عن سائر زملائهم في الأقسام وعن العالم الخارجي، وعانوا من سوء أوضاع سيارات النقل « البوسطة « وسوء ظروف أماكن الانتظار، ومن انتشار أجهزة التفتيش والتشويش ووجود الكاميرات في كل زوايا الأقسام، والاكتظاظ في الغرف، وانعدام التهوية، وعدم جمع شمل الأخوة والأقارب، ومن العقوبات الجماعية والفردية، وسوء الطعام كماً ونوعاً، والتفتيشات العارية، والغرامات، والبرودة والرطوبة في الشتاء ومن حرارة الصيف، والحرمان من زيارة المحامين وإدخال الرسائل والمس بالشعائر الدينية وعدم توفير أماكن للعبادة، وعدم التعاطي مع مطالب الأسرى في مراسيم رمضان والأعياد والمناسبات الدينية، ومنعت التعليم الجامعي وتقديم الثانوية العامة، وإدخال الكتب منافية في ذلك المادة 94 من من اتفاقية جنيف الرابعة التي أكدت على تشجيع الأنشطة الذهنية والتعليمية والترفيهية والرياضية للمعتقلين[193].

(192) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص367.

(193) اللجنة الدولية للصليب الأحمر الدولي: اتفاقيات جنيف، القاهرة، المركز الاقليمى الاعلامى، 2010، ص222.

واتبعت سياسة الاستهتار الطبي وخاصة لذوي الأمراض المزمنة، ولمن يحتاجون لعمليات، وضيقت على أهالي الأسرى بالتفتيشات والتأخير على الحواجز والمنع من إدخال احتياجات الأسرى من الملابس والأحذية والأغطية، وقلصت الأوقات المسموح فيها للأسير بالمشي في الهواء وتحت الشمس، « وصادرت حسابات الأسرى الخاصة (الكنتينة) واستولت عليها بدون علم أو موافقة الأسير بحجة الغرامات التي تفرضها عليهم بلا مبرر «[194]، وقامت بالاعتداء عليهم جسدياً أثناء القمعات والرش بالغاز المسيل للدموع والرصاص الحي والمطاطي والضرب بالهروات، وقامت باقتحام السجون والأقسام والغرف عبر الوحدات الخاصة لإجراء التفتيشات والاقتحامات الليلية المفاجئة والسيطرة على السجون، وقامت تلك الوحدات بدخول الأقسام مقنعة ومسلحة ومارست الإرهاب والصراخ والضرب وتقييد الأسرى، وقامت بإدخال الكلاب المدربة وعبثت بممتلكات الأسرى وصادرتها، " و قتلت فرقة متسادا بالرصاص الحي بين الأعوام (1988- 2015م) سبعة أسرى [195] وأصابت المئات[196]، هذا بالإضافة لشهداء التغذية القسرية المحرمة دولياً في الإضرابات المفتوحة عن الطعام والتي تسببت باستشهاد عدد من الأسرى[197].

ووفق الإحصائيات الرسمية لوحدة الدراسات والتوثيق في هيئة شؤون الأسرى والمحررين رصدت قائمة شهداء الحركة الأسيرة حتى نهاية العام 2015م إلى (207) أسيرًا ومعتقلاً منذ العام 1967م منهم (71) بسبب التعذيب، و(55) نتيجة الإهمال الطبي وسوء الرعاية الصحية، و(7) آخرين سقطوا جراء إصابتهم برصاصات قاتلة، إضافة إلى (74) أسيرًا استشهدوا جراء قتلهم عمداً وتصفيتهم جسدياً بعد اعتقالهم [198]، كل تلك الانتهاكات مخالفة للقانون الدولي الإنساني التي تستوجب المسؤولية الجنائية للذين اقترفوها سواء بالفعل أو بالتقاعس عن الفعل اللازم وفق الاتفاقيات الدولية [199].

ثالثاً- عوائق على صعيد السلامة النفسية والبيئية:

يروي الباحث خلال مسيرته الاعتقالية أن إدارة السجون استهدفت نفسية الأسير الفلسطيني منذ لحظة اعتقاله، بممارسة التعذيب النفسي، وتحت الضغط و بالتهديد والوعيد، وحاكمته بشكل جنوني لعشرات المؤبدات « الحكم مدى الحياة لمرات عديدة « فجعلته دائم التفكير بمصير الإفراج عنه، ويبين الباحث قضية لها آثارها الكبيرة على حياة الأسرى من الناحية النفسية والجسدية كالخطر البيئي والبيولوجي للغبار الذري المنبعث من مفاعل ديمونا والذي يطال ما يقارب من نصف الأسرى في معتقل النقب، وسجن نفحة، وريمون، وايشل، " وأجمع الخبراء والعلماء الإسرائيليون والغربيون في مجال الذرة إلى مرحلة الخطر الاستراتيجي لمفاعل ديمونا بسبب انتهاء عمره الافتراضي، والمهدد بكارثة إنسانية وفق التقارير العلمية وصور الأقمار

(194) أحمد حماد، زهير عابد: دور العلاقات العامة في التوعية بقضية الأسرى في سجون الاحتلال، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص9.

(195) الشهداء الذين قتلوا بالرصاصالحى داخل السجون والمعتقلات هم: (أسعد الشوا، وبسام السمودى ونضال ديب، وعبد الله أبو محروقة، وصبرى عبد ربه، وموسى عبد الرحمن، ومحمد الأشقر)، أما عن شهداء التغذية القسرية في الاضرابات المفتوحة عن الطعام فهم (الأسير الشهيد عبد القادر أبو الفحم في العام 1970، والأسرى الثلاثة « راسم حلاوة وعلى الجعفرى واسحق مراغة في اضراب 1980 «، ومحمود فريتخ في العام 1984، وحسين عبيدات في العام 1992.

(196) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص228.

(197) المصدر نفسه، ص228.

(198) موقع مركز الأسرى للدراسات: http://alasra.ps/ar//index.php?act=post&id=27043

(199) اللجنة الدولية للصليب الأحمر الدولى :مختارات من المجلة الدولية، برنت رايت للدعاية والاعلان، القاهرة، 2007، ص25.

الصناعية المنشورة، والتي استندت في معلوماتها إلى صور التقطتها الأقمار الصناعية التجارية الفرنسية والروسية للمفاعل الذي يعاني من أضرار جسيمة بسبب الإشعاع النيتروني والذي يشكل عامل طرد للسكان اليهود في ذلك المحيط» الموجود به، وإصابة عدد من الأسرى بالسرطانات[200].

رابعاً- عوائق في الجانب التنظيمي:

حاربت السلطات الإسرائيلية العمل التنظيمي الجماعي في المعتقلات منذ بدء الحركة الأسيرة، فلم تسمح للأسرى في السجون حتى بالحديث الجماعي في بداية الاعتقال، والعلاقة كانت تقوم على أساس بلدي أو عشائري أو بين مجموعات الخلايا، ومع بروز الأشكال التنظيمية في العام 1969م بدأت ملامح العمل التنظيمي معتمدة على الشخصية القيادية بناءً على الثقة والكفاءة والقدرة والتجربة ولم يخضع هذا الاختيار لأسس ولوائح واضحة، وقامت إدارة السجون باستهداف تلك الشخصيات والاعتداء عليها وعزلها ونقلها من سجن إلى سجن، وضرب أي روح جماعية عبر زرع الفتن والمحاور والشلل والنزعات الفردية والانفلاشية والتدخلات والعمل على خلق الانقسامات و التناقضات والخلافات بين المعتقلين عبر العملاء والمندسين، وحاولت سحق أي تشكيل تنظيمي بالإجراءات القمعية القاسية، وحتى بعد إرساء القواعد والمؤسسات التنظيمية في السجون استغلت إدارة السجون حالة الانقسام الفلسطيني وصنفت الأسرى في أماكن الاعتقال وفي الأقسام وفق الانتماءات السياسية، وحاولت الالتفاف على وحدتهم الاعتقالية من خلال التمييز في المعاملة ما بين مؤيد سياسي ومعارض، وعملت على تغليب الانتماء الجغرافي في العلاقات من خلال وضع الأسرى وفق أماكن سكناهم لاستعلاء الجانب القبلي وتعزيزه على حساب الانتماء التنظيمي.

خامساً – عوائق فنية وذهنية ورياضية:

نصت اتفاقية جنيف الرابعة في المادة 94 على تشجيع الأنشطة الذهنية والتعليمية والترفيهية والرياضية للمعتقلين، إلا أن إدارة مصلحة السجون قامت بمحاربة ومحاصرة تلك الأنشطة ووضعت العوائق والعراقيل لمنع الأسرى من مزاولتها، فلم توفر قاعات أو صالات رياضية، مما اضطر الأسرى للممارسة الرياضة داخل الغرف أو ساحة النزهة التي تعيق حركة الأسرى الآخرين المتواجدين في المكان، ومنعت بعض الألعاب وعاقبت من يحاول ممارستها بالغرامات والعزل كألعاب القوى والكراتيه، وصادرت زجاجات المياه التي يستخدمها الأسرى لرياضة رفع الأثقال، ولم تسمح بالجلسات والدروس التعليمية وفرضت العقوبات بسببها، وأعاقت اقتناء الأدوات الترفيهية والرياضية والأدوات والمواد اللازمة للأشغال اليدوية التي يصنعها الأسرى كالتحف والصخرات والرسومات والنحوت وغيرها.

(200) الوكالة الوطنية للاعلام: http://www.watania.net/news/3514

سادساً- عوائق وعقوبات مالية:

سرقت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية أموال الأسرى بأكثر من وسيلة « بالغرامات المالية التي تفرضها المحاكم العسكرية التي تصل إلى 80.000 شيقل أي ما يعادل 20 ألف دولار، بالإضافة إلى الأحكام التنفيذية الأخرى بالسجن الفعلي على الأسير، بالإضافة للغرامات المالية التي تفرضها إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية على أي حجة أو ذريعة تعتبرها مخالفة للقوانين داخل السجون والتي تتراوح ما بين (200 – 5000 شيقل) أي ما بين 50 دولار إلى 1400 دولار أمريكي[201].

ونظراً للنقص الحاد في كمية ونوعية الطعام المقدم للأسرى وكذلك في مواد التنظيف وغيرها، اضطر الأسرى إلى شراء احتياجاتهم من الطعام من مقصف السجن « الكنتين « من أموالهم الخاصة، إذ تبلغ نفقات الأسرى داخل السجون الإسرائيلية ما يعادل 90 % من حسابهم الخاص [202].

وأحد المظاهر للتنغيص على حياة الأسرى في السجون هو الجانب المالي وقامت إدارة مصلحة السجون بعدة إجراءات على هذا الصعيد مثل:

- إغلاق حسابات الكنتين (مقصف السجن) الخاصة ببعض الأسرى لفترة طويلة، تصل إلى سنة كاملة، وخاصة للأسرى المعزولين، الأمر الذي جعلهم يتخذون إجراءات لترشيد الإنفاق إلى أبعد الحدود.

- تقليص المبلغ المسموح به للأسير في السجون إلى 1300 شيقل أي ما يعادل 350 دولار شهرياً، ومن ثم تقليصه في أعقاب قانون شاليط وسياسة التضييق على الأسرى إلى (400 شيقل) أي ما يعادل 100 دولار فقط في ظل منع كل احتياجات الأسرى من دخولها عبر الأهالي في الزيارات، واقتناءها من كنتين السجن بمبالغ تفوق ضعفي ثمنها في الخارج كحالة استغلال للأسرى في السجون.

- منعت إدارة السجون إدخال الكنتين من الأقسام الأخرى إلى أسرى العزل.

- ارتفاع أسعار المواد في الكنتين المرهقة لميزانية الأسرى، الأمر الذي جعل الأسرى يتخذون إجراءات إحتجاجية مثل إرجاع وجبات الطعام ومقاطعة الكنتين لمعالجة الموضوع.

- منعت إدارة السجون إدخال أي نوع من الأطعمة والخضراوات وزيت الزيتون وغيرها، عن طريق زيارة الأهل الأمر الذي يضطر الأسير إلى شراء كل احتياجاته من الكنتين بأسعارها المرتفعة[203]، ولمواجهة العقبات المالية[204]، أنشأ الأسرى الصندوق الاعتقالي

(201) شبكة أمين الاعلامية: http://blog.amin.org/yafa1948/2015/04/19

(202) جمعية الأسرى والمحررين: التقرير السنوى 2004، دائرة الاعلام والتوثيق، فلسطين، 2005، ص11.

(203) موقع أحرار لدراسات الأسرى وحقوق الانسان: http://ahrar.ps/?p=1013

(204) بين الأسير زهير سكافي المسؤول عن إدارة الكنتينة في سجن إيشل نسبة الأرباح لشركة المبيعات في السجون والتى وصلت في أعلى معدلاتها إلى (500%) ولا تقل عن (200%) وأضاف: بأنّ أرباح مصلحة السجون تبلغ (7%) من إجمالي الأرباح، وتساوى سنوياً (3.600.000 شيقل) أى ما يعادل المليون دولار أمريكى سنوياً من حسابات الأسرى على أقل تقدير، ومع أن اتفاقيات جنيف لعام 1949 القسم الثاني / الفصل الثاني / المادة 28 نصت على (استخدام الأرباح التي تحققها مقاصف المعسكرات لصالح الأسرى وينشأ صندوق خاصلهذا الغرض ويكون لممثل الأسرى الحقّ في الاشتراك في إدارة هذا الصندوق، الأمر الذى لا تلتزم به إدارة السجون الاسرائيلية، كما أن الأسير جمال الهور نفى وجود هذا الصندوق قائلاً: " نسمع عن صندوق يسمى (صندوق رفاهية الأسير) ولكن لا علاقة لنا بإدارته،

العام، واللجنة المالية العامة للمعتقل، واللجنة المالية الخاصة بكل فصيل، التي رشدت الصرف الاعتقالي، وحددت الأصناف الضرورية، ووفرت للأسرى احتياجاتهم الممنوع دخولها من الأهالي عبر الزيارات، ووفرت احتياجات المطبخ العامة، ووزعت المشتريات بالتساوي قدر الإمكان على المعتقلين، ومع تكاتف الجهود وصلت بعض المعتقلات في سنوات إلى وضع اتفقت فيه كافة الفصائل أو بعضها على الأقل على إقامة صندوق اعتقالي عام يدار من قبل لجنة مشتركة تشرف على عملية شراء الحاجيات وتوزيعها، ولجنة الصندوق يتم تعيينها من قبل لجنة التنسيق العامة ([205]).

سابعاً- عزل الأسرى عن محيطهم الخارجي:

حاولت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية عزل الأسرى عن محيطهم الخارجي، باتباع سياسة العزل الانفرادي، وعدم تواصله مع محيطه عبر منع الزيارات وصلت في بعض المرات لما يزيد عن الخمس سنوات، وعملت على عرقلة زيارات المحامين وعدم انتظامها، ومنع المذياع والتلفاز والصحف العربية في بدايات الاعتقال، وإسماع المعتقلين ساعتين يومياً على مكبرات الصوت لإذاعة صوت إسرائيل باللغة العربية صباحاً للأخبار وفق رؤيتها ومساءً لسماع مقطوعة لأم كلثوم، والسماح بإدخال جريدة الأنباء الناطقة باسم الاحتلال الإسرائيلي، وبعد إضرابات مفتوحة عن الطعام تم السماح بالمذياع والتلفاز، ولكنها عملت على عزل الأسرى عن محيطهم العربي ولم تسمح إلا ببعض الفضائيات القليلة.

ووضعت الصعوبات والتعقيدات في إرسال وتلقي رسائل البريد، فمنعت بعض الأسرى من حق التواصل مع ذويهم عبر البريد، وغالباً ما يتم تأخير الرسائل على الجميع لدى إدارة السجن لأسابيع أو شهور « الصادر أو الوارد »، وضياع الرسائل وعدم إلحاقها بالسجين عند نقله لسجن آخر، ومنع الرسائل بين السجون، حتى الرسائل بين الأقارب إلا بعد تعقيدات مشددة، و منعت الأسرى من استلام أي طرود بريدية « كتب أو علاج أو صحف أو غذاء... الخ » ([206]).

وهنالك الكثير من الانتهاكات والعوائق التي وضعتها دولة الاحتلال لإعاقة الإبداع داخل السجون وأهمها:

1. منع التواصل مع العالم الخارجي « خارج السجن، مما يؤخر من معرفة الأسرى بكثير من المستجدات والمعطيات والحقائق بشكل عام.
2. عزل بعض الأسرى المؤثرين وأصحاب التجارب والإبداعات.
3. الحرب النفسية بحق الأسير تجعل نفسيته في حالة عدم توازن واستقرار بشكل كبير نسبياً.

ولا نملك أي معرفة حجم الواردات أو المخرجات منه وإليه، ونعتقد أنّ الجزء الأكبر من الصرف يذهب لصالح الأسرى الجنائيين على الحفلات الموسيقية والقضايا الترفيهية والفطام عن المخدرات، أما نحن أسرى المقاومة فحقنا مهضوم وضائع.

(205) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص237.

(206) مركز الميزان لحقوق الانسان: مرجع سابق، ص14.

4. الأعمال اليدوية مثلاً ؛ كانت جزء مهم من إبداعات الأسرى الفنية وتمنع منذ سنوات إدارة السجون الأسرى من إدخال المواد التي يستخدمها الأسرى في إبداعتهم اليدوية.

5. حالات قليلة تستخدم إدارة السجون بعض جواسيسها لتعكير صفو الجو العام لدى الأسرى مما يربك الواقع الثقافي؛ وقد تم اكتشاف حالات كانت مهمتها تخريب الواقع الثقافي من خلال إشغال الأسرى بمشكلات معينة يقوم هؤلاء المندسين بإحداثها بشكل مباشر أو غير مباشر[207].

ويرى الباحث أن الأسرى تميزو بمقومات وسمات الإبداع في حياتهم والتي كان أهمها:

1. الصورة الكاملة : بينما يقف معظم الناس بتفكيرهم، عند الحوادث الصغار التى لا أهمية لها يركز المبدعين تفكيرهم على الصورة الكاملة ، كما الفارق بين الجندى والقائد فى المعركة. بينما يركز معظم الناس على ما بأيديهم، فان المبدعين يركزون على نجاح كل العمليات والجزئيات الأخرى ، والأسير المبدع هو الأسير القائد الذى يتحلى بسعة الأفق والرؤية الشاملة للأحداث .

2. المشاعرهم الجياشة : الأشخاص المبدعين جياشى العواطف بشكل كبير،ويتميز المبدع بقدرته الخلاقة والفريدة على تحويل المشاعر والخبرات السلبية الى "مادة"، وصهرها فى شكل عمل ابداعى ، وهذا ما يحدث الأسرى المبدعين اللذيت تحلوا بتلك الصفة التى كانت انطلاقة عملهم الوطنى والانسانى .

3. يتصفون بالمرونة ، المبدع شخص يعرف ويدرك ان العالم ليس هو الخريطة ، بمعنى ان الأمور لا تسير وفقا للخطة الموضوعة دوما لذا يجب الإرتجال والخروج عن النص ، الشخص العادى لن يتعب فكره اذ هو ملتزم بوسيلة لا يجيد غيرها ولا يعرف سواها، بينما المبدع لا يقيد نفسه بالوسائل مادامت عيناه على الهدف النهائى ، فالمرونة صفة لازمة لهم، المبدع شخص اذا وجد باب الدخول مغلقا، دخل من باب الخروج ، والأسرى المبعون تحلوا بتلك الصفة كونهم قفزوا عن حيز التفكير فى الغرفة وانطلقوا نحو الفضاء خارج المعتقلات والعمل لما بعد التحرر .

4. يسكنهم الشغف : المبدع شخص شغوف جدا بما يفعله، مهما كانت المهمة التى يعالجها تجد ابداعه يظهر عليها ، و يحب المبدعون دوما ان يتركوا بصمتهم الخاصة على كل عمل قاموا به ، ولا توجد لديهم مهام اعتيادية، فكل مرة يقومون فيها بالعمل تنفتح لهم أفاق رحبة للإبداع بشكل مختلف ، وقد تطور العمل الابداعى للأسرى بتغير الظروف واستثمروا صغائرها لايجاد أعمال كبرى أفادوا أنفسهم وغيرهم بها .

5. متمردون : المبدع ثائر ومتمرد طوال الوقت، الإستقرار الوحيد الذى يجيده هو التغيير مرة تلو الأخرى ، انهم يحلقون دوما خارج السرب، ويخرجون عن نطاق المألوف ، وغير قابلين للترويض بآى شكل من الأشكال، هوائهم حريتهم كى يبدعوا، لا شئ يثيرهم

(207) الأسير المحرر رائد خالد غباين: مقابلة أجراها الباحث، 19/8/2015، غزة.

ويحفزهم قدر الخروج على القواعد، وصنع قواعد أخرى جديدة ، والأسرى تمردوا على الاحتلال وضحوا من أجل حريتهم وكرامتهم ، وأوجدوا المعادلات مع ادارة السجون التى تؤهلهم لاستغلال الوقت ، وعدم القبول بالتحنيط وسياسية الموت والاذلال التى تمارسها إدارة مصلحة السجون عليهم .

6. يبحثوا عن اجابات : بقدر ما يميل الشخص العادى الى الإجابات المحفوظة والمعلبة، الجاهزة التى لا تتعبه وتضطره للتفكير، بقدر ما لا يرضى بهذا المبدع، انهم فضوليين بطبعهم ولا يقبلون بشئ على علاته ، لذا يسأل ويسأل ليحصل على اجابات ترضى فضوله، يتأمل الموضوع من زوايا عدة ليرى ما فات الآخرين رؤيته ، والأسرى المبدعون تميزوا بالبحث عن الاجابات على شتى الصعد ، ووضعوا البدائل والخيارات رفضاً للاستكانة ورتقوا بأنفسهم وواقعهم رغم قلة الامكان[208] .

وتشير كافة التقارير والدراسات والإفادات إلى أن» أوضاع الأسرى والأسيرات المعتقلين في سجون الاحتلال الإسرائيلي وزنازين التحقيق تزداد سُوءاً نتيجة لما يعانون من انتهاكات لحقوقهم المكفولة لهم بموجب القانون الدولي والاتفاقيات الدولية والإنسانية، ولأسباب تغاضي المجتمع الدولي للانتهاكات الإسرائيلية لحقوقهم ؛ الأمر الذي يجبر ويلزم الأسرة الدولية على التحرك الفوري والجاد للضغط على الحكومة الإسرائيلية للتوقف عن الإمعان بانتهاك إدارات سجونها وأجهزتها الأمنية إزاء الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين والعرب وتشكيل لجان تحقيق دولية للوقوف على حقيقة الانتهاكات والجرائم التي ترتكب بحقهم « [(209)].

في نهاية المبحث يرى الباحث أن الأسرى أبدعوا في مواجهة مخططات إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية، وتغلبوا على معظم العوائق التي أوجدها السجان من خلال الخطوات النضالية عبر مشاورات جماعية في داخل المؤسسات الاعتقالية التي أوجدوها، فلم يصمتوا ويستكينوا أمام تلك التجاوزات، بل تسلحوا بإيمانهم بقضيتهم، وقراءتهم المعمقة لمخططات عدوهم، وتفاؤلهم وأملهم بالحرية.

واستطاع الأسرى أن يحققوا الكثير من الحقوق من خلال استخدامهم للكثير من الوسائل النضالية، فهرّبوا الهواتف النقالة لداخل السجون لكسر منع الزيارات والتواصل مع الخارج، ونقلوا معاناتهم للجهات والمؤسسات ولوسائل الإعلام المشاهدة والمقروءة والمسموعة، وتم السماح بالفضائيات العربية والإخبارية، ولازالت المعركة قائمة بين التثبيت والمصادرة فيها، وأغلقوا أقسام العزل الانفرادي كعزل نيتسان الرملة في أعقاب إضراب 27/9/1993م، وقبل السماح بإدخال المذياع استطاع الأسرى تهريبه في العام 1975م في سجن بئر السبع، وأصبحوا يواكبون الأخبار المحلية والعربية والعالمية، بعدما فرض عليهم سماعها من صوت إسرائيل باللغة العربية وبالرواية الإسرائيلية [(210)].

(208) موقع اراجيك. الكاتب: حازم سويلم في: رياد أعمال، مصدر سمات المبدع .http://www.arageek.com/2014/06/27/creative-people-characteristics.htm-27/6/2014

(209) فتحي كلوب: مرجع سابق، ص1.

(210) مفيد عرقوب: مرجع سابق، ص21.

في نهاية الفصل يعتقد الباحث أن المعاملة القاسية التي تمارسها سلطات الاحتلال الإسرائيلي بحق المعتقلين الفلسطينيين في سجونها فاقت بكثير أي شكل لمعاملة أي نظام أو حكومة أو احتلال في أي مكان من العالم، وأن الترويج لمفاهيم الديمقرطية، وحقوق الإنسان، وامتداد القيم الغربية والحريات واحترام القانون الدولي ما هي إلا أكذوبة صهيوينة باتت لا تنطلي على أحد في ظل الانتهاكات الممنهجة التي تتبعها بحق الشعب الفلسطيني عامة والأسرى خاصة، والتي كانت محل شجب وإدانة في الكثير من المؤسسات الحقوقية ومجموعات الضغط الدولية وعلى رأسها مجلس حقوق الإنسان، بل وهنالك عدد من المفكرين والكتاب الإسرائيليين من أدانوا التعامل بقانون الطوارىء المتوارث من الانتداب البريطاني من العام 1945م، والذي بموجبه تتم معظم الانتهاكات والتجاوزات، معتقدين أنه مخالف للديمقراطية والدولة المدنية، وهناك من الطواقم الأكاديمية الإسرائيلية من أطلقت البيانات ضد سياسات إدارة مصلحة السجون وأجهزة الأمن حينما تم منع انتساب المعتقلين للجامعة المفتوحة في إسرائيل، ورفضت نقابة الأطباء الإسرائيلية العمل بالتغذية القسرية بحق الأسرى المضربين عن الطعام في أعقاب إقرار القانون في الكنيست الإسرائيلي، ووزعت نقابة المحامين الإسرائيليين في العام 2006م تقريراً ذكرت فيه تقصيراً كبيراً ومخالفات في 18 بنداً رئيسياً من الحقوق الأساسية للأسرى [211].

فاستخدام العنف والقوة المفرطة والاعتداءات الجسدية، واستخدام أسلحة وأساليب محظورة وصلت لحد القتل في بعض الأحيان، جميعها سياسات إسرائيلية ممنهجة هدفها النيل من الأسرى الفلسطينيين على كل المستويات، خاصة أن سلطات الاحتلال تحظر على وسائل الإعلام العربية والدولية ولجان التحقيق والمؤسسات الحقوقية من دخول السجون وإعداد التقارير والتحقيق في الأحداث، كونهم يمتلكون القدرة والوقت والإمكانيات لإخفاء آثار الجرائم والانتهاكات التي ترتكب بحق الأسرى [212].

وأمام تلك الانتهاكات التي اتبعتها دولة الاحتلال لم يقف الأسرى مكتوفي الأيدي عاجزين مستكينين، بل استخدموا الكثير من الوسائل النضالية التي ستكون محل دراسة الباحث في الفصل الثاني الذي سيضم أربعة مباحث تتناول: (كيفية استغلال الوقت و بناء الذات الثورية في السجون، وتصليب جبهة الأسرى الداخلية، وتقوية علاقاتهم الفصائلية، وبناء المؤسسة التنظيمية والاعتقالية، وتشجيع النقد الذاتي، واحتراف المواجهة مع السجان، وشكل البنى التنظيمية والمؤسسات واللجان الاعتقالية، وآليات تطوير منظومة الجوانب الإبداعية لدى الأسرى، انعكاس المتغيرات السياسية على واقع الأسرى وإنجازاتهم).

(211) مركز الميزان لحقوق الانسان: مرجع سابق، ص6.
(212) المصدر نفسه: ص46 – 48.

الفصل الثاني
عوامل الإبداع "الظروف والمتغيرات"

الفصل الثاني
عوامل الإبداع "الظروف والمتغيرات"

سعت دولة الاحتلال الإسرائيلي منذ بداية الاعتقال إلى تفريغ الأسرى الفلسطينيين من محتواهم النضالي، وذلك بالعمل على كسر إرادتهم الوطنية، وتحطيم روحهم المعنوية، وجعلهم يعيدوا التفكير بما فعلوا وفيما اعتقدوا، ونقلهم من الموقع الوطني النضالي الفاعل إلى موقع اليأس والضياع والخنوع، بيد أنه اصطدم بواقع أزعجه [213]، حينما تفاجأ بأسرى يمتلكون من أدوات النضال ما لا يخطر على بشر، ويبتدعون وسائل للدفاع عن ذواتهم وأفكارهم وطموحهم بما لا يدع مجال للشك عن عملية إبداعية حقيقية جديرة بالاهتمام والتوثيق والفخر.

ومن خلال انتقال تجربة الاعتقال من محطة إلى أخرى، ومن مرحلة لها ظروفها ومتغيراتها إلى مرحلة تليها، اتضح أن هنالك الكثير من العوامل الذاتية والموضوعية، الفردية والجماعية، التي استخدمت في إدارة الصراع في السجون، ما بين أسرى استطاعت إدارة السجون حبس أجسادهم ولكنها عجزت أن تحبس أنفاس طموحهم وأفكارهم وحريتهم وإرادتهم التي بقيت حرة طليقة محلقة، وما بين سجان عاكس حركة التاريخ، وقبض على أعناق حرية الآخرين عنوة بقوة لا بوجه حق، سجان ظن أنه قادر على وقف ساعة الزمن، فالتطم بفدائيين استطاعوا تحويل محنتهم إلى منحة، وجعل زنازين الموت كمقابر للأحياء إلى أماكن لصناعة الرجال والمزيد من الجهد والتحدي والإبداع.

تجربة قال فيها الدكتور نبيل العربي أمين عام جامعة الدول العربية « إن الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين والعرب في معتقلات الاحتلال الإسرائيلي ضربوا مثلا رائعاً في إصرار الإنسان في الدفاع عن عدالة حقوقه والحفاظ على كرامته الإنسانية في وجه الاحتلال الإسرائيلي وتعصبه وعنصريته دون أن تضعف أو تكسر لهم إرادة، رغم وحشية وتنوع أساليب التعذيب التي لم ير العالم لها مثيلاً حتى في أعتى معتقلاته العنصرية والفاشية من إذلال وقهر وتعذيب وتجويع وحرمان [214] »

في هذا الفصل سنستعرض أهم العوامل التي ساهمت في تنمية الإبداع لدى الحركة الأسيرة، والبنى التنظيمية والمؤسسات الاعتقالية في مواجهة إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية، ودور الحركة الأسيرة في تعزيز الجوانب الإبداعية لدى الأسرى، وانعكاس المتغيرات السياسية على واقعهم وإنجازاتهم.

(213) عدنان جابر: «ملحمة القيد والحرية»، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1979، ص169.

(214) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: ابداعات انتصرت على القيد، تجربة الاضرابات المفتوحة، جامعة القدس – أبو ديس، فلسطين – القدس، (2012)، ص21.

المبحث الأول
العوامل التي ساهمت في تنمية الإبداع لدى الحركة الأسيرة

اتضح للحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة منذ نشأتها أن هنالك عملية تصفية لقدراتهم البدنية والنفسية والنضالية من قبل إدارة مصلحة السجون، وأدركوا أن الحياة الكريمة لن تقدم لهم هدية على مائدة من ذهب، أوبحسن نوايا من الاحتلال، على العكس فقد أعدت الأخيرة لهم الهياكل والنظم والخبراء ومراكز الأبحاث للتفنن في القضاء على كل إمكانياتهم، وكان لابد من التعبئة الفردية وتقوية الجبهة الداخلية كشرط رئيسي للحفاظ على الذات، ومن ثم ابتداع الوسائل كأدوات مواجهة، وبالفعل تمكنت الحركة الفلسطينية الأسيرة عبر الكثير من التضحيات من تجميع قواها والانتصاب أمام عوامل الإحباط والتيئيس.

إن إنجازات الحركة الوطنية الأسيرة في أوائلها عبّدت الطريق أمام مئات آلاف المناضلين الذين خاضوا تجربة الاعتقال للاستفادة منها، وأتاحت للبقية المتبقية في السجون من أن يراكموا المزيد عليها، ومثلت رصيداً نضالياً لا يمكن القفز عنه حتى عند قيام احتجاجات أو خطوات نضالية أخرى، وأصبح وعي الحركة الأسيرة يدرك أن المطالبة بالجديد أو بالإصلاح والتغيير، لا يعني العودة إلى البداية وإنما الاستمرار من النقطة التي تم الوصول اليها[215].

في هذا المبحث سيتناول الباحث أهم الأدوات التي تسلح بها الأسرى كعوامل ساهمت في تنمية الإبداع في السجون، كبناء الجبهة الداخلية، والوحدة الفصائلية، والعمل الجماعي، والشعور بالانتماء لقضية عادلة تستحق التضحية، وتحدي السجان ومخططاته، والمنافسة بين الأسرى، والاطلاع على العالم الخارجي، والبحث عن التخصص في المطالعة الفردية، والانتساب للجامعات سعياً للحصول على الشهادات الأكاديمية، والقراءة المعمقة والمطالعة الفردية، ودور الأسرى القدامى من ذوي الخبرة والتجربة واستغلال الوقت وغير ذلك من العوامل.

(215) زياد أبو زياد: مرجع سابق، ص82.

أولاً– بناء الجبهة الداخلية:

1. بناء الذات الثورية:

درس الأسرى الكثير من التخصصات في شتى المجالات « في علم الاجتماع وعلم النفس، والعلوم الإنسانية، والعلوم الإدارية، والسياسية، والعسكرية، والاقتصادية، والدينية «، واستغلوا ما تعلموه في معركتهم المستمرة والشرسة ليل نهار مع إدارة مصلحة السجون، واستفادوا من علماء الاجتماع الذين أولوا تماسك الجبهة الداخلية أهمية كبرى لنجاح أي معركة، وبدأوا بالنواة الأولى في المجتمع الاعتقالي المتمثل بالعنصر التنظيمي، وبالفرد الأسير، الذي يجب أن يدرك ظروفه، والتحديات التي تواجهه، والأعباء الملقاة على عاتقه، وطبيعة العدو وقسوته وعدم إنسانيته، والوسائل غير الإنسانية التي ممكن أن يستخدمها في معاركه.

فشحذت قيادة الحركة الأسيرة الهمم وتعزيز الصمود والإرادة في وجه السجان عبر الجلسات الثقافية، والتعاميم الاعتقالية الموجهة للقاعدة التنظيمية، واعتبر الأسرى في توجيهاتهم أن إدارة مصلحة السجون تسعى لتفسيخ الوحدة الداخلية من أجل تسهيل تمرير مخططاتها التصفوية، ونجاح أي خطوة اعتقالية مرهون بالإرادة الصلبة المعبئة بالنضال، الذي يتطلب الوحدة والتلاحم، وتطوير العلاقات الأخوية والفصائلية، وتلمس الوسائل النضالية المدروسة لإفشال مخططاتها، والتأكيد على الإرادة كسلاح فتاك في المواجهة، وكأساس للنجاح، وتقوية العزائم لدى الأسير [216].

ولتنظيم حياة الأسرى وضبطها أوجدوا اللوائح الداخلية التي تفصل ما هو مسموح به للفرد عن ما هو ممنوع عليه، كما تم عقد الكثير من الجلسات التربوية التي تعزز قيم الطاعة والانضباط الحزبي، وتعزز الضوابط التي عوملت كمقياس لأخلاقيات الفرد، وبُني عليها الكثير من التقييمات التي تتعلق بالفرد وتطوره داخل التنظيم [217].

وكانت الوسيلة المتبعة في السجون للإرشاد والانضباط والتوجيه ما أطلقوا عليه « التعميم الاعتقالي « الذي يخدم عدة أهداف منها « التعميم السياسي، وهو التعميم الإخباري الذي يتضمن الأحداث التي تحدث في المعتقل، والتعميم الذي يعالج المشاكل المسلكية ويسعى إلى تحقيق أهداف تربوية من خلال تعميم المشاكل التي تحصل بين الأفراد وكيفية حلها والعقوبات المفروضة على أطرافها لكي تخدم أهداف التربية المسلكية، وهناك تعاميم كانت تسعى إلى محاربة الظواهر السلبية والتأكيد وتعزيز المسلكية الإيجابية في مجتمع المعتقل » [218]

(216) عبد الحق شحادة: أوراق من خلف جدران الأسر، غزة، فلسطين، بدون دار نشر، 2010، ص11.

(217) اياد الرياحى: الواقع التنظيمى للحركة الفلسطينية الأسيرة، رام الله، فلسطين، مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 2006، ص18.

(218) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: ابداعات انتصرت على القيد – المؤتمر السنوى الثالث، جامعة القدس، القدس، 2013، ص53.

2. بناء المؤسسة التنظيمية:

لقد تحمل الأسرى الكثير من العذابات في السجون الإسرائيلية، وسقط منهم عشرات الشهداء من أجل بلورة أشكال وهياكل تنظيمية، وسعوا للحفاظ على الذات التنظيمية وتطويرها، وكانوا على يقين أن تماسكهم وتنظيمهم يمنحهم قوة في مواجهة إدارة السجون [219].

وبالرغم من الاضطهاد والمضايقات التي تعرضوا لها، استطاعوا أن يشكلوا هياكل وأطر تنظيمية، ومن صياغة لوائح تنظم حركة وحياة المعتقلين وعلاقاتهم الداخلية والخارجية، والفصائلية، وعلاقاتهم مع إدارة المعتقلات، ونجحت الفصائل في تقديم نموذج في تنظيم شؤونها بأكثر دقة وتنظيماً من بعض تجارب حركات المقاومة خارج السجون[220].

استطاع الأسرى بناء جبهة داخلية بطريقة فريدة ورائعة، شهد لها العدو قبل الصديق، وأفرزوا قيادات منتخبة خاصة بكل فصيل من الفصائل، وتعاونت هذه القيادات مع نظرائها في نفس السجن ومع باقي القيادات في السجون الأخرى، وأداروا شؤونهم الثقافية والنضالية والمالية والأمنية والرياضية بكل كفاءة [221].

اختصر الموقع العبري "حقى» الحياة النضالية للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية بالقول «استطاعت التنظيمات الفلسطينية داخل السجون في أعقاب الكثير من الخطوات الاحتجاجية للضغط على مصلحة السجون بطرق ووسائل متعددة كالإضرابات المفتوحة عن الطعام والتمردات ورفض الخروج للفورات وغيرها على تحسين شروط حياتها لتحقيق أهدافها[222].

3. تقوية العلاقات الفصائلية:

لم يهتم الأسرى الفلسطينيون في بداية الحياة الاعتقالية بالانتماء الفصائلي، لأنهم لم يكونوا على معرفة وافية بالتنظيمات من حيث بنائها الإداري وهيكلها التنظيمي، وكذلك كانوا يعتبرون أنفسهم أبناء حركة وطنية فلسطينية واحدة ومتميزين عن السجناء الجنائيين[223].

في المقابل لم تكن إدارة السجون تفرق بين انتماءاتهم السياسية، لذلك لم يكن أمام المعتقلين الفلسطينيين إلا أن يشكلوا جبهة واحدة في مواجهة إدارة السجون التي كانت تعاملهم بقسوة وعنف وتنكيل، حيث أنهم أدركوا وحدة المصير بين جدران السجون، وكان لابد من العمل لإيجاد الأطر التنظيمية القادرة على تنظيم حياتهم بعيداً عن الفوضى والعشوائية، ومع مرور الأيام وازدياد عدد المعتقلين اكتسبوا الخبرة والوعي بالممارسة، ووضعوا التفاهمات والأسس لإرساء دعائم الوضع التنظيمي في السجون، ومن ثم الارتقاء بالهياكل الإدارية التي

(219) محمد أبو شريعة : مرجع سابق، ص52 .

(220) فتحي كلوب: مرجع سابق، ص24.

(221) ناصر عبد الجواد: مرجع سابق، ص31.

(222) זכויות: זכויות אסירים ביטחוניים, http://www.myrights.co.il/

(223) زهير المصري، نجود أحمد: مرجع سابق، ص7.

ظهرت بشكل بدائي، ثم تطورت حتى وصلت إلى شكل راق ومستقر (224)يشهد في تنظيمه وترتيبه وقوته وتفاهمه القاصي والداني.

4. تشكيل المؤسسات الاعتقالية:

لقد تمكنت الحركة الاعتقالية خلال تجربتها الطويلة من تشكيل مؤسساتها وهيئاتها الاعتقالية الوطنية، والتي اعتبرت الإطار القيادى للمعتقلات، وبدأ الإعداد للميثاق أو الدستور الاعتقالي الذي ينظم الحياة الاعتقالية في العام 1976م، ووجدت التفاهمات النظرية والمراسلات المكتوبة والشفوية لتنسيق المواقف وتنظيم العلاقة بين الأطر، وتشكيل الهياكل والمؤسسات والمسميات والضوابط للأفراد والتنظيمات في السجون، وأشكال اتخاذ القرارات ومرجعياتها، وكانت على رأس تلك المؤسسات « اللجنة الوطنية أو النضالية العامة « التي تشرف على اللجان العامة في السجون" كاللجنة الثقافية، والأمنية، والرياضية، والصندوق المالي الاعتقالي العام.

5. تعزيز مفهوم النقد الذاتي:

أكدت الحركة الأسيرة في السجون على مبدأ النقد للسلوك والظواهر الخاطئة لتقويمها، وعلى الخطوات النضالية التي تتبعها اللجنة الوطنية العامة وتقييمها، لتراكم النجاحات والإنجازات، واستثمار نقاط القوة وتجاوز مواطن الضعف وأسباب التراجع، وعززت القوى والفصائل تلك العملية في أدبياتها التي اعتبرت أن أي نجاح لأي عمل تنظيمي يكمن فى كيفية ممارسة مفهوم النقد، ومعرفة أهمية هذه الممارسة في بناء وتصليب الذات والإطار التنظيمي القائم على مرتكزات مبدأية سليمة.

واعتبرت الحركة الأسيرة عبر تثقيفها للأسرى أن النقد البناء ومراجعة الذات هما مسألتان مهمتان وضروريتان في سبيل تخطي الأخطاء، وكذلك الاستفادة من عملية النقد الموجهة في سبيل بناء الذات وتقويم المسلكية والرقي إلى واقع أفضل [225].

ثانياً- الجهود الذاتية للأسرى:

في أعقاب بناء الجبهة الداخلية للأسرى الفلسطينيين والتي أخذت طابعاً جماعياً لحماية الأسرى من الداخل، بدأ الأسرى جماعات وفرادى ببناء الذات الثورية، وتعزيز مكانتها الكفاحية، عبر مجموعة من الحوافز والمنطلقات النظرية والأنشطة والجهود العملية على كل الصعد مثل:

1. استغلال الوقت:

الإبداع في هذا الجانب هو محاولة نقل الوقت من نطاق سيطرة السجان إلى نطاق سيطرة

(224) زهير المصري، نجود أحمد: مرجع سابق، ص6.
(225) عبد الحق شحادة: مرجع سابق، ص30.

الأسير[226]، فلقد كان أخطر ما واجه الأسير الفلسطيني مشكلة ملء الفراغ الناجم عن واقع الأسر، هذا الفراغ الذي بلغ علماء الهندسة البشرية الصهاينة منذ بداية الاحتلال كل ما في وسعهم لتحويله بالكامل لصالحهم، ولملئه بالثقافة كونهما مرتبطان[227]، فعنصر الوقت يعطى فرصة ديناميكية العملية الثقافية[228]، ولإشباعه بمفاهيم ورؤى تخدم واقع الاحتلال وأهدافه في إفراغ الإنسان الفلسطيني من محتواه الوطني، وقتل روح التمرد والتحدي فيه، ولقد استدرك مبدعو الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة أبعاد هذا الأمر وعملوا على تفويت الفرصة على دوائر القمع الصهيونية، وكان هذا الوعي بداية للمبدعين الأسرى للبدء في حملة ثورية للاستفادة من الفراغ الطويل وتحويله من عامل سلبي يولد الملل ويضاعف التوتر ويخلق الأزمات، إلى عامل إيجابي يوفر الإمكانيات لبناء الذات، وإعادة إصلاح وصياغة الوعي وبناء منطلقات ثقافية وتربوية تنبثق عنها إعادة الصياغة الفكرية والنفسية الاجتماعية على أسس ثورية [229]، وبذلك سعى الأسرى إلى الفائدة، والتفكير والمبادرة، والمعرفة، والقدرة على التحكم في الظرف والبيئة، والتخطيط والتنظيم والتقويم، والاندفاع نحو الثقافة والتعليم، وبذلك أصبح الفراغ الذي تمنت إسرائيل منه أن يقتل الأسير الفلسطيني ويدمره من عامل سلبي يولد الملل والرتابة، ويخلق التوتر والإرهاق، إلى عامل إيجابي يولد الإبداع و يعمل على بناء الذات، وتركيم الوعي الوطني الذي يعتمد على قوة الحق، مقابل غطرسة القوة لدى العدو الظالم [230].

2. الانضباط والرقابة:

حاربت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية منذ بداية الاعتقال قضية الانضباط والتنظيم، بل على العكس هي غذت "عدم الانضباط" أو ما أطلق عليه الأسرى بمصطلح " الانفلاش « الذي عرفه الأسرى بتنصل الأسير من التزاماته اتجاه المجموع، وتحلله من أصول الحياة الجماعية، وعدم التقيد بالأنظمة التي وضعوها، وعدم حضور اجتماعاتهم، وعدم تنفيذ القرارات الناجمة عنها [231].

ومن ظواهر الإبداع في السجون التعبئة والإقناع للالتزام بالحياة الجماعية المنظمة، والرقابة على سلوكياتهم، ولفظ لمجرد التفكير أي حالة اختارت الحياة المزاجية غير التنظيمية، وألزمت كل المعتقلين باختيار فصيل للعيش في إطاره وضمن قوانينه، وأوجدت الحركة الأسيرة الضوابط التي تحكم الأسير بإطاره التنظيمي وبتحديد حقوقه وواجباته، والتي تحكم الأسير بالكل الاعتقالي، والتي حددت شكل العلاقات، والتعريف بما هو مسموح وما هو ممنوع منها .

(226) سامى الأخرس، كامل مسعود: رحيق الوطن، غزة، فلسطين، مكتبة الأندلس، 2015، ص69.

(227) غادة موسى: أثر الاحتلال على ثقافة المقاومة دراسة حالة للثقافة السياسية للمرأة الفلسطينية، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة – كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة، 2006، ص14.

(228) Bernardi,Bernardo,The concept and dynamics of culture, (1977), World Anthropology, The Hague: Mouton, , pp.83.

(229) سلمان جاد الله: أدب المواجهة، مرجع سابق، ص51.

(230) مفيد عرقوب: مرجع سابق، ص23.

(231) المصدر نفسه، ص37 .

وأوجدت الحركة الأسيرة اللوائح والمواثيق التي تحكم عمل المؤسسات الاعتقالية، وجرمت الأعمال الفردية غير المنظمة وغير المغطاة ولو ضمنياً من الأطر التنظيمية والمؤسسات الاعتقالية، وأكدت على الالتزام بالقرارات التي تصدرها القيادة لكل فصيل، والالتزام بالقرارات الصادرة عن المؤسسات الاعتقالية في كل معتقل، والالتزام بالنظم والقرارات الإدارية والثقافية والأمنية والمالية، وتحمل المسؤولية الكاملة عن كل ممارسة، وأوجدت نظام المكافئة للمتميزين، والعقوبات للمتسيبين والخارجين عن القانون الاعتقالي، وتشكيل اللجان لدراسة المخالفات وإقرار العقوبة التي تتراوح ما بين التأنيب والمراجعة اللفظية إلى أن تصل للإعدام في حال الخيانة الوطنية، مروراً بعقوبات أخرى كالحرمان من التدخين، أو الجلد، أو غسل أواني الطعام لأيام أو وجبات، وعقوبات أخرى " وفق قوانين تعارف عليها الأسرى اعتقالياً، ومثبتة في اللوائح التنظيمية الداخلية لكل فصيل «.

3. تعزيز الانتماء وروح التحدي:

من إبداعات الأسرى التي صلبت مواقفهم، ورسخت إراداتهم، وقوت عزائمهم أمام سياسات إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية وطواقمها الحاقدة، إيمانهم العميق بعدالة قضيتهم والعمل على حريتهم التي كفلتها كل الشرائع السماوية والاتفاقيات والمواثيق الدولية، فحملوا تلك القناعة، وضحوا بالغالي والنفيس لتحقيق أهدافهم الوطنية والقومية، وواجباتهم الدينية.

هذه الروح النضالية تجذرت بعد تراكم الوعي والقناعة والتجربة النضالية وخاصة بعد الممارسات غير الإنسانية التي مروا بها في أقبية التحقيق ووسائل التعذيب التي زادتهم ايماناً بقضيتهم، وتحدياً لجلادهم.

لم يقتصر الموضوع عند هذا الحد بل عملت التنظيمات في السجون على مضاعفة الانتماء وروح التحدي عند الأسرى بالبرامج التوعوية، والجلسات الثقافية، وبممارسة الخطوات النضالية، ورفعت المستوى السياسي والأمني والثقافي للمعتقلين، وعملت على تجذير انتمائهم لثورتهم وأهدافهم التي حملوها، فتأسست في السجون المدارس الثورية، لتخريج الكوادر السياسية والوطنية، وحولت المعتقلات إلى قلاع صامدة ونابضة بالحيوية والنشاط والفعل الثوري والوطني[232]، ورفعت جاهزيتهم النضالية ومعنوياتهم ونفوسهم وهممهم استعداداً لأي مواجهة تفرض عليهم بتحدي وعناد، فواجه الأسير سجانه بعقيدة، وصبر وصمود، جميعها كانت ركائز المعركة مع السجون والانتصار عليه، فالعناد على الحق هنا هو الإرادة القوية التي تلد النصر، والنصر حليف الإرادة المجبولة بالإيمان والقوة على الاحتمال، والاحتمال ميزة يتصف بها المؤمنون بقضاياهم [233].

ويلاحظ أن الوضع داخل السجون لم يستقر يوماً، فهو في حالة مواجهة دائمة ومتواصلة، ولذلك فالحركة الأسيرة لم تلق سلاح المواجهة والتعبئة والاستنفار النفسي في أي لحظة لأن

(232) حلمى عنقاوى: مرجع سابق، ص29.

(233) جميل السلحوت: أدب السجون، القدس، دار الجندى للنشر والتوزيع، 2012، ص13.

أمامها عدوًا لا يريد لها سوى أن تدفن في الظلمة، والانصياع لقوانينه العسكرية الظالمة [234].

4. الثقافة والتعليم والمنافسة فيهما:

منذ بدء الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة فرضت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية على الأسرى حصاراً ثقافياً محكماً، ولكن الأسرى أدركوا خطورة هذا الظرف وكانوا على استعداد للتضحية من أجل كسره، الأمر الذي تجسد في إضراب عسقلان 5/7/ 1970م.

ومع إدخال الكتاب كإنجاز، تعددت الجلسات الثقافية داخل الغرفة الواحدة، وتبادلت الغرف المعلومات فيما بينها، وتوسع الحوار السياسي بين السجناء، وازداد نطاق تبادل المعلومات بين الغرف بسبب تخفيف القيود المفروضة على حركة الأسرى، فأصبح هناك مجال لإعداد مجلات تنظيمية شهرية، وهكذا تحولت غرف السجون إلى صفوف دراسية وثقافية، فاهتم الأسرى بتحصيلهم الدراسي، وإغناء ثقافتهم عبر النشرات والبيانات التي كانت تقرأ عليهم، وشيئاً فشيئاً تحولت هذه الجلسات اليومية إلى تقليد ما زال متبعاً حتى يومنا هذا[235].

أما عن الجانب التعليمي فقد انتزعت الحركة الأسيرة حق التعليم «تقديم الثانوية العامة"، والانتساب للجامعة المفتوحة في إسرائيل بعد إضراب 27/9/1993م التي أبت فيه إدارة السجون الانتساب للجامعات العربية والفلسطينية والدولية، وفي أعقاب منعها في العام 2012م تطبيقاً لسياسة التضييق، استطاع الأسرى الانتساب للجامعات خفية، في عملية معقدة ولكنها مبدعة، مليئة بحالة المنافسة، وتوسع الأسرى فى الثقافة العامة، والتخصص فى المجالات المختلفة، وفي تعلم اللغات، وحفظ القرآن الكريم، والتفسير، والكتابة والإنتاج الأدبي في كافة المجالات الثقافية والتعليمية على حد سواء.

5. الاستفادة من خبرة الكادر القادر:

الحياة داخل المعتقلات تقوم على التنظيم والتكاملية، التنظيم في كل شؤون الحياة الاعتقالية للأسير والفصائل ومع إدارة السجون، وتقوم على التكاملية والتعاون في العلم والتعلم « الثقافي والتعليمي والتنظيمي" على حد سواء، وتنتقل التجارب والثقافات والعلوم المختلفة بين الأسرى باللقاءات والجلسات الجماعية الفردية والتنظيمية، وللأسرى القدامى الكثير من التأثير على الأسرى الجدد بما اكتسبوه من علوم ولغات وتجارب نضالية واعتقالية، لذا يقوم الكثير من الأسرى القدامى من ذوي الخبرات وحملة الشهادات وما امتلكوه من ثقافات عبر مطالعة عشرات بل مئات الكتب على مدار فترة سجنهم الطويلة التي تتراوح ما بين 10 سنوات إلى ما يزيد عن 25 عام وبعضهم وصل إلى أكثر من ثلاثين عاماً متواصلة.

فتلك الشخصيات القيادية عملت في السجون على بث الروح الجماعية بين المعتقلين والعمل على تحجيم الولاءات البلدية والشللية والشخصية وغيرها، كما عملت على ترسيخ التربية

(234) عيسى قراقع: مرجع سابق، ص28.

(235) مفيد عرقوب: مرجع سابق، ص21.

التنظيمية الهادفة إلى الالتزام والانضباط، و نشر التوعية الأمنية والعمل على إحباط ومواجهة مؤامرات العملاء، وتقوية روح الانتماء الفصائلي، ومواجهة إدارة المعتقل، وتهيئة المعتقلين لمراحل نضالية ضد إدارة مصلحة السجون[236].

ويرى الباحث أن الأسرى القدامى بإمكانياتهم الثقافية والنضالية، وبإرشاداتهم الأمنية، وتجاربهم الاعتقالية، وضعوا الأسرى الجدد على السكة الصحيحة للوصول إلى بر الأمان، وحماية الذات، ونقل الخبرات والتجارب، لبناء كوادر واعية قادرة على نقل التجربة، والإفادة والاستفادة منها في آن واحد.

6. التفاؤل بالحرية والعمل لما بعدها:

"السجن لا يُبنى على أحد « هذه هي المقولة التي عبر بها الأسرى دوما عن تفاؤلهم بالحرية والعودة للحياة مستندين إلى تجارب زملائهم الماضية ممن حوكموا بالمؤبدات لمدى الحياة وتم الإفراج عنهم في عمليات تبادل للأسرى، من هذا المنطلق المحب للحياة والمتطلع للأمل، استعد الأسرى لما بعد الحرية، حتى أن عشرات منهم من بنوا بيوتاً، وتقدموا بالخطبة واقترنوا بعرائس أثناء الاعتقال رغم أنهم محكومون لمدى الحياة، وخرجوا من السجون وتزوجوا من اختاروا بعد سنوات، هذه الروح المؤمنة بقضاء الله وقدره، وبالعقيدة الثورية والنضالية، والمؤمنة بأهدافها وعدالة قضيتها، والمتسلحة بالإرادة والقوة والثبات، والتفاؤل جعلت الأسرى يستثمرون أوقاتهم، ويناضلون لانتزاع الموافقة من السجان على تعليمهم الأكاديمي، ويبحرون في ثقافتهم، وإنتاجهم الأدبي، وأبدعوا على كل الصعد، وجهزوا أنفسهم لما بعد التحرر.

يخلص الباحث في نهاية المبحث إلى أن الأسرى أبدعوا بمقاومتهم لمخططات إدارة مصلحة السجون، وعبر سلسلة طويلة ومتراكمة من التفكير والتخطيط تحقق الإنجاز تلو الإنجاز، في أعقاب سلسلة طويلة من النضالات التكتيكية والاستراتيجية التي جبلت بالألم والمعاناة، بدءاً بوحدة الحركة الأسيرة، مروراً بانتظام العمل الاعتقالي والمأسسة بكافة أشكالها، وعبر تقوية الجبهة الداخلية والالتزام بكل القوانين والقرارات التنظيمية، وتنفيذ المهام التي تلقى على عاتقه، والمساهمة في النضال ضد إدارة السجن، والعمل على توفير المناخ الملائم لحياة اجتماعية خالية من المشاكل والتعقيدات عمادها المحبة [237]، وتغليب المصلحة العامة على الشخصية، والحرص على الوحدة الوطنية.

واتضحت عملية الإبداع من خلال وضع نظريات للمقاومة والعمل بمقتضاها، كنظريتي (المواجهة والاحتراف، وأدب المواجهة)، ووفق النظرية الأولى دعت الحركة الأسيرة جموع المعتقلين للانصهار المطلق في قضيته الوطنية التي يعايشها، والوصول للجاهزية الدائمة لإفناء

(236) + المصرى، نجود أحمد: مرجع سابق، ص3.

(237) زهير المصري، نجود أحمد: العلاقات التنظيمية بين الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص6.

ذاتـه في سـبيل الأهـداف التـي يؤمـن بهـا أمـام الخطـر الداهـم عليـه وعـلى الحركـة الأسـيرة برمتهـا والقائمـة عـلى ثـلاث محـاور هـي: "التأقلـم مـع الخطـر، وتراكـم الوعـي، وإعـادة الصياغـة التربويـة الأخلاقيـة [238]".

والنظريـة الثانيـة: تقـوم عـلى أربعـة فـروض، الأول: المواجهـة الواعيـة تتناسـب طرديـاً مـع سـلامة الانضبـاط التنظيمـي، والعكـس صحيـح، والثـاني: تحـت ظـروف معيشـية مشـتركة يـؤدي الالتـزام بالانضبـاط التنظيمـي دوراً هامـاً في تسريـع عمليـة إصـلاح وتركيـم الوعـي، والثالـث: الظـروف المعيشـية المشـتركة في حقـل معـادٍ تسـوده عوامـل ضغـط ومواجهـة يلعـب التوجيـه الأيدلوجـي الثـوري عامـلاً مؤثـراً لإعـادة صياغـة سـيكلوجيا أكـثر ثوريـة للوسـط الاجتماعـي، والرابعـة، في ظـل الاسـتنفار وإمكانيـة الانفجـار هنالـك ضرورة لضبـط وتوجيـه التـوازن الانفعـالي تبعـاً لمتغـيرات اللحظـة المحتملـة [239].

(238) سلمان جاد الله: مرجع سابق، ص4.
(239) المصدر نفسه، ص39.

المبحث الثاني
الهياكل والمؤسسات التى أبدعها الأسرى لمواجهة السجان الاسرائيلى

مجتمع السجن عبارة عن مؤسسة ديناميكية تقوم على التفاعل، والاندماج والنشاط والحيوية، وعملت الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة جاهدة على انخراط الأسرى الجدد ودمجهم في المجتمع الاعتقالي من خلال انتمائهم إلى الفصائل داخل السجن، حتى يتكيفوا مع الواقع الجديد بعد تجربة التحقيق القاسية [240]، ولعل ما ساعد هذا الاندماج طبيعة الإنسان المتميزة بكونها اجتماعية [241]، وأن الذات الفردية لا يمكن أن تتكامل أو تعيش بمفردها، وأنها تتميز بقدرتها على التفاعل في مواقف الجماعة التي تنتمي إليها [242].

ولذلك ممكن تفسير الظواهر والعلاقات الاجتماعية في السجون، الصادرة عن أنماط وسلوك الأفراد بداخله، على قاعدة أن المعايير هي التي تعطي للبناء الاجتماعي خاصية الثبات والتنظيم[243]، تلك المعايير التي وضعتها الحركة الأسيرة في صيغة مواد مكتوبة، أو اتفاقيات شفهية تم التعارف عليها، أو دساتير ومواثيق ولوائح داخلية عامة وفصائلية، كأساس في تنظيم الحياة الاجتماعية الاعتقالية داخل السجن.

والحركة الأسيرة بدورها عملت على تشكيل البنى الاجتماعية، التي تعمل على ربط أعضاء الجماعة بعضهم ببعض، وكذلك بتحديد مجموعة القيم المعيارية المنتظمة التي تتحكم بسلوك الشخص داخل الجماعة والمجتمع الاعتقالي[244].

ويعتقد الباحث أن أهم إنجاز حققه الأسرى في السجون هو بلورة الهياكل التنظيمية، التي هيئت كل الظروف والأجواء لانطلاق كافة أشكال الإبداع للحركة الأسيرة، والتي حكمت جميع العلاقات وضبطتها بلوائح وقوانين، وحددت لكل منها المهام والأهداف، ومن هنا سيفصل الباحث في هذا المبحث تلك العملية المعقدة التي تنم عن قدرة فائقة للأسرى في ترسيخ أسس المواجهة والاحتراف مع إدارة مصلحة السجون التي سعت جاهدة لتقويض تلك المحاولة دون جدوى.

أولاً- مراحل تطور العمل التنظيمي:

يؤكد الباحث من توثيق الباحثين للفترات الأولى للاعتقال التي لم يشهدها، ومن خلال انخراطه في العمل التنظيمي فترة اعتقاله، بأن العملية التنظيمية في السجون شملت ثلاثة

(240) سلمان جاد الله: مرجع سابق، ص51.

(241) cooley, c: Human Nature and the Social Order New York, Schockan,1964,PP14

(242) .Mead ,G: Mind, Self and Society from Stand Point of A Social Behaviorist ,Chicago Univ ,Press 1962 , PP17

(243) .Radeliff,Brown: Method in Social Anthropology,the universityof Chicago,1918,PP13

(244) محمد أبو شريعة: المصدر السابق، ص52.

مستويات «عملية التنظيم الخاص للفصيل الواحد في السجن الواحد، والذي ينظم علاقات الأسرى فيما بينهم، والتنظيم العام لمؤسسات السجن الذي ينظم عمل الفصائل فيما بينها، والتنظيم الأعم الذي يشمل كافة السجون، وهنالك ثلاث مراحل في تطور العمل التنظيمي هي:

1. مرحلة العلاقات التنظيمية التي اعتمدت على الشخصية القيادية و التي اعتمد التنظيم فيها على الأشخاص الذين برزت قدراتهم القيادية، وهي مرحلة لم يكن للقاعدة أي دور في إفراز قيادتها المركزية، ولكنها كانت تنصاع لهذه القيادة بحكم شعورها بتميز هؤلاء الأشخاص الذين تصدروا العمل التنظيمي، هنا عملية فرز القيادة لم تخضع لأسس و معايير واضحة أو لوائح تسهل ذلك.

2. في عام 1975م تقريباً، مر التنظيم بمرحلة (قيادة النخبة)، حيث أخذ يتبلور في تلك المرحلة الزمنية التفكير بوجود قيادة جماعية، و هذا التوجه ظهر في معتقل عسقلان حيث كان يضم عدداً من الشخصيات ذات التجربة العميقة و القدرة على القيادة، في هذه المرحلة تبلورت هياكل تنظيمية في معتقل بيت ليد، إلا أن العمل التنظيمي رغم تميزه بوجود هيكل إداري وإطار تنظيمي واضح، فإن شغل المراكز التنظيمية كان يتم بالتعيين من قبل مجموعة من النشطاء الذين اعتبروا أنفسهم قادرين على وضع الرجل المناسب في المكان المناسب وفق تقديرهم للمصلحة التنظيمية، وهذا يعني أن اختيار القيادة كان محصوراً في إطار ضيق، و لا تشارك فيه كل القاعدة التنظيمية.

3. المرحلة الثالثة هي مرحلة النضج، وفيها سادت الأنظمة واللوائح التنظيمية، حيث استكملت فيها البنى التنظيمية، وخضع لها جميع المعتقلين، وأبرز ما ميز هذه المرحلة هو انتخاب الشخصيات القيادية المركزية، وفق لوائح داخلية تعتبر دستوراً يتوجب احترامه لضمان عملية التغير القيادي بشكل سلمي(245)، وجدير بالذكر أن مرحلة النضج تكونت فيها اللوائح الداخلية والدساتير الاعتقالية المكتوبة والشفوية، في داخل التنظيم الواحد وبين الفصائل، وبدأ الأسرى بالانتخابات الديمقراطية في فرز ممثليهم وقادتهم، وتم القضاء على كل مظاهر التسيب والفوضى والفردية، واستطاع المعتقلون توحيد كلمتهم، وبناء علاقات فصائلية قوامها التعاون والاحترام المتبادل، مما مكنهم من فرض وجودهم واعتراف الإدارة بهم وإجبارها على التعامل معهم على أساس جماعي وليس فردي، ولعل إضراب عسقلان التاريخي الذي استمر 45 يوم متتالية في 11/12/1976م، وحقق الكثير من الإنجازات والحقوق شكل أهم ملامح المؤسسة الاعتقالية، واتضح الأمر أكثر في أعقاب إضراب سجن جنيد المفتوح عن الطعام في 23/9/ 1984م الذي لم يتوقف إلا بعد مفاوضات جرت بين وزير الشرطة في حينه حاييم برليف وممثلي الأسرى، وكان ذلك لأول مرة، الأمر الذي شكل اعترافاً بشرعية المؤسسات الاعتقالية

(245) زهير المصرى، نجود أحمد: مرجع سابق، ص4.

ولجانها النضالية وممثليها (246)، حينها فشلت إدارة السجون رغم كل السياسات التي اتبعتها والعوائق والعقبات التي وضعتها لضرب الوحدة الاعتقالية والأطر التنظيمية.

وأكد الباحثون أن العام 2007م تميز بتطور عمل الأسرى على صعيد العمل التنظيمي بشكل داخلي، فقد اتسعت فيه رقعة التنسيق المشترك لتصل لكافة السجون، واستطاع الأسرى أن يخطوا خطوات متقدمة إلى الأمام، فأنشأت التنظيمات الهيئات القيادية العليا للأسرى في السجون، والقيادة الموحدة للأطر الأخرى، ليشمل مجلسها الأعلى بالانتخابات العامة لكل عناصر التنظيم في السجون أعضاءً متواجدين في عدد من قلاع الأسرى، تلك القيادة والهيئات تقوم برسم السياسات العامة لأسرى فصيلها في القضايا المشتركة على مستوى السجون، والتي تحسم الخلافات وتتخذ القرارات الكبرى من خلالها (247).

وتعتبر هذه الخطوة متقدمة، فبعد أن حاربت إدارة السجون اجتماع أسيرين في غرفة أو ساحة نزهة تخوفاً من التنسيق المشترك بينهما، أجبرت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية على الاعتراف بممثلي الأسرى وعكفت على نقلهم في بعض الأوقات والخطوات العامة لحل الأزمات، واحترمت إفراز قيادتهم بعد العمليات الانتخابية التي تابعتها بشكل مستمر، واجتمعت مع ممثلي الهيئات العليا والقيادات العام للتنظيمات في الخطوات النضالية، والهيئات القيادية الموسعة تعتبر خطوة متقدة ومتميزة في العمل التنظيمي في تاريخ الحركة الأسيرة كإنجاز مميز، وبمثابة حلم طالما داعب مخيلة الأسرى، ومشروع طالما سعوا لإنجازه(248).

ثانياً- كيفية تشكيل الهيئات التنظيمية:

يؤكد الباحث أن عملية تشكيل الهيئات التنظيمية في السجون تكونت على قاعدة اللوائح والأنظمة الداخلية، وعبر الانتخابات التي تتميز عادةً بالشفافية والنزاهة، بلا انقلابات على النتائج أيًا كانت، أو دكتاتوريات تعتمد على القبلية والشللية أو منطق القوة الذي قضت عليه الحركة الأسيرة نهائياً منذ بداية السبعينيات، بل تشكلت الهيئات بعملية منتظمة وبتبادل للسلطة وبرقابة ومحاسبة للعاملين.

وأما عن الهياكل ومسمياتها لدى الفصائل في السجون، فالقائد العام للتنظيم في حركة فتح يسمى بالموجه العام، وعند التنظيمات اليسارية خاصة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين يسمى بمسئول المنظمة الحزبية، أما عند الحركات الإسلامية حماس والجهاد الإسلامي فيسمونه الأمير العام، واللجنة المركزية هي التي تنتخب القائد العام للتنظيم، وهي التي تشرف على رأس اللجان العاملة في القلعة (مثل اللجنة الخارجية والإدارية والثقافية والأمنية والمالية)، أما ما يوازيها عند التنظيمات الإسلامية فهي اللجنة التنفيذية، وعند اليسار لجنة الرابطة، ويتم انتخاب اللجنة المركزية من قبل المجلس الثوري عند فتح، و من مجلس الشورى عند التنظيمات الإسلامية، ومن مؤتمر الرابطة عند اليسار.

(246) عيسى قراقع: مرجع سابق، ص30.

(247) ناصر عبد الجواد: مرجع سابق، ص130.

(248) الأسير محمد صبحة: التجربة الديمقراطية والمؤسسية حركة حماس في السجون، غزة، فلسطين، مكتب اعلام الأسرى، 2015، ص16.

وجميعها تتم بانتخابات نزيهة تبدأ بتشكيل اللجان الانتخابية من إخوة ثقات أكفاء مشهود لهم، وعادة ما توجه اللوائح إلى اختيار أعضاء لجان من الإخوة الذين لا يحق لهم الترشح -إن وجد- زيادة في الشفافية، لكن لا يشترط ذلك، وهذه اللجان الانتخابية توثق مراحل عملها وتفاصيلها أولاً بأول، وترفع التفاصيل من اللجان الفرعية إلى اللجنة المركزية، مع احتفاظ كل لجنة بنسخة من التفاصيل، ثم ترفع هذه التفاصيل إلى قيادة التنظيم الذي يشرف على أداء اللجان الانتخابية دون أي تدخل في تفاصيلها.

وبالتالي يمكن القول أن العلاقة بين الأسرى الفلسطينيين داخل السجون الإسرائيلية بنيت على أسس تنظيمية ولوائح تنظم هذه العلاقة ويشار إليها باللوائح الداخلية، تكفل لكل أسير ماله وما عليه من التزام، وأي خرق لهذا النظام له عقاب [249].

ثالثاً- الهيكلية التنظيمية العامة لكل معتقل:

لقد تمكنت الحركة الاعتقالية خلال تجربتها الطويلة من تشكيل مؤسساتها وهيئاتها الاعتقالية والوطنية، ووضعت لذاتها نظاماً داخلياً ضبط شؤون الأسرى بينهم وبين أنفسهم من جانب، وبينهم وبين إدارة مصلحة السجون من الجانب الآخر ،هذا النظام كان دقيقاً جداً لم يسمح لأحد التحدث باسم الأسرى إلا لمن ينتخب من قبل الأسرى أنفسهم، وشمل هذا النظام كل مناحي حياة الأسرى الأمنية والثقافية والخارجية والإدارية والمالية ووضع الضوابط لكل تفاصيل حياة الأسرى لحمايتهم وتطورهم على كل المستويات، هذا النظام حول السجن إلى مدينة فاضلة، بلا مصالح ولا شخصانية، بل غلّب الكل الاعتقالي فيه المصلحة الوطنية والاعتقالية على كل اعتبار[250].

1. اللجنة الوطنية العامة:

وتسمى باللجنة الوطنية العامة أو اللجنة النضالية العامة أو اللجنة الاعتقالية العامة، على اختلاف التسمية بين سجن وآخر مع تساوي في الدور والمضمون، وهي لجنة تعمل وفق لائحة متفق عليها بين الفصائل الموجودة في المعتقل، وتشرف على الاحتفالات العامة، وعلى الاتصال في مواقع الأسرى الأخرى في الشؤون الاعتقالية العامة، وعلى إصدار البيانات الجماهيرية، والبيانات الاعتقالية الجماعية، ويقع ضمن مهماتها البت في الإضرابات والخطوات النضالية الأخرى، كما تشرف على الصندوق المالي عبر لجنة خاصة تابعة لها، وكذلك تنشىء لجنة ثقافية عامة في بعض الأحيان، ولجنة نضالية لتنسيق النشاطات الرياضية الجماعية للمعتقلين، بالإضافة لإشرافها على عمل لجنة الحوار مع إدارة المعتقل [251].

(249) الأسير محمد صبحة: : مرجع سابق، ص16.

(250) الأسير المحرر شكرى سلمة، نائب رئيس هيئة شؤون الأسرى والمحررين، مقابلة أجراها الباحث، 23/4/2015، رام الله.

(251) خالد الهندى: مرجع سابق، ص141.

ورأى الأسرى في اللجنة الوطنية العامة تجربة أكثر نضوجاً من تجربة فصائلهم في الخارج في الديمقراطية وكيفية اتخاذ القرارات الجماعية بالتراضي أو بالأغلبية وفق النظام المتبع، فهذه اللجنة الاعتقالية صاحبة القرار الأول والأخير، كما جاء في الوثيقة الاعتقالية فهي السلطة العليا في السجن، التي من حقها التقرير في كل ما يخص المعتقلين[252].

2. لجنة الحوار:

تتولى لجنة الحوار عملية المفاوضات مع إدارة السجن وإدارة مصلحة السجون الإسرائيلية بالشكل العام عند زيارة الوفود والطواقم من خارج السجن، وتتابع أوضاع المعتقل ومطالب الأسرى في الاجتماعات الدورية، ومرجعيتها اللجنة الاعتقالية العامة، وأعضاء لجنة الحوار هم من الأسرى الأكفاء والقيادات الذين يتم ترشيحهم من قبل أطرهم التنظيمية، ويتمثل في هذه اللجنة الكل الاعتقالي، ويتميز أعضاؤها بإتقان اللغة العبرية « قراءة وكتابة وتعبير وإمكانية حوار » بالإضافة لممثل المعتقل.

3. الموجه العام:

هو الأسير الذي يتوافق عليه الكل الاعتقالي وغالباً ما يكون من الفصيل الأكثر عدداً في السجن، ليمثل الجميع أمام إدارة مصلحة السجون، ويفترض أن تتوفر في هذا الممثل خبرات خاصة منها أن يكون صاحب سمعة أمنية وأخلاقية عالية وأن يكون ذا قدرة على المناورة والمفاوضات وعلى قدر كبير من الوعي والثقافة والمعرفة، ويتحلى بقوة الشخصية ويجيد اللغة العبرية، للحديث مع طواقم إدارة السجون في مطالب الأسرى [253].

الموجه العام يتسلح في حواراته مع إدارة السجون بموقف وبقوة وإرادة وغضب ألف أسير في بعض السجون الكبيرة، وتتعامل إدارة مصلحة السجون معه بهذا الوزن وهذا الثقل، في المقابل يكون محكوم ومراقب من منهم جميعاً وموجه بسياسات المؤسسات الاعتقالية، ويتم تثبيته ودعمه ومساندته في حال نجح في تسويق قضايا الأسرى وتحقيق الإنجازات والحقوق لهم، ويتم إرشاده وتصحيح أخطاءه في حال الإخفاق، وقد يتم اقالته من مكانته والاتفاق على بديل له في حال لم يعبر عن مطالب الأسرى، ولم يستطع تطبيق السياسة العامة التي يتم الاتفاق عليها من قبل الفصائل في اطار مؤسساتها الوطنية العامة [254].

رابعاً- توحيد قرار المنظمات الاعتقالية:

استشعرت الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة حالة الاستهداف، واستطاعت أن تبلور قيادة موحدة لمنظماتها على مستوى السجون غير مختصرة على سجن واحد لكل منظمة، فبرزت القيادة الموحدة أو اللجنة المركزية الفرعية للجبهة الشعبية على مستوى السجون ككل، والهيئة القيادية العليا لحركتي حماس والجهاد الإسلامي على مستوى كل قلاع الأسر، وتوحدت

(252) اياد الرياحي: مرجع سابق، ص36.

(253) جمعية الأسرى والمحررين: مرجع سابق، ص12.

(254) الأسير المحرر عبد الهادى غنيم، مقابلة أجراها الباحث، 23/4/2015، قطاع غزة.

القرارات العامة للأسرى، وتم قدر الإمكان ترميم هياكل المنظمات وصياغة اللوائح الاعتقالية لضبط تحركها وعملها وتحديد صلاحياتها ومهامها.

خامساً- الهيكلية التنظيمية للأطر التنظيمية:

صاغت الفصائل لنفسها لوائح داخلية تحكم العلاقات والنشاطات داخل التنظيم الواحد، وقد تطورت هذه اللوائح وجرت عليها التعديلات حتى وصلت إلى صورة أفضل، فتضمنت تحديداً لأكثر القضايا، وعالجت معظم جوانب النشاط التنظيمي، وشملت كل مناحي الحياة الاعتقالية « كالأسس والمفاهيم التي تقوم عليها اللائحة التنظيمية، ومبادىء الحركة وأفكارها ومرتكزاتها وأهدافها وأساليبها النضالية، وواجبات وحقوق الأعضاء، وهيكل البناء التنظيمي داخل المعتقل، وواجبات وحقوق وصلاحيات الهيئات التنظيمية، ومراتبها المختلفة، ومهام وصلاحيات وآليات تشكيل الأجهزة المختلفة داخل الحركة، والمحظورات والعقوبات وآليات التعديل على مواد اللائحة، وصلاحيات ومهام اللجان داخل الأطر التنظيمية، والمتشابهة بعمومها لدى كل الفصائل الفلسطينية في السجون وأهمها[255]:

1. اللجنة الخارجية:

يرأسها أحد أعضاء اللجنة التنفيذية (المركزية) بمعية أعضاء آخرين وفق الحاجة في السجن والأقسام، وتُعنى بالشؤون الخارجية للحركة سواء في السجن الواحد مع الفصائل الأخرى، أو بالسجون الأخرى، أو مع التنظيم والمؤسسات خارج السجن، ومهمتها التنسيق مع الفصائل الأخرى لبلورة المواقف النضالية الاعتقالية العامة، ومراسلة السجون واطلاعها على أوضاع التنظيم العامة، وتحتفظ اللجنة الخارجية بأرشيف المراسلات مع السجون الأخرى، وتنسيق الخطوات النضالية والاعتقالية الشاملة، وتتابع أوضاع الأسرى في الخارج من الناحية المالية، ومخصصات الكنتينة والأهل، وزيارة المحامين[256]، وإبقاء الأسرى على اتصال دائم بالعالم الخارجي من خلال مراسلاتهم المتواصلة مع مراكز صنع القرار الوطني في الساحة الفلسطينية[257].

2. اللجنة الإدارية:

يتكون الجهاز الإداري من المفوض الإداري العام، واللجنة الإدارية العامة، لهذا الفصيل أو ذاك، ويقف على رأس الجهاز الإداري الموجه الإداري العام، وهو أحد أعضاء اللجنة التنفيذية (المركزية)، بالإضافة إلى موجهي الأقسام ولجانه الإدارية، وموجهي الغرف الإداريين، ويتم تنسيب أعضاء الجهاز الإداري من قبل المستويات القيادية العليا داخل الفصيل الواحد، لتولى هذه المهام بعد ملاحظة قدراتهم ومهاراتهم الإدارية والشخصية والثقافية والأمنية والاجتماعية [258].

(255) خالد الهندى: مرجع سابق، ص76.

(256) اللائحة الداخلية لحركة الجهاد الاسلامى فى السجون – مادة مهربة غير مطبوعة، ص19.

(257) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة – جامعة القدس، موسوعة تجارب الأسرى الفلسطينيين والعرب، مرجع سابق، ص55.

(258) المصدر نفسه : ص47.

تقـوم اللجنـة الإداريـة بضبـط الأوضـاع الداخليـة ومتابعـة الإشـكاليات ومعالجتهـا، وتـشرف اللجنـة الإداريـة عـلى النشـاط الإداري العـام مـن خـلال إشرافهـا عـلى نشـاط الموجهـين في الغـرف والأقسـام، وهـي التـي تضـع الخطـط الإداريـة لضـمان حيـاة منظمـة ومـن جهـة أخـرى تحـدد اللوائـح المراتـب التنظيميـة الإداريـة، ولعـل أهمهـا موجـه كل غرفـة كمسـؤول مبـاشر عـن عنـاصر التنظيـم في الغـرف لـكل الأقسـام في السـجن الواحـد، والـذي يقـدم تقاريـر دوريـة للجنـة، ويـشرف عـلى كل شـؤون الحيـاة [259]، كتحديـد أماكـن السـكن لـكل عنـصر والإشراف عـلى النظـام والنظافـة، وإطفـاء النـور، وضبـط التلفـاز، والخـروج للرياضـة، والنزهـة لـلأسرى وتطبيـق القـرارات الإداريـة التنظيميـة عـلى أرض الواقـع، ومـن صلاحيتهـا أيضـاً حـل المشـاكل ومعاقبـة المخالفـين.

3. اللجنة الثقافية:

يقـف عـلى رأس اللجنـة الثقافيـة قيـادي منتخـب في اللجنـة التنفيذيـة – المركزيـة، ويكـون مسـؤول أمـام التنظيـم عـن كل المهـام الثقافيـة في المعتقـل [260]، واختيـار أعضـاء اللجنـة برفقتـه، والموجهـين الثقافيـين في الأقسـام والغـرف.

ومهمـة اللجنـة الثقافيـة الإشراف عـلى رفـع المسـتوى الثقـافي لـلأسرى مـن خـلال وضـع الخطـط الثقافيـة المناسـبة لهـم، والسـهر عـلى تنفيذهـا، ولجنـة القسـم الثقافيـة تـشرف عـلى تنفيـذ الخطـة الثقافيـة العامـة لفصيلهـا السـياسي في قسـمها بالتنسـيق مـع اللجنـة الثقافيـة العامـة، وتحديـد مسـتويات الأسرى الثقافيـة، وتوزيعهـم عـلى خلايـا متدرجـة تنازليـاً والإشراف عـلى الجلسـات الثقافيـة في مجـالات مختلفـة وفـق الخطـة التنظيميـة وحاجـة الأسرى، وتقـوم بتعميـم النـشرات والتحاليـل السياسـية، والتعاميـم الـواردة مـن اللجنـة العامـة للقسـم، ثـم أرشـفة هـذه المـواد وحفظهـا في مكتبـة القسـم، والإشراف عـلى المكتبـة والكراسـات التنظيميـة وتحديهـا وفهرسـتها، وعـلى دورات محـو الأميـة وتعلـم اللغـات، وتطويـر مهـارات الكتابـة والخـط العـربي، وتقـوم اللجنـة الثقافيـة للقسـم باسـتقبال تقاريـر موجهـي الغـرف والخلايـا الأسـبوعية، وإعـداد التقاريـر نصـف الشـهرية حـول مسـيرة القسـم ورفعهـا إلى اللجنـة الثقافيـة العامـة، وتـشرف عـلى عقـد وتنظيـم الجلسـات التنظيميـة في مواعيدهـا، كـما وتقـوم بكتابـة المواضيـع الثقافيـة والفكريـة، وتنظيـم أرشـيف الصحـف العربيـة والعبريـة والانجليزيـة والمجـلات، وحفظهـا، ويعـد منسـق اللجنـة الفرعيـة حلقـة الوصـل مـع اللجنـة العامـة، ومسـئول أمامهـا عـن أوضـاع القسـم الثقافيـة[261].

4. اللجنة الأمنية:

يـرى الباحـث أن اللجنـة الأمنيـة هـي أشـد اللجـان حساسـية، لمـا لهـا مـن آثـار نفسـية ومصيريـة عـلى حيـاة العنـاصر التنظيميـة، وعـلى دقـة المعركـة وشراسـتها الصامتـة مـع أجهـزة الأمـن الإسرائيليـة، وتأخـذ التنظيـمات في عـين الاعتبـار كل المحاذيـر في اختيـار أعضـاء اللجنـة التـي

(259) قدري أبو بكر: من القمع إلى السلطة الثورية، دار الجليل للنشر، عمان، 1989، ص164.

(260) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص41.

(261) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة – جامعة القدس، موسوعة تجارب الأسرى الفلسطينيين والعرب، فلسطين، القدس، 2014م، ص48.

يرأسها أحد المسئولين والأعضاء المشهود لهم بالوطنية العالية، والذكاء والتحليل والإمكانيات، والتجربة الأمنية العميقة ومخافة الله في مصير الأسرى وذويهم، وتجربة الباحث تؤكد أن تخطيء اللجنة الأمنية في براءة 100 عميل أفضل من أن تتسرع فتخطيء في إدانة أسير واحد بريء، لذا عمل هذه اللجنة يحتاج للكثير من التقوى والصبر، والخبرة العميقة، والذكاء والتأني، والسرية الكاملة والشعور بالمسئولية الوطنية.

وممكن حصر عمل هذه اللجنة بصياغة ورسم السياسة الأمنية للتنظيم وفق السياسة المعتمدة، ورسم السياسة الدائمة للعمل الأمني والعمل على حماية الصف الداخلي من الاختراق، وإيجاد قناة إتصال مع الفصائل الأخرى، ومع دائرة العمل الأمني في الخارج لتبادل المعلومات وتوحيد القرار، وإيجاد قناة اتصال مع كافة اللجان الأمنية في كافة المواقع لتبادل المعلومات وتنسيق الخطوات والآراء، والعمل على إيجاد كادر أمني بالتنسيق مع الهيئات المحلية وذلك من خلال منهج تدريب وإعداد مناسب، وإيجاد لجنة دراسة وبحوث أمنية ومتابعة كل التطورات وكل ما هو جديد، واتخاذ قرار الإخضاع الأمني على قاعدة « آخر الدواء الكي « في حق أي عضو وفق ما يتم تقريره من نظم وضوابط بعد فشل المعالجات في تصحيح مسار المتورطين وبحق من أثبت أنهم تورطوا في عمليات تصفية للمناضلين، وتم إدانتهم بالخيانة العظمى للوطن والقضية[262].

هذا بالإضافة لمحاربة كل الظواهر التخريبية والمسلكية، ومعالجة ومتابعة كل إشاعة أوتحريض أو تشويه بحق أي أسير، ومحاربة سياسة المحاور ومراكز القوى والبلدية والشللية والاتجاهات الفكرية المنحرفة [263].

5. اللجنة المالية:

هي إحدى اللجان العاملة ويرأسها أحد أعضاء اللجنة التنفيذية (المركزية) بمعية أسرى آخرين وفق الحاجة في السجن والأقسام، و تختص بالشؤون المالية للحركة والصندوق وكافة المعاملات المالية، ومهامها القيام بإعداد الخطة المالية وعرضها على القيادة العامة للحركة لإقرارها ثم الإشراف على تطبيقها، وتقوم بتحديد الميزانيات و المخصصات الشهرية للأعضاء، والمخصصات الشهرية للجان العاملة، والمشتريات العامة، والمخصصات الشهرية للعمال، وتقوم بتغطية المصروفات التنظيمية الخاصة، ومتابعة الأرصدة، وإجراءات التحويلات المالية داخل السجن وخارجه، وتقدم تقرير شهري للمسؤولين حول الوضع والأداء المالي للتنظيم، وتتابع المديونين للتنظيم وتضع الإجراءات الخاصة بهم، وتوفر المصروفات المالية للاحتفالات والمناسبات والهدايا والجوائز ضمن الإمكانيات المتاحة [264].

(262) الأسير محمد صبحة: مرجع سابق، ص156.

(263) اللائحة الداخلية لحركة فتح – مادة مهربة من السجون وغير مطبوعة، ص30.

(264) اللائحة الداخلية لحركة الجهاد الاسلامى فى السجون – مادة مهربة غير مطبوعة، ص19.

6. اللجنة القضائية:

هي لجنة يشرف عليها مسؤول من اللجنة التنفيذية (المركزية)، وإما أن تكون دائمة أو مؤقتة الانعقاد حسب الحاجة، ومهامها تنفيذ السياسة القضائية المعتمدة من لجنة الإعداد في القضايا المطروحة، ورفع قراراتها في القضايا محل البحث للجنة التنفيذية – المركزية، وأما عن آلية عملها فيتم العمل على محاولة الإصلاح بين الأطراف ابتداءً، وبالبحث وبتعريف أطراف القضية بعواقب الأمور وما يمكن أن يترتب على البحث من إجراءات، وبالالتزام بآداب القضاء العادل بالسماع لكافة الأطراف والشهود وتمحيص الأمر والحياد في الحكم، وعن قرارات اللجنة فتؤخذ بالأغلبية، ومن أهم شروط عملها المحافظة على سرية المداولات حتى الانتهاء من القضية كاملاً ورفع قرارها، مع الالتزام بالنظام (القضائي) المعتمد وعدم الخروج عنه، والالتزام بشروط التكليف المقدمة من المكتب التنفيذي، ويمكن الاستئناف على قرار اللجنة بتقديم طلب للجنة التنفيذية، ومن حق طرف أو أطراف القضية الاعتراض على اللجنة القضائية أو أحد أعضائها والمطالبة بتغيره مع ضرورة إبداء الأسباب المتعلقة بذلك[265].

في نهاية المبحث يرى الباحث أن إحدى صور الإبداع في السجون تجسدت في تحويل واقع السجن إلى مجتمع له أعرافه وتقاليده، ينفي أي معنى للضعيف والقوى، كل الأسرى سواسية في واجباتهم وحقوقهم، وحق العضوية والترشيح والانتخاب لاختيار قيادته، فالمؤسسات الاعتقالية حافظت على الأسير منذ لحظة اعتقاله وعملت على تطويره بوضع القوانين والضوابط والحوافز في القراءة والرياضة ومشاهدة التلفاز حتى نظافة الأوعية والأدوات بعد الطعام ونظافة الغرفة وملء الفراغ والثقافة، وبفضل تلك المؤسسات واللجان تم تهيئة الأجواء والظروف لتطوير إبداعات الأسرى، وحولت السجون إلى مدارس وجامعات وحلقات ذكر وعلم وثقافة، ولعل من أبرز تلك المؤسسات الاعتقالية اللجنة الوطنية العامة[266].

ومن واقع التجربة الاعتقالية للباحث، أن تلك اللجان والنظم والقوانين واللوائح، عملت على تحويل السجون لمجتمعات وسلطات صغيرة متكاملة، أقرب إلى المثالية والحياة الجماعية، التي تغلب المصالح الوطنية العليا على الأنا والذاتية والشخصانية، ومن غير شك أن إشكاليات عدة تبرز بين الحين والآخر في داخل هذا المجتمع، ولكنها تبقى استثنائية ومتباعدة ومنبوذة وسط أناس باعوا شبابهم وزهرات شبابهم في سبيل معتقداتهم ومبادئهم وقيمهم وأخلاقهم، ومن أجل الحرية والدفاع عن وطنهم، ومن أجل تحقيق حريتهم وسيادتهم واستقلالهم كباقي شعوب العالم.

(265) الأسير محمد صبحة: مرجع سابق، ص141.

(266) الأسير المحرر كفاح العارضة، مقابلة أجراها الباحث، 23/4/2015، قطاع غزة.

المبحث الثالث
دور الحركة الأسيرة في تعزيز الجوانب الإبداعية لدى الأسرى

لم يستسلم الأسرى الفلسطينيون لسياسة إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية، التي سعت جاهدة لتحطيم إمكانيات الأسرى وقتل روح الإبداع في داخلهم، وتحويلهم إلى مجموعات يائسة وبائسة ومحبطة ونادمة، فمن مرحلة الحرمان من الورقة والقلم استطاع الأسرى بتحديهم وإصرارهم إلى تهريب أنابيب الأقلام، وطوردت هذه الأنابيب كما تطارد العبوات الناسفة، وعوقب من ضبط بحوزته أنبوباً بالزنزانة لما يقرب من الأسبوعين، أما بالنسبة للورق، فقد استخدم المعتقلون ورق لف البرتقال وورق علب اللبن، وقطع المرجرين بعد تجفيفها، وكانت الورقة تجزأ إلى أقسام مختلفة، وتوزع على مختلف أنواع المحاضرات وعلى مختلف الفئات، وكانت تستوعب الكثير من المعلومات للكتابة عليها بخط صغير جداً يكاد يرى بصعوبة [267].

ومن مرحلة نضالية إلى أخرى تعمدت بالكثير من الشهداء والإضرابات المفتوحة عن الطعام والخطوات النضالية، استطاع الأسرى تحقيق الكثير من الإنجازات التي أجبرت إدارة مصلحة السجون للاعتراف بالكثير من حقوقهم التي راودتهم عليها، واستغلت الظروف والمتغيرات السياسية الخارجية للنيل منهم.

ولقد أدرك الأسرى حجم المعركة وأهميتها، فعملت القيادات التي تقف على رأس المؤسسات الاعتقالية، واللجان العاملة في الأطر التنظيمية لتنمية الإبداع للأسرى من خلال عمليات التشجيع والتحفيز لهم، واكتشاف قدراتهم وتطويرها، وإيجاد بيئة اعتقالية ملائمة، ووضع القوانين والضوابط لحمايتها، ولتوفير وسائل الإبداع، وصياغة البرامج لتخريج الكوادر والكفاءات المبدعة، وحث الأسرى على الرياضة البدنية كونها تغذي الرياضة الفكرية والثقافية من خلال العقول السليمة في الأجسام السليمة التي تسعى طواقم إدارة السجون لتقويضها وجعلها فريسة المرض والوهن والعجز، والعمل على طباعة إنتاجات الأسرى الأدبية والثقافية من خلال التواصل مع المؤسسات التعليمية والقوى الفلسطينية ودور النشر خارج السجون والمعتقلات بتهريب الهواتف النقالة وعبر الزيارات والمحامين، في هذا المبحث سيتناول الباحث دور الحركة الأسيرة في تعزيز الجوانب الإبداعية لدى الأسرى في السجون الإسرائيلية من خلال:

1. التشجيع والتحفيز:

قامت الأطر التنظيمية واللجان الثقافية بالعناية بالمعتقلين الجدد، وفتح دورات فكرية وثقافية خاصة بأدبيات تنظيماتهم، وأنشطة أخرى مصممة لرفع القدرة التحليلية لدى الأسرى الجدد،

(267) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص168.

وتعريفهم بالأوضاع الاعتقالية القائمة، والبرامج المتوفرة لخلق حياة اعتقالية فاعلة، ويطلب من الجدد بعد إتمام الدورة، الاطلاع على بعض الكتب والأعمال الثقافية، وذلك لزيادة سعة اطلاعهم ليسمح لهم بعدها بدراسة اللغات، والقيام بأي نشاط أكاديمي متاح يرغبون به، الأمر الذي يؤهلهم للمشاركة بأعمال الثقافة كالندوات والمحاضرات والكتابة في المجلات، والمساهمة في المهمات الثقافية المطلوبة من الجهات المسؤولة، هذا وتشمل السياسة الثقافية العامة عملية التطوير الفردي، فيتم تشجيع الأسرى على المشاركة في النقاشات التي تدور في الجلسات أو خارج إطارها، وتحفزهم للبوح بآراءهم وتصوراتهم، ويكلف الفرد أحياناً بكتابة ملخص عن المواضيع التي تطرح أثناء الجلسات، وبكتابة مواضيع تعنى بالشؤون السياسية المختلفة، ويتاح للفرد أيضاً القيام بإلقاء محاضرات من شأنها تنمية قدراته على صعيد السياسة والخطابة والإلقاء الجيد[268].

وجد الباحثون علاقة بين الحالة النضالية وإدخال المواد التعليمية والثقافية للسجون وبين نشوء حالة الإبداع للأسرى، واعتبروا أن التشجيع على الكتابة وإنشاء المجلات الأدبية التي أشرف عليها أساتذة في اللغة العربية والنقد الأدبي، تعتبر وسائل محفزة للأسرى الجدد على التطور[269].

2. اكتشاف قدرات الأسرى وتطويرها:

مجتمع المعتقلات مطالب وبصورة ملحة برفع مستوى المشاركة الثقافية الفاعلة، والفرصة مهيأة أمام الجميع، إلا أنه ليس من الملاحظ أن الجميع يندمجون بشكل جدي في عنفوان النشاط الثقافي، صحيح أن الناس تختلف في مدى استيعابها أو رغباتها في العمل والمشاركة، إلا أنه من المفروض خلق ظروف مواتية وبصورة أفضل لتحميس الجميع على العطاء والبذل، وهنا يأتي دور اللجان المختصة بالعمل على كشف قيادات وكفاءات في مختلف المجالات، وإتاحة الفرص لها وتدريبها وتعميق تجربتها في مجال العمل السياسي والإداري[270].

ويرى الباحث أن عملية التصنيف مهمة داخل المعتقلات، وتأخذ الكثير من النقاش والتدريب والتوجيه والإرشاد والتحفيز في هذا الجانب، ومع مرور الوقت تتم عمليات التقييم للأسرى الجدد، ويتم تحديد الميول والرغبات والطموحات لدى الأسرى، ويتم توزيعهم على دورات وجلسات عامة وخاصة، شبيهة بنظام الجامعات، في الثقافة العامة والدينية والوطنية والقضايا الاعتقالية والحزبية، وفي مجال الأمن أو الإدارة أو اللغة أو الأدب أو التعليم الأكاديمي وتخصصات في شتى المجالات.

ويتميز مجتمع الأسرى في داخل السجون الإسرائيلية عن غيره من المجتمعات المغلقة رغم المعاناة اليومية في عدة قضايا من أهمها الجانب الإبداعي، وهناك الكثير من تلك الجوانب

(268) محمد لطفي ياسين: مرجع سابق، ص110.
(269) الأسير المحرر عبد الحق رمضان شحادة: مقابلة أجراها الباحث، 15/2/2014، غزة.
(270) أحمد أبو غوش وآخرون: مرجع سابق، ص149.

التـي تخـص الأسرى في كثـير مـن المجـالات الفكريـة والأدبيـة المختلفـة كالشـعر وكتابـة القصـة والروايـة، وأيضـاً الأعـمال الفنيـة كالتمثيـل والرسـم وعمـل المطـرزات وكذلـك الجانـب الريـاضي، وهنـاك عمليـة اكتشـاف لتلـك المواهـب عـبر اللجنـة الثقافيـة المختصـة، وبعـد ذلـك يتـم فـرز المواهــب إلى اللجــان لتنميــة القــدرات وصقــل المواهــب في إطــار محــدد، وبعــد ذلــك تتــم عمليـة التقييـم والمتابعـة مـن أجـل بلـوغ الأسـير إلى مراتـب متقدمـة في تخصـص معـين[271].

وهنـاك دور بـارز للأطـر التنظيميـة في عمليـة التوعيـة داخـل السـجون مـن خـلال إعـداد غـرف خاصـة لمحـو الأميـة، وأخـرى لإعـداد كادر مـن خـلال برنامج ثقـافي متقـدم، وتتبنـى اللجنـة الثقافية تطويـر بعـض النخـب المبدعـة والمتميـزة مـن الأسرى لتأهيلهـا للعمـل التنظيمـي في مجـالات متعـددة، ولوحظـت قـدرة الأسرى المحرريـن في أعقـاب إنهـاء الكثـير مـن الـدورات خـلال اعتقالهم، وذلـك في ورش العمـل والكلـمات خـلال الاسـتقبال أو في الاعتصامـات مـع الأسرى المضربـين في خيـام التضامـن والمسـيرات بعـد تحررهـم[272].

ويؤكـد الباحـث أن هنالـك الكثـير مـن الظواهـر التقليديـة خـلال النقاشـات، أو القـاء المحـاضرات، أو السـؤال في قضايـا متنوعـة يشـار إليهـا بالبنـان لبعـض الشـخصيات كمرجعيـات متخصصـة في السـجون[273]، وبـرزت في المعتقـلات المرجعيـات المتخصصـة مـن الأسرى في العلـوم المختلفـة عنـد الحاجـة لسـؤال، أو الحسـم لقضيـة عنـد خـلاف أو جـدل أو نقـاش.

3. إيجاد بيئة اعتقالية ووسائل إبداعية ملائمة:

أدرك الأسرى منـذ السـنوات الأولى للاعتقـال أنـه مـن المسـتحيل أن يتحقـق الإبـداع والتطويـر لكفـاءات الأسرى واسـتغلال سـنوات الاعتقـال بالنافـع والمفيـد إلا مـن خـلال إيجـاد بيئـة اعتقاليـة ملائمـة، بيئـة مضبوطـة بالأخـلاق والقوانـين، وموفـرة للوسـائل الإبداعيـة، في ظـل محاولـة الاحتـلال الحيلولـة بـين الفلسـطيني وبـين التنميـة الفكريـة والثقافيـة، وكان عـلى الفلسـطيني أن يدفـع ضريبـة كل خطـوة يخطوهـا إلى الأمـام في هـذا المجـال، كـما هو الحـال في كل مـا أنجزه الفلسـطيني في معتقلـه، كان عليـه أن يتضـور جوعـاً، بـل ويستشـهد مـن أجـل أن يحصـل عـلى قلـم أو كتـاب وأن يرتقـي في مسـتواه الثقـافي(274).

واسـتطاع الأسرى الفلسـطينيون بعـد العديـد مـن الإضرابـات بانتـزاع حقهـم في إتمام مرحلـة التعليم الثانـوي «التوجيهـي» وفقـاً للنظـام التعليمـي خـارج السـجن، فنجـح الآلاف منهـم وحصلـوا عـلى شـهادة الثانويـة العامـة، وانتزعـوا في أيلـول سـبتمبر 1992م الحـق في التعليـم الجامعـي بالانتسـاب عـبر المراسـلة للجامعـة المفتوحـة في إسرائيـل باللغـة العبريـة ضمـن شروط صعبـة ورسـوم ماديـة عاليـة كانـت تتحمـل نفقاتهـا وزارة الأسرى[275].

(271) يحيى محمود يحيى: مقابلة أجراها الباحث، 2/10/2015، جباليا.

(272) موفق عبد الرحمن حميد: مقابلة أجراها الباحث، 25/10/2015 ،غزة.

(273) هنالـك أسرى تخصصـوا في مجـالات محـددة كالقـرآن والتفسـير والسـيرة النبويـة، وغـيره في التاريـخ القديـم والمعـاصر، وتاريـخ الثـورات العالميـة، والمسـتجدات السياسـية والدوليـة، والثـورات والمتغـيرات العربيـة، وفي الفلسـفة والأدب الفلسـطيني والعـربي والـدولي.

(274) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص165.

(275) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص304.

وامتلك الأسرى القدرة على التفكير والإبداع بما لا يتصوره عقل، حتى أن السجان كان يتفاجأ من ابتكاراتهم في جميع الميادين والمستويات، فرغم قلة الإمكان إلا أن الحاجة تبقى أم الإختراع والإبداع، فأبدع الأسرى على المستوى الفكري والثقافي والإداري والتنظيمي، بالإضافة إلى الإبداعات التي تتعلق بنمط الحياة اليومية، فأصبح الأسير يعيش في واقع منظم تحكمه قوانين ولوائح تنظم حياته الإدارية والثقافية والاجتماعية، وأهم إبداعات الأسرى على المستوى الاعتقالي هو إيجاد تفاهمات ما بين الفصائل الوطنية والإسلامية داخل سجون الاحتلال وقواعد متعارف عليها ينطلقون من خلالها في مواجهة السجان، واستخدام الإضرابات المفتوحه عن الطعام والخطوات التكتيكية لتحقيق وسائل الإبداع من إدخال الكتب، وتقنين التفتيشات وعدم مصادرة الإنتاجات الأدبية، والتعليم الجامعي، والاستمرار في البناء الفكري والثقافي وتخريج المفكر والكاتب والروائي والشاعر والقائد من السجون، واستطاع الأسرى أن يبدعوا على مستوى الحياة اليومية سواء في مجال الفن أو اختراع أدوات ووسائل بسيطة يستطيعون العيش أو التعايش بها، فعلى مستوى التلفاز استطاع الأسرى تحويل جهاز الراديو إلى بث ذبذبات التلفاز ليلتقطها الأسرى من خلال أجهزة المذياع أو السماعات دون أن يتم التشويش على باقي الأسرى في الغرفة، ومن إبداعاتهم إخفاء أجهزة الهواتف المهربة في غرفهم رغم ضيق المكان ومحدوديته، والذي أصبح من أهم الأدوات في مقارعة السجان من خلال الاتصال بباقي السجون وتنسيق المواقف والتواصل مع أهالي الأسرى، كما أبدع الأسرى في التواصل ما بين السجون للتواصل والتنسيق للخطوات النضالية من خلال كبسولات صغيرة ممكن تهريبها بطرق معقدة ببلعها عند النقل للأسرى أو الحرية وتكون مكتوبة بحجم صغير، هذه المواقف الجماعية للحركة الأسيرة كانت تفاجئ السجان في كيفية التواصل والترتيب والتنسيق للخطوات الجماعية علي الرغم من بعد السجون عن بعضها البعض، جميع هذه الإبداعات وغيرها بنيت على الإرادة الصلبة، والعزيمة القوية التي تتحطهم عليها مؤامرات إدارة مصلحة السجون، من أجل أن يحيوا بعزة وكرامة داخل سجون الاحتلال[276].

وركز الأسرى على تعزيز الجوانب الإبداعية للأسرى وإيجاد مناخ تطويري لقدراتهم بوسائل متعددة مثل:

1. إضراب الأسرى لفترات طويلة من أجل الدفاع عن حقوقهم وتحقيق إنجازاتهم، وقد ارتقى العديد من الأسرى شهداء لكي يحققوا الإنجازات لباقي الأسرى.

2. كتابة الكراسات التنظيمية والأمنية لكل فصيل وتثقيف وتوعية الأسرى الجدد على الثقافة الوطنية وثقافة الوعي الأمني من خلال الجلسات التنظيمية، بحيث تحولت السجون إلى جامعات تمد الشارع الفلسطيني بجيل جديد يتميز بالوعي ومعرفة تاريخه وتاريخ قضيته.

3. تنظيم دوارت أحكام تجويد وحفظ القرآن الكريم كاملاً من قبل العديد من الأسرى.

(276) فؤاد قاسم الرازم: مقابلة أجراها الباحث، 3/11/2015، غزة.

4. عقـد دورات لتعليـم اللغـات وخاصـة اللغـة العبريـة امتثـالاً لقولـه صـل اللـه عليـة وسـلم «مـن تعلـم لغـة قـوم أمـن مكرهـم»

5. إكـمال الأسرى لتحصيلهـم العلمـي سـواء الثانويـة العامـة او البكالوريـوس أو الماجسـتير ومنهم مـن حصل عـلى شـهادة الدكتـوراه.

6. تميـز الأسرى بكتابـة الشـعر والروايـات وأدب السـجون والرسـم ورفـد المجتمـع بهـذا الشـعر والروايـات.

7. تشـكيل الأسرى لممثلـين لهـم للمحافظـة عـلى حقوقهـم والصمـود في وجـه السـجان وعـدم النيـل مـن كرامـة الأسرى.

8. إدخال الكتب إلى السجون والتي كان لها الأثر الأكبر في إثراء الوعي عند الأسرى.

9. محاولـة التغلـب عـلى مصاعـب السـجن عـبر ابتـكار أدوات كان الاحتـلال يمنـع دخولهـا لـلأسرى مثـل الإبـر التـي كانـت تسـتخدم في الخياطـة والتـي كان يصنعهـا الأسرى مـن الأسـلاك الشـائكة الموجـودة حـول السـجن، وكذلـك عمـل غلايـات الشـاي أو المقـالي مـن المعلبـات أو علـب المـربى التـي كان يحضرهـا الأسرى عـن طريـق المطبـخ، والسـكاكين مـن أغطيـة المعلبـات بثنيهـا وحدهـا كالشـفرة.

10. أعـمال التطريـز والنحـت عـلى الأحجـار وعمـل المجسـمات مـن الأغـراض المتوفـرة والبسـيطة داخـل السـجن.

11. المحافظة على اللياقة البدنية وممارسة الألعاب الرياضية.

12. تنظيم احتفالات تنظيمية وتأبين للشهداء وإقامة صلاة الجمعة في ساحات السجن.

13. عمليات الهروب التي كان يقوم بها الأسرى من السجون.

14. شـكل الأسرى قيـادة للانتفاضـات الموالـية التـي مـر بهـا شـعبنا وكان الأسرى أهـم رافـد لهـذه الانتفاضـات.

15. تهريـب وسـائل الاتصـال مثـل الهواتـف والتواصـل مـع الخـارج علـما بـأن الاحتـلال يحظـر عـلى الأسرى الاتصـال بالخـارج ([277]).

(277) فهمى محمد كنعان: مقابلة أجراها الباحث، 3/11/2015، قطاع غزة.

4. القوانين والضوابط لحماية بيئة الإبداع:

تؤكد الحركة الأسيرة قبل أي اعتبار على الأخلاق، فالأخلاق في المجتمع الاعتقالي تشمل كل ميادين النشاط والعلاقات المتبادلة بين الأعضاء، وبمفهوم الثقافة الوطنية تأتي الأخلاق نتيجة اكتساب التربية الأخلاقية ومعرفة العادات والتقاليد الثورية، لذلك فالمجتمع الاعتقالي منظم يطالب العضو بمطالب أخلاقية معينة [278]، والمرحلة الثانية حماية بيئة الإبداع بالقوانين والضوابط، فالأعراف الاعتقالية العامة ضمن الميثاق الضمني الشفهي أو المكتوب بين الأسرى يجرم الأفعال المخلة بالنظام العام للمجتمع الاعتقالي، وحددت الحقوق والواجبات للأسير والضوابط التي تحكم تصرفاته والحدود والخطوط التي ينبغي عدم تخطيها، كما أن كل لائحة اعتقالية للأطر التنظيمية شملت بنود نصت على العقوبات وأنواعها وتدرجها للفوضويين، والمؤثرين سلباً على البيئة الإبداعية للحركة الأسيرة.

والنشاط الإداري يلعب دوراً مهماً في هذا الجانب كونه يكفل تنظيم الحياة حسب قوانين الدستور التنظيمي، حيث تعالج من خلاله كل المخالفات اللامسئولة ويوقع العقاب على مخاليفها، ولكن جوهر الحياة التنظيمية ليس العقاب، ولا فرض السلطة بل التوجيه والعمل بكافة الطرق على خلق القناعة الذاتية بالقيم التي عمادها المساواة، والأخوة النضالية، واحترام الآخرين وطاعة القوانين والمراتب العليا، التي عليها أن تحترم أيضاً عناصر التنظيم وتعاملهم على أساس الأخوة التنظيمية، لا فرض السلطة، فلا فرض بلا قناعة وإيمان وجهد مشترك، ومن أهم القوانين السلوكية التي يجب عدم مخالفتها الالتزام بنظام الغرف كالهدوء، فعلى الجميع التقيد بأوقات تحددها الغرفة[279]، والجلسات التنظيمية في موعدها، والحديث بصوت منخفض لإتاحة المجال للمطالعة والتفكير والحفظ والتعلم، وسماع المذياع أو التلفاز عبر السماعات الخاصة ضمن شبكة كهربائية أعدها الأسرى بطريقة مهنية وعبقرية رائعة، جعلت الغرفة في حال من الهدوء وتهيئة الظروف الملائمة للدراسة على مدار الساعة.

لذلك فالنشاط الإداري والقوانين واللوائح تكرس النظام في المجتمع الاعتقالي، وبهذا تنعدم الفوضى لأن عناصر التنظيم يعرفون ما لهم وما عليهم، ولا يتدخل أحدهم إطلاقاً في شؤون غيره، ففي الغرفة الموجه هو المسؤول المباشر ويتخذ إجراءاته المقبولة من الجميع دون تدخل ولا يتصرف أحد دون مشاورته وموافقته، لذلك تسير الحياة بنظام وهدوء [280].

5. صياغة البرامج لتخريج الكوادر والكفاءات المبدعة:

حقيقة لا يوجد في المعتقل جهاز ثقافي وإنما أجهزة حيث يمتلك كل فصيل، خاصة الفصائل الكبيرة، جهازه الخاص، وعلى الرغم من تعدد الأجهزة إلا أنها تتوافق في الترتيب والوظيفة[281]، وهنالك خطوط عريضة لتلك الأجهزة تتمثل بالاهتمام أولاً بمحو الأمية والأمية السياسية،

(278) أحمد أبو غوش وآخرون: مرجع سابق، ص152.
(279) قدرى أبو بكر: مرجع سابق، ص166.
(280) قدرى أبو بكر: مرجع سابق، ص166.
(281) محمد لطفى ياسين: مرجع سابق، ص108.

والتركيز بشكل أولي ومبدئي على الطموحات التنظيمية ورؤية التنظيم للواقع، وعلى التجارب الثورية العالمية، ويعمل التنظيم على أن تكون الدراسة جماعية ومنظمة، هذا بالإضافة إلى الدراسة الذاتية، والاهتمام ببناء عناصر التنظيم على أساس الرؤية الوطنية، لذلك تتمحور الحركة الفكرية في ثلاثة محاور « معرفة الذات التي تشمل الواقع القطري كجزء من الواقع القومي وتطوره التاريخي، مركزين على البعد الوطني لهذا التطور ومعرفة العدو التي تشمل الحركة الصهيونية وتطورها وفكرها والكيان الصهيوني بكل جوانب الحياة فيه، والمعرفة الإنسانية وهي تشمل الأفكار العالمية، مركزين على الجانب الإنساني والثوري والأدبي فيه، بشكل لا يتناقض مع الثورة الوطنية وأسسها، بمعنى حق القراءة والمعرفة وعدم التعارض مع البرنامج الوطني المطروح، وتشجيع البحث والدراسة والنقاش، بشرط الالتزام بقواعد الديمقراطية – والدراسات الخاصة الأخرى[282]، كدراسة اللغات وأهمها العبرية والانجليزية [283].

6. الرياضة البدنية:

يمكن ملاحظة النشاط الرياضي بوضوح في المعتقلات المركزية، حيث ساحات كبيرة وفيها ملاعب كرة طائرة وسلة، فمثلما يهتم المجتمع الاعتقالي بالبناء العقلي للثوار، يهتم بنفس الدرجة بالبناء الجسدي، فالمقاتل النموذجي هو المسلح بوعي سياسي وقدرة جسدية ممكنة من تنفيذ المهام الصعبة بكفاءة عالية، ومن جهة أخرى الجلوس لفترات طويلة والانحسار داخل الغرف يضعف الجسد ويسبب العديد من الأمراض[284].

لم يستسلم الأسرى لتلك الظروف بل ناضلوا حتى ينالوا موافقة السجان لممارسة ساعة رياضية صباحية ليقوموا بالعدو «الجري" لنصف ساعة، وما تبقى للتمارين الأخرى «تمارين سويدي"، وشكل الأسرى لجاناً رياضية تنظم الفرق والمباريات في ساحات السجون ومارسوا بعض الألعاب ككرة التنس واليد والسلة ونط الحبل، خاصة في ذكرى انطلاقات الفصائل والمناسبات الوطنية، في حين عاقبت إدارة السجون ألعاب القوى « الكراتيه وكمال الأجسام والمصارعة « وصادرت الأثقال التي صنعوها من زجاجات المياه والملح المرصوصة، ومنعوا كرة القدم.

فضلاً عن ذلك لا يغفل العديد من المعتقلين عن ممارسة نشاط رياضي داخل غرفة الاعتقال على الرغم من أن الغرف ضيقة بالنسبة لعددهم، ولذلك لم يسمح إلا لرياضة في حدود ممكنة ومعقولة[285]،واهتم الأسرى بشكل كبير بلعبة الشطرنج التي تنمي الفكر

(282) أحمد أبو غوش وآخرون: مرجع سابق، ص142.

(283) تحدث الأسير المحرر محمد أبو جلالة الذى أمضى 21 عاماً متواصلة فى السجون عن عملية تأهيل وتخريج الكوادر والقيادات قائلاً (يقوم الأسير الجديد بتوجيه من اللجان الثقافية بدراسة متطلبات الكادر التنظيمي، بدءاً باللغة العربية كتابة وقراءة ونحو وصرف وبلاغة، وتصل لحد تعلم فن الإلقاء والخطابة ولغة الجسم، والإجازة فى العلوم الدينية والدنيوية، ومن ثم يبدأ بتعلم اللغة العبرية لأهميتها، وتلحق معها في مرحلة متقدمة اللغة الانجليزية،، ودراسة التاريخ، خاصة تاريخ القضية الفلسطينية، والصراع العربي الإسرائيلي، والقضايا الفكرية والحركية، ومنطلقات الفصائل الوطنية والإسلامية مع نبذة عن قياداتها وثوابتها وأهدافها، والتدريب على العمل الإداري، وعملية التدرج فى الهيكل التنظيمي، وممارسة العمل الحركي، بعد عملية البناء الروحى والجسدى والإيمان والوعى والثورة.

(284) قدرى أبو بكر: مرجع سابق، ص176.

(285) محمد لطفى ياسين: مرجع سابق، ص113.

وتعمل العقل، وأتقنوها وعلموها لبعضهم، وجرت المنافسات فيها في داخل الغرف، وساحة المعتقل وبين الفصائل، وأقاموا فيها المباريات في المناسبات الوطنية العامة.

7. التواصل مع الخارج:

بدد الأسرى في السجون مخططات أجهزة الأمن الإسرائيلية بعزلهم عن محيطهم الخارجي، وتجميد الزمن عند لحظة اعتقالهم، ففي البدايات كانت أداة التواصل بين الأسرى في السجون، ومع ذويهم، والمؤسسات الإعلامية والقوى والتعليمية عبر زيارات الأهالي غير المنتظمة بفعل انتهاكات الاحتلال والعقابات المستمرة، وعبر المحامين المراقبة والمحصورة زياراتهم بعدد قليل جداً وعلى فترات متباعدة والذين يتعرضون للمنع في مناسبات وظروف كثيرة، وعبر الكبسولة التي تنتقل مع المنقولين والمحررين والتي لاحقت الشرطة حامليها، وعاملتهم بالقوة وبأساليب عنيفة.

ونتيجة لتطور التقنيات ووسائل الاتصال، أصبحت رسائل المعتقلين تصل لدائرة أوسع بكثير من دائرة الأهل والأصدقاء، عن طريق تعميم الرسائل جماهيرياً، بحيث يتم استثمار وسائل إعلامية متطورة، بغية إيصال مضامين الرسائل إلى مجتمع بأسره، وربما إلى مجتمعات، فقد استفاد المعتقلون في الانتفاضة الأولى من «إذاعة الأسرى" التي تبث من غزة، لكي تذاع رسائلهم ويستمع إليها أكبر عدد ممكن من الناس لتحقيق جملة من الأهداف، أهمها:

1. كسر الحصار المفروض على المعتقلين.
2. تعميم التجربة والتعبير عن مواقف وتوجيهات، وبذلك تكون الرسالة فرصة مناسبة، لترويج طروحات ومفاهيم الأسرى.
3. حملت الرسائل المذاعة الكثير من المعلومات والحقائق عن واقع المعتقلين الفلسطينيين والعرب.
4. قدم المعتقلون من خلال الإذاعة « هدايا معنوية « للأهل والأصدقاء في المناسبات.
5. أظهرت بعض الرسائل المذاعة جمالية أدبية ومستوى متطور لدى الأسرى، الأمر الذي أعطى للمستمع الفلسطيني والعربي المتابع «لإذاعة القدس» فكرة عن نتاجات المعتقلين الأدبية والثقافية والسياسية [286].

(286) حسن عبد الله: أثر الرسالة فى حياة المعتقل الفلسطيني، رام الله، مركز المشرق للدراسات، 2004، ص127-126.

وفي منتصف التسعينات هرَّب الأسرى بعض أجهزة الهواتف النقالة لكسر عزلتهم عن العالم الخارجي، وقد أبدع الأسرى وخاصة الجدد منهم في تهريب هذه الأجهزة لدرجة وصلت أعدادها إلى المئات، ولربما في مرحلة لاحقة إلى الآلاف[287].

وربطت الهواتف النقالة الأسرى بذويهم زمن الانتفاضة، عندما كانوا محرومين من الزيارات جراء المنع الإسرائيلي، وأحدث ذلك اتصالاً إنسانياً واجتماعياً لأسرى أمضوا سنوات طويلة، وما كان ممكناً الحديث معهم دون توافر هذه الأجهزة، وأقاموا الصلات مع أسرهم وأقاربهم ومع أسرهم ومع تنظيماتهم أيضاً، فأحدث الهاتف مشاركة اجتماعية، فكثيراً ما شارك الأسير في حل إشكالات العائلة، أو ساعد على حلها، لاسيما تعليم الأبناء، أو تقديم العزاء أو التهاني في المناسبات، حتى في إصدار البيانات السياسية والجماهيرية في مناسبات عديدة والوصول إلى الإعلام لشرح الكثير عن أحوال الأسرى وما كان يحدث عندهم أولاً بأول[288].

ولم يتوقف الأمر عند حد الراديو والتلفزيون والهاتف، بل إن بعض المعتقلين دخلوا على خط الإنترنت، من خلال مواقع أنشئت لهم قبل انتقالهم وخلاله، وصاروا يكتبون الرسائل، ويطلبون من الأهل نشرها عبر مواقعهم لتصل إلى الأصدقاء ويردون عليها، لينقل الأهل إلى ابنهم المعتقل مرةً أخرى، الردود على الرسائل وهكذا، وحاول بعض المعتقلين استثمار الإنترنت للوصول إلى أصدقاء ومعارف وربما جمعيات ومؤسسات في الخارج، حقوقية وإنسانية، وذلك لشرح ظروف المعتقلين المأساوية، واختراق الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة لاتفاقية جنيف بخصوص الأسرى، والحقيقة أن اختراق الحصار عن طريق الإنترنت، ولو بواسطة الأهل، هو إبداع بحد ذاته، وتأكيد على أن المعتقلين لا يعدمون الوسيلة لإيصال أفكارهم وتوجهاتهم إلى الناس[289].

في نهاية المبحث يعتقد الباحث أن الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة سعت منذ بلورتها إلى تكوين وتطوير الجوانب الإبداعية للأسرى، فعقدت الجلسات الثقافية ذات الأبعاد المختلفة، منها ما يختص بالتوعية الأمنية وأخرى تتعلق بالجانب الإداري السلوكي داخل المعتقل أو السجن، وثالثة لها علاقة بالجانب التنظيمي والوطني، هذا بالإضافة إلى الجوانب الثقافية[290].

وشجعت الحركة الأسيرة المعتقلين من خلال التدرج في المراتب التنظيمية، ومنح الهدايا الرمزية، وتكريم المتفوقين منهم في حفل تكريمي على مستوى غرفة أو خلية أو أي مستوى تقره الجهات المسؤولة وفق حالة الإبداع والتطور، ومنح الشهادات التقديرية، والإشادات بالمتميزين من خلال البيانات الاعتقالية[291].

(287) زاهى وهبى: مرجع سابق، ص-149 150.

(288) أحمد أبو السعود: مرجع سابق، ص82.

(289) حسن عبد الله: أثر الرسالة فى حياة المعتقل الفلسطينى، مرجع سابق، ص127128..

(290) الأسير المحرر رامى جمال عزارة: مقابلة أجراها الباحث، 3/11/2015، غزة.

(291) فهد أبو الحاج: مرجع سابق، ص140.

ويـرى الباحـث أن أهـم مـا حققـه الأسرى، كتحـدي لإدارة مصلحـة السـجون الإسرائيليـة في القضايـا التعليميـة في أعقـاب منـع الثانويـة العامـة والجامعـة المفتوحـة في إسرائيـل، هـو الحصـول عـلى الموافقـات عـلى إنشـاء فـروع جامعـات في السـجون مـن الجامعـات الفلسـطينية، وتشـكيل طواقـم مشرفـين ومدرسـين وموجهـين وإداريـين والتواصـل مـع الجامعـات في نقـل الدرجـات، وكتابـة الامتحانـات ورفـع العلامـات، والاعـتراف بالشـهادات مـن المؤسسـات التعليميـة والتربيـة والتعليـم العـالي الفلسـطيني، وكذلـك نقـل معاناتهـم التـي وصلـت في كثـير مـن الأحيـان لنقـل معاناتهـم بالصـوت والصـورة وبشـكل ميـداني لحظـة اقتحـام الأقسـام، وبذلـك كشـفوا زيـف ادعـاء إسرائيـل للعـالم بالالتـزام بحقـوق الإنسـان، واسـتطاعوا أيضـاً التأثـير عـلى القـوى الفلسـطينية والمؤسسـات العاملـة في مجـال الثقافـة والأسرى بالتوصيـة لطباعـة عـشرات إنتاجـات الأسرى المهمـة ضمـن قوائـم نـشر أدب السـجون والكتـب التوثيقيـة الأخـرى في مجـالات متعـددة، كل ذلـك عـبر وسـائل اتصـال أبدعـوا في اسـتخدامها مـن أجـل التقـدم والتطـور والبنـاء عـلى مسـتوى الأفـراد والجماعـات.

المبحث الرابع
انعكاس المتغيرات السياسية على واقع الأسرى وإنجازاتهم

المتغير السياسي، هو الذي أدخل العديد من المفاهيم في المجتمع الفلسطيني بشكل عام، وعلى الحزب السياسي بشكل خاص، وكان له انعكاسه في الحركة الأسيرة وأثره على الأداء التنظيمي للمعتقلين، فالحركة الأسيرة منذ بداية نشأتها تعيش في حالة من الاستنفار المتواصل، وتشعر باستمرار المعركة المحتدمة، وانتقلت من حالة إلى حالة بمد وجزر وفق المتغير السياسي ومدى قوة جبهة النضال الفلسطيني والعربي الخارجي في معركتها النضالية مع الاحتلال الإسرائيلي، فتأثير هزيمة حزيران عام 1967م، تختلف عن مرحلة انتصار أكتوبر 1973م على المستوى العربي، في الأولى حاول السجان إهانة الأسرى في كل تفاصيل حياتهم، وفي الثانية استطاع الأسرى الصمود بكل قوة وجبروت أمام إدارة السجون وسياساتها القمعية، وكانت بداية إرساء دعائم التنظيمات والعمل الجماعي والخطوات النضالية في السجون، كما أن انعكاس انتفاضة 1987م يختلف عن اتفاقية أوسلو في العام 1993م، ففي الأولى استطاع الأسرى تحقيق ما لم يحققه الأسرى طوال وجودهم في الاعتقال، وكانت ذروة الانتصار، في حين تعلق الأسرى بالحرية في أعقاب اتفاقية أوسلو مما كان له الأثر السلبي على واقعهم الثقافي والإداري، ويختلف تأثير انتفاضة 2000م، عن الانقسام الفلسطيني في العام 2007م، ففي الأولى دخل الأسرى للسجون موحدين في أعقاب عمليات بطولية فرضت هيبة الأسرى على السجان، في حين استغلت إدارة السجون واقع الفرقة الفلسطينية في الخارج، وقسمت الأسرى وفق الانتماء السياسي، مما أدى إلى تراجع الموقف الاعتقالي التاريخي الموحد أمام السجان وتراجعت قوة الحركة الأسيرة وفق ذلك المتغير السياسي.

وبموجب الحدود الزمنية للدراسة فسيتطرق الباحث في هذا المبحث للمتغيرات السياسية المركزية التي أثرت على واقع الحركة الفلسطينية الأسيرة، ودورهم فيها في الأعوام ما بين 1985 حتى 2015م.

أولاً- صراع من أجل الحفاظ على التراث الاعتقالي:

في عشرين آيار/ مايو 1985م، أجرت إسرائيل عملية تبادل مع الجبهة الشعبية (القيادة العامة) سميت بـ (عملية الجليل)، أطلقت إسرائيل بموجبها سراح (1155) أسيراً، كانوا محتجزين في سجونها المختلفة، منهم (883) أسيراً من سجون فلسطين المحتلة، و(118) آخرين كانت إسرائيل قد اختطفتهم من معتقل أنصار في الجنوب اللبناني أثناء تبادل العام (1983) مع حركة فتح و (154) معتقلاً كانوا قد نقلوا من معتقل أنصار إلى معتقل عتليت أثناء الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان، ومقابل ذلك أطلق الفلسطينيون ثلاثة جنود إسرائيليين [292].

(292) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص364.

انعكس هذا الحدث بشكل كبير على السجون وأوضاعها للإفراج عن الكوادر والقيادات من ذوي الخبرة التاريخية الاعتقالية والنضالية الواسعة، وقد تطلب الأمر حينها إعادة تشكيل كافة الهياكل التنظيمية لكل التنظيمات الفلسطينية، وفي الغالبية العظمى من السجون، وأفرزت هذه المرة قيادات اختلف تفكيرها تجاه أغلب القضايا عن القيادات السابقة، وكذا على الجانب الإسرائيلي، فقد أعادت إسرائيل تقييم سياستها تجاه المعتقلين وقامت بتغيير في قيادة مصلحة السجون، وكذلك في بعض مدراء السجون وعلى رأسها سجن عسقلان.

أما على صعيد المعتقلين فقد اتسمت القيادات الجديدة بالتطرف أكثر في تعاملها مع الإدارة، كون هذه القيادات من محدودي الخبرة، وكذا كانت التغيرات الجديدة في مصلحة السجون تعبر عن نقل مدراء أكثر تطرفاً للسجون التي حصل فيها المعتقلون في الأعوام الأخيرة على امتيازات كثيرة كعسقلان وجنيد، وهذا ما وفر الأجواء المناسبة لحصول الكثير من الصدامات بين المعتقلين والشرطة، ويعد النصف الثاني من عام 1985م وبداية 1986م أكثر فترة على الإطلاق تسجل فيها حوادث الصدامات بين الطرفين [293].

لاشك أن عملية تبادل الأسرى عملت على تفريغ المعتقلات من مئات الكوادر المجربة، لذا فإن الكوادر التي لم تشملها العملية، لعبت دوراً كبيراً في ملء الفراغ، وبذلت جهوداً استثنائية في قيادة المعتقلين الجدد، وتشريبهم مفاهيم وأسس التجربة، والانطلاق بهم من حيث وصلت، وما ساعد هؤلاء القياديين في مهمتم أن المعتقلين الأوائل وبعد سنوات من النضال تمكنوا من توثيق التجربة وكتابتها بأدق تفاصيلها، فعندما تحرر القسم الأكبر من كوادر معتقل نفحة في العام 1985م، خلفوا ورائهم أرشيفاً تنظيمياً وفكرياً وثقافياً وابداعياً، وهذا انسحب بالطبع على المعتقلات الأخرى، أي أن التجربة التي أصبحت مكتوبة ومؤرشفة لم تتعرض لفترات من القطع، وإنما ظلت متواصلة، يضاف إليها من عام إلى آخر [294].

في هذه الفترة الحساسة بلع الأسرى الألم لكي لا يشمت فيهم أعدائهم، ففي سجن نفحة لم يتبق إلا سبعة عشر أسيراً من قسمين، كانا يضمان ما يقارب من مئة أسير، لحظتها لم يكن أمام الأسرى سوى الصمود للبقاء على نفس القدر من القوة وعدم الاستغلال، فازدادوا صلابة وقوة وإرادة، خوفاً من العودة للسنوات الأولى للاعتقال، وكثفوا من الجلسات التعبوية لتصليب الإرادة وبث الروح التفاؤلية بإفراجات قادمة وبدأوا بالخطوات النضالية التي تزامنت بخطوات إسنادية في الخارج، وبدأوا ببرنامج ثقافي للأسرى الجدد وصل فيه عدد الجلسات إلى ثلاثة يومياً، في تلك الأيام كانت تدرك أجهزة الأمن الإسرائيلية أن المعتقلين على جاهزية لقتل أي سجان ويتحملوا مسؤولية ذلك على أن لا يعودوا للمربعات الأولى للاعتقال كما ترغب وتخطط الإدارة لتحقيق ذلك، حينها استطاعوا حماية نضالهم ودماء شهداءهم وتراكم تضحياتهم [295].

(293) جهاد البطش: مرجع سابق، ص198.

(294) حسن عبد الله: الصحافة العبرية فى تجربة المعتقلين الفلسطينيين، مرجع سابق، ص36.

(295) سليم حسين الزريعى: مقابلة أجراها الباحث، 10/1/2015، غزة.

ثانياً: تحدي يواجه الحركة الأسيرة:

شكلت انتفاضة 1987م نقطة تحول كبيرة ونوعية في جهاد الشعب الفلسطيني لنيل حقوقه، حيث أنها بكل ما حملته من عنفوان وقوة، كانت أكبر تحدي يواجه الاحتلال الإسرائيلي الذي وجد نفسه أمام تيار جارف وعظيم من شتى الشرائح والمستويات[296].

ومن التنظيمات الفلسطينية من اعتبر أن الشرارة الأولى للانتفاضة كانت في السادس من أكتوبر 1987م، في أعقاب اشتباك في منطقة الشجاعية مع جيش الاحتلال ما بين أربعة مجاهدين تابعين لحركة الجهاد الإسلامي، منهم أسيران وهم « سامي الشيخ خليل ومحمد الجمل « استطاعوا بشكلٍ إبداعي بمعية أسرى آخرين أن يهربوا من سجن غزة المركزي وسط القطاع في السابع عشر من رمضان من نفس العام في ظل احتياطات أمنية إسرائيلية معقدة، وكان الاشتباك بعد شهور من الملاحقة والمطاردة لهم.

ولكون الانتفاضة انطلقت بعد عامين من صفقة 1985م، فعدد كبير من المحللين والأسرى المحررين من ربط بين الانتفاضة وقيادة أولئك المحررين لها، وأكد على الدور البارز لهم في سيرورتها.

فالغالبية ممن تحرروا من السجون في العام 1985م كانوا قادة سياسيين وعسكريين ولديهم خبرة تنظيمية وأمنية عميقة اكتسبوها من السجون وتحلوا معها بالثقافة الواسعة، وقد تحدث بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي في كتابه «مكان بين الأمم» على أن الأسرى الذين أطلق سراحهم في صفقة 1985م، هم الذين قادوا الانتفاضة الأولى [297].

فتجربة الأسرى المحررين في صفقة 1985م أعطت زخماً كبيراً في سير الانتفاضة الفلسطينية في العام 1987م، وكانت قيادة الانتفاضة بالتعاون ما بين قيادة الخارج، والقيادة الوطنية من الفصائل الفلسطينية في الداخل، وعلى رأسها خيرة المحررين من سجون الاحتلال[298].

تميز محررو 1985م بالوعي السياسي، والصلابة النضالية والقناعة الراسخة بقضية الوطن، مضيفاً أن الغالبية العظمى منهم قد عادوا فوراً لممارسة نشاطهم النضالي، فساهموا بتعزيز ثقافة الثورة والتمرد على الاحتلال والتضحية من أجل الحرية، فكانوا النواة الأولى التي قادت انتفاضة 1987م [299].

واعتبرت هذه المرحلة من أكثر المراحل حساسية في تاريخ الحركة الوطنية الأسيرة، ما قبل اتفاقية أوسلو 1993م، حيث لعبت عوامل عديدة محلية ودولية دوراً في التأثير على مسيرة الحركة الأسيرة داخل السجون، حيث المواجهات والاعتقالات، وإقامة المعسكرات العسكرية لاستيعاب الأعداد الجمة من المعتقلين، حيث أن سلطات الاحتلال الإسرائيلي خلال سنوات

(296) أحمد زايد: التوافق النفسى وعلاقته بمفهوم الذات لأبناء شهداء وأسرى الانتفاضة ،القاهرة، رسالة دكتوراة فى كلية التربية، برنامج الدراسات المشترك بين جامعتى الأقصى وعين شمس، 2002، ص4.

(297) الكاتب فى صحيفة الأيام أكرم عطا الله: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 23/10/2015.

(298) الأسير المحرر المبعد عبد المنعم حسان أبو عطايا: مقابلة أجراها الباحث، 5/11/2015، أسبانيا.

(299) الأسير المحرر محمود سليمان الزق: مقابلة أجراها الباحث، 6/11/2015، غزة.

الانتفاضة الأولى ما بين (1987 – 1994م) اعتقلت قرابة (200 ألف) مواطن أي بمعدل ثلاثين ألف حالة اعتقال في العام الواحد[300]، إضافة إلى عامل آخر وهو العدوان الثلاثي على العراق، وما أحدثه من متغيرات دولية عكست نفسها على القضية الفلسطينية وحركتها الوطنية التي تعتبر الحركة الأسيرة جزءاً منها [301].

هذه العوامل لعبت دوراً في التأثير على المسيرة الاعتقالية في السجون، إذ أن عمليات الاعتقال والبطش التي مارسها جيش الاحتلال ضد الشعب الفلسطيني في الانتفاضة، وفرض سياسة القبضة الحديدية، قد طالت الأسرى ومنجزاتهم وحقوقهم، وكان واضحاً أن هناك مخططاً لضرب الحركة الأسيرة وتقويض منجزاتها، وذلك بتنصل إدارة السجون من وعودها التي قطعتها على نفسها، في تحسين ظروف الحياة داخل السجون، وتصعيد إجراءاتها التعسفية اتجاه حقوق الأسرى[302].

انتفاضة العام 1987م كان حدثاً مهماً بالنسبة للمعتقلين، كما هو الحال بالنسبة للشعب الفلسطيني عامة، حيث سجلت حضوراً مكثفاً في حياتهم، فأصدروا المجلات والنشرات والبيانات، التي تناولت الانتفاضة، تشخيصاً وتحليلاً، وتبنوا الشهداء وأحيوا في احتفالات خاصة مناسبة دخول الانتفاضة كل شهر جديد من عمرها النضالي.

ولم يعدم المعتقلون الوسيلة للنهوض بأوضاعهم وتجاوز صدمة شهور الاعتقال الأولى والتحول إلى الهجوم من خلال عدد من الإضرابات والخطوات الاحتجاجية الأخرى، وهذا ليس مستغرباً، فعدد كبير من الكوادر والأعضاء الذين خاضوا تجارب اعتقالية سابقة قد أعيد اعتقالهم، فحاولوا توظيف تجاربهم في بناء واقع اعتقالي جديد ومنظم، ووجد المعتقلون في العام 1992م وفي مواقع الاعتقال كافة، ضرورة ملحة لخوض إضراب مفتوح عن الطعام، بعد أن شددت إدارة السجون ضغوطها عليهم في المعتقلات التقليدية، جنباً إلى جنب مع تشديد الجيش إجراءاته على المعتقلين في معسكرات الاعتقال التي يشرف عليها، فكان الإضراب رسالة موجهة للإسرائيليين مفادها أن أسلوب القمع والإذلال وامتهان إنسانية الإنسان لا يمكن أن يمر مرور الكرام[303].

ثالثاً– النضال السياسي من أجل الحرية:

بانطلاق عملية السلام في الشرق الأوسط في أوائل التسعينات من القرن الماضي، وتأسيس السلطة الوطنية الفلسطينية بناء على اتفاق في أوسلو العاصمة النرويجية بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل في 13 سبتمبر 1993م[304]، والتي أدخلت الحركة الأسيرة في مشروع الدفاع عن وجودها السياسي والوطني والمطالبة أن تكون جزءاً من أي اتفاق سياسي وبشكل عادل لا يمس كرامتها الوطنية ولا يؤدي إلى استغلالها لأهداف سياسية [305].

(300) موقع فلسطين خلف القضبان: http://www.palestinebehindbars.org/ferwana7d2008.htm

(301) عيسى قراقع: مرجع سابق، ص31.

(302) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص33.

(303) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص38.

(304) The Palestinian Academic Society for the Study of International affairs (Passia), 2000, P: 359.

(305) منتهى عودة: المؤسسات الفلسطينية العاملة على خدمة الأسرى الفلسطينيين المحررين، نابلس، مقدمة للحصول على درجة الماجستير بكلية الدراسات العليا جامعة النجاح، 2013،ص27.

وبعد عدد من المحطات التفاوضية والتواقيع المرحلية [306]أفرجت إسرائيل عن آلاف الأسرى بشرط التوقيع على وثيقة تعهد تقضي بعدم العودة للعمل العسكري ضد إسرائيل، وأدرجت هذه الإفراجات في إطار سياسة حسن النوايا، وانخفض عدد الأسرى - بعد عناء وضغوط نفسية وحالة سخط وإحباط، وبعد ثلاثة إضرابات سياسية [307].

" وبعد حالات احتجاج شعبية – تم الإفراج عن (11250) أسير وأسيرة من أصل (12500) كانوا محكومين بأحكام متفاوتة، أي ما نسبته 90% من المعتقلين[308] "، باستثناء ما يقارب من (1250) أسيراً معظمهم ممن قاموا بعمليات قتلوا أو أصابوا فيها إسرائيليين، أو من سكان القدس وفلسطيني 1948م، ومن فصائل المعارضة الفلسطينية، وبقيت هذه القضية « أسرى ما قبل اتفاقية أوسلو « عالقة حتى تاريخ هذه الدراسة، رغم أن الولايات المتحدة الأمريكية توصلت بداية 2014م إلى اتفاق بين الفلسطينيين والإسرائيليين، يقضي بأن تطلق إسرائيل سراح المعتقلين الفلسطينيين المحتجزين قبل أوسلو، على 4 دفعات، مقابل أن تمتنع السلطة الفلسطينية عن التوجه للانضمام إلى المنظمات الدولية بعد أن تم الاعتراف بفلسطين دولة غير كاملة العضوية، وأطلقت إسرائيل سراح 78 أسيراً منهم على 3 دفعات، ورفضت الإفراج عن الدفعة الرابعة التي من المفترض أن يطلق سراحها بتاريخ 29 مارس 2014م، والتي تضم 32 أسيراً، عدد منهم من فلسطينيي ال 48 والقدس، الأمر الذي أدى إلى تفجر الأوضاع بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي من جديد[309]، ورداً على التعنت الإسرائيلي في هذا الملف، وقع الرئيس الفلسطيني محمود عباس في 1/4/2014م على وثيقة للانضمام إلى 15 معاهدة دولية، بعد موافقة القيادة الفلسطينية بالإجماع على التوجه إلى مؤسسات الأمم المتحدة، منها التوقيع على انضمام فلسطين للجنائيات الدولية بهدف تقديم شهادات مشفوعة بالقسم لمحاكمة شخصيات إسرائيلية ارتكبت جرائم حرب بحق الشعب الفلسطيني، ورداً على تعنت حكومات نتنياهو المتعاقبة التي تنصلت من الاتفاقيات السابقة، واعتبرت توقيع حكومة رابين على الحكم الذاتي بصيغته الموقعة سيفضي إلى دولة، وهذا نموذج مزيف يجب رفضه وعدم تطبيقه[310].

لم يدرك الإسرائيليون أنه لا يجب أن لا تكون موضع تفاوض وتستخدم كورقة مساومة من قبل الجانب الإسرائيلي وخاصة إذا ما كان إطلاق سراح الأسرى والمعتقلين ذا فوائد عديدة وايجابية بالنسبة لعملية السلام، لأن قضية الأسرى مرتبطة بكل بيت فلسطيني، ومن أكثر القضايا حساسية في الشارع الفلسطيني[311].

على العكس قام الجانب الإسرائيلي باستغلال هذه الورقة استغلالاً جيداً، واستخدمها للمساومة ولابتزاز المفاوض الفلسطيني، فالمفروض في أي تسوية سليمة أن يتم الإفراج عن

(306) في مدريد 30/10/1991، وواشنطن من 1991 حتى1993، وأوسلو 13/9/1993، والقاهرة 4/5/1994، وطابا28/9/1995، ووای ریفر23/10/1998، وشرم الشيخ 4/9/1999.

(307) في 21/6/1994، وفي 18/6/1995، وفي 5/12/1998 م.

(308) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص369.

(309) موقع sky newes بالعربية: http://www.skynewsarabia.com/web/article/612513

(310) بنيامين نتنياهو: مكان تحت الشمس، ط 2، ترجمة محمد الدويري، عمان، دار الجليل للنشر، 1996، ص414.

(311) دياب اللوح: أوراق متناثرة، غزة، فلسطين، مطبعة الرنتيسي، 2002، ص285.

هـؤلاء الأبطـال مـن الاعتقـال، ليسـهموا في رسـم خطـوط المرحلـة الجديـدة [312]، ولكـن إسرائيـل سـوقت إعلاميـاً مصطلحـات غريبـة "كأصحـاب الأيـدي الملطخـة بالدمـاء « مـن الأسرى [313]، وعملـت عـلى تصنيـف الأسرى عـلى أسـاس جغـرافي[314]، أو عـلى أسـاس التهمـة، كأن لا يفـرج عـن مـن تسـببوا بقتـل أو جـرح يهـود[315]، كـما جعـل الإسرائيليـون هـذا الملـف عنـصراً للمزايـدات الداخليـة، لإرضـاء الشـارع اليمينـي في إسرائيـل، وعنـصراً للـصراع الانتخـابي بـكل مـا يعنيـه ذلـك من تجاهـل للآثـار السـلبية التـي يحدثهـا عـلى مـدى قناعـة وتأييـد المجتمـع الفلسـطيني للسـلام [316].

لقـد كان المعظـم مـن الأسرى مـن يعتقـد أنـه قـد لا تتـم مصالحـة تاريخيـة، هـذه المصالحـة لهـا اسـتحقاقات كثـيرة، وعـلى رأسـها وفي مقدمتهـا، إطـلاق سراح جميـع الأسرى، بمعنـى أن الأسرى أخضعـوا الاتفـاق لمعايـير منطقيـة، تقاطعـت مـع جوانـب عاطفيـة تمثلـت في رغبـة الأسرى بالتحرير والخـروج مـن خلـف القضبـان، وكان الاعتقـاد السـائد أن موضـوع المعتقلـين احتـل أولويـة وهامشـاً واسـعاً في الاتفـاق، وانتظـرت الحركـة الأسـيرة النـص الحـرفي للاتفـاق ليتـم التأكـد مـن موقـع قصتهـا في إطـاره[317].

ولقـد عمـت خيبـة أمـل واسـعة بـين صفـوف الحركـة الأسـيرة، لأن الاتفاقيـة لم تتطـرق إلى قضيـة الأسرى في بنودهـا ونصوصهـا، وخلـت مـن أي نـص واضـح وصريـح يلـزم إسرائيـل بالإفـراج عـن جميـع الأسرى، أو جـزء منهـم ضمـن جـدول زمنـي واضـح، ومرتبـط بتنفيـذ الخطـوات والالتزامـات الأخـرى مـن الاتفـاق، وإنمـا تركـت قضيـة الإفـراج عنهـم لحكومـة الاحتـلال، والتعامـل معهـا مـن منطلـق مـا يسـمى بمبـادرات حسـن النيـة [318].

أصيـب الأسرى وذووهـم بخيبـة أمـل، وخرجـت مـن السـجون عـشرات الرسـائل والبيانـات الموجهـة إلى القيـادة الفلسـطينية ومؤسسـات حقـوق الإنسـان تظهـر مـدى مـا أصابهـم مـن إحبـاط معبريـن فيهـا عـن عـدم رضاهـم عـن أداء المفـاوض الفلسـطيني، وطالبـوا في هـذه الرسـائل الجماهـير الفلسـطينية التحـرك والعمـل لإثـارة قضيتهـم وإطـلاق سراحهـم [319].

مـرت ظـروف نفسـية عصيبـة عـلى الأسرى في تلـك المرحلـة، إلا أنهـم بتجربتهـم الطويلـة والغنيـة، كانـوا يحاولـون امتصـاص التطـورات السـلبية والتعامـل مـع المعطيـات الجديـدة، وفـق رؤيـة وطنيـة، لا تسـمح للاحتـلال بكـسر التجربـة [320].

بـلا شـك أن فـترة أوسـلو والمفاوضـات السياسـية عكسـت نفسـها عـلى حيـاة الأسرى، فلقـد انقسـم

(312) أحمد صدقى الدجانى: لا للحل العنصرى فى فلسطين، القاهرة، دار المستقبل العربى، 1994، ص273.

(313) وليد الهودلى: الشعاع القادم من الجنوب، ط 3، رام الله، دار البشير للنشر والتوزيع، 2004، ص217.

(314) (أسرى الدوريات، أسرى ال 48، القدس، الضفة وغزة)، أو على أساس انتمائهم السياسى (الحركات الاسلامية، فصائل مؤيدة لاتفاق أوسلو وأخرى معارضة له).

(315) الدراسات الفلسطينية: حوار أسرى فى سجن عسقلان، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، القدس، 2003، العدد 54، ص48.

(316) عيسى قراقع: مرجع سابق، ص78.

(317) وزارة الاعلام: هموم الحركة الأسيرة فى ظل السلام، رام الله، قسم الدراسات والورشات الاعلامية، 1995، ص4.

(318) محمد أبو شريعة : مرجع سابق، ص62

(319) عيسى قراقع: المصدر السابق، ص48.

(320) حسن عبد الله: الصحافة العبرية فى تجربة المعتقلين الفلسطينيين، مرجع سابق، ص41.

المعتقلون على خلفية الانتماء السياسي بين مؤيد ومعارض للمفاوضات، خلافات لم تصل لمرحلة الانقسام والتشظي، بل اتفق الجميع على أن يبقي خلافاً سياسياً لا يؤثر على استقرار ووحدة الحركة الوطنية الأسيرة، لتفويت الفرصة على الأجهزة الأمنية الإسرائيلية التي أرادت أن تستثمر الخلافات السياسية لشق صفوف الحركة الأسيرة، مما يسهل عليها فرض سيطرتها لتفريغ الحياة الأسيرة من محتواها النضالي[321].

وبناءً على التجربة الخاصة يعارض الباحث عدد ممن كتبوا فقط عن حالة التراجع والترهل التي أصابت الحركة الأسيرة في هذه الفترة بلا تطرق للنقاط المضيئة والإيجابية خلالها، فمنهم من بالغ في الأمر لدرجة الإساءة لتاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، ويضيف الباحث أن من وصف الواقع في هذه الفترة بالطريقة السلبية واكتفى فقد ظلم الأسرى وخاصة من أبدعوا منهم واهتموا بأوقاتهم وعملوا لما بعد تحررهم، فحكموا على التجربة بعين واحدة، وعمموا بلا استثناءات، ويضيف الباحث: تعلق الأسرى بالإفراجات السياسية ولكنهم لم يسمحوا لإدارة مصلحة السجون للانقضاض على واقعهم ومنجزاتهم، على العكس فدخول الأسرى ثلاثة إضرابات مفتوحة عن الطعام فى وقت محدود حتى لو كانت سياسية دليل كبير على الروح النضالية العالية التي لم تغيرها اتفاقية أوسلو، والإرادة والعزيمة والإمكانيات الكبيرة التي لم تتقوض في نفوسهم، ولم تستسلم ولم تسقط الراية بنكوصهم، بل إن مرحلة جديدة من النضال بدأت فى المعتقلات الإسرائيلية، اتخذت الشكل النضالي السياسي بهدف التحرر من السجون على قاعدة « أنه لا يجوز إبقاء احتجاز أسرى في ظل عملية سلام[322]".

ومن الخطوات التي قام بها الأسرى في تلك الفترة إعلانهم التمرد في 8/4/1995م على قوانين إدارة السجون الإسرائيلية، وقوانين وزارة الشرطة بعدم الانصياع لها، وأوضحوا أن هذه الخطوة تأتي لإفهام الجميع بأن السلام الذي لم يصلهم ويشملهم يبقى سلاماً ناقصاً وأن تأخيرهم في السجون ليس العلاج الشافى لمزاعم إسرائيل الأمنية [323].

وقام الأسرى بعشرات الخطوات النضالية من أجل الحفاظ على منجزات ما قبل اتفاقية أوسلو، والتي حققت بأرطال من اللحم في الإضرابات المفتوحة عن الطعام، وبدم الشهداء، فمستوى الحياة وظروف الأسر لم تتأثر ولم تتصادر بفعل الترهل، ومعاملة إدارة السجون ناعمة ومرنة وهادئة نسبياً من جانب السجانين مع الأسرى، ووفرت لهم الكثير من التسهيلات بسبب حالة الغضب التي عاشها الأسرى في ظل فقدان الحرية وبمساندة الجانب السياسي والجماهيري، ومن تلك التسهيلات « حركة السجناء داخل السجن، سواء بين الغرف أو بين الأقسام، وزيادة مدة النزهة، والزيادة في زمن الزيارة لمن لديه مناسبة، والزيارات الخاصة، والاتصالات التلفونية، وإدخال أشرطة الفيديو للمناسبات وتسهيل زيارة المحامين، والتقاء ممثلي السلطة الفلسطينية دورياً بالمعتقلين، وعشرات الأشياء الصغيرة التي لم تعد تنقص الأسرى، واقتناء الممتلكات الخاصة كالهوايات واللمبات الكهربائية والأتاري، والمسجلات

(321) الأسير المحرر شاكر شبات: مقابلة أجراها الباحث، 20/8/2015، غزة.

(322) عيسى قراقع: مرجع سابق، ص87.

(323) نفس المصدر، ص60.

والراديو والديسكمان وغيرها، ومشتريات منوعة من الكنتينا، وإدخال الملابس والأغطية والأحذية وأغراض صناعة التحف من الخرز والحرير وغير ذلك عبر الأهل[324]،والسماح بشراء الغراء اللاصق والكرتون، وكان رد الإدارة على المزيد من مطالب الأسرى بأن السجون سوف تغلق، وميزانيات مديرية السجون تم تجميدها[325].

ويرى الباحث من وحي التجربة أن أجهزة الأمن الإسرائيلية لم تتعامل يوماً بحسن النوايا باتجاه الأسرى، على العكس فهي تستغل كل مواطن الضعف لدى الأسرى ولا تتوانى لحظة للانتقام منهم، وذلك بإعادتهم للمربعات الأولى من ظروف الاعتقال الأولى، الأمر الذي يدلل على عمق تجربة المعتقلين، الذين كانوا بغالبيتهم ممن كانوا محكومين بالمؤبدات لمدى الحياة، ومن لهم سنوات طويلة في الاعتقال، ومن اكتسبوا التجارب النضالية، والحنكة الحوارية مع طواقم إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية.

ورغم الخيبة التي تلقاها الأسرى جراء اتفاقية أوسلو إلا أنهم لم يفقدوا عزيمتهم وقوتهم رغم تأثر الحركة الأسيرة بالمتغيرات السياسية، وبرز في هذه الفترة عدد كبير من المبدعين الذين نظموا حياتهم، وقضوا أوقاتهم بالانتساب للجامعة، والمطالعة الذاتية، وتعلم اللغات، والالتزام بالجلسات، وممارسة الرياضة، والتفاعل والتزاور والاهتمامات العالية والمفيدة [326].

ويضيف الباحث - الذي تعلم اللغة العبرية في هذه الفترة، وأنهى تعليمه من الجامعة المفتوحة خلال الاعتقال في أعقاب اتفاقية أوسلو، والذي أمضى فترة محكوميته بالكامل بسبب رفض الاحتلال للإفراج عنه تحت ذرائع أمنية وما ابتدعوه من تسمية «على يديه دم" برفقة العشرات - في هذه الفترة لم تتوقف عجلة التعليم والتطوير والثقافة والرياضة والجلسات ولو بشكل فردي وجهود ذاتية، بالإضافة للجلسات الإلزامية لدى بعض الفصائل كالتنظيمات الإسلامية، ويضيف: لولا تجربة أولئك المعتقلين واهتمامهم بوقتهم وثقافتهم وتطورهم على صعد عدة، لما استطاعوا بعد انتفاضة 2000م أن يستوعبوا آلاف المعتقلين الجدد، ولما تمكنوا من إكسابهم التجربة النضالية، ودمجهم في الحياة الاعتقالية، وإرشادهم والإشراف عليهم، وتوجيههم في كافة المجالات التنظيمية « الادارية والأمنية والتنظيمية».

في هذه الحقبة « ما بعد أوسلو « خاضت الأسيرات معركة تسجل بمداد من ذهب تحت شعار « لا سلام دون إطلاق سراح جميع الأسرى والأسيرات «، وشاركن في الخطوات النضالية إلى جانب بقية الأسرى في السجون كافة في سبيل تحقيق أهدافهن بالحرية والإفراج[327].

مع أن وثيقة المبادىء تطرقت بالعموم إلى إطلاق سراح الأسرى الموقوفين والسجناء وفق المادة

(324) أحمد أبو السعود: مرجع سابق، ص79.

(325) وزارة الاعلام: هموم الحركة الأسيرة فى ظل السلام، رام الله، قسم الدراسات والورشات الاعلامية، 1995، ص9.

(326) زياد سليم سلمي: مقابلة أجراها الباحث، 20/4/2015، غزة.

(327) غادة بدر: مرجع سابق، ص85.

السادسة عشر من الاتفاقية، وبينت بعض المراحل في قضية إطلاق سراح الأسرى، وخاصة فيما يتعلق بتحرير المعتقلات والسجينات الإناث في المرحلة الأولى [328].

إلا أن إسرائيل امتنعت عن إطلاق سراح الأسيرات اللواتي شملهن نص الاتفاق، متذرعة برفض رئيس دولة الاحتلال «عيزر وايزمن « المصادقة على ذلك، بسبب قيامهن بقتل إسرائيليين- على حد ادعائه!، وعلى ضوء ذلك اتخذت الأسيرات الإحدى والثلاثين قراراً برفض الخروج الفردي من السجن[329]، عندما حاول الإسرائيليون استثناء خمس أسيرات [330]، وبقي موقفهن متماسكاً قوياً إلى أن تسنّى لهن في النهاية انتزاع تحررهن الجماعي الشامل دون استثناء واحدة منهن، وذلك في 11/2/1997 م بعد ستة عشر شهراً من الصمود[331].

ولما فشلت المفاوضات، في ظل غياب الاستعداد للتوصل إلى تسوية من قبل الجانب الإسرائيلي، ومدى المضايقات والإهانات لشعبنا وقياديه، وضياع أوهام التسوية، انفجرت الانتفاضة التي كشفت عن عدو مجرم لم يزدد إلا شراسة وقتلا ودماراً [332]، واستطلاعات الرأي الإسرائيلية أوزعت عامل الانتفاضة الأساسي إلى فشل محادثات كامب ديفيد (1999_2000م)، وإلى فشل الاتصالات التي جرت بعده، فولدت الإحباط والغضب في الشارع الفلسطيني[333].

رابعاً- السجون تزدحم والصراع يحتدم:

أدرك الفلسطينيون مماطلة إسرائيل للوصل لحل سياسي، ومع بدء انتفاضة الأقصى في الثامن والعشرين من أيلول / سبتمبر عام 2000م وحتى منتصف نيسان / إبريل من عام 2015م، سجلت أكثر من 85 ألف حالة اعتقال، ذكوراً وإناثاً، منهم أكثر من عشرة آلاف طفل تقل أعمارهم عن الثامنة عشر، ونحو 1200 إمرأة وفتاة، إضافة إلى المئات من السياسيين والأكاديميين والمهنيين، وأكثر من 65 نائباً في المجلس التشريعي الفلسطيني المنتخب، وعدد من الوزراء السابقين، ومئات من الأكاديميين والإعلاميين والصحفيين والرياضيين وعشرات آخرين من الصيادين، الذين اعتقلوا في عرض البحر قبالة شواطىء غزة استناداً لما ورد في تقرير لهيئة شؤون الأسرى والمحررين الفلسطينية[334].

وبلغت الاعتقالات ذروتها في الاجتياح الكبير الذي سماه الاحتلال الإسرائيلي بعملية « السور الواقى»، ففي التاسع والعشرين من آذار 2002م اقتحمت قوات الاحتلال الإسرائيلي معظم المدن الفلسطينية، ورافق ذلك قتل وتدمير وعمليات اعتقال واسعة لم تستوعب أعدادها المعتقلات التقليدية [335].

(328) مركز القدس للاعلام والاتصال: الاتفاقية الاسرائيلية الفلسطينية المرحلية، القدس، مطابع الشركة الوطنية، 1996، ص384.
(329) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص373.
(330) الأسيرات الخمسة هن « عبير الوحيدى، مى الغصين، زهرة قرعوش، عطاف عليان، ورولا أبو دحو «.
(331) حسن عبد الله: الصحافة العبرية فى تجربة المعتقلين الفلسطينيين: مرجع سابق، ص41.
(332) أحمد أبو السعود: مرجع سابق، ص176.
(333) رفيف دروكر: ايهود براك - الاخفاق الأكبر (ترجمة هاشم حمدان)، رام الله، المركز الفلسطينى للدراسات الاسرائيلية - مدار، 2004، ص266.
(334) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص133.
(335) حسن عبد الله: الصحافة العبرية فى تجربة المعتقلين الفلسطينيين، مرجع سابق، ص43.

ومنذ بدء الانتفاضة أعادت سلطات الاحتلال الإسرائيلي افتتاح العديد من السجون والمعتقلات[336]، وقد عاش المعتقلون ظروفاً قاسية ولا إنسانية، حيث تفتقر جميع هذه السجون والمعتقلات لأبسط حقوق الإنسان، فقد شرعت إسرائيل بممارسة أقسى أنواع التعذيب، والتكيل بحقهم في محاولة لإذلالهم، وكسر إرادتهم وذويهم، والشعب الفلسطيني عموماً، بصفتهم يمثلون طليعة هذا الشعب، مخالفة بذلك القوانين، والأعراف الدولية كافة[337].

تمثلت أولويات الحركة الأسيرة في هذه المرحلة باستيعاب الأسرى الجدد ودمجهم وتعويدهم سلوكيات الأسر والسجن، وكان هاجسها تجنب أي صدام مع الإدارة قبل السيطرة على الموقع، وفي أي لحظة يمكن أن يتحمس هذا أو ذاك من الأسرى الجدد ويسبب اشكالية، ربما تؤدي إلى صدام ومواجهة ينضم إليها آخرون، قد تعطي ذريعة لإدارة السجون للانقضاض عليهم في ظروف غير مؤهلة للمواجهة، برغم انشغالهم عن السجون بقمع الانتفاضة، مستغلين الضجة وتركيز الإعلام على ما يجرى في الخارج [338].

أما فيما يخص شكل المواجهة وأدواتها، فالأسرى الجدد يعتبرون أن أداة الصراع هي القوة، وأن وسيلة الانتصار، هي الهجوم على الإدارة بأي وسيلة، من أجل تحصيل الحقوق، في حين يعتبر الأسرى القدامى أن أهم سلاح فى هذه المرحلة هو الصبر والقدرة على التحمل في المواجهة، ومن هنا أطلق على معتقلي الانتفاضة الثانية بأنهم صداميون[339].

في هذه المرحلة لم يصمت الأسرى والأسيرات على ظروف اعتقالهم السيئة وسحب منجزاتهم والتضييق عليهم، وخاضوا نضالات يومية وخطوات، فدخلت الأسيرات بتاريخ 26 حزيران / يونيو 2001م إضراباً مفتوحاً عن الطعام في سجن نفي تريستا- الرملة في 26/6/2001م لمدة ثمانية أيام متواصلة احتجاجاً على أوضاعهم السيئة، مطالبات بتحسين شروط حياتهن، وتعرضن لمعاملة سيئة خلاله، وخاض الأسرى خطوات نضالية كالامتناع عن الزيارات في العام 2003م بسبب منع البعض عنها لفترة طويلة مثل أسرى نابلس، ومواجهات متواصلة مع فرق التفتيش وصلت للعراك المباشر، وساءت الأوضاع في هذه المرحلة مما اضطر الأسرى للدخول في إضراب استراتيجي مفتوح عن الطعام بهدف تحسين الظروف المعيشية في 17/8/2004م استمر 19 يوماً، ورغم أنه لم يحقق أهدافه وكان له آثاره على الحركة الأسيرة، إلا أنه حقق انتصاراً للإرادة، لأن من يصمد تسعة عشر يوماً بهذه الظروف السيئة (تحت الضغط

(336) كالنقب « أنصار 3 »، وعوفر، وتشييد سجون جديدة، وبظروف قاسية كسجن جلبوع بجوار سجن شطة فى الشمال، وسجن رهون المجاور لسجن نفحة فى صحراء النقب، بالاضافة إلى توسيع بعض السجون، وافتتاح العديد من الأقسام الجديدة فيها، بهدف استيعاب الأعداد الكبيرة من المعتقلين الجدد، كما أنشئت قوات الاحتلال عدداً من مراكز الاعتقال، وأبرزها: عوفر، وعتسيون، وقدوميم.

(337) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص86.

(338) حسان الزين: سمير القنطار – «قصتي»، بيروت، دار الساقي، 2010، ص356 .

(339) المصدر نفسه: ص110.

الجسدي والعصبي والنفسي ويتحمل آلام الجوع والتنغيص من قبل إدارة مصلحة السجون)، يبقى منتصراً باكتشاف طاقته وقوته، وعلى الأقل حقق الإضراب إيقافاً للهجمة الموجودة ولو مؤقتاً[340].

وبعد أسر الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط في 25/6/2006م في عملية « أطلق عليها الوهم المتبدد « في معبر « كرم أبو سالم" على حدود قطاع غزة، والتي كانت سبب في عملية تبادل 18/10/2011م برعاية مصرية بين حركتي حماس ودولة الاحتلال، تم بموجبها الإفراج عن 1027 أسيراً فلسطينياً من السجون الإسرائيلية على مرحلتين، أطلقت عليها حماس اسم « صفقة وفاء الأحرار»، حينها في بعد عملية الأسر صادرت مصلحة السجون الإسرائيلية الكثير من الإنجازات التي حققوها بإضراباتهم، وانتزعوها بالرغم عن سلطات الاحتلال، وقد صعدت إسرائيل حملتها ضد المعتقلين، وحاولت الضغط عليهم بكثير من الوسائل، وقد شكل إيهود أولمرت رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق، لجنة خاصة، من شأنها أن تبحث كل السبل لتضيق الخناق على الأسرى في السجون[341]، وسبقه بنفس السياسة رئيس الوزراء أرئيل شارون، و» تساحيا هنقبى « وزير الأمن الداخلي المسؤول عن إدارة مصلحة السجون، و» يعقوب غانوت « المدير العام لها.

خامساً- إجراءات للانقضاض على المنجزات:

لربما الأكثر سوءاً في انعكاس المتغيرات السياسية على الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة هو الانقسام الفلسطيني في حزيران/ يونيو 2007م خارج السجون، والذي ألقى بظلاله على الأسرى، وجعل إدارة مصلحة السجون تقوم بفصل حركتي فتح وحماس كبرى الحركات السياسية الفلسطينية، الأمر الذي أضعف الحركة الأسيرة [342].

في هذه الظروف العصيبة لم يستسلم الأسرى لمخططات سجانيهم، ولم يقطعوا أنفسهم عن التجربة النضالية والاعتقالية لمن سبقوهم، ولم يركنوا لحسن النوايا الإسرائيلية للتعامل مع مطالبهم، فخاض أسرى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وبعض المعزولين بتاريخ 27/9/2011م إضراباً مفتوحاً عن الطعام استمر 22 يوماً، للمطالبة بوقف سياسة العزل الانفرادي، وتم إيقاف الإضراب الذي تزامن مع صفقة شاليط، ومن مزايا هذا الإضراب أنه بث روح المقاومة في نفس الأسير، والمواجهة مع السجان من جديد، وأسس لموجة لاحقة من الإضرابات الفردية والجماعية [343].

واستطاعت الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة أيضاً خوض إضراب مفتوح عن الطعام في السابع عشر من نيسان / ابريل 2012م تحت شعار» معركة النصر أو الموت « احتجاجاً على

(340) أحمد أبو السعود: مرجع سابق، ص107.
(341) محمد صبحة، فؤاد الخفش : مرجع سابق، ص71.
(342) المصدر نفسه: ص71.
(343) الجزيرة نت: http://www.aljazeera.net/

أوضاعهم المعيشية والمطالبة بإعادة أوضاع السجون لما كانت عليه قبل انتفاضة الأقصى في العام 2000م، وبعد 28 يوم من الإضراب الذي كاد أن يفجر انتفاضة ثالثة في خارج السجون وبرعاية مصرية أوقف الأسرى إضرابهم بعد موافقة إسرائيل على إنهاء العزل، واستئناف برامج الزيارات للأسرى وخاصة في قطاع غزة الممنوعين من الزيارات منذ حزيران 2007م، وتحسين الظروف المعيشية والحد من الاعتقالات الإدارية [344] التي فجرت انتفاضة للأسرى الاداريين بشكل جماعي وفردي، والتي فجرها الشيخ المجاهد خضر عدنان وذلك بإضراب مفتوح عن الطعام استمر 66 يوماً حتى انتصر، وتم الإفراج عنه في 21/2/2012م، وتلاه عشرات الإضرابات الفردية والمجموعاتية والجماعية احتجاجاً على الاعتقال الإداري، وكان أبرز الإضرابات الجماعية في هذه المرحلة في 24 /4/ 2014م والذي استمر 63 يومًا متتالية، طالب به الإداريون بالحرية، وانتهى باتفاق نص على « تحديد فترة التمديد لفترة أقصاها سنة، على أن يكون التمديد لأكثر من ذلك فقط مرهون بقضية وليس إداري ضمن ملف سرى»، بالإضافة لإضراب أسرى حركة الجهاد الإسلامي في 9/12/2014م والذي استمر عشرة أيام لإنهاء سياسة العزل الانفرادي وخاصة بحق الأسير المعزول نهار السعدي الذي كان في يومه العشرين من الإضراب المفتوح، وأنهى المضربون إضرابهم مقابل إنهاء ملف عزل الأسير المعزول نهار السعدي، وعودة المعزولين أثناء الإضراب إلى أماكنهم في السجون، وإنهاء ملف المعزولين العشرة على خلفية محاولة هروب نفق سجن شطة، وزيادة المخصصات لكل الأسرى المضربين وغير المضربين، والاهتمام بالمرضى وعلى رأسهم الأسير المريض معتصم رداد، وكذلك إضراب أسرى الجبهة الشعبية والجهاد الإسلامي في سجن نفحة في آب أغسطس 2015م والذي استمر 6 أيام بعد استجابة إدارة السجن لمطالبهم التي تمحورت بإرجاع 30 أسيراً من الجهاد الإسلامي إلى سجن ريمون، وفك منع زيارة الأهل عن الأمين العام للجبهة الشعبية أحمد سعدات.

وتميزت هذه المرحلة بالإضرابات الجماعية والفردية التي أعادت الاعتبار للحركة الأسيرة، وشكلت نقلة نوعية هامة في تاريخ الأسرى[345]، وأثبتت أنها قادرة على زمام المبادرة، وأنها غير قابلة للانكسار أو الهزيمة أمام استهدافات إدارة مصلحة السجون والحكومة الإسرائيلية، التي أحرجت أمام العالم لاستخدامها قوانين الطوارىء بلا حدود في ظل ادعائها للديمقراطية، وحفاظها على حقوق الإنسان.

في فترة الانقسام الفلسطيني أقدم الاحتلال الإسرائيلي على شن ثلاثة حروب على قطاع غزة، كانت أولها حرب 2008 – 2009م وأطلقت عليها إسرائيل اسم عملية « الرصاص المصبوب « في حين أطلقت عليها حركة حماس حرب « الفرقان « والتي بدأت في 27 ديسمبر 2008م واستمرت حتى 18 يناير (ودامت 22 يوماً)، والثانية حرب 2012م وأطلق عليها الاحتلال اسم عملية « عامود السحاب" في حين أطلقت عليها حركة حماس حرب «حجارة السجيل»،

(344) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص186.
(345) المصدر نفسه، ص187.

والجهاد الإسلامي اسم « السماء الزرقاء » والتي بدأت في 14 نوفمبر وانتهت في 22 نوفمبر (ودامت 8 أيام)، والثالثة كانت حرب 2014م وأطلقت عليها إسرائيل اسم عملية «الجرف الصامد" في حين أطلقت عليها حركة حماس حرب «العصف المأكول»، والجهاد الإسلامي اسم « البنيان المرصوص »، والتي بدأت في 8 يوليو وانتهت في 26 أغسطس (ودامت 50 يوماً)، في هذه الحروب اتخذت إسرائيل كافة التدابير الأمنية لسكان إسرائيل بالتحصين في الملاجىء، وتم نقل عدد كبير من الأسرى الجنائيين اليهود المعرضة حياتهم للخطر بسبب وجودهم في محيط صواريخ المقاومة الفلسطينية البدائية وغير موجهة بدقة، فيما تجاهلت الخطر المحدق بالأسرى الفلسطينيين وأبقتهم في سجون قريبة تعرضت أماكنها للاستهداف في مدينة عسقلان والسبع والرملة ووسط فلسطين، وسعت إدارة مصلحة السجون جاهدة لعزل الأسرى خلال الحروب الثلاثة عن العالم الخارجي من خلال منع مشاهدة الفضائيات الإخبارية العربية، والسماح فقط بمشاهدة الرواية الإسرائيلية، نقلاً عن القنوات العبرية كالقناة الأولى والثانية والعاشرة، وإدخال الصحف العبرية الثلاث فقط إلى المعتقلات « هآرتس ومعاريف ويديعوت أحرونوت »، واجتهد الأسرى بالتقاط موجات « الأف أم- FM" الفلسطينية عبر أسلاك تم مدها للخارج من فوهة الغرف الصغيرة، تجاوزاً لأجهزة التشويش التي وضعت لمنع التقاط الإذاعات المحلية، والتشويش على أجهزة الهاتف التي تم تهريبها لتبديد قلق الأسرى على ذويهم، والذين تفاجئوا مراراً وتكراراً بهدم بيوت ذويهم أو استشهاد أقاربهم أو إصابتهم أو تهجيرهم من بيوتهم المحاذية للشريط الحدودي والتي تم مسحها عن الأرض في الحرب الأخيرة.

ويسجل الباحث في دراسته موقفاً تاريخياً لصالح الإذاعات الفلسطينية المحلية التي تخدم الأسرى ببرامجها، وعلى رأسها إذاعة صوت الأسرى من غزة المتخصصة بقضيتهم، والتي خصصت برنامجاً يومياً لأهالي الأسرى لطمئنة أبناءهم عن أحوالهم في السجون، ولبث مطالب الأسرى في نقل الأخبار، وقامت بإجراء المقابلات مع الأهالي في أحلك الظروف، وكانت حلقة وصل بين الأسرى وذويهم على مدار الساعة أثناء الحرب وبدونها.

سادساً– الكبار يموتون والصغار يتجذرون:

في الأول من أكتوبر / تشرين أول 2015م، أسقط الشباب الفلسطيني المقولة الإسرائيلية « الكبار يموتون والصغار ينسون»، وكانت الشرارة الأولى لانتفاضة القدس بمقتل المستوطنين الإسرائيليين «نحاميا ليفي وأهرون بينت" في البلدة القديمة في القدس على يد الشهيد المجاهد مهند الحلبي رداً على اعتداءات المستوطنين على المسجد الأقصى والمرابطين والمرابطات على أبوابه، حينها اندلعت المواجهات بالحجارة وعمليات الطعن بالسكاكين وعمليات الدهس على يد جيل من الشباب الفلسطيني ممن ولدوا في أعقاب اتفاق أوسلو من العام 1993م.

وسبق اندلاع الشرارة عدد من العوامل المتراكمة أهمها المواجهات التي انطلقت من المسجد الأقصى، كرد فعل على تكرار وتصاعد وتيرة اجتياح المستوطنين له، ومنع جنود الاحتلال المصلين الفلسطينيين في سياق مسعى لتقسيم الحرم زمنياً ومكانياً بين المسلمين

واليهود، بالإضافة إلى الطريق المسدود الذي وصلت إليه العملية السياسية، وإصرار الحكومات الإسرائيلية، منذ التوقيع على اتفاقيات أوسلو، على إدارة الصراع، واللعب قدر ما أمكن على عامل الوقت لفرض وقائع ديمغرافية، من خلال تكثيف وتوسيع الاستيطان، وجدار الفصل العنصري، والاعتقالات ومصادرة الأراضي والانتهاكات اليومية من الجيش والمستوطنين بحق الفلسطينيين[346].

وأفاد تقرير صادر عن هيئة شؤون الأسرى والمحررين مع نهاية الشهر الأول للانتفاضة» أكتوبر 2015م « أن سلطات الاحتلال اعتقلت 1500 حالة اعتقال منها عدد من المصابين، بالإضافة إلى الإعدامات التي وصلت إلى 66 حالة إعدام وفق تقرير لمركز «أحرار» للأسرى وحقوق الإنسان، وارتفع عدد الأسرى في السجون إلى ما يزيد عن 7000 أسير وأسيرة، وتضاعف عدد الأسيرات ل 40 لمشاركتهن الفاعلة في المواجهات، وارتفاع كبير في نسبة الاعتقالات الإدارية التي وصلت ل 500 حالة.

وساءت حالة الأسرى في السجون، بهدف التضييق عليهم على مدار الساعة، فقامت بحملات التنقل الواسعة في أوساطهم، بغية إعاقة استقرارهم وصعوبة استيعاب المعتقلين الجدد من قبل القدامى والقيادات، وإرباك الأهالي في الزيارات لعدم معرفة مكان اعتقال أبناءهم في السجون والمعتقلات، وتعرض الأسرى للاعتداءات والاعدامات والضرب والإذلال والإرهاب، والاكتظاظ في الغرف بشكل لا يقبله العقل والمنطق، مع عدم توفير الاحتياجات الخاصة لهم في فصل الشتاء ومواد التنظيف وكميات الطعام التي لم تقيت الأسرى، وعرقلة زيارة المحامين، والاستهتار الطبي وخاصة بحق المصابين والجريحات الأسيرات في المستشفيات ومع ذوى الأمراض المزمنة، ولمن يحتاجون لعمليات عاجلة.

وقامت إدارة السجون بفتح المزيد من المعتقلات كمعتقل «جيعفون» المقام في مجمع سجون الرملة للأطفال، والذي حمل صفة «الأسوأ» بين السجون الإسرائيلية، بسبب افتقاره للخدمات وسوء ظروف الاعتقال في الغرف والأقسام.

وتبديداً للتخوفات في استيعاب الأسرى والأسيرات وفق عملية منظمة للجدد من الأسرى والأسيرات فنجحت الحركة الأسيرة بدمج الجدد عبر برامج إدارية وتوعية وجلسات تنظيمية، لإكسابهم التجربة الاعتقالية والنضالية والضوابط والحدود في حياة السجن، وعادة يتم استقبالهم من قبل لجنة تسمى لجنة الاستقبال مكونة من كل الفصائل، ويتم تحويلهم لغرفة الفصيل وفق انتماء المعتقلين، ومن ثم يبدأوا ببرنامج تثقيفي خاص بالإضافة للبرامج التنظيمية العامة [347].

فالروح النضالية والوحدوية التى تميز بها أسرى انتفاضة القدس، لربما سيكون لها انعكاسها الإيجابي على واقع الحركة الأسيرة من خلال إعادة الوحدة الوطنية والروح الثورية التي تأثرت بالانقسام [348].

(346) موقع التيار الوطنى الحر: http://www.tayyar.org/News/Mena/32660

(347) الأسيرة المحررة أحلام التميمى، مقابلة أجراها الباحث، 1/11/2015، الأردن.

(348) الأسير المحرر المبعد محمود مصطفى مرداوى: مقابلة أجراها الباحث، 4/11/2015، غزة

في نهاية المبحث يؤكد الباحث أن قضية الأسرى هي نتاج لقضية وصراع سياسي، فقد كانوا من أكثر الفئات تأثراً بكل جديد على الساحة السياسية[349]، ومن وخلال كل مستجد على الساحة الفلسطينية مع الاحتلال أثبتت الحركة الأسيرة أنها طليعة النضال الوطني الفلسطيني ضد الاحتلال، وأنها بفعل واقعها الموضوعي تتبوأ الصدارة في قلب الصراع اليومي معه[350].

ويرى الباحث أن حالة الإبداع رغم المتغيرات السياسية وتقلباتها تكمن في الحفاظ على التراث الاعتقالي وما يحمل من تجارب، وفي قدرة الأسرى القدامى في استيعاب فيضان الأسرى الجدد، ودمجهم اعتقالياً وثقافياً، وتعبئتهم نضالياً، وتحصينهم أمنياً، وتجهيزهم لكل مواجهة.

وفي الانتفاضات الفلسطينية كثف الأسرى مراسلاتهم مع فصائلهم، محاولين الإسهام من وحي تجاربهم النضالية، بالاقتراح والتصور، لعل ذلك يغني ويفيد التجربة، وتفاعل المعتقلون وجدانياً وإبداعياً مع كل انتفاضة، فأبدعوا من وحيها اللوحات الفنية والقصائد الشعرية، والقصص القصيرة، والنصوص المسرحية [351].

ورغم الانقسام الفلسطيني في الخارج، وانشغال الشارع والقيادة الفلسطينية ووسائل الإعلام، وهموم المواطن، وممارسات الاحتلال والحصار، كلها عوامل أتاحت لإدارة السجون التقاط الفرصة للانقضاض على عشرات الإنجازات في السجون، وتوسيع جرائمها، ومنحها القدرة على اتخاذ قرارات خطيرة هدفت إلى تشريع وتقنين الكثير من الانتهاكات والإجراءات، التي كان من الصعب عليها تشريعها في ظروف سابقة [352].

ومع كل هذا لعب الأسرى دوراً مهماً في إنهاء هذه الحالة وساهموا في تقريب وجهات النظر لإعادة الوحدة الفلسطينية عبر المناشدات والبيانات والتحذيرات وبلورة المقترحات كوثيقة الأسرى.

في نهاية الفصل يعتقد الباحث أنه وبالرغم من حالة التراجع التي تصيب جسم الحركة الأسيرة وواقعهم، نتيجة المتغيرات السياسية المتقلبة والديناميكية، إلا أنها تستطيع المحافظة على وجودها من حيث الفرز التنظيمي، والصراع مع إدارة السجون، وتنظيم حياة المعتقلين[353]، والتجربة أثبتت أن الحركة الأسيرة تمكنت من الحفاظ على هياكلها وتجربتها عبر كل الفترات والمتغيرات، قد تمر الحركة الأسيرة بمحطات من المد والجزر، والقوة والضعف، وحالات من التقدم والتراجع، ولكنها لم تفقد لحظة الجاهزية النضالية والعزيمة القوية، والإرادة الصلبة التي سرعان ما تستفيق بعد غفوة، أو تترجل بعد كبوة، واستطاعت بقلة الإمكانيات أن تحافظ على إرثها النضالي وتجربتها الاعتقالية، وهيبتها أمام إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية، ومكانتها الرمزية أمام الجماهير الفلسطينية وأحرار وشرفاء العالم.

واستطاع الأسرى عبر تجربة مبدعة وغنية أن تخرج أجيالاً من القادة، وشكلوا بعد خروجهم من السجون والمعتقلات رافداً للمجتمع بشكل عام، ولحركاتهم وأحزابهم بشكل خاص،

(350) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: ابداعات انتصرت على القيد، المؤتمرالثالث، مرجع سابق ص134.
(350) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: ابداعات انتصرت على القيد، المؤتمرالثالث، مرجع سابق ص134.
(351) حسن عبد الله: الصحافة العبرية فى تجربة المعتقلين الفلسطينيين، مرجع سابق، ص37.
(352) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص298.
(353) اياد الرياحى: مرجع سابق، ص17.

وأثروها بخبرات وكفاءات وطنية ونضالية متقدمة، لذلك استطاع الأسرى أن يتغلغلوا في صفوف أحزابهم وتنظيماتهم، وأن يتقلدوا أعلى المناصب التنظيمية، كما أنهم أصبحوا مشاركين أساسيين في عملية صناعة واتخاذ القرار السياسي والتنظيمي داخل أحزابهم وحركاتهم السياسية [354].

في الفصل القادم سيتناول الباحث فصلاً سيتناول الحالة الثقافية والتعليمية في السجون، والذى سيتضمن أساليب ووسائل إدارة مصلحة السجون لعرقلة المسيرة التعليمية، والأهداف من وراء تلك السياسة، وكيف واجه الأسرى تلك المخططات التدميرية، وكيف كانت البدايات التعليمية والخطوات النضالية، وتعريف لأدب السجون وأجناسه وكتابه ومميزاته وأصنافه، والمسيرة التعليمية، بدءاً بمحو الأمية ومروراً بالثانوية العامة والجامعات الفلسطينية والعربية والدولية التي انتسب إليها الأسرى.

(354) إسماعيل الداعور: مرجع سابق، ص94.

الفصل الثالث
الحالة الثقافية والتعليمية في السجون

الفصل الثالث
الحالة الثقافية والتعليمية في السجون

تؤكد المواثيق والاتفاقيات الدولية، وخاصة اتفاقية جنيف الرابعة، بشأن حماية المدنيين وقت الحرب، على حق المعتقلين بممارسة أنشطتهم الثقافية والتعليمية والدينية والذهنية والبدنية والترفيهية والرياضية، وتوفير الأماكن والإمكانيات اللازمة لضمان ذلك، الأمر الذي لم تلتزم به دولة الاحتلال، فبدلاً من توفير أجواء الثقافة والدراسة والمكتبة والانتساب للجامعات وتطوير المهارات والكفاءات، أعدت لهم العدة لتحطيمهم أمنياً وأخلاقياً، وثقافياً وتعليمياً، " فلم تقدم لهم التسهيلات الممكنة لمواصلة دراستهم التعليمية والانتظام بالمدارس والجامعات، سواء داخل أماكن الاعتقال أو خارجها، ولم تمنحهم الحق في تنظيم اجتماعاتهم الثقافية واقتناء الكتب العلمية والثقافية بحرية كاملة، أو التعلم الذاتي وتبادل الخبرات وتدوير المعارف والمعلومات فيما بينهم دون مضايقات[355].

ويؤكد الباحث على رفض الأسرى لتلك السياسات التجهيلية، وبصبرهم وصمودهم وإمكانياتهم البسيطة، استطاعوا أن يحولوا زنازينهم لصفوف دراسية، وحلقات تعليمية، ودورات ثقافية، ومحاضرات جامعية، وفي الوحشة والظلمة كتبت القصائد الشعرية، والروايات الأدبية، والكتب الفكرية، والتجارب الأمنية، والتوجيهات التنظيمية والاطلاع على الثقافات والمعارف والحضارات من خلال المطالعة وتعلم اللغات والانتساب للجامعات.

في هذا الفصل سيتناول الباحث أربعة مباحث، الأول: مخططات إدارة السجون لتخريب واقع المعتقلات، ومحاولة تفريغ الأسير من محتواه النضالي والثقافي، والثاني: المسيرة الثقافية للحركة الأسيرة، بداياتها وتطورها، والثالث: أدب السجون وتعريفه ومميزاته وأصنافه، والرابع: المسيرة التعليمية، بدءاً بمحو الأمية ومروراً بالثانوية العامة والجامعات حتى الدراسات العليا، وأبرز مظاهر الإبداع للأسرى في مناهضة السياسات الإسرائيلية، واستثمار الوقت، وعقد الجلسات، والبرامج، واللجان التي عملت لتقويض مخططات إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية.

(355) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص302 .

المبحث الأول
وسائل الاحتلال لتفريغ الأسير من محتواه النضالي والثقافي

حاول الاحتلال الإسرائيلي منذ بدء الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة تطبيق مقولة رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق إسحق رابين «سنجعل من المعتقل وسيلة لتخريب هؤلاء الفلسطينيين[356]، وأعدت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية الطواقم ذات النظم والهياكل المعقدة والمتخصصة والمدربة لتحقيق تلك المقولة، بهدف تحطيم الروح المعنوية للمناضلين، وتفريغهم من محتواهم الثقافي[357].

لذلك سعت إدارة الاحتلال إلى جعل السجون مقابر للأسرى، وظيفتها قتل الروح النضالية لدى الأسير وتيئيسه من جدوى ما يقوم به، ودفعه للندم على انتمائه وفي النهاية «توبته" وخلق إنسان مختلف تماماً، إنسان خانع مستسلم للواقع وللقوة والسيطرة الصهيونية، مقتنع بعبثية النضال الوطني، لكن الحقيقة أن رواداً أوائل أدركوا هذا الهدف، وعملوا وناضلوا ودفعوا حياتهم كلها أو جزءاً منها، كي تكون للمعتقلات وظيفة أخرى غير التي أراد العدو، وهي أن تغدو المعتقلات محطة يستثمر فيها المعتقلون وقتهم الذي يتوافر خارج المعتقل لتعميق وعيهم، وانتماءهم الوطني وتزويدهم بالمعارف التي لم يتح لهم المجال لتعلمها قبل دخولهم المعتقل سواء أكانت أكاديمية أو ثقافية عامة [358].

في هذا المبحث سيتناول الباحث عدداً من السياسات والمخططات التي استخدمتها إدارة مصلحة السجون لتحقيق أهدافها في تقويض الجانب النضالي لدى الأسرى « كمحاولات الإسقاط الأمني والأخلاقي، وضرب الأطر التنظيمية، وافتعال الأحداث وإثارة الفوضى، ونشر الإشاعات، واستخدام وسائل ردعية وغير إنسانية، وعلى الجانب الثقافي كمماسة « الحصار بعدم إدخال الكتب والعزل عن العالم الخارجي، والرقابة الشديدة، والتفتيشات ومصادرة إنتاجات الأسرى وممتلكاتهم الثقافية، واتباع عمليات التشويش الفكري، ومحاربة الظواهر الثورية، وإحياء المناسبات الوطنية «.

(356) إدريس جرادات: دور الجلسات التعبوية في سجون الاحتلال الإسرائيلية، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص7.

(357) المحتوى الثقافي الذى تشرب من خلاله الأسرى حب الله ورسوله والوطن، وتعزيز روح التضحية والفداء، ودفع الغالي والنفيس من أجل حريتهم وشعبهم، وسعى الاحتلال لتقويض روح والنضال فى نفوسهم التى أيقنت أن المقاومة ومناهضة الاحتلال بكل الوسائل الممكنة والمتاحة والمشروعة هى أقصر الطرق لتحقيق الحرية و السيادة والاستقلال.

(358) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: ابداعات انتصرت على القيد – المؤتمر السنوى الأول، مرجع سابق، ص81.

أولاً- وسائل الاحتلال لتفريغ الأسير من محتواه النضالي:

1.محاولات الإسقاط الأمني والأخلاقي:

من البديهي القول أن أي عملية إسقاط تقوم بها سلطات السجون والمخابرات الصهيونية لأي معتقل كانت تعتبر إنجازاً عظيماً لها، وخسارة كبرى للشعب الفلسطيني وقضيته العادلة، ولهذا فإن المخابرات الصهيونية وسلطات السجون تحرص كل الحرص على القيام بهذا الدور، فهي لا تتوانى من إسقاط أي معتقل كان، وتعمل بشتى السبل الترغيبية والترهيبية، واللاأخلاقية واللاإنسانية لإسقاط أي فرد من الشعب الفلسطيني، فلا شك أنهم أكثر الناس استهدافاً وأكثرهم مطاردة.

لقد كان العملاء داخل المعتقلات وما زالوا يشكلون خطراً شديداً على المعتقلين، لأنهم عيون ورسل سلطات السجون غير معروفة في واقع الأسرى، ولهذا فإن سلاح العملاء كان وما زال من أمضى الأسلحة التي استخدمتها سلطات السجون في حربها الضروس ضد المعتقلين، هذا فضلاً عن الدور التخريبي والخلخلة الداخلية التي يقومون بها في صفوف المعتقلين الداخلية[359].

وعلى الجانب الاخلاقي، شن المعتقلون ومنذ السنوات الأولى لاعتقالهم حرباً شعواء ضد الشذوذ الجنسي " اللواط " واعتبروا كل من يقدم على مثل هذه الممارسات كمن سقط في شراك المخابرات، وقد حرصت سلطات السجون والأجهزة المتفرعة عنها على محاربة المعتقلين بها، فأوعزت إلى عملائها بإسقاط كل من يمكن إسقاطه جنسياً من المعتقلين [360].

2. سياسة العزل الانفرادي والتصفية الجسدية:

يعتبر عزل المعتقل عقاباً من أقسى أنواع العقاب الذي تلجأ إليه سلطات الاحتلال الإسرائيلية ضد المعتقلين الفلسطينيين، فتضعهم في زنازين معتمة وضيقة، ولفترات طويلة من الزمن، ويحرم المعزول من أبسط الحقوق [361]، قد تلجأ مصالح السجون في أي مكان لعزل بعض الأسرى في ظروف وشروط حياة محدودة « على سبيل المثال إذا لجأ الأسير للتعامل بعنف مع السجان، أو هدده بالقتل، أو مارس ممارسة قد تتسبب بخطورة أمنية على الغي، سواء كان في السجن أو خارجه، أو لحماية سجين من القتل، أو لعدم التزامه بقوانين اعتقالية متعارف عليها ومتفق عليها بين الإدارة والمعتقلين، وقد تجد أي حكومة مبرر لعزل شخص تحت هذه الاعتبارات أمام المؤسسات الدولية والحقوقية، ولكن أن تعزل شخص ملتزم بالقوانين المتعارف عليها، وغير مهدد لغيره أو مهدد في شخصه ولم يشكل خطر على غيره في السجن وخارجه، كما يحدث في سجون الاحتلال بعزل الأسرى بشروط حياة مميتة ومؤذية نفسياً

(359) حلمى عنقاوى: مرجع سابق، ص241.

(360) حلمى عنقاوى، مصدر سابق، ص34.

(361) مركز الميزان لحقوق الانسان: صرخات من وراء القضبان، الرسالة للنشر والاعلام، أم الفحم، فلسطين، 2009، ص7.

وجسدياً خارجة عن الشروط الإنسانية الدنيا، فهذا إجراء غير قانوني ومخالف للاتفاقيات الدولية، فممارسة إدارة السجون مع المعتقلين بزجهم في العزل بهذه القسوة ليس لها تفسير إلا العقاب والانتقام.

فالحرمان الاجتماعي المتمثل « بالعزل « عقوبة ذات أبعاد خطيرة على الصحة النفسية لا يجري اتخاذ قرار في تطبيقها إلا إذا كان الهدف منها تحطيم التركيبة الفسيفسائية للتكوين النفسي لعضو الجماعة المتخذة ضده، ثم إعادة صياغتها على النحو المطلوب، بحيث تكون هذه الإعادة ما هي إلّا عملية ترويض ممنهجة، تهدف إلى إدخال تعديلات عميقة على المنابع الذاتية لوجدان ووعي العضو وخلق أرضيه لديه لدوافع ذاتية تتلاءم مع الهدف الذي من أجله اعتمدت هذه العقوبة، وإذا كان المنطق قد أجاز تطبيق الحرمان الاجتماعي الذي يعني إجبار العضو الشاذ اجتماعياً على وأد مناحٍ سلوكية معينة لدية وتنمية سلوكيات أخرى يجيزها العرف الاجتماعي، وتتناسب مع المسلك الاجتماعي العام، فإنّ المنطق نفسه لا يُقرّ على الإطلاق تطبيق هذا الحرمان بصورة معكوسة، أي تطبيقه على الأعضاء الذين يشكل سلوكهم نموذجاً في البيئة الاجتماعية التي يُصار فيها إلى إجراء الحرمان الاجتماعي، ودرجات الحرمان الاجتماعي متفاوتة , أشدها قساوة العزل الانفرادي الذي تُنفذه مصلحة قمع السجون الصهيونية، كسياسة قمع إرهابية تمارس ضد الوطنيين، بحيث يُزجون في بيئة عدائية خلف جدران، مغلقة لا يتسرب إليها أي بصيص من ضوء الشمس المباشر، ويحظر فيها الاتصال مع آخرين من بني البشر، باستثناء جنسين بشريين يصبان أيضاً في زيادة قساوة هذه البيئة، الأول: وقاحة في المعاملة وشدة غير مبررة في تنفيذ الأوامر اليومية، يُطبّقها حُراس ساديون, يتلذذون بتعذيب الآدميين، ويروى الباحث بالكثير من الألم تجربته الشخصية فى معاملة إدارة السجون الاسرائيلية له فترة العزل لعامين متتاليين بالقول: " كانت أقسى اللحظات التى مررت بها خلال فترة التحقيق ومن ثم الاعتقال نقلي من زنازين سجن عسقلان المركزى إلى سجن الشرطة المسمى " لخيش " فى غرفة عزل واستغربت عملية النقل إلى هذا المكان، أدخلونى زنزانة جانبية وإذا بالشرطة تفتح الفوهة الصغيرة العليا للزنزانة، وتم وضع خرطوم أنبوبة المطافىء الكبيرة المليئة بالبودرة الكيميائية وضخها داخل الزنزانة الصغيرة فقمت بتغطية رأسي تحت البطانية المتسخة المتوفرة بالزنزانة حتى هدأ تناثر وبعثرة المادة التى سببت الاختناق لي.

أخذت أنادى على الشرطة " وأكبر " ليخرجونى من عملية تعذيب وخنق وإرهاب مبرمجة، وتفاجأت بحضور الشرطة رداً على صراخى ظاناً أنهم آتون لإنقاذي، غير مدركٍ أن هذه هي إحدى مراحل التعذيب والانتقام في تلك الليلة القاسية وغير مسبوقة لربما على تجربة أسرى آخرين، وتم اقتيادي لمكان انتظار في بداية القسم له ثلاثة جدران وواجهة شبك وكان الوقت قرابة منتصف الليل، كنت أنتظر المزيد من المفاجئات في تلك الليلة الرهيبة وإذا بثلاثةٍ من الشرطة بلباسٍ مدني يتقدمهم شرطي بزي سجان قام بفتح البوابة عليّ ودخل أحدهم وبيده إبريق "كمكم كهربائي " مليء بالماء المغلي "، واقترب منى ورشقه نحوي،

حركت وجهى قليلا وإذا بالماء يحرق جزءًا من رقبتي وصدري، وقاموا بنقلي لعيادة السجن الذي تعامل معي بكلّ قسوةٍ وألم، فقط بوضع القليل من دهون الحرق على جسمي مع غطاء شاش خفيف.

مكثت على هذا الحال ما يقارب من الشهر ثم نقلوني إلى قسمٍ خاصبأسرى القدس في نفس المكان، وبعد أسبوع جاء نقلي إلى أبشع قسم عرفته الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة في تاريخها وهو عزل " نيسان " في سجن الرملة " قسم لأخطر الأسرى الفلسطينيين، مقام تحت الأرض " بظروفٍ خيالية في القسوة وظروف الاعتقال وأشكال التضييق، فوجدت فيه عددًا قليلاً ممن قام بعمليات بطولية مميزة في الانتفاضة ونخبة قيادية من أبناء الشعب الفلسطينى لا تتعدى 36 معتقلًا مقطوعين عن العالم الخارجى بشكلٍ كامل.

كان القسم بلا حقوقٍ دنيا "بدون زيارات منتظمة وبقمعٍ مستمر وأجواء مصادمة واستنفار على مدار الساعة، لم يكن بالقسم مراوح ولا تلفاز، والراديو مهرب والبيضة في الفطور لشخصين والدجاجة الواحدة لثمانية أشخاصمرة في الأسبوع، ولا وجود لبلاطة كهربائية لإعداد الطعام ولا إدخال لصحفٍ عربية ولا سماح للتعليم الثانوي أو الجامعي ولا مجال لعمل كأسٍ من الشاي الساخن وبلا ثلاجات حتى في القسم عامة، وحينما كنا ننشد أو نحيي مناسبةً جماعية للترفيه على الأبواب كانوا يضعا لنا سماعات بأصوات عالية ومزعجة.

في هذا المكان أستذكر أربع قصصمن عشرات، " الأولى ": المكان كان مليئًا بالجرذان كون القسم هو البنية التحتية لكل السجن أعلاه " بدروم " وكانت الجرذان الكبيرة ظاهرة وكنت أنام في السرير العلوي الذى يطل على الشباك الذى كان بسطح الأرض من الخارج وخلال النوم صحوت على شيءٍ يسير على وجهي المغطى بشرشف خفيف، وإذا به جرذان كبير، فزعت من نومى فسقط على الأرض، وبقي حتى الصباح، وخرج معنا وقت الفورة التى كنا نخرجها مكبلي الأيدي أثناء الخروج والعودة.

"القصة الثانية": كنا نهرب مشبك رأسٍ معدني " بكلة " من أمهاتنا أيام الزيارات غير منتظمة والمتقطعة ونلصق بها شفرتين، ونعري الأسلاك الكهربائية في العلب العلوية بشكلٍ ممنوع حتى نصنع كوب شاي، ومرة تبخرت الماء ووصلت الأسلاك وأحدثت ماسًا وكنت أقف على المغسلة الصغيرة، واذا بالكهرباء تصل يدي وتنسكب على جسمي، وأصبحت في حيرةٍ من أمري أتألم دون علاج لئلا أعاقب، أم أتعالج وأتحمل العقوبة، ورجحت الأولى فبقيت صامتًا حتى تشافيت برحمة الله.

"القصة الثالثة": رفضت إدارة العزل ذات يوم نقل محتوياتنا بين الزنازين، وقررنا يومها تحدى السجان وقررنا كسر أقفال فتحات الأبواب " الأشناف " وتوزيعها رغماً عنه، وما هى إلى ساعات حتى كانت جميعها مفتوحة بامكانياتنا البسيطة، وفى صباح اليوم الثانى حضرت قوات مدججة بالهروات والدروع والغاز، وبدأت باخراجنا بالقوة ووضعوا كل أسير منا فى مكان انتظار، مقيد الأيدى والأرجل وسط عشرات السجانين الذين انهالوا علينا بالضرب

القاتـل والمـبرح، يومهـا تـم كـسر إحـدى عظـام صـدرى بالبسـاتير، وكـدت أختنـق مـن صعوبـة التنفـس.

"القصـة الرابعـة ": التـى تنـم عـن فشـل إدارة السـجون بعمليـة تقويضنـا ثقافيـاً، وهـى قـدرتى عـلى كتابـة كتـاب وأنـا بعمـر 22 عـام برفقـة زميـلى الأسـير المحـرر محمـد أبـو جلالـة باسـم " نجـوم فـوق الجبـين "، والـذى تنـاول مبـادىء فكريـة وتنظيميـة، والعمليـات البطوليـة وأسرى العـزل، وتمـت طباعتـه وتوزيعـه في الخـارج في العـام 1992، وكان التهريـب خارقًـا بخفيـة المـادة المكبسـلة تحـت خـصر البنطـال ولفـه ليصـل للشـبك الثـاني أثنـاء الزيـارة.

والثـاني: فهـو همهـمات بشريـة تتـسرب إلي زنازيـن العـزل، يتميـز منهـا أصنـاف مـن الشـتائم المسـيئة والحديـث الخـارج عـن الأخـلاق يُطلقهـا السـجناء الجنائيـون (طالبـي الحمايـة) كزبانيـة لمصلحـة قمـع السـجون، ينفـذون جـزءاً مـن عملية خلـق الجو العـدائي في هـذه البيئة الموحشـة[362].

كـما أن دولـة الاحتـلال تقـوم بالتصفيـة الجسـدية داخـل السـجون، وتتجـاوز كافـة المواثيـق والاتفاقيـات الدوليـة التـي أكـدت في المـادة الثالثـة عـشر مـن اتفاقيـة جنيـف الثالثـة لعـام 1949م عـلى « وجـوب معاملـة أسرى الحـرب معاملـة إنسـانية في جميـع الأوقـات، وتحظـر عـلى الدولـة الحاجـزة أن ترتكـب أي فعـل أو إهـمال غـير مـشروع يسـبب مـوت أسـير في عهدتهـا، ويعتـبر انتهـاكاً جسـيماً لهـذه الاتفاقيـة [363].

إلا أن دولـة الاحتـلال الإسرائيـلي لم تلتـزم بتلـك الاتفاقيـات والمواثيـق، وتتعامـل مـع ذاتهـا فـوق القانـون، عـلى العكـس فهـي تعمـل جاهـدة للانتقـام مـن الأسرى كونهـم في قولبتهـا "إرهابيـين وقتلـة ومخربـين» وتصفهـم بأوصـاف تحريضيـة وعنصريـة، لـذا تعمـدت للنيـل منهـم جسـدياً عـبر القتـل المبـاشر أو غـير مبـاشر[364]، والأمثلـة كثـيرة في هـذا الشـأن عـلى مـدار الحركـة الوطنيـة الأسـيرة [365]، ولعـل أقسـاها إجـراء عمليـات جراحيـة كاملـة لأسـير مقيـد الأيـدي والأرجـل بـدون تخديـر [366].

(362) الأسير المحرر سلمان جاد الله، مقابلة أجراها الباحث، 23/11/2015، قطاع غزة.

(363) نداء البرغوثى: مرجع سابق، ،ص289.

(364) ومـن القضايـا غـير متوقعـة عـلى المسـتوى الطبـى مـا كشـفته (داليـا ايتسـيك) التـى شـغلت رئيسـة لجنـة العلـوم البرلمانيـة الاسرائيليـة سـابقاً، (وأمـى ليفتـات) التـى عملـت كرئيسـة شـعبة الأدويـة فى وزارة الصحـة الاسرائيليـة بإجـراء 1000 تجربـة أدويـة سـنوياً عـلى المعتقلـين الفلسـطينيين، موضحتـا آنـذاك ان هنالـك عـدد كبـير مـن التصاريـح التـى تمنحهـا وزارة الصحـة لإجـراء المزيـد مـن مـن تجـارب الأدويـة عـلى المعتقلـين.

(365) « كقصـة الأسـير هيثـم عـزات صالحيـة مـن مدينـة رام اللـه، الـذى حوكـم بالمؤبـد لمرتـين، وتعـرض لمحاولـة اغتيـال داخـل سـجون الاحتـلال، والـذى وضـع لـه السـم في فنجـان القهـوة عـلى يـد احـد العمـلاء في سـجن «ايشـل» ببـئر السـبع في عـام 2011، مـا أدى إلى إصابتـه بالإغـماء مبـاشرة وتقيـؤه الـدم.

وحقـن الأسـير جعفـر عـوض عـلى يـد الطبيـب السـجان بحقنـة غامضـة أطلـق عليهـا والـده « إبـرة المـوت البطـىء »، ونـزل وزنـه مـن 76 كيلـو جـرام إلى 45 كيلـو جـرام، بعـد التهابـات الرئـة والغـدة، وتهتـك بأجهـزة الجسـم، ومشـاكل بالجهـاز العصبـي والعضـلي، وعـدم القـدرة عـلى الحديـث والحركـة حتـى استشـهد فى نيسـان 2015 بعـد ثلاثـة شـهور مـن الإفـراج عنـه اسـتثنائياً حتـى لا يستشـهد فى السـجون.

هـذا بالاضافـة لسياسـة الإسـتهتار الطبـى اتجـاه الأسرى المـرضى، كتأجيـل إجـراء العمليـات الجراحيـة، وعـدم تقديـم العلاجـات المناسـبة، وعـدم السـماح بإدخـال الطواقـم الطبيـة مـن خـارج السـجون، ورفـض تسـليم ملفاتهـم لعرضهـا عـلى مختصـين، الأمـر الـذى أوقـع المزيـد مـن الشـهداء سـواء كانـوا في السـجون أو بعـد التحـرر متأثريـن بأمراضهـم التـى توارثوهـا داخـل المعتقـلات والزنازيـن.

(366) الأمـر الـذى أكـده الاسـير أنـس كامـل شـحادة مـن جنـوب رام اللـه الـذى اعتقـل فى العـام 2002 والـذى وصـف عمليـة الزائـدة الدوديـة التـى أجريـت لـه بالقـول كانـت عمليـة إجراميـة، لقـد أحكمـوا تربيطـى، وسـحبوا لسـانى بقسـوة بالغـة وألصقـوه فى حلقـى ووضعـوا حديـدة تحـت لسـانى، وضربنـى الطبيـب عـلى أنفـى، ووضـع المـشرط عـلى بطنـى، فنفـر الـدم بغـزارة، وشـعرت بصدمـة عصبيـة تنتابنـى، وشـعرت بتوقـف القلـب وذهـول العقـل، وكان الطبيـب يسـب ويلعـن ويقـول بالعبريـة « مخـرب « وفقـدت الوعـى أكـثر مـن مـرة، فجـاءوا بصاعـق كهربـائى وأفاقـونى، وعـدت إلى وعيـى وهـم يدخلـون بربيشـاً إلى المـرىء بـكل قسـوة وفظاظـة وشـعرت باختنـاق شـديد دون أدنى وازع للرحمـة فى قلوبهـم، سـاعتان فى هـذه العمليـة كألـف سـاعة مـما نعـد.

1. بث الإشاعات المغرضة وتشجيع ظاهرة المحاور:

من الطبيعي أن استشراء إشاعات والترويج لها ولاسيما الإشاعات الهدامة عامل أساسي من عوامل خراب ودمار أي أمة من الأمم، لأن ذلك يؤدي إلى نزع الثقة بين الناس، وأن أي مجتمع تنتزع الثقة من بين أفراده لاشك أنه سيتلاشى وسيتحطم، هذا بشكل عام، أما المجتمعات المغلقة والمعزولة عن العالم كالمجتمعات الاعتقالية فإن للإشاعات الكاذبة آثار سلبية جمة عليها، هذا فضلاً عن كون تلك المجتمعات أكثر تأثراً بالإشاعات من غيرها من المجتمعات، خاصة إذا كانت المجتمعات الاعتقالية غير منظمة، ولا شك أن الأجهزة المختصة المشرفة على سلطات السجون تدرك تمام الإدراك لتأثير الإشاعات على المعتقلين ولهذا فقد مارست هذا الدور منذ اليوم الأول لافتتاح المعتقلات، وقد أحرزت بعض النجاحات في السنوات الأولى للاعتقال غير أنها لم تعد تخفى على المعتقلين بعد تنظيم المعتقلات، إذ أن الأطر التنظيمية والاعتقالية باتت تقاوم هذا الأسلوب بشتى السبل [367].

وقد استخدمت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية كل الوسائل والأساليب التخريبية لضرب القناعة النضالية لدى الأسرى، ولتفكيك الواقع الاعتقالي التنظيمي بكل السبل، ولتقويض الوحدة الوطنية الاعتقالية بين الفصائل داخل الحركة الأسيرة.

وعملت أجهزة الأمن الإسرائيلية في السجون على «بث الإشاعة المغرضة « كنقل الأخبار الكاذبة ونشرها، والترويج لها داخل القاعدة التنظيمية، وذلك بهدف خلق البلبلة والإرباك والتشكيك بجدوى الوسائل النضالية، ومكانة القيادات الوطنية، وكثيراً ما يلجا العدو إلى الإيعاز لعملائه للقيام بهذه المهمات القذرة، كنقل الأخبار الكاذبة، والعمل على ترويجها وتضخيمها [368]، ومن أمثلة تلك الإشاعات « نقل عدد كبير من المعتقلين من سجن لآخر أثناء التحضير لخطوة نضالية، أو ترويج منح الأسرى بعض المطالب المهمة قبيل الدخول لإضراب مفتوح عن الطعام لخلق الانقسام بين الأسرى حول صحة الدخول على خطوة الإضراب في ظل الموافقة على مطالب الأسرى، أو استثناء بعض المعتقلين الفلسطينيين من عملية التبادل لخلق ردة فعل لديهم للكشف على تأكيدات الإفراج عنهم من فصائلهم المحاورة للاحتلال، وللتعرف على مزيد من المعلومات التي يمتلكها الأسرى من خلال تواصلهم مع الخارج، والترويج لأخبار الإفراجات السياسية واغلاق السجون في أعقابها لزرع الفوضى والإرباك والترهل والتمرد على الالتزامات الاعتقالية والتنظيمية.

وكثيراً ما تلجأ إدارة السجون إلى حرق وتحطيم الأسرى خاصة النشطاء منهم تنظيمياً عبر استهدافهم أمنياً وأخلاقياً بإشاعات موجهة للحد من تأثيرهم ومعاقبتهم، وعادةً ما تكون في أعقاب مقابلات للمندسين مع المخابرات بعد ذهابهم لعيادة السجن، أو عودتهم من

(367) حلمى عنقاوى: مرجع سابق، ص50.
(368) عبد الحق شحادة: مرجع سابق، ص65.

زيارات الأهل، أو عن طريق السفريات التي كان يختلقها أولئك تحت مبرر المحاكمات أو النقل للمستشفيات، وكثيرة هي الشواهد على تلك الإشاعات التي انكشفت خلال إخضاع بعض العملاء للعدالة الثورية[369].

وعملت إدارة السجون الإسرائيلية منذ بداية الاعتقال على تشجيع التيارات والمحاور والشلل بواسطة العملاء والمدسوسين، وضرب أسس أي عمل جماعي، والإصرار على التعامل مع المعتقلين كأفراد [370].

والتجربة الاعتقالية لدى كل الفصائل حملت الكثير من الشواهد في وجود ظواهر الشللية والمحاور التي تشكل عائقاً أمام الوحدة التنظيمية، وقوة المؤسسة الاعتقالية، وغالباً ما تنشأ تلك الظاهرة بإيعاز من أجهزة الأمن عن طريق عملائها لبناء سد منيع ومعيق لوحدة القرار الجماعي لمناهضة السياسات العنصرية التي تنتهجها إدارة السجون للنيل من الأسرى على كل الصعد.

ويؤكد الباحث أن قضية المحاور لم تنشأ إلا في ظل ظروف ومتغيرات كمرحلة نشأة الحركة الأسيرة في ظل غياب الحالة التنظيمية، أو في ظل حالات التراجع التنظيمي في أعقاب اتفاقية أوسلو 1993م، أو بداية انتفاضة 2000م، ولكن التنظيمات الفلسطينية كانت أقوى بكثير من تلك الظواهر العابرة والممقوتة والمكشوفة، وحاربتها الحركة الأسيرة وحاسبت من يقف خلفها، وعبئت القاعدة التنظيمية على رفضها، وحذرت من خطورتها وانعكاسها السلبي على الواقع الاعتقالي.

2. استخدام الأساليب الردعية والمعاملة غير الإنسانية وغير الأخلاقية:

استخدمت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية الكثير من الوسائل الردعية واللاإنسانية بهدف ترويع الأسرى والتأثير على قدراتهم المعنوية والنفسية، فاستخدم الجيش منذ بداية الاعتقال عمليات المداهمة الليلية بعشرات الجيبات العسكرية، واصطحب خلال الاعتقال الكلاب البوليسية لاقتحام البيوت، وقام بعمليات إطلاق النار والقنابل واستخدام الطائرات العمودية وحتى القصف الصاروخي في بعض الحالات، وحاولت أجهزة الأمن انتزاع الاعترافات من المعتقلين بالضرب المبرح وعشرات الوسائل المحرمة دولياً، وفي السجون اعتدت الفرق الخاصة على الأسرى، وأطلقت النار الحي باتجاههم، وقامت بتصفيتهم جسدياً وخاصة في معتقل النقب، بالإضافة إلى الأحكام الردعية وغير منطقية التي وصلت لعشرات المؤبدات «لمدى الحياة»، وبالإعتداء على الأسرى بالضرب ورش الغاز أو ما يطلق عليها في السجون" بالقمعات".

ويروى الباحث إحدى تلك القمعات في سجن نفحة بالقول: " دارت مواجهة عنيفة بيننا وبين إدارة السجون الاسرائيلية في العام 1997م أثناء محاولتها إخضاعنا بالقوة، كانت المواجهة

(369) المصدر نفسه، ص65.

(370) حسن عبد الله: الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين، مرجع سابق، ص28.

غير متكافئة، بين سجان استدعى طاقم سجن نفحة بالكامل، وقوات خاصة استدعاها من خارج السجن بالعشرات بل والمئات، جميعها متسلحة بقنابل الغاز المسيلة للدموع، والهروات، والخوذ والدروع والسلاح، والكاميرات المنتشرة فى كل زوايا الأقسام للمراقبة، كنت فى غرفة 8 ب فى الأقسام القديمة، لم يكن سلاحنا سوى ما سمح لنا فى الغرفة، صحون، أكواب الشاى، ملاعق، قطع صابون، بعض المعلبات التى قمنا بشرائها من الكانتين، وبعض المقتنيات البسيطة، فى بداية المعركة سيطرنا على السجن فألقينا ما لدينا على الشرطة التى سارعت بالخروج من الأقسام، كنا ندرك خطورة الخطوة القادمة، وكنا نعلم أننا فى نظر إدارة السجون مجموعة من المجانين التى تتسلح بكل تلك المعنويات والإرادة على غير امكانيات، مقابل تسليح كامل ونظام حماية واحتياطات من السجانين المرتزقة بقلوب مهزومة ومهزوزة، ووضعنا الفرشات الاسفنجية المبللة بالماء على فوهات الباب الحديدى السميك، ثم تم قطع الماء والكهرباء عنا، وإذا بالقوة المدججة تلقى بقنبلة من الغاز من الشباك الخلفى للغرفة الصغيرة التى يقطنها ثمانية أسرى والمحاطة بالجنود، ومن ثم دخلت القوت للأقسام مرتدية الكمامات المضادة للغاز، وبدأت تطلق القنابل فى الأقسام، التفتنا لما أصابنا فى داخل الغرفة وإذا بقوة تفتح فوهة الباب " اشناف الباب " وتلقى بقنبلة ثانية فى الجهة المقابلة من خلف الفرشات الإسفنجية، لم نر بعضنا من كثرة الدخان، غرفة تحولت بكاملها إلى دخان أبيض معبق بالسموم برائحة الموت، حينها لا مفر، وضعنا رؤوسنا تحت الأبراش، منا من ذهب فى فوهة الحمام لالتقاط نفس واحد لم يجده، انتابتنا نوبات عصبية، أصابنا الصرع بحركات هستيرية أقرب للجنون واللاإرادة، عشقنا الموت وتمنيناه بلا منال ودون فائدة للوصل اليه لنرتاح من عذاب ما بعده عذاب، أجسادنا أنهكت وهوت واستلقت على غير قوة كانت، الغاز بدأ يخف، بدأنا نتفقد أحوال بعضنا، كان القسم يعج بعشرات السجانين، كنت أتقن اللغة العبرية وأعمل فى لجنة الحوار فى سجن نفحة، نهضنا بثقل وصعوبة، وعيوننا تقدح شرار من كثرة الغضب، وإذا بمدير السجن فى القسم، قلت له: أنتم أناس نازيون، حينها شعرت ببعض الراحة المعنوية وأنا أنغصعليه نشوة الانتصار الميدانى، لما تحمل هذه الكلمة من معانى وتأثير على كل يهودى، عدت وتوضأت، وفى الركوع من الصلاة تقيأت سواداً ساماً بطعم مر أراحنى قذفه من معدتى ورئتاى، حدث تكرر مئات المرات ولربما بأكثر صعوبة على الأسرى منذ بدء الحركة الوطنية الأسيرة.

وتعاملت أجهزة الأمن الإسرائيلية مع الأسرى والأسيرات بمعاملة غير مسبوقة مع أي شعب ومحتل، كانت المخططات وأشكال الانتقام شيطانية، بعيدة كل البعد عن الحس الإنساني، غير آبهة بالخصوصيات والمحرمات والممنوعات التي أكدت عليها المواثيق والاتفاقيات والقانون الدولي الإنساني بحق المرضى والأطفال والأسيرات (371).

(371) على سبيل المثال لا الحصر عبر الأسير المحرر الدكتور طلال محمد خلف الذى اعتقل فى العام 1971م، وأفرج عنه فى العام 1989م، عن تجربته بالقول: « فور وصولى لسجن غزة المركزي بدأ التعذيب، حيث أمروني بالقوة بخلع جميع ملابسي الخارجية والداخلية، وأصبحت عارٍ تماما – حيث درجة الحرارة في هذا الوقت من العام تقترب من الصفر ليلاً – ثم قاموا بضربي على جميع أجسام جسدي وأنا دون ثياب، وبعد ساعتين من الضرب المتواصل تم وضعي تحت رشاش (دش الحمام) ماء بارد لمدة ساعتين إضافيتين ثم بدأوا بالضرب من جديد، وهكذا لمدة 12 ساعة متواصلة، دون طعام ولا شراب وعدم السماح لي بقضاء حاجتي (دخول الحمام للتبول أو التبرز)، حينما وجدوا مني صلابة وقوة تحمل نقلوني لسجن المجدل، حيث كان التعذيب يتنوع بين الضرب والشبح وأنا عارٍ تماماً دون أية ملابس، وحاول أحد المحققين بالإعتداء جنسياً عليَّ وأنا معلقاً من يدي حيث كان بيده عصا يضعها على المناطق الجنسية وعند محاولة الإعتداء الجنسي استعنت بالله وركلته بقدمي وأنا معلق، فهرب من أمامي مما دفعهم لنقلي للسجن الحربي في صرفند وذلك فقط بعد أربعة أيام من إيداعي سجن المجدل.

ومـرت الأسـيرات الفلسـطينيات بظـروف اعتقـال مأسـاوية دون مراعـاة لأي خصوصيـة، قصـص أقـرب للخيـال مـن الواقـع (372)، في طريقـة الاعتقـال، والعـزل، ومحـاولات الإجهـاض للحوامـل منهـن في التحقيـق، والتعذيـب النفـسي والجسـدي، وعـزل الأسـيرات الفلسـطينيات مـع الأسـيرات الجنائيـات اليهوديـات بسـجن نفـي تريتسـا بالرملـة (373).

ثانياً- وسائل الاحتلال لتفريغ الأسير من محتواه الثقافي:

1. الحصار الثقـافي، والتهديد بالعودة لبدايات الاعتقال الأولى:

تبنـت إدارة مصلحـة السـجون الإسرائيليـة اتجـاه الأسرى اسـتراتيجية تتلخـص بتقويـض قدراتهـم وإخراجهـم عبئـاً عـلى مجتمعاتهـم، وتفننـت هـذه تلـك الإدارة بالإشـتراك مـع المخابـرات بابتـكار أبشـع الأسـاليب لتنفيـذ هـذه الخطـة [374].

وبـدأت بفـرض الحصـار الثقـافي بحـق المعتقلـين الأوائـل، وبـدأت بمنـع الدفـتر والقلـم والكتـاب، واسـتثنت «إدارة السـجون « مـن ممنوعاتهـا الكتـب التـي تنسـجم وتتوافـق مـع توجهـات التفريـغ، واسـتفادت إدارة السـجون في هـذا المجـال مـن الخـبراء والمختصـين في العلـوم السياسـية وعلـم النفـس والاجتـماع، وأحضرتهـم إلى بعـض المعتقـلات لإلقـاء محـاضرات وإدارة حـوارات، الهدف منها التشـكيك في كل مـا يتعلـق بالشـعب الفلسـطيني، مـن تقاليـد وثقافـة وانتـماء[375].

وحاولـت إدارة السـجون عـبر أكـثر مـن وسـيلة أن تجعـل الثقافـة الإسرائيليـة نافـذة الاطـلاع الوحيـدة لـلأسرى، كعمليـة تشـويش وترويـض وعـي الأسرى، كتهيئـة لاختراقـه، ولتثبيـت مفاهيـم تحمـل في طياتهـا إمكانيـة زرع الشـك في منطلقـات الثـورة وزعزعـة يقينيـة الفلسـطيني في عقيدتـه، وبهـدف المـس بتماسـك التكويـن النفـسي لديهـم، ولكـن الأسرى بمـا يمتلكـون مـن قناعـات وثقافـات ومـا تسـلحوا بـه مـن عوامـل ذاتيـة ومكتسـبة تتمثـل في النـزوع الفطـري لرفـض الثقافـات القاهـرة والمسـمومة جعلتهـم يتحصنـون بالثقافـة الوطنيـة عـبر الجلسـات التنظيميـة والتثقيفيـة، وجعلتهـم

(372) كقصـة الأسـيرة المحـررة فاطمـة الـزق التـى اعتقلـت فى العـام 2007 وكشـفت إصرار السـجان الإسرائيـلي عـلى إجهاضهـا مـن خـلال الـدواء والعـلاج غـير معـروف، و الطلـب بإجـراء الفحصالـذي رفضتـه تخوفـاً مـن مخطـط لقتـل جنينهـا وبـاءت محاولاتهـم العديـدة بالفشـل، وهزمتهـم إرادتهـا الفلسـطينية، وأثنـاء الـولادة رفضـوا أن يكونـوا أهلهـا بقربهـا، وكان الإحتـلال قـد قيدهـا خـلال الـولادة بالسلاسـل مـن القدمـين واليديـن لثلاثـة أيـام متواصلـة، وبعـد معانـاة فكـوا قيودهـا وكانـت في مستشـفى « مائـير بكفـار سـابا « حيـث كانـت تشـعر بأنهـا في سـاحة حـرب، وكانـت الطبيبـة الإسرائيليـة العنصريـة تـصرخ في وجههـا « أنـت إرهابيـة وسـتلدى إرهابيـاً.

(373) الأسـيرة المحـررة وفـاء البـس فى العـام 2007 وصفـت تجربتهـا بالقـول: وضعـونى فى سـجن الجنائيـات الإسرائيليـات، كـن سـمينات بـلا حيـاء، تتعمـد الواحـدة فيهـن الخـروج بهيئـة أقـرب للتعـرى بقصـد إيـذاء مشـاعرى، لـو احتاجـت إحداهـن سـيجارة تجدهـا تحـاول الانتحـار بجـرح وريدهـا، ومـا أكـثر مـا كـن يسـهرن حتـى الفجـر يرقصـن عـلى أغـانى « الديسـكو « الصاخبـة، والقنـوات الإباحيـة التـى يشـيب لقذارتهـا القلـب، كنـت أغمـض عينـى لأريحهـا دون أن أغفـو أبـداً، فـان فعلـت فقـد يغـدرن بـى ويقتلننـى فى أى لحظـة، وقـد سـمعت اثنتـين منهـن يتفقـن عـلى قتـلى بكابـل التلفـاز، ولـولا أن قمـت بشراسـة واعتديـت عـلى الأولى فارتدعـت الأخـرى لأصبحـت وقتهـا فى عـداد الأمـوات، ولأجـل ذلـك تـم نقـلى لعـزل انفـرادى آخـر () .

وتجربـة اعتقـال الأسـيرة المحـررة عطـاف عليـان، فأثنـاء الاعتقـال فى العـام 1993 عزلهـا السـجان مـع الجنائيـات فى عـزل الجلمـة الـذى وصفتـه باللاأخلاقـى، حيـث كـن السـجينات اليهوديـات « المومسـات» يمـررن أمامهـا وهـى تصلـى، وهـن عرايـا، عـدا عـن تعاطيهـن المخـدرات وهددنهـا بالقتـل وتبـين أن إحـدى السـجينات التـى تـم وضعهـا معهـا فى نفـس الزنزانـة مصابـة بمـرض « الايـدز «، وجـدران الزنزانـة كانـت مليئـة برسـومات وكلمـات نابيـة لا تمـت بقيـم الانسـانية بصلـة، الأسـيرة عليـان برفقـة الأسـيرة إيمـان نافـع فى السـنة الثالثـة لسـجنهما قامتـا بمحاولـة جريئـة لقتـل إحـدى السـجانات وأحكمـن عـلى خنقهـا حتـى ظنـن أنهـا فارقـت الحيـاة، لكـن تبـين بعـد مداهمـة الزنزانـة مـن قـوات السـجن أنهـا لا زالـت عـلى قيـد الحيـاة فحكمـت الأسـيرة عليـان عـلى هـذه المحاولـة لمـدة عـشر سـنوات إضافيـة، ليبلـغ حكمهـا 14 عـام.

(374) المركز الفلسطينى لقضايا السلام والديمقراطية: مرجع سابق، ص9.

(375) حسن عبد الله: الصحافة العبرية فى تجربة المعتقلين الفلسطينيين، مرجع سابق، ص27.

أكثر اعتزازًا بتراثهم ومنطلقاتهم الوطنية، ورفضهم لتلك السياسات والنفور منها [376].

وعلى صعيد الأسيرات فقد عانت السجينات في سجن نفي تريتسا نهاية السبعينيات من قلة الكتب، ومنعت إدارة السجون الثقافية الوطنية، وقد عوقبت الأسيرة روضة بصير لأنها ضربت مثلاً في درس للغة الانجليزية « أنا فلسطينية «، وتبرر إدارة السجون عدم إدخال الكتب للسجون بالإدعاء أنها « لا سامية «[377]، ولكن لم تخضع الأسيرات لمثل تلك الإجراءات وفي آذار/ مارس 1987م كافحن من أجل الفصل بينهن وبين السجينات الجنائيات " وتوج هذا الكفاح بنجاح "، ومن أجل تحسين الطعام، والحصول على الصحف والكتب بانتظام [378].

وكان شعار الأسرى في سبيل اقتناء الكتاب منذ البدايات « سنكافح بشتى الوسائل المشروعة وحتى غير المشروعة من أجل الحصول على الكتاب الجيد، إننا مستعدون لأن نفقد ضحايا في سبيل الكتاب [379].

وهذا ما حصل، فلقد أقدم الأسرى في السجون على خوض شتى الخطوات النضالية حتى استطاعوا الحصول على الكتب من الصليب الأحمر الدولي، وعبر الزيارات من الأهالي، وكونوا المكتبات الخاصة والعامة في كل المجالات.

فأراد العدو أن يرى الندم والضياع والخنوع لدى الأسرى، ولكنه تفاجأ أن من وضعهم خلف القضبان قد أصبحوا أكثر وعياً وصلابة وتحدياً، مناضلون يعرفون ما هي قضيتهم، ولماذا يقاتلون، وكيف ينبغي عليهم مجابهة عدوهم، ولقد أصبحت القيادة السياسية العليا الإسرائيلية وجهاز المخابرات الإسرائيلي بخيبة أمل مريرة لأن برامجهم لم تثمر ولأنهم يرون أن أسرى المقاومة الفلسطينية هم أناس ذوو آفاق [380].

وتستغل إدارة مصلحة السجون أي حالة من التوتر، أو الضعف، أو المتغير السياسي المناسب للانقضاض على منجزات الأسرى التي تحققت بدماء الشهداء، والخطوات النضالية الاستراتيجية والتكتيكية، السلمية منها والعنيفة، والتي تراكمت على مر الزمن طوبى بعد طوبى للحفاظ على كرامة الأسرى في السجون، وأهاليهم في الزيارات، وتوفير واقع اعتقالي منظم حوَّل السجون إلى جامعات، وقوَّض أهداف إدارة السجون بجعله مكاناً لليأس والإحباط وتحطيم المعنويات، فالمعتقلون حققوا الإنجازات بشكل تراكمي، خطوة بعد خطوة، ولو أخذنا « سرير الأسير « كمثال ودققنا في المراحل التي مر بها إلى ان أصبح «سريراً « لوجدنا أنه بدأ مسيرته المحزنة من البطانيات الرديئة العفنة الأربع، إضافة إلى حصيرة في العام 1997م، إلى دخول البساط المطاطي المضغوط بسمك نصف سم في العام 1970م، إلى الوسادة المصنوعة من ريش الدجاج في العام 1972م، إلى الفرشة المصنوعة من الإسفنج الرغوي بسمك 6 سم العام 1977م، إلى أن

(376) سلمان جاد الله: أدب المواجهة: مرجع سابق، ص69.
(377) وليد الفاهوم، فلسطينيات فى سجن النساء الاسرائيلى، مرجع سابق، ص32.
(378) فيليتسيا لانغر: الغضب والأمل، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1993، ص116.
(379) وليد الفاهوم، لابد للقيد أن ينكسر، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1979، ص147.
(380) عدنان جابر: مرجع سابق، ص169.

تحول إلى سرير حديدي ذو طبقتين وملحقاته من فرشة وبطانية ووسادة، المثال سالف الذكر، يمكن سحبه على كل شيء في تجربة المعتقلين من ثقافي واجتماعي وتمثيل اعتقالي، فما أنجز تم انتزاعه على مراحل، وفي إطار سياسة التركيم « الأخذ ثم المطالبة « ولم تحقق المسيرة قفزات في الهواء، فكل إنجاز مهما كان صغيراً احتاج إلى إضرابات وتضحيات[381].

تسعى إدارة السجون جاهدة وباستمرار إلى إعادة الوضع الاعتقالي إلى الشكل الذي كان سائداً في بداية سنين الاعتقال الأولى [382]، من خلال نظرية اتبعتها ولا زالت تعمل بها، ونجاحها وفشلها مرهون بمدى قوة الحركة الأسيرة والظروف العامة المحيطة بها، نظرية تقول: يجب إعادة السجين إلى أول درجة في السلم، كلما وصل إلى نهايته، معركة محتدمة على مدار الساعة، وتعد دولة الاحتلال لهذه النظرية مقترحات القوانين في الكنيست الإسرائيلي من قبل وزراء وأعضاء، وجهاز قضائي مساند وغير محايد، ولجان تحقيق وقرارات، وفرق مواجهة، وجهاز إعلامي، وكلما تقدم الأسرى خطوات، بدأت الهجمة المسعورة بكل الطواقم كما حدث في بداية انتفاضة 2000م، وفي أعقاب أسر الجندي شاليط في العام 2007م، ومع انتفاضة القدس 2015م، للضغط على المعتقلين في معركة أوسع، لها أبعاد انتقامية وضغوطات تفاوضية في نفس الوقت.

2. التشويش الفكري وعرقلة إحياء المناسبات الوطنية:

استخدمت « إدارة السجون « العامل الثقافي والفكري مدخلاً للوصول إلى أهدافها، انطلاقاً من أن التشويه الثقافي والفكري يسهل ضرب الاعتقاد السياسي والبناء التنظيمي وأسس الحياة الاجتماعية[383].

ومنذ البداية ضربت إدارة السجون حصاراً فكرياً محكماً على الأسرى، بمنع الصحف الفلسطينية والعربية، والسماح فقط بالصحف العبرية، وجعلتهم ينظرون من فوهة واحدة من خلال الإذاعات الإسرائيلية عبر مكبرات الصوت قبل امتلاك المذياع لجعل الرواية الصهيونية هي المصدر الرئيسي للمعلومة، وبعد تحقيق إنجاز التلفاز ثبتت القنوات العبرية، وتم النضال على القنوات العربية الإخبارية مرة كانت ترجح لصالح الأسرى، وأخرى لإدارة السجون.

لذا فأشد الأساليب خطورة على الأسرى هي سياسة الإفراغ الثقافي والفكري، من خلال ترويج كتب ثقافية فارغة المضمون داخل السجون، في محاولة لخلق ثقافة مشوهة بديلة تعمل على صياغة نفسية المعتقل وتطويعه وفق مضمونها، وخصص لتلك السياسة الخبراء والمختصين [384].

إلا أن الأسرى استمروا في نضالاتهم من أجل ترسيخ وتثبيت ما تحقق، وانتزاع المزيد من

(381) حسن عبد الله: الصحافة العبرية فى تجربة المعتقلين الفلسطينيين، مرجع سابق، ص26.
(382) عبد الحق شحادة: مرجع سابق، ص35.
(383) حسن عبد الله: الصحافة العبرية فى تجربة المعتقلين الفلسطينيين، مرجع سابق، ص27.
(384) عيسى قراقع: مرجع سابق، ص19.

الحقـوق، ونجحـوا في التصـدي لإجـراءات إدارة السـجون وتحسـين أوضاعهـم الثقافيـة وتوفـير غالبيـة متطلبـات العمليـة الثقافيـة، وأدخلـوا مزيـداً مـن الكتـب، وأنشـأوا مكتبـات خاصـة في كافـة السـجون، تحتـوي عـلى المئـات مـن الكتـب المطبوعـة، والكراسـات المتنوعـة، التـي دونهـا الأسرى أنفسـهم، والتـي كانـت تشـمل عناويـن ومضامـين متعـددة، سياسـية، دينيـة، ثقافيـة، تاريخيـة، أمنيـة، أدبيـة، وفنيـة، بالإضافـة إلى تكويـن المكتبـات التنظيميـة والعامـة [385].

ولقـد خرجـت السـجون الكثـير مـن المناضلـين الأشـاوس والمقاومـين الأشـداء، الذيـن كانـوا جنـوداً للوطـن ووقـوداً للثـورة، وعـماداً أساسـياً للثـورة، كـما خرجـت القـادة السياسـيين الأفـذاذ [386]، الذيـن كانـت لهـم أدواراً كبـيرة، ولافتـة ومؤثـرة، في قيـادة الجماهـير الفلسـطينية، بالإضافـة إلى مئـات القـادة مـن ذوي الخـبرة والكفـاءة، وبـذا فقـد شـكلت السـجون رافـداً مهـماً وأساسـياً للثـورة، وبنـاء الوطـن والدولـة، ولم يكـن لـكل هـذا أن يتحقـق لـولا الإرادة والعزيمـة، التـي تحـلى بهـا الأسرى، ولـولا الخطـوات النضاليـة التـي خاضوهـا، والإضرابـات عـن الطعـام، والتضحيـات الجسـام التـي قدموهـا[387].

وأكـثر مـا يثـير غضـب إدارة مصلحـة السـجون إحيـاء المناسـبات الدينيـة والوطنيـة والفصائليـة، وتعتقـد في أعقـاب تلـك الاحتفـالات أن كل مـا قامـت بـه لكسر إرادة الأسـير، و ثنيـه عـن أفـكاره الثوريـة والوطنيـة والتراثيـة بـاء بالفشـل، فرغـم التعذيـب والعـزل والأحـكام الردعيـة وسـني الاعتقـال التـي وصلـت عنـد البعـض لأكـثر مـن ثلاثـين عاماً، والطواقـم المختصـة والأمـوال المخصصة لهـذا الـذراع الضـارب للمعتقلـين عـلى الصعيـد المـادي والمعنـوي، لم تفلـح جميعهـا في ثنـي الأسرى عـن معتقداتهـم، وانتماءاتهـم وروحهـم النضاليـة، فكانـت تقـوم بوضـع السـماعات العاليـة والتـي تصـدر أصـوات مزعجـة خـلال بـدء الاحتفـالات في بعـض الأقسـام « كعـزل الرملـة «، وتقـوم بـرش الغـاز وضرب المعتقلـين وقـد يصـل الأمـر لإطـلاق الرصـاص الحـي كـما في المعتقـلات، وتقـوم بعـزل القيـادات، والعقـاب بمصـادرة الممتلـكات والإنجـازات في أعقـاب الاحتفـالات.

لم يصمـت المعتقلـون عـن تلـك الممارسـات، ودارت مواجهـات وصـل الأمـر للدخـول في إضرابـات مفتوحـة عـن الطعـام، وغـير ذلـك مـن الأشـكال النضاليـة مـن أجـل حـق المعتقلـين بإحيـاء المناسـبات الوطنيـة، وفي النهايـة انتـزع المعتقلـون حقهـم، وكانـت الاحتفـالات تتـم رغـم القمعـات وأشـكال الإضطهـاد[388].

3. الرقابـة والتفتيشات ومصادرة الممتلكات:

اسـتخدمت إدارة السـجون الرقابـة عـلى الأسرى في كل تفاصيـل حياتهـم، بواسـطة التكنولوجيـا أو عـبر السـجان والمراقبـين وفـرق التفتيـش، أو عـبر العمـلاء الذيـن صنعتهـم لهـذه الغايـة، بهـدف السـيطرة عليهـم، ومصـادرة إنتاجاتهـم، وتطويـق جهودهـم، والحـد مـن أنشـطتهم، فقـام الأسرى

(385) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص304 .
(386) أنظر ملحق نماذج سياسية تخرجت من السجون : ص291. .
(387) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص305 .
(388) عبد الله عواد: دولة مجدو، عمان، دار الجليل للنشر، 1992، ص68.

ضمن جهاز الرصد والأمن بمتابعة المندسين الذين زرعتهم دولة الاحتلال لهذه المهمة وحاكمتهم، وعثروا مراراً على كاميرات للتجسس، وعدد من أجهزة التنصت في غرف الأسرى وفي الأقسام، للحصول على معلومات وأنشطة وتحركات، وحاربت إدارة السجون الأسرى بكل الأساليب والوسائل، بهدف عدم استقرارهم والتنغيص على حياتهم، وزيادة معاناتهم، والتسبب بإيذائهم جسدياً ونفسياً وتراكم تلك الآثار على عطائهم وثقتهم بذواتهم، وعلى قدراتهم الرياضية والثقافية والذهنية حتى على شعورهم بالأمن، وفي مقدمة هذه الوسائل أجهزة التجسس والتنصت والتصوير والتشويش الضارة التي تسبب أضراراً واضحة على صحتهم « كالقلق، وقلة النوم، والصداع وآلام الرأس وتسارع في ضربات القلب، إضافة الى مشاكل في السمع، ووضعت لهم أجهزة للفحص بالإشعاع على بوابات السجون، والتي تصدر مستويات من الإشعاعات الأيونية الضارة المسببة للأمراض الخطيرة والخبيثة، والتي أثرت على صحتهم لكثرة تنقلهم من سجن إلى سجن وأثناء المحاكم والبوصطات.

وتقوم إدارة السجون بشكل مستمر بحملات التفتيش الواسعة ضد المعتقلين وخاصة الليلية منها، ويرى الأسرى أن حملات التفتيش المتكررة هدفها إذلال الأسرى وإثارة أجواء من الاستفزاز والإرهاب بين صفوفهم، ولم تقتصر سياسة التفتيشات على غرف المعتقلين، بل طبقت إدارة السجون سياسة التفتيش العاري للأسير داخل السجن وقد تم الاعتداء بالضرب على الأسرى الذين يرفضون خلع ملابسهم[389].

ولقد كان للأسرى صولات وجولات، ومصادمات واشتباكات، ومشاجرات بالأيدى مع السجان وفرق التفتيش بشكل فردي وجماعي لمواجهة تلك السياسة العنصرية، وتعرضوا نتيجة ذلك للضرب المبرح والعزل الانفرادي والعقوبة بالغرامات ومنع الزيارت والنقل من السجون [390].

وفي أعقاب المواجهات والقمعات والأحداث في السجون، غالباً ما قامت إدارة السجون بمصادرة إبداعات الأسرى، فعبثت بممتلكاتهم الخاصة ورسائلهم من زوجاتهم وذويهم، وصورهم الخاصة، وبحثت عن القصاصات والمذكرات وخواطر الأسرى، والكتب والمباحث الدراسية، وكتب اللغات وقواميس الترجمة، وكل ما يتعلق بالكتابة ومن إنتاجات وأدبيات، وصادرت أدوات الإبداع الفني والأدبي، حتى الأدوات التي وافقت مرغمة على دخولها للأسرى نتيجة الإضرابات المطلبية، كانت تعود وتصادرها في أول فرصة تسنح لها [391].

في نهاية المبحث يعتقد الباحث أن هنالك عدد كبير من الوسائل والأساليب الأخرى، التي لا يمكن حصرها أو تناولها بالكامل، والتي مارستها إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية بهدف تفريغ الأسرى من محتواهم الثقافي والنضالي، بمشاركة أجهزة الأمن الإسرائيلية، ومراكز الدراسات والأبحاث، وخبراء الهندسة البشرية، وعدد من الحاقدين والمتطرفين من أعضاء الكنيست، ووزراء الحكومات المتعاقبة، والقضاة في المحاكم ممن رفضوا أي التماس ضد تلك الممارسات

(389) عيسى قراقع، المصدر السابق، ص164-163.

(390) أحمد أبو السعود: مرجع سابق، ص33.

(391) سامى الأخرس، كامل مسعود: مرجع سابق، ص66.

العنصرية، وغير قانونية، والمحرمة دولياً، والمخالفة لكل الإتفاقيات والمواثيق الدولية، وعلى رأسها اتفاقية جنيف الثالثة والرابعة، والقانون الدولي الإنساني.

ويرى أن الحالة الإبداعية في مواجهة السياسات الإسرائيلية ضدهم هو سعة أفق الأسرى لمخططات أجهزة الأمن الإسرائيلي، وقناعتهم بمبادئهم الثورية وسلامة خطواتهم النضالية، ونقاء ثقافتهم الفكرية، والوحدة الوطنية التي تسلحوا بها، والعمل الجماعي والتخطيط السليم للخطوات النضالية بما يتلائم مع المتغير السياسي والمرحلة والظروف المحيطة محلياً وعربياً ودولياً، والمساندة والدعم الشعبي، والاستعداد للتضحية، جميعها عوامل قوة كانت لصالح الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة للوقوف أمام تلك المخططات لتفريغ الأسرى من إمكانياتهم ومصادر قوتهم.

المبحث الثاني
المسيرة الثقافية للحركة الأسيرة «البداية والتطور»

يعتقد الباحث أن القلم يمثل بندقية الأسير بعد الاعتقال، والورقة هي ساحة المعركة الاعتقالية على كل الجبهات، معركة إظهار المشاعر النبيلة مقابل ثقافة الحقد والكراهية وتحطيم القيمة الإنسانية، معركة العلم والمعرفة مقابل سياسة التجهيل والأمية، معركة الأمل والتفاؤل مقابل سياسات التشاؤم والتيئيس والإحباط، معركة الفرح والحرية مقابل واقع الحزن والقتامة والقيد.

وكلما ضغط واقع الزمن على الأسير، وجد طريقته للهروب والتخلص مع ظبى الخيال، وللخيال قوة الهروب من حصار زمن الانتظار بزمن الانشغال، ولكن ليس كل تخيل هو ميكانيزم هروب من واقع بل أحياناً ما يكون التخيل ضرباً من الإبداع، أو أن يكون له طبيعة تخطيطية لما يمكن أن يؤدي إلى واقع، فيه صناعة للحدث اليومي على مستوى السجن والمستوى الاستراتيجي « كالدراسة والتثقف، والتعلم، وفي العمل التنظيمي، والتفاعل الوطني والاجتماعي مع السجناء، وممارسة الهواية من نحت في الصخر ورسم اللوحات الفنية، والنشاط الرياضي، وخوض معركة الإضراب المفتوح عن الطعام، كل ما سبق زمن لانشغال السجين، وإشغال للوقت بعيداً عن الانتظار [392].

وتعتبر الحياة الثقافية للأسرى الفلسطينيين داخل معتقلات الاحتلال من أهم معالم الحياة الاعتقالية، التي صاغتها الحركة الأسيرة منذ نشأتها، ولقد برزت حاجة الأسرى لبلورة جو ثقافي منذ بدايات تشكل نواة الحركة الأسيرة، من خلال ملء الفراغ الناجم عن اعتقالهم والاستفادة من الوقت، واهتمام الأسرى بنشر الوعي التنظيمي والتعبئة الفكرية بخاصة مع ارتفاع وتيرة النقاشات الفكرية والسياسية بين التيارات الفلسطينية المختلفة داخل السجون«[393].

في هذا المبحث سيتناول الباحث الأوضاع الثقافية، والأشكال والخطط والبرامج والوسائل، التي رسختها الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة في مواجهة سياسة السجان التفريغية والتجهيلية.

(392) فايز أبو شمّالة: السجن في الشعر الفلسطيني المعاصر، رام الله، المؤسسة الفلسطينيّة للإرشاد القومي، 2003، ص242.
(393) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة :ابداعات انتصرت على القيد، المؤتمر الأول، مرجع سابق، ص54.

أولاً- طبيعة المعركة الثقافية في السجون:

الثقافة: هي المكونات الرمزية والمتعلمة مثل اللغة والدين والمعتقدات والعادات، وهي التي تميز الإنسان عن غيره من الكائنات الطبيعية [394]، وهي عملية إنسانية متعددة الأبعاد والممارسات ومكانها المجتمع، فهي تشق وجودها من تطوير معان مشتركة ومن قدرة البشر على تفهم بعضهم البعض، وتعتبر اللغة هي أداة التعبير عنها [395]، والثقافة السياسية تمثل البيئة الثقافية للعمل السياسي[396]، والتي يكتسبها الإنسان من خلال عملية التنشأة الاجتماعية والسياسية التي تقوم بها الأسرة والمدرسة والجامعة والحزب والنقابة والمؤسسات الدينية [397]، وفي مبحثنا هذا سنجد أن الثقافة السياسية تجسدت بشكلها الواعي والواسع والمدرك والمخطط له لدى الأسرى أثناء الاعتقال وفي السجون، لوجود معركة ثقافية محتدمة في هذا الواقع بين طرفين، بين سجان يحبس كل ما يشير لأي معنى للحياة، ويسعى لقتل الإنسان الفلسطيني جسدياً ونفسياً ومعنوياً وثقافياً، وبين الأسرى الذين أدركوا مبكراً تلك المخططات فواجهوها بكل الوسائل الممكنة، فانتصروا على جلاديهم بعد سجالات متواصلة، كان ضحية مسيرتها العشرات من الشهداء، ممن أرسوا دعائم الثبات والصمود، وحققوا العزة والكرامة لمن بعدهم من المعتقلين الذين انشغلوا بأوقاتهم وبناء ذواتهم لما بعد الحرية.

في هذه المعركة أدرك السجان الإسرائيلي قيمة ودور وأثر الإبداع في السجون، بوصفه مظهراً حضارياً وإنسانياً، ولأنه يرى الأسير الفلسطيني ويقدمه للعالم كإرهابي فارغ من الإنسانية والحضارة، وعدواً لهما، لذا لا يستطيع أن يسمح للأسير بالسلوك بما يخالف هذه الصورة التي أعدها له بدقة، وأينما أظهر الأسير سلوكاً أو تفكيراً أو إنتاجاً يخالف هذه الصورة، يبذل السجان قصارى جهده لإعادته قسراً لداخل إطار الصورة، صورة الإرهابي القاتل، كما أن السجان يعي أن الإبداع عامل قوة للأسير، وعامل تعزيز لصموده، وتعميق ثقته بنفسه، التي يسعى السجان ضمن برنامجه اليومي إلى تحطيمها[398].

في مقابل، صورتان للسجن لا تفارقان وجدان الأسرى:

1. ما يريده السجان وما يهدف إليه من إيقاع بالإنسان وتفريغه من محتواه ليمسي جثة بلا روح، تلك الصورة القاتمة التي شكل أجزاءها الخوف والقلق واليأس والحزن والحرمان والاغتراب، تلك الصورة الإحباطية المنفرة من الحياة، القاتلة لبهجتها.

2. ما يهدف إليه الإنسان في هذا المعركة، هو اجتياز هذا الامتحان الصعب الذي زج به مرغماً، ساعياً لاستثمار الوقت، وحشد طاقة الانتماء والوفاء ليحتمل مكونات الإحباط بل والخروج من الصورة القاتمة إلى الصورة المشرقة باعثة الأمل والفخر والاعتزاز والثقة بالنفس، والإيمان بحتمية الانتصار وشروق شمس الحق مهما واجه من صعاب[399].

(394) Mannheim,karl: Essayson the sociology of culture , london,routledge,1994,P: 14.

(395) Prus,Robert,Subcultural mosaice and intersubjeective realties :An ethnographic research agenda pragmatizing social sciences , state university of new York press , 1997 ,P 4.

(396) Verba,Sidny,Gabriel Almond: the civic culture political attitudes and democracy in five nations , Princeton university press , 1963,P: 12.

(397) Inglehart,Ronald: The silent revolution changing values and political styles among western publics , Princeton university press , 1977, p: 25.

(398) سامي الأخرس، كامل مسعود: مرجع سابق، ص68.

(399) فايز أبو شمّالة: مرجع سابق، ص137.

وفي أعقاب دراسة المفردات التي استخدمها الأسير الفلسطيني، مقابل المفردات التي استخدمها السجان باتجاهه هنالك مفارقة حادة بينهما في معركة الثقافة والأخلاق، سجان لا يتحدث إلا بلغة عدوانية « يديك إلى أعلى، يديك إلى الخلف، لا تقاوم إلا قتلتك، سر أمامي، أدخل الزنزانة، أسكت، انت أسير، لا علاج، والكثير من المفردات الطافحة بالعدوانية واللاإنسانية «، مقابل لغة أسير « صباح الخير، كيف حالك، شكراً، من فضلك، وعشرات من هذه المفردات المتوهجة بالحياة العامرة بالإنسانية[400].

ثانياً- تطور الأوضاع الثقافية في السجون:

أدرك المعتقلون في وقت مبكر أن الاحتلال يستهدف ثقافتهم وتراثهم، فانكبوا على تعبئة أنفسهم ثقافياً وفكرياً، عن طريق القراءة الذاتية، والدورات التي كانت تشرف عليها الفصائل مجتمعة أو كل على حدة[401]، وتطورت الحالة الثقافية في السجون ومرت بأربع مراحل:

1. **مرحلة القمع الثقافي 1967 - 1972م:** كل شيء كان ممنوعاً في هذه المرحلة، الأوراق والأقلام والكتب كانت ممنوعة، ولم يكن للثقافة الفكرية مكان، وكل التفكير كان مركزاً على الدفاع عن النفس جسدياً ومعنوياً.

2. **مرحلة النضال والتمرد 1972 - 1980م:** في هذه المرحلة بدأ الأسرى يمسكون بزمام المبادرة، بعد خطوات نضالية استراتيجية كالإضرابات الجماعية المفتوحة عن الطعام، كان أهم إنجاز فيها السماح بإدخال القرطاسيات والكتب بأنواعها، مما أحدث نمو ثقافي هائل.

3. **مرحلة الازدهار 1980- 1992م:** مرحلة الانتصار وإقامة السلطة الثورية داخل المعتقلات، فكان الأسرى منظمين، ويمتلكون التجربة الطويلة، والحياة الثقافية والفكرية بلغت ذروتها، وانتصرت في هذه المرحلة إرادة الأسرى على إرادة القمع والحرمان والقتل.

4. **مرحلة التذبذب 1993 - 2015م:** بسبب اتفاقية أوسلو[402]، وما تلاها من اهتمامات للأسرى بالحرية، ودخول الانتفاضة والهجمة الشرسة على الأسرى في 2000م، واستغلال حالة الانقسام الفلسطيني في 2007م، ظهرت حالة من التذبذب على مستوى الحالة الثقافية.

(400) سلمان جاد الله: أدب المواجهة، مرجع سابق، ص64.
(401) المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية :، مرجع سابق، ص21.
(402) المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية: مرجع سابق، ص17.

ثالثاً- التحديات الثقافية وتنظيمها:

أدرك الأسرى أن (تحقيق الأهداف والقوة ولغة التقارب والتماسك) اقترنت بالمجتمع المثقف، لأن الثقافة والقوة مرتبطتان بشكل وثيق، فالثقافة هي التي تعطي القوة في الأفعال والسلوك [403]، وهي التي تساهم في تعبئة الأفراد نحو تحقيق الأهداف[404]، وهي التي توجد القواسم المشتركة التي تؤدى إلى قدرة البشر على تفهم بعضهم البعض ومن ثم تحقيق التفاهم والتقارب والتماسك [405]، ولقد أدرك المجتمع الاعتقالي ذلك الارتباط، فأولت التنظيمات الفلسطينية في السجون أهمية خاصة للنشاط الثقافي كأحد أهم التحديات التي يجب أن تكون منظمة أمام إدارة وطواقم ومؤسسات تستهدفهم على كل الصعد والاتجاهات، لذلك أجمعت كافة اللوائح الداخلية للتنظيمات الفلسطينية في السجون على أهداف المسيرة الثقافية[406]، على اعتبار أن هذا النشاط يشارك في دعم كافة النشاطات التنظيمية الأخرى للمعتقلين [407].

رابعاً- تطور المكتبة الاعتقالية وأنواعها:

كان الكتاب الثقافي أو السياسي أو الفكري، حلماً طالما راود تفكير وخيال المعتقلين الأوائل، وظل الكتاب كعنوان نضالي ملازماً لمراحل التجربة الاعتقالية، ولتعويض الكتب في التداول الثقافي، وفي كتابة التعاميم لجأ الأسرى في بدايات الاعتقال للكتابة على ورق الكرتون، وعلب السجائر وورق الصابون، ومحارم التواليت، وورق لَفِّ البرتقال، وورق علب اللَّبَن، وورق لَفِّ الزّبْدة بعد غسلها، وتجفيفها، واضطروا إلى الكتابة بخط صغير جداً، ومائل لتحوي الورقة الصغيرة الكثير من المعلومات، التي كانوا يتبادلونها بين الغرف والأقسام [408]، ففي

---

(403) Johnston,Hank &Bert Klandermans , eds., social movement and culure , university of minneapolist , 1995,P: 31.

(404) Ibid P:164.

(405) Prus,Robert,Subcultural mosaice and intersubjeective realties :An ethnographic research agenda pragmatizing social sciences , state university of new York press , 1997 ,P 4.

(406) تمثلت أهداف البرامج الثقافية في السجون بالتالي: محو الأمية إذا وجدت، حيث يكلف كادر متعلم، أو أكثر بتدريس الأمي حتى يستطيع الاعتماد على نفسه، ومن الأسرى من دخل « أمي لا يعرف القراءة والكتابة » وخرج يحمل شهادات عليا أو على درجة عالية من الثقافة.

- محو الأمية السياسية، حيث يترتب لهذا الغرض البرامج الثقافية، آخذة بعين الاعتبار المستوى الثقافي للمعتقلين، وتتخصصفى هذا المجال جلسات مصغرة للجدد، للنهوض بوعيهم السياسى عدا الجلسات العامة.
- تقوية الانتماء الوطنى عبر الجلسات الخاصة بتاريخ القضية الفلسطينية، والحركة الصهيونية، وحركات التحرر العالمية، وجلسات لتقوية الانتماء الحزبي بما ينسجم مع أفكار كل فصيل.
- عقد جلسات التحليل السياسى فى أعقاب متابعة آخر المستجدات على الساحة السياسية « الفلسطينية والعربية والدولية » وتخصيصجلسة أسبوعية لمناقشة أبرز القضايا، الأمر الذى يحفز المعتقلين على المواظبة اليومية على قراءة الصحف، والاستماع للنشرات الإخبارية، ولنفس الغرض تعمم نشرات سياسية تصدرها اللجنة الثقافية.
- تشجيع الحلقات الدراسية بكافة أنواعها، والتركيز على التاريخ السياسى، والتاريخ الاسلامى، وشروط النهضة، وسنن الانتصارات، وظهور القوميات وتقلب الحضارات.
- تشجيع تعلم اللغات « كالعبرية، والانجليزية، والفرنسية، والألمانية، والأسبانية والروسية ».
- تشجيع إعداد البحوث والدراسات، وإعداد المسابقات، والمنافسة فى أدب السجون بكافة أنواعه، وتدويره عبر المجلات التنظيمية والعامة.
- عقد دورات التجويد والتلاوة، والتشجيع على حفظ القرآن الكريم، وقد حصل المجتازون لهذه الدورات، وحفظة القرآن الكريم على شهادات معترف فيها من وزارة الأوقاف والتربية والتعليم.
- دورات فى مجالات أخرى: حيث كان يتم تنظيم دورات إختيارية فى النحو، والخطابة، والقاء المحاضرات، وإدارة التنظيم، والقيادة، والأمن، والفقه، والسيرة، والتاريخ، وإدارة المشاريع، والإسعافات الأولية، والخط العربي وغيرها.

(407) جهاد البطش: مرجع سابق، ص139.

(408) أحمد الرياوي: الأسري الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص20.

البدايات سمح بقلم رصاص واحد لكل خمسين أسيراً لكتابة الرسائل لذويهم، ثم يسلمونه لإدارة السجن، وفي العام 1970م نجحوا في الحصول على دفتر من ثماني ورقات وقلم لكل معتقل[409]، وسمح للمعتقلين بإدخال الكتب عن طريق الصليب الأحمر وفق اشتراطات ومعايير، واحتجازها للرقابة والتمحيص لفترات طويلة قبل إدخالها للأسرى، للنظر في اسم الكتاب، مروراً بالمؤلف ووصولاً إلى المضمون[410]، وحصل المعتقلون في العام 1977م على فرصة أخرى من الكتب عندما أصدرت محكمة العدل العليا الإسرائيلية قراراً يقضي بالسماح بدخول الكتب إلى المعتقلات باستثناء 600 كتاب صنفتها إسرائيل بالممنوعة، وكان السماح بإدخالها بشكل مزاجي، وفي العام 1979م حقق الأسرى إنجازاً بإدخال كتاب كل شهر لكل أسير على أن لا يزيد ما بحوزته على ثمانية كتب[411]، وفي الثمانينيات تم إدخال الكتب عبر الصليب الأحمر والأهالي بشكل كبير ومتنوع، وأقيمت المكتبات العامة في السجون [412].

قام عدد من الصحفيين والمؤسسات البحثية الإسرائيلية بعدد من الزيارات لمكتبات السجون للاطلاع على مضمون الكتب الأكثر اهتمام لدى الأسرى، وحركة المطالعة، ورقابة إدارة مصلحة السجون على الكتب، وشكل تعيين أمناء المكتبات، وخرجوا بنتيجة أن « المكتبة لدى الأسرى الأمنيين الفلسطينيين تحظى بمكانة مرموقة جداً، وأن قيادة الأسرى ترى فيها كمركزاً للتربية والتعليم في السجون « [413]، أما عن المكتبات في السجون فهي أربعة أنواع:

أ - المكتبة الاعتقالية العامة: وعادة تكون موجودة في معتقلات تجمعها مكتبة عامة، وجميع أقسامها يخرجون لساحة واحدة كسجن عسقلان المركزي، وتكون مزودة من قبل الصليب الأحمر ومن الأهالي عبر الزيارات، ويديرها المعتقلون بشكل جماعي ويعين لها أمين مكتبة عام، وبإمكان أي معتقل من أي فصيل الاستفادة منها ضمن نظام استعارة متفق عليه على عدد الكتب، وتقسيم نظام الأقسام، وأيام الاستعارة.

ب- المكتبة الاعتقالية الداخلية: وعادة تكون في قسم واحد من السجن، وتشترك فيها كل الفصائل، وتزود من قبل الصليب الأحمر بتوزيع النسخ المكررة على الأقسام، وذاتياً من قبل المعتقلين، أي بما يحصلون عليه من أهاليهم، ويوزع أمين المكتبة [414]كراس يحتوي عناوين الكتب على المعتقلين في كل قسم [415].

---

(409) خالد الهندى: مرجع سابق، ص27.

(410) حسن عبد الله: الصحافة العبرية فى تجربة المعتقلين الفلسطينيين، مرجع سابق، ص52.

(411) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص179.

(412) يذكر الباحث قبيل الافراج عنه فى العام 2005 أن إدارة السجون سمحت للأسرى بإدخال كتاب شرط إخراج كتاب بدله يوم الزيارات، الأمر الذى انحصر مع المتغيرات السياسية، والقوانين التى سنتها اسرائيل للتضييق على الأسرى فى العام 2007، والتى كان إحداها منع الزيارات عن أسرى قطاع غزة فى أعقاب أسر الجندى شاليط.

(413) נעמה מאי: ספריות האסירים הביטחוניים בישראל, מרכז הספר והספריות , 2015 , http://www.meidaat.org.il/articles-n-studies/is-sue-011/may-11/

(414) شغل الباحث أثناء الاعتقال كأميناً لمكتبة قسم 11 بسجن نفحة، ويسمح للأسير باستعارة ثلاث كتب لمدة أسبوع وتبديلها أو تجديدها، ضمن أرشيف وترقيم تم تصنيفه للتعرف على الكتب والمؤلفين وتصنيف الكتاب لسهولة الحصول عليه واعادته فى مكانه، وكان هنالك اقبال شديد على الدراسة وخاصة ممن تخصصوقام بالأبحاث وإعداد الدراسات من الأسرى، واعتاد الأسرى على الحفاظ على الكتب وخاصة التى تدخل عبر الأهالى بعد انتزاع جلدتها الخارجية بحجج أمنية، فقاموا بتجليدها بالكرتون والغراء وقطع القماش وورق البرستول الملون وكتابة أسمائها بخط جميل خوفاً من التلف

(415) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص180.

ج- المكتبة الفصائلية الخاصة: قد تكون في مكتبة القسم فيما لو حُسِم القسم لفصيل معين، أو لفصائل قريبة من بعضها « كقسم الجماعة الإسلامية، أو قسم لليسار، أو قسم كامل لحركة فتح »، وفي حال اختلاط الأقسام بالفصائل المتنوعة يتم اقتناء تلك المكتبات على رفوف الغرف الخاصة، وعادة تحوي هذه المكتبات الكتب والدراسات والنشرات والمجلات الفكرية الحزبية، والتي تتناول البرامج والأفكار والمبادىء واللوائح الخاصة بكل تنظيم، ويتم إدخالها عبر الأهالي، ويدوياً من إنتاجات ودراسات الأسرى المنسوخة بخط اليد.

د- المكتبة الشخصية: كثير من الأسرى من لازمهم الكتاب معظم أوقات اعتقالهم، فكان رفيق حياتهم أينما حلوا، وكانت لهم اهتمامات خاصة غير متوفرة في المكتبات العامة والتنظيمية، فاقتنوا مكتبات خاصة تلبي رغباتهم وميول ثقافاتهم عبر الزيارات « كالقواميس الخاصة باللغات، والكتب الفكرية، وعلوم الإدارة والقيادة »، ومن اهتموا بمواصلة دراستهم الأكاديمية، أو من عكفوا على إعداد الدراسات والأبحاث الخاصة، وأذكر أن الأسير الشهيد نعمان طحاينة من السيلة الحارثية - جنين كان يحمل في تنقلاته حقيبة ملابس، وحقيبتين من الكتب الفكرية والمنوعة، وعلى شاكلته المئات من الأسرى.

موقع الكتروني عبري يحمل اسم « دليل المكتبات « أجرى تحقيقاً صحفياً عن مكتبات الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية وتطرق لصفات أمين المكتبة الفلسطيني الأسير بالقول « ضمت المكتبة في السجون ما بين 800 إلى 3000 كتاب، وقد يصل العدد إلى 7000 كتاب معظمها عربية، وبها كتب عبرية وإنجليزية، عند اختيار أمين المكتبة من قبل السجناء الأمنيين الفلسطينيين، يؤخذ بعين الاعتبار أن يكون حاصلاً على شهادة جامعية، وصاحب تجربة في مرافق العمل داخل السجون، وأن يتحلى بالرزانة والعقلانية والهدوء، وأن تكون معاملته مهذبة مع الأسرى، وأن يكون مشجعاً للأسرى على القراءة، وأن يكون على علاقة مستقرة مع السجان حتى لا يكون سبباً للتوتر، وأن يكون قادراً على اختيار الكتاب للأسرى وفق أعمارهم ومستوياتهم الثقافية حتى لا يصاب البعض بالإحباط من بعض الكتب ذات الصياغة العالية، وأي أمين مكتبة لا يتحلى بهذه الصفات يتم فصله من عمله « [416].

خامساً- الوسائل الثقافية:

1. الجلسات:

يعتقد الباحث أن الجلسات في السجون والمعتقلات الإسرائيلية بمثابة البارومتر لقياس قوة الحركة الأسيرة، والأوضاع الداخلية للفصائل الفلسطينية، ولمدى اهتمام المعتقلين كأشخاص بذواتهم، فأينما تواجدت الجلسات الثقافية، والتعليمية، والإدارية، والأمنية، على صعيد السجن، والتنظيم، والأسرى بشكل تطوعي، تواجدت بمعيتها الصلابة، والعافية، والقوة التنظيمية، والعكس صحيح.

(416) מרכז הספר והספריות: http://www.meidaat.org.il/articles-n-studies/issue-011/may-11/

قـضى المعتقلـون الفلسـطينيون الكثـير مـن وقتهـم اليومـي في الجلسـات الثقافيـة، فقـد كانـت جلسـة الصبـاح تعتـبر بمثابـة جلسـة تنظيميـة تبـدأ بالقسـم ولذلـك كان حضورهـا إجبـاري لجميـع أبنـاء التنظيـم بغـض النظـر عـن مراتبهـم التنظيميـة أو وعيهـم، أمـا جلسـات المسـاء فكانـت للنشـاطات العلميـة فهـي اختياريـة حسـب تسـجيل المعتقـل لأي نشـاط معـين[417]، وتنقسـم الجلسـات إلى ثلاثـة أقسـام:

أ - جلسـات اعتقاليـة عامـة: غالبـاً مـا تكـون ثقافيـة وطنيـة تُعنـى بالقضايـا الفلسـطينية العامـة، وتعـرف بالمناسـبات التاريخيـة « كالنكبـة والنكسـة والتقسـيم ويـوم الأسـير والانتفاضـات الفلسـطينية والانقسـام ووثيقـة للوفـاق»، وممكـن أن تتنـاول المسـتجدات عـلى صعيـد الوضـع الفلسـطيني، والأحـداث المحليـة والعربيـة والدوليـة ذات الانعـكاس عـلى القضيـة الفلسـطينية، وممكـن أن تعالـج قضايـا اعتقاليـة، وأمنيـة، وإداريـة عامـة تتفـق عليهـا اللجنـة الثقافيـة العامـة المفـرزة عـن اللجنـة النضاليـة العامـة في المعتقـل.

ب - جلسـات تنظيميـة: وهـي الجلسـات التـي يقـوم بهـا الفصيـل بشـكل داخـلي، وغالبـاً مـا تعنـى بمبـادىء الفصيـل ومفاهيمـه وشـعاراته وتصوراتـه لخطـوات العمـل، ويقـوم المثقفـون فصائليـاً أو قـادة التنظيـم بـشرح طروحـات فصيلهـم وتبريرهـا خاصـة للمعتقلـين الجـدد الذيـن لم تترسـخ لديهـم بعـد مثـل هـذه الأمـور[418]، هـذا بالإضافـة لقضايـا التحليـل السـياسي والاهتمامـات الثقافيـة الأخـرى التـي تحـدد معالمهـا اللجنـة الثقافيـة للفصيـل وفـق الحاجـة والمسـتجدات.

ج- جلسـات تطوعيـة فرديـة: هـذا نـوع مـن الجلسـات يعكـف عـلى ترتيبهـا أشـخاص معنيـون ببعـض المـواد الثقافيـة، كتعليـم اللغـات، واللغـة العربيـة، وأحـكام القـرآن وغـير ذلـك، وغالبـاً مـا تكـون بأعـداد قليلـة ومحـدودة، وغـير تنظيميـة، وغـير إلزاميـة بموادهـا وأوقاتهـا، وقـد يكـون المعلـم فيهـا مـن فصيـل، والمتلقـى مـن فصيـل آخـر، وفـق الحاجـة التعليميـة والرغبـة الثقافيـة للأفـراد.

أهمية الجلسات:

- عبرت الجلسات تعبيرا حياً وحقيقيا عن الصورة المشرقة داخل المعتقلات.
- اعتماد التثقيف داخل المعتقلات من مقومات العمل النضالي.
- صهـر النضـالات الفرديـة والجماعيـة في بوتقـة واحـدة لخدمـة الإطـار والفصيـل التنظيمـي الـذي ينتمـي إليـه المعتقـل.
- محاولـة جـادة لخلـق حالـة مـن التكيـف والانسـجام مـع الواقـع الاعتقـالي مـن خـلال خطـوات تكتيكيـة واسـتراتيجية بإشـغال المعتقـل في العمـل الثقافي.

(417) جهاد البطش: مرجع سابق، ص145.
(418) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص173.

- تأطير العنصر-المعتقل- بما ينسجم مع المواقف السياسية والنضالية الوطنية.
- عملت الجلسات التنظيمية والتثقيفية داخل المعتقل والسجن على التعبير عن الرؤية التنظيمية بكل تفصيلاتها للمحافظة على وحدة الصف والموقف والرؤية السياسية.
- الاقتناع بأن جميع الفصائل التنظيمية الفلسطينية متميزة ورائدة من حيث العطاء والعمل وحين الانتقال من مرحلة القرار إلى مراحل التنفيذ والعمل.
- خلق حالة من التوجه لدى المعتقل بأن مرحلة الأسر هي محطة نضالية من محطات العمل النضالي.
- عملت على تهيئة الشخص للدفاع عن ذاته المناضلة وعملها البناء وصقلها على اعتبار أن الصراع مع العدو داخل المعتقل صراع عقول وليس صراع عضلات.
- شحن النفوس للمواجهة الدائمة مع السجان [419].

2. المطالعة الذاتية:

اهتم الأسرى بشكل كبير بالمطالعة مع دخول الكتاب السجون، وتنوع الكتاب في المكتبات، هذا التنوع الذي أشبع ميول واهتمامات آلاف الأسرى ممن دخلوا السجون، وأبحروا في مكتباتها وتخصصوا في علومها، ولقد شجعت الحركة الأسيرة القراءة الذاتية، فخصصت في كثير من السجون ساعة هدوء يومية للقراءة الذاتية، ومن الأسرى من استطاع أن يقرأ كتاباً أو روايةً في يوم واحد.

وبهذا صار الكتاب في حياة المعتقل الفلسطيني زاداً ثقافياً يومياً، لتسود القراءة والنقاش وتلخيصات الكتب والتعليق عليها في المجلات الاعتقالية والجلسات والحوارات الثنائية والجماعية، إلى أن ترسخت قاعدة عادة القراءة في المعتقلات، وأصبح المألوف، أن يلازم الكتاب المناضل المعتقل معظم ساعات يومه[420].

3. المجلات:

أطلق بعض الكتاب على المجلات الاعتقالية مصطلح « الصحافة الاعتقالية « كون المجلات في السجون تقوم بدور الصحافة، ولها رئيس ولجنة تحرير ورقابة، ولقد صدرت «المجلات" في السجون بشكل منتظم أو متقطع، وتكتب بخط اليد، وعلى دفاتر يتم قصها وترتيبها لتأخذ أشكالاً جميلة، وتصدر بلوحات فنية من نتاجات فنانين معتقلين، ودرجت العادة أن تتضمن المجلات الاعتقالية، زوايا سياسية وتنظيمية وتربوية وأدبية واجتماعية ونضالية[421].

(419) إدريس جرادات: مرجع سابق، ص13.
(420) حسن عبد الله: الصحافة العبرية فى تجربة المعتقلين الفلسطينيين، مرجع سابق، ص53.
(421) المصدر نفسه، ص59.

ولقد أسهمت مجموعة من العوامل في التأسيس للصحافة الاعتقالية « المجلات"[422] وبلورتها، منها: توافر الخبرات لدى المعتقلين، فقد أفرزت التجربة كفاءات ثقافية وفكرية وإبداعية وأفرزت أيضاً تخصصات، في السياسة والثقافة والفكر والاقتصاد... الخ، وفرة المواد السياسية والتنظيمية والثقافية المهربة من الفصائل في الخارج إلى المعتقلين معلومات أغنت الكتابة الصحفية ووضعت الكتاب في صورة ما يجري في الخارج[423].

وعامًا بعد عام، بعد نضالات كلفت الأسرى الشهداء والمعاناة، والسماح باقتناء الأقلام الملونة والأوراق المسطرة والرسم، والألوان بأنواع متعددة زيتية ومائية وخشبية وغيرها، والسماح بالدباسات والصمغ، والقرطاسيات، ومع تقدم الخبرة عدد من الكتاب، والمفكرين والإعلاميين، وبرز على فترات، الصحافيين، والشعراء، والروائيين، والرسامين، فأبدعوا إبداعات رائعة تعالج قضايا الوطن على هذا الصعيد [424].

وتطورت في المعتقلات مجلات تنظيمية مختلفة تعنى بمختلف النواحي الثقافية، والتطورات السياسية، والمبادىء الحزبية والفصائلية، وقد عمد المعتقلون إلى تطويرها من أجل التعبير عن مواقفهم وتصوراتهم وعن الأبعاد والأسس التي كانت تحكمها، وكذلك من أجل صياغة تحليلات سياسية أو اقتصادية لم تتطرق الجلسات إليها أو طرقتها بدون تفصيل أو دون الأخذ بمختلف وجهات النظر [425].

وفي إحدى الحملات البوليسية وقعت مجلة في يد ضابط في معتقل عسقلان، وكانت المجلة المذكورة مقصوصة بشكل جميل ومكتوبة بعناية فائقة، وعناوينها بارزة، ورسم أحد فناني المعتقل أسفل كل مقالة لوحة منسجمة مع مضمونها، عندما استعرض الضابط المجلة « صفر» وقال مستغرباً، يا إلهي، إنهم يخبئون هنا مطبعة[426]، دلالة على دقة التصميم والتنسيق، وجمال الخط، وإرفاق الصور، والكاريكاتور، وتنوع المقالات في المجلات، واستطاع الأسرى إدخال الطابعة اليدوية في عسقلان ونفحة في العام 1984م، وتعلم عدد من الأسرى على يد زملائهم الذين كانوا يجيدون استخدامها قبل الاعتقال، ولكن إدارة مصلحة السجون صادرتها في منتصف العام 1985م في أعقاب رفض الأسرى الوقوف على العدد [427]، ويمكن تقسيم المجلات إلى قسمين:

أ- المجلات الاعتقالية العامة: والتي كانت بمشاركة الكل الاعتقالي في السجن أو المعظم منه، وتكون تحت إشراف اللجنة الثقافية المنبثقة عن اللجنة النضالية العامة في السجن، ولقد برز من هذه المجلات، مجلة (عسقلان الثورة)، وكان أول عدد منها من سبع ورقات من ورق

(422) ذكرت شهادات الأسرى أن الأسير فاضل يونس، كان من رواد الحركة الأدبية في السجون، وكان أول من اخترع « مجلة السجن »، وذلك في العام 1971، حيث لم يكن لدى المعتقلين أوراق أو أقلام، ولكن فاضل يونس، كان يلجأ إلى الأوراق الملفوفة على علب اللبن، ينظفها ويلصقها على الحائط، ليعمل منها مجلة متواضعة، وهذه المجلة المتواضعة بشكلها ومواداها، كانت عنصر إثارة وتشويق، وكسرت الركود والروتين اليومي في حياة المعتقلين. وفتحت عيونهم على الجانب الثقافي الذي كان شبه مهمل قبل صدورها.

(423) المصدر نفسه، ص60.

(424) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: ابداعات انتصرت على القيد، وقائع المؤتمر السنوى الثالث، مرجع سابق، ص67.

(425) محمد لطفى ياسين: مرجع سابق، ص104.

(426) المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية: مرجع سابق، ص22.

(427) هشام عبد الرازق: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 28/9/2015.

اللبن، وهي نسخة لكل مردوان، ولقد وصلت تطورات المجلة إلى ذروتها عام 1984م عندما كانت تصدر في أكثر من أربعين صفحة [428].

ومجلة « نفحة الثورة » بعد العام 1980م في سجن نفحة، وجرى الاتفاق وطنياً على إصدارها صحيفة لتعبر عن الكل الوطني، وتنتهج في تحريرها نهج منظمة التحرير الفلسطينية[429]، ومجلة «الجماعة الإسلامية» في العام 1982م الصادرة عن الفصائل الإسلامية[430].

ب- المجلات التنظيمية الخاصة: هي مجلات تصدر عن التنظيمات بشكل حزبي، وتتناول القضايا والتفسيرات والتعقيبات والتحليلات للقضايا من منظور وأفكار ومبادىء الفصيل الذي يرعى المجلة، وتكون تحت إشراف اللجنة الثقافية له، ولكنها شبيهة من حيث التقسيم والتصميم والتلوين وعوامل الجذب للأسرى[431].

إن إصدار المجلات الاعتقالية، يمثل أحد العلامات المهمة في تجربة المعتقلين الفلسطينيين، ولا يمكن لأي دارس لهذه التجربة إلا أن يتوقف ويتأمل ملياً هذا الإبداع الصحافي الذي طالما أدهش بل وصدم السجان، وأشغل أوقات المعتقلين المهتمين بعمل منتج مفيد شكل إحدى العلامات المضيئة في تجربة الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة [432].

4. الفنون:

تجشم الأسرى كجماعة منظمة أخضعت لشروط حرمان رهيبة الكد المضني، وبذلوا جهوداً جبارة في محيطهم المادي، واستنبطوا منه الوسائل التي تساعدهم على التعبير عن أحاسيسهم وأفكارهم، وتحويلها إلى خطوط تشكل المادة المختارة لتغدو قطعة فنية تتجلى فيها القدرة الإبداعية الطالعة من أتون الحرمان النفسي والاجتماعي[433]، فامتاز المعتقلون في كل السجون بالأشغال اليدوية التي تسمح ظروفهم بإنتاجها، والتي تتحكم في ذلك عوامل البيئة وطبيعة المكان إضافة إلى العامل الزمني، كغيرها من المظاهر الثقافية فقد كان إبداع المعتقلين يزيد مع الزيادة التي تطرأ على تطور النشاط الثقافي بشكل عام [434]، فالذي عاش التجربة الاعتقالية، لابد وأن يتذكر أولئك الفنانين الرائعين، مجموعة كسرت بأقلام مهربة وبقطع من القماش انتزعت من ملابس المعتقلين الخاصة، كسرت أقفال الأبواب الحديدية الثقيلة وحلقت في عالم الإبداع، وأكدت أن الحرية هي معرفة بالضرورة، وأن الفنان بمقدوره أن يكون طليقاً حراً يرفرف بجناحيه الإبداعيين حتى لو أدمى القيد معصميه [435].

---

(428) جهاد البطش: مرجع سابق، ص141.

(429) سلمان جاد الله: المواجهة والاحتراف، مرجع سابق، ص2 ص67.

(430) كانت برئاسة تحرير الموجه الثقافي، والذي شغل عضو مجلس الشورى العام المنتخب، وبرز عدد من الكتاب في هذه المجلة كالأسير « زهير الرنتيسي، وعبد الله الزق، ومصباح الصوري، ومحمد أبو طير، وعبد الحليم شهاب.

(431) عرف من هذه المجلات « العاصفة، وفتح الثورة، الهدف، ورايـة الشعب، وإلى الأمام، والنضال « لحركة فتح »، والثبات، والرباط، واللواء، والياسين والهدف» لحركة حماس »، والفرسان، والمجاهد، والأمين « لحركة الجهاد الإسلامي »، ونداء الوطن، والهدف، والطريق نفحة، والشعلة « للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين»، وعدد كبير من المجلات للفصائل الفلسطينية الأخرى.

وتعددت المجلات لتصبح من 40 صفحة أقل أو أكثر، وأصبح يمتلك الفصيل أكثر من مجلة، ووصل الحد بأحد الفصائل إلى إصدار خمس مجلات شهرياً، كل منها تخصصت في مجال معين، وأصبح لكل فصيل منابر خاصة تعبر عن خطه السياسي ومنظومته الفكرية.

(432) حسن عبد الله: الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين، مرجع سابق، ص61.

(433) سلمان جاد الله: أدب المواجهة، مرجع سابق، ص140.

(434) جهاد البطش: مرجع سابق، ص148.

(435) المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية: مرجع سابق، ص22.

كـما مـارس المعتقلـون الفلسـطينيون مهـارة الرسـم التـي ابتـدأت مـن الرسـم عـلى جـدران الزنزانـة انتهـاءً بالرسـم الملـون عـلى المناديـل والمتتبـع لهـذه الرسـوم يجـد أنهـا تتعلـق بعـدة مواضيـع أهمهـا المـرأة، وأسـوار القـدس وقبـة الصخـرة [436]، والقضبـان الحديديـة، وكانـت نجاعـة وطبيعـة الألـوان مـن أهـم السـمات التـي يمكـن أن نربطهـا بعامـل الزمـن ابتـداءً مـن بدايـة السـبعينات [437]، حيـث إن المعتقلـين حصلـوا عـلى مـواد الرسـم خاصـة الألـوان والمناديـل أثنـاء وضعهـا في مطالبهـم في الإضرابـات عـن الطعـام [438].

واتخـذ الإبـداع خلـف القضبـان أنماطـاً عديـدة[439]، منهـا صناعـة المراكـب ذات الأشرعة، ومجسـمات قبـة الصخـرة، ومزهريـات الزهور، والبراويـز، وأعمال التطريـز، وتجليد الدفاتر بالمطـرزات للمذكرات والتـي صنعـت مـن (الغـراء والكرتـون المقـوى وخيـوط الحريـر وعبـوات معجـون الأسـنان، وقـد بدأ الأسرى الفلسـطينيون يمارسـون هـذه الأنمـاط الإبداعيـة منـذ منتصـف السـبعينيات[440]، وتطـورت مـع السـماح للمعتقلـين بإدخـال أو شراء أدوات صناعـة التحـف عـبر الأهـالي ومـن الكانتـين [441]، كـما أن إبداعـات الحركـة الوطنيـة الأسـيرة التـي جلبـت الانتبـاه وحـازت عـلى الإعجـاب، وأهديـت إلى القائـد الأممـي الرئيـس الكـوبي فيـدل كاسـترو[442]

في نهايـة المبحـث يـرى الباحـث أن الأسرى تميـزوا بعشـقهم للجـمال، كـما عشـقهم للوطـن الذيـن ضحـوا بزهـرات شـبابهم لتحريـره، وأنهـم حملـوا قلبـاً وحبـاً كفيـلاً بقلـب العـالم إلى واحـة حـب وسـلام، وأنهـم اهتمـوا في سـجنهم بـكل مـا هـو جميـل، ويعـوض واقـع الحرمـان والجمـود الـذي فرضتـه إدارة السـجون عليهـم برسـومات الزهـور والطيـور والرمـوز المعـبرة عـن الحـب والحريـة والحيـاة.

لقـد اسـتطاعت الحركـة الوطنيـة الأسـيرة مـن خـلال مسـيرتها الثقافيـة أن تخـرج الكثـير مـن المناضلـين الأشـاوس والمقاومـين الأشـداء، الذيـن كانـوا جنـوداً للوطـن، ووقـوداً للثـورة، وخرجـت القـادة السياسـيين، الأفـذاذ الذيـن كانـت لهـم أدوار كبـيرة ولافتـة ومؤثـرة في قيـادة الجماهـير الفلسـطينية، بالإضافـة إلى مئـات القـادة مـن ذوي الخـبرة والكفـاءة، وبـذا فقـد شـكلت السـجون رافـداً مهـماً وأساسـياً للثـورة، وبنـاء الوطـن والدولـة، ولم يكـن لـكل هـذا أن يتحقـق لـولا الإرادة والعزيمـة التـي تحـلى بهـا الأسرى، والخطـوات النضاليـة التـي خاضوهـا، والإضرابـات عـن الطعـام والتضحيـات الجسـام التـي قدموهـا [443].

(436) أنظر ملحق تحف وفنون خرجت من السجون: ص293 .

(437) اشـتهر معتقلـو سـجن بـئر السـبع بالأعـمال الفنيـة في وقـت مبكـر عـن بقيـة السـجون نظـراً للخـبرة التـي اكتسـبوها مـن مرافـق العمـل في السـجن والتـي افتتحـت فـور افتتـاح السـجن، وكذلـك اسـتخدام المركـز اليهـودي للفنـون للمعتقلـين في العمـل كأيـدي عاملـة في عمـل أشـكال خشـبية وطلائهـا لصالـح المركـز()، عـلى أن العامـل الأهـم هـو توفـر مـواد نشـاط الأشـغال اليدويـة – حسـب طبيعـة المنطقةففي سـجن بـئر السـبع توفـر الحريـر والحجـر الـذي كان يأخـذه المعتقلـون مـن سـاحة الفسـحة، وخشـب النجـارة.

(438) جهاد البطش: مرجع سابق، ص149.

(439) نحـت الأسرى عجـم الزيتـون ولونـوه بالأصفـر والبنـي بعـد أن أوجـدوا هـذه الألـوان مـن إذابـة بعـض أقراصالـدواء بالمـاء والزيـت، كـما صنعـوا عقـد الزينـة مـن الخـرز، وحفـروا عـلى عجـم (الأفوكاتـو)، كـما حفـروا عـلى علـب (الدمينـو) ()، وقـد امتـاز المعتقلـون في الحفـر عـلى حجـارة الصخـر الصغـيرة في تعبـيرات لزوجاتهـم وأطفالهـم، وقـد كانـت تحفـة « العـالم لنـا « المحفـورة عـلى الرخـام للفنـان الأسـير « عـلى النجـار «.

(440) سامى الأخرس، كامل مسعود: مرجع سابق، ص68.

(441) جديـر بالذكـر أن للباحـث تجربـة فى هـذا المجـال، إذ أنـه تعلـم « الخـط الكـوفى « فى العـام 1992 وأتقنـه، ورغـم انشـغاله الدائـم بالثقافـة والمطالعـة، وتعلـم اللغـات، والتعليـم الجامعـى، إلا أنـه كان عنوانـاً للأسـرى أينـما حـل فى السـجون لكتابـة أول آيـة مـن سـورة الإسـراء عـلى « مجسـم قبـة الصخـرة «، ورسـم عـشرات بـل مئـات البطاقـات التـى زينـت بالـورود والعصافـير، كبطاقـات معايـدة للأمهـات والزوجـات فى يـوم الأم والأعيـاد.

(442) سلمان جاد الله: أدب المواجهة، مرجع سابق، ص144.

(443) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص305 .

المبحث الثالث
أدب السجون (الخصائص والمميزات)

الأدب أحد أشكال التعبير الإنساني عن مجمل عواطف و أفكار و خواطر و هواجس الإنسان بأرقى الأساليب الكتابية التي تتنوع من النثر، إلى النثر المنظوم، إلى الشعر الموزون، لتفتح للإنسان أبواب القدرة للتعبير عما لا يمكن أن يعبر عنه بأسلوب آخر[444].

وأدب السجون والمعتقلات في فلسطين جزء لا يتجزأ من الأدب العربي، الذي يتطلع للحرية، وهو من أصدق أنواع الكتابة، سواء كان ذلك على مستوى النثر أو على مستوى الشعر، واختلفت التسميات حول النتاج الأدبي في باستيلات العدو، فذهب البعض لتسميته "بأدب الحرية"، أو «بالأدب الاعتقالي»، وحرص آخرون على صبغه بمفاهيم إيديولوجية، فأطلقوا عليه « الأدب الأسير»، وذهب آخرون إلى تسميته «بأدب السجون»، ولكن الجميع مجمعون على أنه يندرج تحت عنوان:»الأدب الفلسطيني المقاوم»[445].

وأدب السجون لم يكتب في الصالونات المكيفة، أو في الحياة المرفهة والبساتين التي تصدح في سمائها الطيور المغردة، بل كتب في أجواء من الألم والأمل، وفي ظل المعاناة والصبر والتأمل داخل محرقة العدو[446]، بين الجدران، ومن خلف القضبان، وثمة فرقٌ بين من يكتبون في الصالونات ومن يكتبون في المعتقلات، ففي الحالة الأولى يأتي أدبهم عاديّاً، أمّا في الحالة الثانية، فيضئ أدبهم بإشراقات جمالية، تضفي حياة روحية متوقِّدة، حيث أن المعاناة والألم مصدراً وحاضنة دافئة للعطاء والإبداع، المشع على طريق الحق والخير والجمال، حيث تتفجر الطاقات الإبداعية من خلال ممارسات القمع اليومية للسجان في أقبية السجون، التي شكلت تربةً خصبة لتفتُّح هذا الإبداع [447].

في هذا المبحث سيتطرق الكاتب لأدب السجون وتفصيلاته، نشأته وعوامل ظهوره، وظروفه ومميزاته، وسماته الجمالية، وأبرز التجارب الأدبية، والكتابات الإبداعية من الشعر والنثر والرواية والقصة والخاطرة والمسرحية والرسالة.

أولاً، تعريف أدب السجون:

يعتقد الباحث أن أدب السجون جزء لا يتجزأ من الأدب العربي، والأدب الوطني، وأدب المقاومة، والأدب الفلسطيني، وأن الأديب الأسير يحمل صفات الأديب بالمعنى والمضمون، وللإيضاح أكثر وجد من الأهمية بمكان التطرق لتلك التعريفات بالقليل من التفصيل:

(444) موقع أدب المعرفة: http://www.marefa.org/index.php/%D8%A3%D8%AF%D8%A8
(445) أحمد الرمحاوي: مرجع سابق، ص20.
(446) محمد عوض: نسمات من خلف القضبان ،غزة، فلسطين، الكلمة للنشلر والتوزيع، 2015، ص8.
(447) أحمد الرمحاوي: مرجع سابق، ص27.

- **الأدب:** "هو ما عبر عن معنى من معاني الحياة بأسلوب جميل، أو هو الكلام الذي ينقل إلى السامع أو القارىء والإنفعالات النفسية، التى يشعر بها المتكلم أو المنتج « وهو العلم الذي يضم أصول فن الكتابة النثرية والشعرية المتأثرة بالعاطفة والمؤثرة في العاطفة، والأدب فكرة وأسلوب، مضمون وشكل، فهو فكرة من واقع المجتمع أو من أحلامه، وهو أسلوب فيه براعة وجاذبية ورشاقة وموسيقى، فيتكون من ذلك كله أدب أمة وأدب شعب[448].

- **الأدب العربي القديم:** هو الأدب الذي نشأ في الأرض العربية منذ ما قبل الإسلام، ويرجع الأدب العربي إلى قرنين قبل البعثة المحمدية، وبالتحديد إلى إلى ما بعد القرن الرابع الميلادي.

- **الأدب العربي الحديث:** هو أدب حركة التجديد والإحياء التي دعيت بعصر النهضة منذ القرن الثامن عشر، ونشأ نتيجة الأحداث السياسية أدب وطني للدفاع عن الدول العربية، وأدب قومي يدعو إلى توحيد النضال لطرد المستعمر[449].

- **الأديب:** هو الكاتب المتفرغ للكتابة الأدبية، والمتمكن في لغته، وعلوم اللغة جميعاً، والمثقف ثقافة واسعة في تاريخ أدبه، وتاريخ آداب كثير من الأمم، ولاسيما المشهور منها، والمطلع على المذاهب الفكرية والمدراس الأدبية، وكلمة الأديب واسعة تشمل الشعر والنثر، كما تشمل الدراسات الأدبية والنقدية، وهي أوسع من كلمة روائي، أو مسرحي، أو شاعر، وليس بسهولة للمطالع والقارىء أن يحظى بهذه الصفة، ما لم يثبت أهلية وجدارة وجرأة في الكتابة، وحسن إنتاج، والأديب متخصص أحياناً في مجال أدبي معين، وقد يتسع به الأفق فيكتب في كل مجال [450].

- **الأدب الوطني:** هو الذي يشمل كل جنس أدبي، من شعر أو نثر أو خطابة أو مقالة، ويرصد منازع الشعب العربي ضمن هذا النطاق، ويصور مشاعره ومطامحه، وآماله، وآلامه، وهو المعبر عن قضايا الشعب الذي يقطن قطراً معيناً، ويطلق الأدب القومي على كل ما يتصل بالوطن العربي الكبير، وظهور الأدب الوطني سبب الاحساس بآلام الوطن، والغيرة عما يعتريه من أمراض وتفكك وتقصير[451]، ويرى الباحث أن أدب المقاومة في زمن الاستعمار يأتي في سياق مفهوم الأدب الوطني والأدب القومي الحديث سعياً للحرية.

- **الأدب العربي المعاصر في فلسطين:** هو تراث فكري ثمين وثروة فنية ضخمة، وحلقة في سلسة الأدب العربي المعاصر، وعلى الرغم من أهمية هذا الأدب وسمو قيمته الفنية

(448) الدكتور محمد التونجي: المعجم المفصل فى الأدب، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1999، ص48.
(449) المصدر نفسه، ص59.
(450) المصدر نفسه، ص73.
(451) الدكتور محمد التونجي: مرجع سابق، ص73.

لم تتجه إليه عناية الدارسين من مؤرخي الأدب، ونقاده والمتخصصين في الدراسات الأدبية، ويرجع ذلك إلى ظروف فلسطين قبل الكارثة وبعد حدوثها حيث حالت تلك الظروف دون تسليط الأضواء على أدبها بفنونه المتعددة وألوانه المختلفة [452].

- **أدب المقاومة:** هو الأدب الداعي للحرية والتخلص من العبودية، « فعلى مدى الأجيال كان الأدب أكثر الفنون التصاقاً بالثورات، وأقواها جميعاً في التعبير عنها، وما من ثورة عرفها التاريخ إلا كان الأدب هو الممهد لها، بالخطبة والقصيدة، وبالمقال والقصة والرواية وما إليها، ثم كان بعد قيامها هو الداعي لها والناشر لمبادئها، والمدافع عنها ضد مناهضات الخصوم والأعداء، فإذا استقر أمرها كان الأدب هو الراصد لمسيرتها، والمسجل لخطواتها، والمعبر باستمرار عن تأييد المجتمع لها أو سخطه عليها « [453].

- **أدب السجون:** يرى الأدباء والنقاد أن أدب السجون[454]، هو الذي يكتبه الأسرى في المعتقلات، ويستوفي الحد الأدنى من الشروط، وما يكتب عن السجون والأسرى خارج السجن من غير الأسرى أو من المحررين لا يُعَدْ أدب سجون، وممكن تسميته « أدب عن السجون»[455]، هنالك الكثير من الأدباء ممن اجتهدوا في تعريف " أدب السجون " [456]، وجميعها متشابهة في مضمونها وأصولها، ومختلفة قليلًا على الحدود والمساحات، والأجناس والتصنيفات.

---

(452) د. كامل السوافيري: الأدب العربي المعاصر في فلسطين، القاهرة، دار المعارف، 1979، ص7.

(453) عبد الصبور مرزوق :أدب ثورة 1919، القاهرة، رسالة دكتوراة مقدمة إلى قسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم لنيل درجة الدكتوراة في الآداب ،كلية العلوم، قسم الدراسات الأدبية، جامعة القاهرة، 1970، ص1.

(454) تعريف رئيس اتحاد الكتاب الفلسطينيين الأديب والروائي ابراهيم الزنط « المعروف بغريب عسقلاني، والأديب والناقد والمحاضر في الجامعة الاسلامية د.عبد الخالق العف.

(455) الأديب والروائي الأسير المحرر شعبان حسونة تطرق في مقابلة أجراها معه الباحث لثلاث مدارس في تعريف أدب السجون، الأول: هو ما يكتب في الأسر ويهتم بقضايا السجن، وهنا يتم استثناء الأدب العاطفي والبوليسي وغيره من الأنواع التي تكتب في الأسر.

الثاني: هو كل ما يكتب في الأسر، وهنا يتم استثناء ما كتب عن الأسر من غير الأسرى كرواية شرق المتوسط لعبد الرحمن منيف وغيره.

الثالث: هو كل ما يكتب عن السجون وكل ما يكتب بأقلام الأسرى ويميل حسونة إلى هذا التعريف على أن يستوفي الشروط في كتابة الرواية، والقصة، والقصة القصيرة، والقصة القصيرة جدا، والشعر العمودي، وشعر التفعيلة، والشعر المنثور، واختلف المختصون بشمل الخاطرة، والرسالة، والمقال في هذا الإطار.

الدكتور الشاعر الأسير المحرر فايز أبو شمالة اعتبر أن أدب السجون هو كل ما له علاقة بالوجدان والعاطفة الإنسانية والتعبير عن ذلك فنياً، وهذا يشمل القصة والرواية والشعر والخاطرة والأغنية والعمل المسرحي، ويتكون من شقين، شق يتعلق بالسجناء أنفسهم، وما كتبوه هم من داخل غرف السجن، وما وثقوه أثناء وجودهم في السجن وحتى بعد خروجهم منه، فالتجربة قائمة، وتنعكس في التعبير لسنوات طويلة الأمد، وشق يتعلق بما عبر عنه الأدباء خارج السجن، ولاسيما أولئك الذين تخيلوا حياة السجن، واستمعوا لها، وعاشوا بوجدانهم تجربة السجناء، وراحوا يعبرون عنها بصياغتهم الخاصة، وأسلوبهم القادر على تصور حياة السجن، والتعبير عنها بشكل فني.

الأديب والروائي الأسير المحرر وليد الهودلي عرّف أدب السجون في مقابلة أجراها معه الباحث « بما يكتبه الأسرى في داخل الأسر، أو ما كتبه الأسرى من مذكرات بعد التحرر، أو ما كتب عنهم وعن السجون من غيرهم، في مجالات الرواية، والقصة، والشعر، والمسرحية، والخاطرة، وألوان الأدب الأخرى، ولا يشمل أدب السجون إنتاجات الأسرى من الدراسات والأبحاث والكتب في مجالات من غير الإنتاج الأدبي.

الكاتب الأسير المحرر سلمان جاد الله عرّف أدب السجون في مقابلة أجراها معه الباحث « بالذي يكتبه الأسرى داخل السجون، ويشمل الرواية، والقصة، والشعر، والمسرحية، والزجل، وحتى اللوحات الفنية، وأدب السجون لا يشمل المقالات السياسة والتاريخ، ويمكن أن يطلق عليها أدبيات الفصائل، الأديب الأسير المحرر الدكتور خضر محجز عرّف الإنتاج الأدبي في مقابلة أجراها معه « ما يكتبه الأسرى خلال اعتقالهم، حتى لو لم يكن عن السجن، وأدب السجون هو كل إنتاج لغوي كتب في السجون، واتخذ الأسلوب الجميل وسيلة لإيصال محتوى ما، كالشعر والقصة والرواية والمسرحية والنقد الأدبي، والخاطرة الأدبية ».

(456) أنظر ملحق بعض انتاجات الأسرى من أدب السجون: ص295.

واستناداً لكل ما سبق من تعريفات يرى الباحث أن أدب السجون في فلسطين هو أدب مقاومة، وهو جزء من الأدب العربي المعاصر في فلسطين، والأدب الوطني والقومي، والأدب العربي والعالمي الحديث، لما يحمل من مميزات وخصائص، وحس إنساني وعاطفي، ورقة مشاعر وأحاسيس ومصداقية، وقدرة على التعبير والتأثير، وهو كل ما كتبه الأسرى داخل الاعتقال وليس خارجه، بشرط أن يكون من أجناس الأدب كالرواية والقصة والشعر والنثر والخاطرة والمسرحية والرسالة، ويفرق الباحث بين " أدب السجون " المستوفي للشروط الأدبية، وبين « أدبيات وإنتاجات الأسرى الأخرى « التي كتبوها داخل الاعتقال، كالدراسات السياسية، والأبحاث التاريخية والأمنية والفكرية، والكتب في مجالات متنوعة، والترجمات من الصحف الإسرائيلية وغير ذلك من المجالات غير الأدبية.

فيشكل موضوع اعتقال المناضل ونقله من حياة الحرية إلى حياة السجن، مجرد انتقال بالمكان بالنسبة للمعتقل السياسي، وهو يحرص دائماً أن يجعل من قضية اعتقاله ووجوده في السجن مناسبة لطرح قضيته الأكبر والأساسية التي آمن بها واعتقل من أجلها، وفي مختلف التجارب التي مررنا بها في أدب السجون نجد على الدوام بأن المعتقلين السياسيين يشكلون لجنة هدفها إيجاد مختلف الوسائل للاتصال بالعالم الخارجي لكي تطرح عليه قضية اعتقالهم[457].

والمشترك لكل الشهادات والمذكرات والأعمال الأدبية التي خرجت من السجون للأسرى السياسيين بشكل عام هو التصوير الحي والمكثف لصمود الإنسان الأعزل إلا من قناعاته في وجه آلة القمع وأساليب البطش، وتصوير شكل الصراع القائم بين الجلاد في مواجهة المناضل، السياط والكهرباء في مواجهة العقيدة والايمان، محاولات الإذلال والتركيع في مواجهة محاولات التصدى والصمود، الفرد في مواجهة السلطة.

إن كافة وسائل التعذيب الجسدي والنفسي التي يستخدمها الجلاد أو المحقق تستهدف كسر إرادة المناضل، وفي المقابل فإن المناضل يريد أن يحافظ على شيء واحد هو استمرار قدرته على المقاومة، وبذلك يرى الباحث أن أدب السجون يندرج تحت إطار أدب المقاومة في التعريف والمضمون[458].

ولقد أمدنا التاريخ العربي بذاكرةٍ خصبة أثراها عشرات بل مئات الشعراء الذين أُسِروا، وكتبوا قصائدهم في غياهب السجون[459]، كما يجدر التنويه أن أدب السجون ليس حكراً على الفلسطينيين والعرب فقط، بل هناك آخرون كتبوا داخل الاعتقال[460]، ولعل أشهرهم الروائي الروسي فيدور دوستوفسكي الذي كتب في العام 1962م كتاب « ذكريات من منزل الأموات «

(457) نزيه أبو نضال: أدب السجون، بيروت، لبنان، دار الحداثة، 1981، ص199.

(458) نزيه أبو نضال: مرجع سابق، ص199.

(459) كأبي فراس الحمداني، والمتنبى، وناظم الغزالي()، وعبد الرحمن منيف وروايتاه المشهورة عن السجون « شرق المتوسط « و» الآن هنا «، ويحيى الشيخ صالح في أدب السجون، والمنافق في فترة الإحتلال الفرنسى، وشعر السجون لسالم معروف المعوش، ورواية خطوات في الليل لمحمد الحسناوى وآخرين.

(460) كالشاعر التركى ناظم حكمت، وشاعر تشيلى العظيم بابلو نيرودا، والروائى الروسى ديستويفسكى فى روايته « منزل الأموات « وآخرون كثر ممن كانوا تحت الاحتلال واعتقلوا.

بعد تجربة اعتقالية لأربع سنوات خاضها في سجن « أومسك بسيبيريا «، وبعد خروجه من السجن قال « لطالما باركت القدر الذي وهب لي أن أعاني هذه التجربة التي كان لها فضل كبير علي" [461]، وأمثلة أخرى.

ثانياً- العوامل التي ساعدت في ظهور أدب السجون الفلسطيني:

وصف أ. د. صادق أبو سليمان [462] « أدب السجون « بما يصوغه الكاتب الأسير في السجون وهو يحيا في مكان بئيس لا يوفِّر لساكنه إلا أبسط المتطلَّباتِ التي تحفظُ له حياته، والذي يخرج من محْبسين: محبس السجن، ومحبس معاناة الأديب الذي ينسج التجربة الأدبية كلمات وجملاً وصوراً بديعة مفعمة بحيوية الانفعال، وصدق التجربة والمشاعر؛ والأديب الأسير الذي ينهل من مصدر المعاناة في سبيل الحرية[463].

و»أدب السجون» فرض نفسه كظاهرة أدبية في الأدب الفلسطيني الحديث، وبرز قبل احتلال الخامس من حزيران/ يونيو 1967م، فالشعراء الفلسطينيون الكبار محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد[464]، أَثْروا الساحة الأدبية بهذا الأدب المقاوم، ولعل أبرز سماته تتمثل في التَّمَسُّك بالأرض، والتغني بالحرية، وحب الوطن، والالتزام والصدق المقاوم، الذي تجلى في نصوصهم، فأُطلق عليهم: رواد شعراء المقاومة الفلسطينية، الذي اتسم بالبعد العربي والبعد العالمي كقصيدة:"الثوار ينشدون»، لراشد حسين، و»أنا عبد» لفوزي الأسمر، موجهة لشعب إفريقيا، ولسميح القاسم عدة قصائد عن باتريس لومومبا، وإفريقيا، وزنوج أمريكا، ومقطع اسمه بطاقات إلى ميادين المعركة، وهي سلسلة من القصائد القصيرة موجهة إلى المغني الزنجي بول روبنسون، وفيدل كاسترو، وكريستوف غبانيا، وثوار الفيتكونغ، ولعل أبزها قصيدة محمود درويش»عن الأمنيات» [465].

وهنالك عدة عوامل ساعدت على الكتابة الأدبية لدى الأسرى وأهمها:

1. دخول الكتب الأدبية للسجون في العام 1972م، وتوافرها في نهاية السبعينيات، والتي مثلت العصر الذهبي للأسرى على الصعيد الثقافي بشكل عام، والطفرة الأدبية الاعتقالية بالشكل الخاص، «في هذه المرحلة ازدهرت القراءات الأدبية لتشمل طيفاً واسعاً من الأدباء على مستوى العالم، ابتداءً من غسان كنفاني واميل حبيبي في مجال الرواية، مروراً بنجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وطه حسين والطيب صالح، وانتقاله تولستوي، وديستويفسكي وتورجنيف ومكسيم جوركي، وكتاب الأدب السوفيتي اللاحقين، والعودة إلى شكسبير وتشارلز ديكنز وفيكتوهوجو في أوروبا، والانطلاق نحو الأدب الأمريكي وخصوصاً أدب جون جون شتاينبك، وارنست همنجواي، وكتاب آخرين من قوميات

(461) نزيه أبو نضال: مرجع سابق، ص199.
(462) أستاذ علوم اللغة العربية، جامعة الأزهر بغزة، عضو مجمع اللغة العربية المراسلالقاهرة
(463) مركز الأسرى للدراسات: http://alasra.ps/ar//index.php?act=post&id=2773
(464) جميل السلحوت: مرجع سابق، ص9.
(465) أحمد الرمّاوي: مرجع سابق، ص8.

2. وتجارب وأجناس مختلفة في مجال الرواية والقصة والشعر والمسرح، والتي شكلت جامعاً ممتعاً ومصدراً غزيراً للمعارف والاستمتاع[466] «.

3. تنامي قوة الحركة الوطنية الأسيرة، وتطور أساليب الإسناد الجماهيري لها، ما أدى إلى لجم شراسة القمع الجسدي والفكري، وخفف من حدة القهر الممارس ضد الأسرى.

4. التلفاز واضطرار إدارة السجن إلى السماح بإدخاله في غرف السجن، ما أتاح للمعتقلين الاطلاع على العالم الخارجي من خلال الاطلاع على بعض البرامج الأدبية والفنية في الفضائيات العربية التي سمحت بها إدارة مصلحة السجون، ثم عادت ومنعت بعضها ضمن سياسة التضييق.

5. دور المجلات والنشرات والصحف التي كان يصدرها المعتقلون، واهتمامهم بنشر النصوص الأدبية والقصائد الشعرية في مجلات أدبية خاصة « كصدى نفحة، والصمود الأدبي.

6. نشر أعمال بعض المعتقلين خارج أسوار السجن بعد تهريبها بطرق مختلفة [467].

ويرى الباحث أن تطلع الأسير للحرية، وملء الوقت بالاهتمامات الثقافية وخاصة الأدبية، اليى تحمل الأسير نحو الأفق الواسع والممتد بلا نهايات، وتحلق بروحه نحو الفضاءات الرحبة، والخيالات اللامحدودة، والتي تمثل تحدياً لمشروع السجان الساعي لحصر جسده وروحه في أمتار بل سنتيمترات معدودة ليبقى معتقل الظروف والسياسات والإحساس بالمعاناة والعذابات، كانت عوامل معنوية للعيش في كنف الحياة وصناعتها من لا شيء، ولا يمكن استبعاد عامل التحفيز والتشجيع والمنافسة من قبل المؤسسات الفلسطينية والعربية والدولية بقضايا الأسرى، وأهمها جائزة الحرية السنوية التي تعلن عنها هيئة شؤون الأسرى والمحررين في مجال « الرواية والقصة والفيلم والبوستر والأغنية «، والتي شجعت الأسرى على المشاركة فيها، في ظل سهولة التواصل مع الخارج مع تهريب الهواتف النقالة التي سهلت تصوير ونقل أدبيات الأسرى لكل مكان، ولعل من أبرز الاهتمامات والأجناس الأدبية التي اهتم بها الأسرى في السجون:

1. المجلات الأدبية:

اهتم الأسرى بأدب السجون، وشجعوا الكتاب والأدباء من خلال إنشاء عدد من المجلات الأدبية، إضافة إلى المجلات الثقافية العامة كنفحة الثورة التي خصصت صفحات أو ملاحق أدبية، ومن أبرز المجلات الأدبية:

(466) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة :ابداعات انتصرت على القيد، المؤتمر الأول، مرجع سابق، ص43.
(467) سلمان جاد الله: أدب المواجهة، مرجع سابق، ص113 114.

- **الصمود الأدبي:** والتي صدرت في سجن عسقلان في العام 1986م[468].
- **صدى نفحة:** والتي صدرت في سجن نفحة في العام 1989م، كنشرة أدبية (469).
- **مجلة «الهدف الأدبي»:** في معتقل عسقلان، والتي صدرت عام 1981م (470).
- **مجلة «إبداع نفحة»:** والتي صدرت عن اللجنة الثقافية الوطنية في معتقل نفحة [471].
- **مجلة «النهضة»:** حطمت قمقم الفئوية التنظيمية، وخرجت بثوب وطني عام بدءاً بهيئة تحريرها، مروراً بموادها وانتهاءً بتوزيعها والإقبال على قراءتها، والتي عكست الأبعاد الحقيقية للتغيرات الكيفية التي أصبح عليها العامل الذاتي في أوساط المعتقلين والتي انسجمت بدرجة نضجها مع نضج العامل الموضوعي دائم الحضور[472].

وعمل الأسرى بشكل جدي في الثمانينيات من القرن العشرين، على تهريب نتاجهم الأدبي خارج الأسر، واهتمت الصحف والمجلات الفلسطينية والعربية والعالمية، بنشر نتاجهم، وكان من أهم الصحف والمجلات التي نشرت أعمالهم الإبداعية: البيادر الأدبي، والشراع، والكاتب، والفجر الأدبي. كما عملت دور النشر والمؤسسات الثقافية والحزبية على نشر إبداعات المعتقلين في كتب[473].

2. شعر الأسرى:

الشعر فن يعتمد الصورة، والصوت، والجرس، والايقاع، ليوحي باحساسات وخواطر، وأشياء لا يمكن تركيزها في أفكار واضحة للتعبير عنها في النثر المألوف والمعروف، والموهبة الشعرية ملكة ذاتية، وبذرة تنمو داخل الشخصية المتميزة عاطفياً أو عقلياً [474]، ويشكل شعر الأسرى الفلسطينيين، أنموذجاً هاماً من نماذج شعر المقاومة، وذلك لأن معظم أدباء فلسطين وشعرائهم سواء من داخل الأراضي المحتلة في العام 1948م، أم من الأراضي المحتلة في العام 1967م، دخلوا السجون والمعتقلات الإسرائيلية [475]، ويتميز شعر المعتقلات بكونه مقاوماً، جاء من أتون معركة ضارية بين الأسرى وبين إدارة قمع السجون بأجهزتها المختلفة، إزاء ذلك انبرى الشعراء ممن نضجت قرائحهم، وتفجّرت مواهبهم الشعرية، ليقفوا في مقدمة المجابهة ؛ ليعبّروا عما يختلج في نفوسهم من ألم وحزن وأسى.

وعليه فإننا لسنا أمام شعر باكٍ شاكٍ ضعيف حزين، يرسل الدمع مدرارًا، وليس شعرًا

(468) وأسسها وأشرف عليها الأسرى « سلمان جاد الله، رياض حلس، وشاركهما محمد التلولى «، وقد أثارت ردود فعل جيدة، وترصعت صفحاتها بكتابات الشهيد عمر القاسم وبملاحظاته النقدية.

(469) كان من أبرز من شاركوا فى تحريرها بالاضافة إلى مؤسسها الأسيرين « معاذ الحنفى، وفايز أبو شمالة.

(470) أشرف على تحريرها كل من: منصور ثابت، وعبد الحميد الشطلي، ومحمود عفانة.

(471) أشرف على تحريرها كل من: فايز أبو شمالة، وسلمان جاد الله، ومعاذ الحنفي، ومحمود الغرباوي.

(472) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة :ابداعات انتصرت على القيد، المؤتمر الأول، جامعة القدس – أبو ديس، فلسطين – القدس، (2012)، ص66..

(473) أحمد الرمحاوي: مرجع سابق، ص20.

(474) جبور عبد النور: المعجم الأدبي، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، 2005، ص148.

(475) مجلة الجامعة الاسلامية، المجلد السادس عشر، العدد الأول، غزة، 2008، ص4.

صاخبًا يواجه واقعه بالصراخ، بل نحن أمام شعر مقاوم ملتزم، ولعل أبرز ما يلحظ في هذا الشعر وحدته الموضوعية ؛ إذ تتلاحم قصائد الشعراء الأسرى تلاحمًا عضويًّا، كونه انطلق من ظروف واحدة، وهدفه واحد، ويمتاز أيضاً بكثرة استخدام الرمزية، كوسيلة ناجعة تختصر المسافات للوصول إلى المعنى العميق في نمط موجز موح، فإن هناك حاجة أمنية لهذا الشعر؛ لأن القصيدة الصريحة تعدّ جرمًا يعاقب عليها قانون الاحتلال الإسرائيلي ؛ لهذا السبب نجد الشاعر الأسير أكثر من غيره استخدامًا للرمز ؛ هروبًا من عقاب جلاديه، وتضليلاً لمحاكمه العمياء.

وجاء هذا الشعر أيضًا موجزًا، تعرض فيه المعاني المتدفقة في ألفاظ قليلة، مع الإبانة والإفصاح عنها، ويتسم شعر الأسرى بالسهولة والبساطة والوضوح؛ فشعرهم نراه يجري مجرى الماء في النهر سلاسة وسهولة ويسرًا وبساطة وعذوبة [476].

ولقدْ تميزت الأعمال الشعرية للأسرى الفلسطينيين بأنها الأغنى والأكثر شمولية وزخماً من حيث الكم والكيف بينَ تجارب الشعوب وحركات التحرر، ويعود ذلك إلى ارتباطها بالقضية الفلسطينية وتحرير فلسطين، وطبيعة الاحتلال الإسرائيلي الذين تعرضوا له.

وكان التعبير بالشعر البدايات الأولى في إبداع الأسرى، فهو أسرع الأنواع الأدبية استجابة للتعبير عن المعاناة، لهذا لجأ عشرات من الأسرى إلى المحاولات الشعرية التي تترجم مشاعرهم وتعبر عن مكنونهم النفسي[477]، فهو شعراً مغلفاً بالحلم الشفاف، وجاءت العبارة فيه هائمة أثيرية[478]، لذا فإن النفس تتعشق هذا الشعر وتحبه، وتميل إليه، لأنه يخاطب القلب والعقل، وترتاح له النفوس، وتنشرح له الصدور، فكأن الشاعر في هذا الشعر يتحدث عن نفسه، وكأن هذا الشعر جزء منه [479]، ولقد برز عدد كبير من الشعراء داخل المعتقلات[480].

3. الرواية والقصة:

الرواية هي فن سرد الأحداث والقصص، تضم الكثير من الشخصيات، وتختلف انفعالاتها و صفاتها، وهي أحسن و أجمل فنون الأدب النثري، وتعتبر الأكثر حداثة في الشكل و المضمون، وتتميز بالتشويق في الأمور والمواضيع والقضايا المختلفة سواء أكانت أخلاقية أو اجتماعية أو فلسفية، والقصّة القصيرة: تمثّل حدثاً واحداً، في وقتٍ واحد، وزمانٍ واحد، وهي حديثة العهد في الظّهور[481]، وهي وثيقة بشرية مستقاة من الخيال والملاحظة والتأمل وممثلة لواقع حقيقي أو متخيل، وتُعنى الرواية بموضوع الأدب أي الإنسان والعالم[482]، وهي أنواع متعددة،

(476) مفيد عرقوب، حسين الدراويش: صورة السجن والسجن والسجّان في الشعر الوطني الفلسطيني الأسير، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص2.

(477) نائل إسماعيل: الأَساليب الإنشائيّة في شعر الأسرى الفِلَسْطينيين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، 2013، ص1.

(478) معاذ الحنفي، أعلق في ليلك الليلك، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، غزة، فلسطين، 1998، ص15.

(479) مجلة جامعة القدس المفتوحة، العدد 29، الجزء الثاني ،غزة، فلسطين، 2013، ص352.

(480) كان أبرزهم « المتوكل طه، ومحمود الغرباوي، وعبد الناصر صالح، عز الدين المناصرة، ومحمود شريم، وخليل توما، ومحمد عليان، وعمر خليل عمر، ود. خضر محجز، معاذ الحنفي، ود. فايز أبو شمالة، وسلمان الزريعي، وسائد السويركي، وعيسى قراقع، ومحمد أبو جلالة، وهشام أبو ضاحي، والشهيد عمر القاسم، وباسم الخندقجي، وتوفيق زياد، وراشد حسين، وسامي الكيلاني، وعلى الخليلي، والشهيد د. عبد العزيز الرنتيسي، والشهيد د.ابراهيم المقادمة، ويحيى السنوار، ومحمد طه، وحماد الحسنات، وعلى عصافرة، وعبد الناصر صالح، ومحمد أبو اللبن، ومرزوق بدوي، والشهيد معين بسيسو، وآخرين كثر.

(481) موقع موضوع: http://mawdoo3.com

(482) عبد الصبور مرزوق :أدب ثورة 1919، مرجع سابق، ص128.

والقصة القصيرة جنس أدبي متميز بالاقتصاد في التعبير وتصوير الحدث أو اللحظة الزمنية العابرة، بلغة وصفية درامية [483]، ولقد اهتم عدد كبير من الأسرى بكتابة الرواية في السجون، ومن الأهمية بمكان أن يشار للتأريخ إلى رواية « وابور الكاز « كأول رواية في أدب السجون [484].

وتعد الرواية من أكثر الأجناس الأدبية المعبرة عن حالة الاعتقال قياساً بالأجناس الأدبية الأخرى التي خرجت من رحم السجون[485]، ولقد برز عدد من كتاب الرواية من الأسرى ولعل أبرزهم الروائي الأديب وليد الهودلي الذي كتب عدد من الروايات أشهرها رواية ستائر العتمة «جزأين" و التي عالجت موضوع تجربة التحقيق والاعتقال وظروف السجن، وقد طبع الجزء الأول منها ثماني طبعات، أربعون ألف نسخة، والتي لم يسبق لرواية فلسطينية من داخل السجون وخارجها أن تنشر بهذا الكم، وتم تحويلها إلى فيلم في العام 2015م[486].

4. المسرحية:

المسرحية جنس أدبي متميز يمثل على خشبة المسرح، وهي مؤلف من الشعر أو النثر يصف الحياة أو الشخصيات، أو يقصص قصة بواسطة الأحداث عن طريق الحوار ويتكون عادة من عدة فصول والتي بدورها تتكون من عدة مناظر[487]، وتثير الضحك بأسلوب أنيق بعيد عن التهريج، وتنطلق أحياناً من تصوير الطبائع وتصادمها، وما ينتج عن تناقضها وتصادمها من مواقف هزلية وساخرة معاً [488]، ويعالج المسرح الموضوعات الشائعة في الفنون الأدبية الأخرى، وبخاصة القضايا المتعلقة بطبيعة الإنسان، وما يصدر عنه من أفعال وما يعتمل في داخله من مشاعر وأحاسيس وأفكار[489]، واهتم بعض الأسرى بالمسرحية في نهاية

(483) د. سمير حجازي: قاموس مصطلحات، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1990، ص68.

(484) سلمان جاد الله: أدب المواجهة، مرجع سابق، ص103.

(485) الناقد المحاضر في الجامعة الاسلامية عبد الخالق العف.: مقابلة أجراها الباحث، 7/11/2015، غزة.

(486) والروائي الأديب شعبان حسونة الذي كتب مجموعة من القصصالقصيرة باسم « أمسية سجن « وعدد من الروايات أشهرها « ظل الغيمة السوداء، وعلى جناح الدم « التي منحته عضوية اتحاد الكتاب الفلسطينيين في العام 2005، والروائي الأسير المحرر رأفت حمدونة الذي كتب مجموعة « الرباعية الوطنية « والتي تضم أربع روايات هي عاشق من جنين، ولن يموت الحلم، وقلبي والمخيم، والشتات، التي طبعت طبعتين، وقد وصفها الأستاذ الدكتور صادق أبو سليمان بـ» رباعية العشق « كونها تذكر بلا ريببأدب الأدباء الثوار، الذين خاضوا تجارب الثورة والنضال والمعاناة والحرمان والتعذيب، وإذا ما هممت بقراءتها واحدة بعد الأخرى سترى نفسك تعيش قصة الشعب الفلسطيني في العصر الحديث، وبالجملة فإن الكاتب في رواياته الأربعة قد استطاع التعبير عن هموم شعبه المتنوعة، ومحطات نضاله المتسلسلة من خلال عناية واضحة بتسلسل الأجيال، ويلمس كل قارىء للرباعية بترابط أسلوب الكاتب، ومناسبة لغته لمضامين رواياته.

وهنالك العشرات ممن أبدعوا بكتابة الرواية في السجون أمثال: الأديب غريب عسقلاني، وحافظ أبو عباية ومحمد البيروق، وحسن عبد الله، وحمزة يونس، ورمزي مرعي، ود. خضر محجز، وزاهر جبارين، وجمعة التايه، ومحمد و ابراهيم اغبارية، وعماد الزبن، وسلمان جاد الله، وعزت الغزاوي، وعصمت منصور، وفاضل يونس، وموسى الشيخ، ومحمد أبو صبحة، ونواف العامر، محمد عبد الهادي، ومحمود عيسى ،وجمال الهور، وعلى عارفة، محمد عبد الهادي، ويوسف محمد، أيمن فقيه، وحسن سلامة، وعمر حمش، وكمال الأسطل، محمد أيوب، معاذ بلال، ومؤيد الشيص، وغيرهم الكثير.

ويستذكر الباحث عدد من الأسرى ممن دونوا تجاربهم الإعتقالية كمذكرات بشكل روائ متسلسل، بأقلامهم أو بأقلام كتاب من غير الأسرى ممن أبدعوا في عرضها بشكل روائ، كرواية « فرسان الحرية « لهشام عبد الرازق، و فيروزيات نضالية، والذي يتناول تجربة فيروز عرفة للدكتور سامي الأخرس، ومروان البرغوث ألف يوم في زنزانة العزل الانفرادي لزاهي وهبي، وأحلام بالحرية للأسيرة عائشة عودة، وأوراق من خلف جدران الأسر للأديب عبد الحق شحادة، وأمير الظل للأسير عبد الله البرغوثي، والهواء المقنع أبو على شاهين 15 عام في الاعتقال لمحمد القيسي، وأيام من معتقل النقب للدكتور عبد الستار قاسم، والقادم إلى خطفك للأسير محمد الشراتحة، والخروج إلى المخيم لثابت مرداوي، وتاريخ مشرق وذكريات مؤلمة، ورحلة العودة للأسيرة المحررة للدكتورة مريم أبو دقة، وذكريات مبعثرة من ذاكرة الأسر لاسماعيل دبج، ونفحة يتحدث بعد ثلاثين عاماً لجبريل الرجوب، وقصتي لسعيد الكرمي، وذاكرة الأسير لعلى شواهنة، ومذكرات عوض السلمي، ومن صفحات نفحة للؤي عبده، وصرخة من أعماق الذاكرة تتناول تجربتي اعتقال فؤاد الرازم وأحمد أبو حصيرة، ومذكرات محمود عارضة، ويوسف العارف، وغير ذلك من مذكرات على شكل روايات، وأبدع عدد من الأسرى بكتابة القصة القصيرة كالقاصوليد الهودلي، وشعبان حسونة، واسماعيل دبج، وحسن عبد الله، وعصمت منصور وغيرهم الكثيرين.

(487) علية عزت عياد: معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، 1994، ص37.

(488) جبور عبد النور: : مرجع سابق، ص266.

(489) المصدر نفسه: ص247.

السبعينيات، ففي هذه المرحلة برزت محاولات لتأليف المسرحيات القصيرة، والتي كانت تعرض في الأمسيات الأسبوعية الترويحية، أسهم في إيجادها ونشطها انعدام وسائل التسلية، والشعور بضرورة إيجاد وسائل ترفيهية ترويحية تزيل التوتر وتقتل الرتابة، وتشكل في الوقت ذاته محاولة فنية لإعادة شحن الأسرى بالطاقة والنشاط لاستقبال أسبوع جيد، كما جرى استغلالها لتعميق الوعي وتطوير المعرفة ومعالجة بعض القضايا الواقعية [490].

وكانت تمثل في غرف زنازين بئر السبع التي كانت تتسع لسبعين أسيراً مسرحيات من بينها مسرحية «زنبقة الدم" التي تعالج حكاية فتاة جرى اغتصابها من دخلاء على الثورة في القطاع، وقد جرى تمثيلها على خشبة مسرح نصبوه من البطاطين[491]، وقامت الأسيرات في سجن «نفيه تريتسا» بتقديم المسرحيات عرف منها مسرحية « فدائي جريح «، وعادةً ما يقوم المعتقلون بعمل مسرحيات يكتب نصها أحدهم أو يشترك فيها أكثر من واحد، ويتم توفير مواد الديكور من أشياء الغرفة [492]، ومن الطبيعي أن إدارة السجن لا تقبل بهذا النشاط الذي يمثل تحدياً لها، واستهانة بها، لكن المسرحيات والحفلات تقام ليلاً [493].

ويرى الباحث أن الأسرى تأثروا بالمسرحية كفن مع دخول التلفاز للسجون، وخاصة ما كان يعرض على التلفزيون المصري والأردني، ولم ينتشر هذا الفن « تمثيل وكتابة « كأحد أجناس أدب السجون بالشكل الكبير، ولم يعرض إلا في الاحتفاليات والمناسبات والأمسيات وفي غالب الأحيان داخل الغرف، ولقد برز عدد قليل من كتاب النصوص المسرحية قياساً بالألوان والأصناف الأخرى [494].

5. الخاطـرة:

أبدع الأسرى في كتابة الخاطرة الأدبية كنثر أدبي صيغت فيه الكلمات ببلاغة وامتاز بكثرة المحسنات البديعية من صور واستعارات وتشبيه، والتي تصنف أدبياً في موقع بين القصة القصيرة و الشعر الحر وهي ثلاثة أنواع «الخاطرة الرومانسية، والخاطرة الوجدانية، والخاطرة الإنسانية « وكتب الأسرى في الثلاثة وأكثرها «الإنسانية" التي تركز على قيم الصداقة والأخلاق الفاضلة والتضحية والوطنية.

وعدد كبير من الأسرى من اهتموا بهذا اللون من الأدب، وكانت لهم مجموعات من الخواطر كتبوها في عتمات الليل، ولبعضهم البعض، وخلال المراسلات، والمسابقات، والمجلات الأدبية [495].

6. الرسالة:

هي ما يكتبه امرؤ إلى غيره معبراً فيه عن شؤون خاصة أو عامة، وقد يتوخى فيها البلاغة

(490) مفيد عرقوب: مرجع سابق، ص23.

(491) سلمان جاد الله: أدب المواجهة، مرجع سابق، ص66 – 67.

(492) المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية: مرجع سابق، ص10.

(493) عدنان جابر: مرجع سابق، ص177.

(494) برز منهم «حسن عبد الله الذى كتب» طرقات على باب الأمل، ومن مذكرات زيتونة، واعلاميون فى مهمة»، و»مسرحية النفق، وإبريق الذهب، ورامى ومحكمة الذئاب « لوليد الهودلى، وعدد قليل آخر من كتاب المسرح فى السجون.

(495) طبع منها ترانيم خلف القضبان لعبد الفتاح حمايل، وإلى ولدى محمد للكاتب على جدة، وخواطر من الزنزانة لمحمد عبد السلام وغيرهم.

والغوص في المعاني الدقيقة فيرتفع بها إلى مستوى أدبي رفيع [496]، واستطاع الأسرى الفلسطينيون في السبعينيات بعد الكثير من الخطوات النضالية بانتزاع حق مراسلة ذويهم عبر الصليب الأحمر الدولي، ومن ثم عبر البريد الرسمي، وبدأت الموافقة بحصر الرسالة بأقل من عشرة سطور، ثم تطورت لتصل فرخ من الفلسكاب كبير الحجم أكثر أو أقل.

ومع مرور الوقت مع تطور الإمكانيات الأدبية للأسرى تحولت رسائل المعتقلين إلى أشبه بنصوص أدبية حملت مشاعرهم، وعبرت عن أفكارهم، خاصة وأنهم كانوا يلجأون إلى الأسلوب الأدبي وإلى الاستعارات والألغاز والتمويه على الرقيب، لكن البعض كان يعتمد الأسلوب الأدبي، بعد فتح المواهب والقدرات الأدبية خلف القضبان [497].

ولقد وصلت الرسالة إلى أعلى مراحل تطورها، عندما تحولت من وسيلة إخبارية مباشرة تحمل السلامات إلى الأهل، إلى نصوص أدبية راقية، حيث أن بعض الرسائل صيغت على شكل قصائد شعرية، أو خواطر أو قصص قصيرة، أو نصوص أدبية مفتوحة، بخاصة عندما مازج وزاوج مرسل الرسالة بين الخاص والعام، أو عندما صقلت أقلام عدد لا بأس به من الأسرى وتطورت بشكل لافت، وأصبح أصحابها يعبرون عما يجول في صدورهم أدباً[498].

كما وتمثل رسالة المعتقلين قيمة أدبية ونضالية وتاريخية، يمكن من خلالها الوقوف على مراحل التجربة الاعتقالية وخصائصها، والتعرف على ظروف ومستوى تطور المعتقلين، لذلك فإن دراسة هذه الرسائل تشكل مهمة وطنية وتأريخية وأدبية في آن واحد، ولقد شكلت الرسالة نافذة للمعتقل المناضل على أسرته ومجتمعه والحياة، وصلت في سطورها وتعابيرها مضامين اجتماعية وسياسية وتربوية ونفسية وفكرية، وارتقت من الجانب الإخباري إلى التحليلي، وبعضها ارتقى إلى الإبداعي، وحصل بامتياز على درجة رفيعة في عالم الأدب والإبداع [499].

اختلف النقاد والمختصون في مكان الرسالة وإرفاقها بأدب السجون، ويرى الباحث أنها تستحق بجدارة أن تكون في صدارة هذا اللون من إنتاجات وأدبيات الأسرى، التي اهتم وحرص وتبارى الأسرى وتألقوا في صياغتها وتراكيبها البلاغية والأدبية، وقد أرفقوا على هامش سطورها بصور الورود والعصافير والرسومات والرموز الجمالية الأخرى.

7. الفن والغناء والموسيقى:

اهتم الأسرى بالفنون المرتبطة بأدب السجون، وتم تلحين الكتابات الأدبية، والقصائد الشعرية، على صورة زجل وأناشيد وأغاني وطنية، وكان للتراث الشعبي مكانة خاصة ومرموقة بين

(496) جبور عبد النور: : مرجع سابق، ص128.
(497) حسن عبد الله، كلمات على جدار الليل، رام الله، مركز المشرق للدراسات، 2004، ص13.
(498) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة :ابداعات انتصرت على القيد، المؤتمر الأول، مرجع سابق، ص86.
(499) المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية: مرجع سابق، ص23.

أسرى الثورة، فالدبكة والزجل انتشرا في كل السجون، ولا يخلو سجن من مناضل أو أكثر لديه القدرة على تأليف الزجل العاطفي والسياسي، كما كان المعتقلون ينظمون حفلات غنائية، مرة واحدة أسبوعياً، وتكون حفلات ممتعة وشيقة للجميع [500].

وفي العام 1984م كانت الاحتفالات في السجون قد أخذت شكلاً جديداً، فقد تضمنت الفقرات أغاني ودبكات شعبية ورفع للاعلام الفلسطينية [501]، وغلب اللون الحزين على الأغاني والمواويل ليعكس الحجم المذهل المختزن في أعماق الأسرى، ويعكس توجعاً إنسانياً من الظلم الاجتماعي والقمع الاحتلالي، والحرمانات اللانهائية، وكثيراً ما كنت تجد الأغنية والنشيد الوطني يتبع الموال الحزين في جدلية مميزة، كان الأسير يفتح جرحه ثم يداويه، غالباً ما كان المغنى الأسير يؤدي ما هو موجود من أغاني ومواويل، لكنه أداء يحمل بصماته الخاصة، وبعضهم ألف الأغنيات ذات الطابع الشعبي، وبدرجة أكبر المواويل.

أشاعت الأمسيات الفنية المتواضعة الدفء في طقس السجن البارد دوماً، حيث الأغنيات والأشعار تحمل الأفئدة المعذبة إلى عالم آخر بدون قيود وبدون حرمان، وتعالت في هذه الأمسيات الضحكات كأنها تغسل ولو للحظات حزناً لا يفارق الواقع [502].

ولقد تركت زجليات الشهيد راجح السلفيتي خاصة تلك التي أنتجها داخل الأسوار الأثر العميق في وجدان الأسرى، وكانت عاملاً يقتدى به في عملية إعادة صياغة التربية، خاصة تلك القصائد التي تحض على استيعاب أسرار النضال والصبر على الشدائد [503].

وتنطبق هذه الصورة على سجن الأسيرات، حيث أن الأسيرات يقمن أيضاً بالأناشيد الوطنية وبصوت وطني ثوري، وكثيرة هي المرات التي يسمع فيها الزوار والمعتقلون المرضى في مستشفى سجن الرملة أصوات المناضلات الأسيرات الملىء بالحماسة والمعبر عن حب الوطن والالتصاق بالقضية[504].

وأوجد المعتقلون لأنفسهم فضاءات جديدة، فعلى صعيد الموسيقى سادت موسيقى الشبابة، والمجوز، والأرغول، باعتبارها الأدوات الموسيقية الوحيدة التي كان يمكن للمعتقلين صنعها من أنابيب التمديدات الكهربائية المنتزعة من الجدران، كم كان عذباً صوت شبابة أبو علي الديراوى، ومجوز أبو سلطان، ودبكة أبو حامد الرفاتي، وأغاني محمود البرغوثي التي كانت تذكرنا بالمرحوم نصري شمس الدين[505].

وفي العام 1985م صنع الفنان الأسير عوني الخروبي الذي تواجد في سجن غزة وعسقلان ونفحة آلة الكمان الموسيقية، من طاولة الزهر، وكانت إدارة السجون تصادرها، ويقوم

(500) المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية: مرجع سابق، ص10.
(501) جهاد البطش: مرجع سابق، ص148.
(502) سامى الأخرس، كامل مسعود: مرجع سابق، ص6768 .
(503) سلمان جاد الله: أدب المواجهة،، مرجع سابق، ص97.
(504) عدنان جابر: مرجع سابق، ص177.
(505) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة :ابداعات انتصرت على القيد، مرجع سابق، ص43.

بإعادة صناعتها، وطالب الأسرى بإدخال الأدوات الموسيقية للسجون، فسمحت فقط بإدخال الكمان في سجن غزة، والعود في سجن نفحة للأسير الفنان المرحوم الخروبي، الذي علم بعض الأسرى[506] ممن تنافسوا فيما بينهم على تعلم العزف، وقام الفنان الخروبي بتلحين أشعار الأسرى التي كتبوها داخل الاعتقال وتم ترديدها في المناسبات والاحتفالات الوطنية في السجون وفي الخارج من قبل الأسرى المحررين «[507]، وهنالك من كتب القصيدة المغناة في السجن[508].

ثالثاً- سمات جمالية لأدب السجون:

يتميز أدب السجون بحيوية الانفعال، وصدق التجارب؛ كونه ينهل من مصدر المعاناة النابع منْ ثوار هانت عليهم أنفسهم فهبوا يحملونها على أكفهم ليقدِّموها أضاحي في سبيل تحذير كرامة الوطن وأهله[509].

وتميزت التجارب الأدبية بالالتزام في السجون بالالتزام بالقيم، والمبادئ، والتناغم مع القضية، في تجاوز الهم الفردي إلى الهم الجمعي والعام، "ومن أهم سمات أدب السجون:

1. العُمْق: يمتاز «أدب السجون» بعمق التعبير في الدلالة والمضمون، وفي الربط بين الفكرة والأسلوب.
2. الرمزية: غالباً ما يلجأ الكاتب إلى الرمز للتعبير عما يعتلج في حناياه.
3. التصوير الفني: كثيراً ما يلجأ الأديب إلى فرط عقود اللغة، وما حوت من جمال وجواهر، ليعيد تشكيل فكرته وشعوره في قالب لغوي جديد، فتعطيك المقطوعات الأدبية لوحات رائقة، أو مشاهد صامته، أو انعطافات على مشاهد حية مُفْعمة بالحركة.
4. البلاغة: الصناعة البلاغية رائجة الاستخدام، كالكنايات والاستعارات والتشبيهات والمجاز المرسل والمحسنات اللفظية والبديعة.
5. الاختزال: أي ضبط الفكرة التي تحتاج إلى فقرات طويلة في فقرة صغيرة.
6. العاطفة المتأججة: فلا تكاد تجد مقطوعة متكلفة المبنى أو المعنى، وإنما منسجمة في معناها ومبناها مع العاطفة التي تحكم القالب اللغوي المستخدم.
7. سعة الخيال: يلجأ الكاتب إلى الخيال في الغالب لاستعارة الصور أو الأحداث، فتتفاعل الفكرة في خياله مع صور إبداعية، بقالب لغوي خاص.

(506) كالأسير مسعود الراعي، والأسير معاذ الحنفي، والأسير خالد مناع والأسير طارق أبو زهدية وآخرين

(507) هشام عبد الرازق: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 28/9/2015.

(508) كماجد أبو شمالة، وسليم الزريعي، ومعاذ الحنفي، وأحمد الشيباني الملقب بالسنبل أو العندليب، وعرف عدد من الأسرى الذين أسعدوا الأسرى بأصواتهم الجميلة في المعتقلات كالأسير «سعيد سلمان الملقب بأبي عرب»، والأسير المرحوم نايف أبو عياش، وأكرم حسن، ورأفت حمدونة، وجمعة التايه، والمنشد المشهور رمزك العك، ونصر يتامة، وحمودة صلاح، ومصعب الهشلمون، وآخرين.

(509) مركز الأسرى للدراسات: http://alasra.ps/ar//index.php?act=post&id=2773

8. الحزن المشوب بالتحدي: فمسحة الحزن لا تكاد تفارق المقطوعات الأدبية على اختلاف موضوعاتها، حتى تلك التي أراد بها صياغة مساحة من الفرح، لا تكاد تخلو من ألم أو آهات أو دموع، فأفراحهم، أفضل ما نعبِّر عنها بالجراح الباسمة.

9. الثقافة الواسعة: حيث يهتم الأسرى بتنمية ذواتهم ومهاراتهم وقدراتهم([510]).

في نهاية المبحث يعتقد الباحث أن أدب السجون له انعكاسه الكبير والإيجابي على نفسية الأسير والواقع الاعتقالي، كونه يعبر عن ذواتهم وآمالهم وطموحاتهم الشخصية والوطنية، ويخرجهم من ضغوط الاعتقال وأجواء الكبت والقيد إلى عالم الخيال الرحب، وكان لأدب السجون الكثير من التأثير على المجتمع الفلسطيني الذي وجد فيه الصدق في المشاعر، والبعد عن الذات والمصلحة الشخصية إلى الشيء العام والمصلحة الوطنية، وأوصل للقارىء الكثير من الرمزية والتجارب الاعتقالية وتحذير المقاومين في الكثير من النواحي الأمنية والخروقات التنظيمية وتصويبها ووسائل وأساليب التحقيق والتنبيه للغامض فيها، والانتماء والتواصل في النضال حتى تحقيق الحرية.

ويجزم الباحث أن ما هو مجهول من إبداعات الأسرى الأدبية، وما تم مصادرته من قبل إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية، ومن لم يرَ النور بالطباعة بسبب القصور باتجاه أدب السجون لهو أكثر بكثير مما عرف وما نحاول ابرازه وجمعه.

وأن أدب الأسرى فيه ما ليس بغيره من مصداقية، ومعاني إنسانية، وأنه يحمل مضامين مهنية، وبلاغة إبداعية يجعله أقرب للمستمع والقارىء من غيره، واستطاع أن يلفت انتباه المهتمين والأكاديميين والنقاد العالميين على سبيل المثال لا الحصر تناولت الدكتورة نادية هارلو الأستاذة في جامعة تكساس الفن القصصي للمعتقلين الفلسطينيين، وجاء اهتمامها في إطار اهتمامها بالأدب المقاوم على مستوى عالمي، حيث جمعت في دراسة مقارنة العديد من النماذج الإبداعية التي أنتجتها أقلام مقاومة انصهرت في القضايا التحررية لشعوبها.

وليس غريباً أن يكون للأقلام الأدبية التي تعمدت في تجربة الاعتقال حصة لا بأس بها في إصدارات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، وفي الملاحق الأدبية والثقافية في الصحف والمجلات المحلية وحتى في الكتب المترجمة إلى لغات أجنبية مثل إصدار اتحاد الكتاب باللغة الانجليزية «نصوص قصة قصيرة « حيث مثل عدد المشاركين من الأدباء في هذا الإصدار الذين تخرجوا من تجربة الاعتقال «15» من أصل «44" أي ما يقارب الثلث"[511]، كما أن التجربة الثقافية والإبداعية في المعتقلات حققت إنجازات لفتت انتباه عدداً من الباحثين والدارسين والأكاديميين، على المستوى الفلسطيني والعربي والدولي[512].

(510) أحمد الرماوي: مرجع سابق، ص22.

(511) حسن عبد الله، كلمات على جدار الليل، رام الله، مركز المشرق للدراسات، 2004، ص66.

(512) ذكر منها الأستاذ حسن عبد الله في كتاب الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين:

1. Esmail Nashif, Identity Community, and Text: The Production of Meaning among Palestinian Political Captives, for the degree of Doctor of Philosophy, University of Texas at A Ustin, 2004.
2. Hadeel Alkazaz, The role of non-formal Education in Development, The Experience of Palestinian Prisoners in Israeli Prisons, for the degree of Doctor of Education, university of Leeds, 1994-1997.
3. Rabab Tmesh, Pain Violence in Palestinian War-Prisoner Narrative, for the degree of Doctor of Philosophy (under preparing) , University of Michigan.

المبحث الرابع
المسيرة التعليمية للأسرى في السجون وأبرز مظاهر الإبداع

"الحفلة انتهت" هذه عبارة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في أعقاب سياسة التضييق على الأسرى، التي بدأها بمنع الثانوية العامة، والانتساب للجامعة المفتوحة في إسرائيل في الثالث والعشرين من حزيران 2001م، الأمر الذي شكل عدواناً على المعتقلين وانتهاكاً للمادة 28 من اتفاقية جنيف الثالثة التي أكدت على تشجيع الأنشطة الذهنية والتعليمية للأسرى من قبل الدولة الحاجزة [513].

لا يقف الأمر على عدم التزام إسرائيل بتلك الاتفاقيات، بل تعدت ذلك بمحاربة وعرقلة تلك الجهود بمنع إدخال الكتب التعليمية بكل مراحلها، ورفضت توفير القاعات والصفوف الدراسية، وعاقبت من يقوم بالدروس والمحاضرات، ومنعت دخول الكتب المنهجية والمجلات والأبحاث والدراسات العلمية، ومنعت الالتحاق بأي مدارس أو جامعات أو مؤسسات تعليمية أو أكاديمية، ومنعت إيجاد معلمين من الأسرى الفلسطينيين للأشبال القاصرين، ومنعت الأدوات الدراسية والقرطاسيات والألواح، وقامت بالكثير من الخطوات التي تهدف لتجهيل الأسرى وعدم الاستفادة من أوقاتهم [514].

وبالرغم من الظروف القاسية والمضايقات المريرة في السجون، نجح الأسرى بإصرارهم وتضحياتهم ونضالهم المستمر، تدريجياً وبشكل تراكمي في تحويل السجون والمعتقلات الإسرائيلية من محنة إلى منحة يستفاد منها، ومن مدافن للرجال والطاقات، وأمكنة مظلمة، إلى قلاع ثورية مشرقة، وجعلوا من سجونهم مدارس وجامعات فكرية متعددة ومتنوعة، خرجت أجيالاً متعاقبة من المتعلمين والمثقفين ومن حفظة القرآن والمبدعين [515].

في هذا المبحث سيتناول الباحث الخطوات النضالية التي انتصرت على القيد بتحقيق الحد الأدنى من المتطلبات والاحتياجات، وصولاً للانتساب للجامعات الفلسطينية والعربية والدولية، وأشكال التعليم في السجون، بدءاً ببرامج محو الأمية حتى الحصول على الدراسات العليا، وتعلم اللغات وعلى رأسها "العبرية والإنجليزية"، وشكل الجلسات وحلقات العلم والدراسة في القرآن والعلوم الأخرى.

كثيرة هي الوسائل التعليمية التي اتبعها الأسرى في السجون تحدياً للسجان، حتى حولوا

4. Shadi Jabber, Artistic expression of the Palestinian Political Prisoners in the Israeli Prisons, for the degree of Master of Arts Therapy, European Graduate School EGS, 2003.
5. Barbara Harlow, Resistance Literature, New Yourk: Methuen inc and Methuen an co, 1987.
6. Modern Palestinian Short Stories in Translation, 44 Authors, (edited by Izzat Ghazzawi, Claire Peak) , Jerusalem: The Palestinian Writers Union, 1998.

(513) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: ابداعات انتصرت على القيد – المؤتمر السنوى الأول، مرجع سابق، ص13.

(514) مركز الميزان لحقوق الانسان: مرجع سابق، ص36 – 37.

(515) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص305 .

مفهوم السجن من بديل لحبل المشنقة إلى أكاديمية ثورية وفكرية وتربوية وتعليمية من خلالها يتم تكريس ثقافة الحق الفلسطيني في وجه الظلم الإسرائيلي، في ذلك الصراع الأشد بين الجدران والزنازين، حيث يقاتل الجسد والوعي معاً، في اشتباك فكري يومي دفاعاً عن الأمل والبقاء والحرية[516]، وعلى الصعيد التعليمي فهنالك مفاصل أساسية استطاع الأسرى تحقيق نجاحات ملفتة ومبدعة فيها ومنها:

أولاً- محو الأمية:

اعتقل في السجون الإسرائيلية ما يقارب من المليون من كل شرائح المجتمع الفلسطيني من حملة الشهادات العليا والمثقفين والأكاديميين والموظفين، ومنهم من طبقة الفلاحين والصيادين ومن رعاة الأغنام في القرى النائية والبادية ممن خرجوا من المدارس في سن مبكرة، والأطفال بعمر 14 عام وأقل، والأسيرات من ربات البيوت والقاصرات، ممن هن بحاجة للبدء معهم من المراحل الأساسية للتعليم، حتى من مرحلة محو الأمية.

ركزت اللجان الثقافية في السجون على متابعة تلك الشريحة على قلتها، وكلفت الكوادر المتعلمة[517] ذات القدرة والكفاءة بتدريسهم من خلال جلسات جانبية، واستطاعت الحركة الأسيرة أن تقضي على هذه الظاهرة من خلال التشجيع [518]، وأحياناً الإجبار للاعتماد على ذواتهم وتطويرها خلال سنوات الاعتقال الطويلة، وهكذا تحولت غرف السجون إلى صفوف دراسية وثقافية، فاهتم الأسرى بتحصيلهم الدراسي[519].

ثانياً- منجزات اعتقالية لتحصيل شهادة الثانوية:

بدأ تقديم امتحان الثانوية العامة « التوجيهي " في بعض السجون في العام 1971م، واشترطت حينها إدارة السجون أن يمضي الأسير أكثر من عام في الاعتقال، ورفضت إدارة سجن عسقلان منح الموافقة لغير العاملين في المرافق العامة لنيل الموافقة، الأمر الذي اعتبره الأسرى نوع من الابتزاز وقرروا اتخاذ موقف جماعي بمقاطعة الامتحانات[520]، وعلى صعيد الأسيرات ربطت إدارة المعتقل بين سلوك المعتقلة وبين إعطاءها الحق في تقديم امتحانات الثانوية العامة ووضعت العراقيل من أجل تعطيل الأمر [521].

---

(516) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: ابداعات انتصرت على القيد – المؤتمر السنوى الأول، مرجع سابق، ص11.

(517) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص42.

(518) وهنالك نماذج إبداعية مرت بتلك المرحلة وكان لها الأثر الكبير فى قضية الأسرى بعد التحرر أمثال مدير عام مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة فى جامعة القدس – أبو ديس الدكتور فهد أبو الحاج الذى دخل السجون أمياً، حتى حصل درجة الدكتوراة، وقال فى كلمته فى افتتاح مؤتمر إبداعات انتصرت على القيد فى الخامس والعشرين من العام 2011 « زج بى أمياً خلف القضبان، لكنى وجدت فى التجربة محركاً ودافعاً لكى استثمر سنوات الاعتقال فى تطوير إمكانياتى وقدراتى، فاستكملت كل البرامج والمقررات الدراسية، لأتخرج وألتحق بالجامعة وها أنا أنجزت رسالة الدكتوراة، وأعترف لولا تجربة الاعتقال لما تسنى لى تحقيق كل ذلك، وأقف أمامكم لأعبر عن إمتنانى لكل من علمنى حرفاً أو أبدى لى مشورة أو نصيحة فى الاعتقال.

نموذج آخر المناضلة المرحومة زكية شموط التي قامت قبل أن تُعتقل بـ 7 عمليات فدائية كبيرة كبدت اسرائيل خسائر مادية وبشرية ضخمة، من الستينات وحتى عام 1972 يوم تم اعتقالها()، التى حوكمت بالمؤبد مدى الحياة وتم الافراج عنها فى تبادل 1985م، دخلت السجن أمية ولكنها تعلمت بمساعدة رفيقاتها المناضلات فى سجن نفى تريتسا بسجن الرملة، ووصلت إلى الصف الخامس ابتدائى فى فترة وجيزة () .

ومن طرائف السجن فى برنامج محو الأمية قصة معتقل بدوى، بدأ ببرنامج التعليم من ألف باء، كان يقول له معلمه الأسير (ج) و (م)، فيقول: جم، فيتابع معه المعلم: و (م) فيقول: بطرافة بعير، ولكنه تعلم العربية والعبرية والانجليزية وعلمها للأخرين من المعتقلين.

(519) مفيد عرقوب: مرجع سابق، ص21.

(520) محمد لطفى ياسين: مرجع سابق، ص111.

(521) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص196.

ومع ذلك استطاع الأسرى والأسيرات بعد العديد من الإضرابات المفتوحة عن الطعام من انتزاع حقهم في التعليم وفقاً للنظام التعليمي خارج السجون، ونجح الآلاف منهم وحصلوا على أكثر من شهادة للثانوية العامة [522] في الفرعين « العلمي والأدبي" خلال اعتقالهم.

في السابع عشر من مارس 2009م قررت الحكومة الإسرائيلية، في سياق الجهود للإفراج عن الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط، بمناقشة عدد من الاقتراحات للتضييق على الأسرى الأمنيين المسجونين في إسرائيل، كوسيلة للضغط على حركة حماس، وتم تعيين لجنة لهذا الغرض برئاسة وزير الأمن الداخلي، ووزير الزراعة، ونائب رئيس الوزراء، على أن تقوم اللجنة بتقديم عدد من الخطوات على هذا الصعيد، كوقف الزيارات، ووقف زيارات منظمة الصليب الأحمر الدولي للأسرى الفلسطينيين حتى السماح بزيارة الصليب للجندي شاليط، ووقف تحويل الأموال لحسابات الأسرى، وتقنين المشتريات عن طريق كانتين السجن، ووقف القنوات الفضائية ووسائل الترفيه، ووقف زيارة المحامين والمؤسسات الأخرى باستثناء زيارة المحامي الخاص الموكل في القضية للأسير[523].

ومن إجراءات التضييق أوقفت إسرائيل المسيرة التعليمية في السجون وعلى رأسها منع الثانوية العامة، إلا أن الأطراف الثلاثة الرئيسية (الأسرى وهيئة شؤون الأسرى والمحررين ووزارة التربية والتعليم العالي)، وضمن منظومة متكاملة من الخطوات والإجراءات المدروسة نجحوا في تجاوز الرفض الإسرائيلي وتخطي المعيقات الموضوعية، بما لا يتعارض والنظام التعليمي في فلسطين، فاتفقوا على نظام يضمن التعليم، ومصداقية وشفافية الامتحانات برقابة مشرفين أكفاء من الأسرى في الأقسام، عبر لجنة يتم تشكيلها من قبل قيادة الأسرى مكونة من أسرى أكاديميين يحملون شهادات عليا تقدم أسماءهم وشهاداتهم هيئة شئون الأسرى والمحررين لوزارة التربية والتعليم العالي والتي تقوم باعتمادهم كلجنة امتحانات مهمتها اعداد وتجهيز الامتحانات والتصليح والمراقبة ووضع العلامات والنتائج، وترسل النتائج عبر مسؤول اللجنة داخل السجن الى هيئة شؤون الأسرى والمحررين والتي بدورها ترسل النتائج إلى التربية والتعليم للمصادقة عليها واعتمادها [524]، وبموجب هذا الاتفاق تم تقديم امتحانات الثانوية العامة في السجون التي توافر فيها المشرفون للعام 2014م، حيث من تقدم للامتحانات 1200 طالب أسير، نجح منهم 411 طالب أسير، و321 أسير لم تنطبق عليهم الشروط التي وضعتها وزارة التربية والتعليم، والباقي لم يحالفهم الحظ بالنجاح وفق مدير بنامج التعليم في هيئة شؤون الأسرى وائل السعدوني[525]، و في العام 2015م تقدم للامتحانات (962) طالب أسير نجح منهم (665) [526]، من ضمنهم 30 أسيراً من أصل 58 من أسرى قطاع غزة، وبهذا لم تتوقف المسيرة التعليمية في سجون الاحتلال الإسرائيلي منذ عقود وبقيت مستمرة رغم أنف السجان [527].

(522) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص304 .

(523) רונן יניב: אסירים ביטחוניים בבתי כלא בישראל , מרכז המחקר והמידע בכנסת , ירושלים ,2009 , עמ" 11.

(524) بسام المجدلاوى: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 19/11/2015.

(525) وائل السعدونى: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 19/7/2015.

(526) عبد الناصرعونى فروانة: مقابلة أجراها الباحث، غزة ،17/11/2015.

(527) عاطف مرعى: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 19/11/2015.

ثالثاً- خطوات نضالية تحقق طموح الدراسات الأكاديمية:

تطلع الأسرى بالكثير من الشغف والطموح لتحقيق مطلب الانتساب والتعليم في الجامعات، والحصول على شهادات تنفعهم بعد تحررهم، وتكون مادة لتحدي السجان للاستفادة من سنى اعتقالهم بالنافع المفيد، وكانوا على استعداد للدخول في أكثر المعارك شراسة مع المحتل ولو كلفهم الأمر ما كلف من أجل تحقيق هذا الطموح، وكانت المعركة الأقوى مع الاحتلال بخطوة الاضراب المفتوح عن الطعام في 27/9/1992م، والتي استغلها الأسرى لطرح قضية التعليم الجامعي والانتساب للجامعات الفلسطينية والعربية والدولية، وفي نهاية المطاف وبعد رفض قاطع من قبل إدارة السجون لمبررات واهية تتعلق بالكيفية في تنظيم الأمر، والمناهج الدراسية التحريضية من وجهة نظرهم، كان هنالك حل وسط بالسماح للأسرى الانتساب إلى الجامعة المفتوحة في إسرائيل باللغة العبرية.

1. الانتساب للجامعة المفتوحة في اسرائيل (الظروف والمعيقات):

اعتبر الأسرى طرح الالتحاق بالجامعة المفتوحة في إسرائيل بمثابة الشرط التعجيزي لعدة أسباب منها: الدراسة باللغة العبرية بشكل كامل، وتكاليف الدراسة العالية وكيفية تأمينها، بالإضافة لرفضهم المطلق للتعامل مع المؤسسات الإسرائيلية كمؤسسات عدو، ومع هذا أصر الأسرى على مواصلة مسيرتهم التعليمية بعد المشاورة مع كل القيادات داخل السجون وخارجها، كونه الخيار الوحيد أمامهم [528].

وبدأ العشرات من الأسرى بتعلم اللغة العبرية، والانتساب للجامعة التي تعارف عليها الأسرى باسم «الجامعة العبرية «، وحقق الكثيرون أعلى الدرجات، وحصل الباحث من هذه الجامعة على شهادة امتياز لعام 2001م، وتخرج بنسبة 84% في العام 2004 قبل الإفراج عنه.

ويرى الباحث أن التعلم في الجامعة المفتوحة في إسرائيل كان له الكثير من الإيجابيات، منها: دفع الأسرى جماعات لتعلم اللغة العبرية كشرط بداية، والإنجليزية كشرط نهاية، وملأ الأسرى المنتسبون أوقاتهم في الدراسة للحصول على شهادات البكالريوس والماجستير، واستطاع ما يزيد عن المئة خريج قبل المنع أن يحصلوا على شهادات قامت بتصديقها ومعادلتها وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطيني بالتعاون مع هيئة شؤون الأسرى والمحررين، بموجب اتفاق في العام 2010م، واستطاع أولئك الأسرى بعد تحررهم أن يتحولوا إلى خبراء في الشأن الإسرائيلي، ومنهم من أبدع في الكتابة والتحليل والترجمة بشهادات معتمدة من وزارة العدل، وعدد منهم أسس مراكز أبحاث مختصة بالشأن الإسرائيلي كمركز أطلس ونفحة والأسرى للدراسات والأبحاث الإسرائيلية وغيرها، ومنهم من تبوأ مراكز وظيفية عليا كالباحث الذي شغل مستشاراً لوزير شؤون الأسرى والمحررين في الشأن الإسرائيلي بدرجة مدير عام، وقدم برنامجاً إذاعياً لمدة عشر سنوات متتالية على إذاعتي القدس والأسرى من غزة باسم المشهد الآخر، وبرنامج تلفزيوني على فضائية هنا القدس باسم «إسرائيل من الداخل"، وغيره كثر،

(528) وزارة الثقافة: مجلة مدارات، قطاع غزة، فلسطين، العدد التاسع، يونيو 2013، ص97.

واستطاع الأسرى من خلال تعمقهم في دراسة المجتمع الإسرائيلي أن يقرأوا أوضاع إسرائيل العسكرية و السياسية والاقتصادية والأوضاع الاجتماعية.

ويسجل الباحث تجربته في اختيار بحث التخرج الذي أثار جدلاً مع ضابط القسم، كونه أثبت صحة موقف تمرد الطيارين الإسرائيليين على القرارات العسكرية الإسرائيلية في أعقاب استشهاد 16 طفل فلسطيني في عملية استهداف الأسير المحرر الشهيد صلاح شحادة بقطاع غزة، ورغم استهجان الإدارة لانتقاء الموضوع إلا أن الباحث أصر على اختياره، ونجح وتخرج به.

لم يرق لأجهزة الأمن هذا الحال بعد انقلاب السحر على الساحر، لأن الأسرى أبدعوا في دراستهم، وحصلوا علامات عالية فاقت علامات السجانين الذين كانوا يدرسون معهم في نفس الجامعة، فبدأت إدارة السجون الإسرائيلية في العام 2006م بوضع العقبات والعراقيل في وجه هذا المشروع للتنصل منه، كمنع الأسرى الجدد من مبدأ الانتساب للجامعات بشكل مزاجي، وعقاب الطالب الجامعي الأسير بالانقطاع عن التعليم عند أي مبرر [529].

وحددت عدد الأسرى الممكن انتسابهم للجامعة في كل سجن، وعدم انتساب أسير جديد حتى يتم تخرج أسير، ومنع الطلبة الأسرى من التعليم في تخصصات معينة كالعلوم ومن كورسات كالثورات العالمية، ومنع المشرف الجامعي من لقاء الطالب الأسير إلا مرة واحدة في الفصل، وتم سحب الكتب ولمبة الضوء عند نقل الطالب الأسير من سجن لآخر حتى يحصل على موافقة جديدة من إدارة السجن الذي ينزل إليه، وحصر دفع الرسوم التي تكفلت بها السلطة الفلسطينية عن طريق وزارة شؤون الأسرى والمحررين برقم حساب واحد للجميع الأمر الذي أوجد حالة من الإرباك والخلل في توزيع الرسوم على الطلبة وفق الحاجة، ومنعت إدارة السجون الأسرى من إدخال الكتب المساندة لدراستهم وإعداد أبحاث تخرجهم[530] "

لم تتوقف إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية عند هذا الحد من العقبات، بل أصدرت وبدعم سياسي وتحريض إعلامي إسرائيلي قراراً بمنع الأسرى من الانتساب للجامعة المفتوحة في إسرائيل في حزيران 2011م، وحينما قدم الأسرى استئنافاً للمحكمة الإسرائيلية العليا، مطالبون بالسماح لهم بالاستمرار بالتعليم الجامعي لتضررهم من المنع، كان القرار النهائي السلبي في نيسان 2014م، برفض الاستئناف، والغريب في الأمر أن رئيس المحكمة العليا الأسبق القاضي (المتقاعد) « آشر غرونيس» اعتبر أن الرفض والتمييز بين الأسرى الجنائيين والأسرى الأمنيين في التعليم، لصالح الأسرى الجنائيين هو تمييز قانوني وشرعي، وأنّ قرار سلطة السجون بالمنع

(529) الأسير المحرر عدنان الأفندى: مقابلة أجراها الباحث، بيت لحم، فلسطين، 10/10/2015.
(530) الأسير المحرر توفيق أبو نعيم : مقابلة أجراها الباحث، غزة، 10/12/2014.

الجارف لتعليم الأسرى الفلسطينيين المسجونين على خلفية سياسية هو قرار تناسبي ومعقول، الأمر الذي وجد احتجاجات وخطوات كثيرة [531].

حينها لم يكن بد أمام الأسرى إلا أن يبحثوا عن البديل، كون أن التفكير في التعليم الجامعي والحصول على الشهادات يعد من أولى أولويات الأسرى في السجون، ولربما فاق تفكيرهم في الطعام والشراب.

2. الجامعات الفلسطينية رداً على المعيقات الاسرائيلية:

اهتم المعتقلون مبكراً بالدراسة الجامعية، وحاولوا الوصول إلى معادلة تتيح لهم فرصة الدراسة، ووافقت إدارة المعتقل على هذه الرغبة، واستعدت جامعة بئرزيت الفلسطينية بتبنى الأمر والإشراف على الانتساب، وتسلم المعتقلون طلبات امتحان القبول، ودفع بعضهم رسوم دخول الجامعة، إلا أن السلطات عادت وتراجعت عن موافقتها وطوت المسألة [532].

في أعقاب رفض إدارة مصلحة السجون لفكرة الانتساب للجامعات الفلسطينية، كونها تدرك أنه لو فتح المجال للأسرى للانتساب للجامعات العربية والفلسطينية نسبة كبيرة من الأسرى سيحولون السجن لمنحة تعليمية يتسلح بمقتضاها بالشهادات الأكاديمية التي ستمنحه الكثير من الوعي وضمان المستقبل بعد التحرر وتوفير الحياة الكريمة [533]، فمع حرمان الأسرى من التعليم بالجامعات عموماً حتى الجامعة المفتوحة في إسرائيل، بحث الأسرى عن بدائل سرية من غير موافقة إدارة مصلحة السجون للانتساب للجامعات الفلسطينية، وبعد الكثير من المراسلات وافقت بعض الجامعات والكليات على دراسة الأسرى شريطة إيجاد نظام داخلي في السجون يضمن شفافية ومصداقية التعليم تحت إشراف عدد من الأسرى من حملة الشهادات العليا.

القفزة النوعية في التعليم الجامعي يوم أن استطاع الأسرى إدخال المقررات الدراسية، ويوم أن حصل الأسرى على أرقامهم الجامعية، وتمتعوا بحقوق الطالب الفلسطيني خارج السجون، شعرنا بالجدية حينما خصمت العلامات عن المتغيبين في المحاضرات، والمقصرين بدراستهم في الامتحانات [534].

كانت العملية التعليمية شاقة في السجون، حيث أنها بدأت بتدريس بعض المساقات في تخصصات محددة في الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية بغزة، واشترطت الكلية للموافقة على

(531) في أعقاب استمرار المنع صدر بيان في 7/1/2013 باسم عشرات الأكاديميين من هيئة التدريس في الجامعة المفتوحة والمؤسسات الحقوقية والتعليمية في اسرائيل قالوا فيه « نحن أعضاء هيئة التدريس والعاملين في الجامعة المفتوحة في إسرائيل، نسجل احتجاجنا على قرار المحكمة الإسرائيلية العليا برئاسة القاضي السابق أهرون براك والذى حرم الأسرى الأمنيين الفلسطينيين من ممارسة حقهم في التعليم الجامعى كضغط على حركة حماس للإفراج عن شاليط، ومع أن شاليط تم الإفراج عنه في صفقة 2011، إلا أن الخطوات التى اتخذت لأجل ذلك لازالت مستمرة رغم الإفراج عنه، نطالب بعودة التعليم للأسرى كجزء من رسالة الجامعة التى لا تضع شروطاً للانتساب لها بغض النظر عن العرق، والدين، والجنس والقومية.

(532) محمد لطفى ياسين: مرجع سابق، ص112.

(533) الأسير المحرر أحمد أبو طه : مقابلة أجراها الباحث، 19/11/2015، غزة.

(534) أحمد محى الدين حرز الله : مقابلة أجراها الباحث، 19/11/2015، غزة.

البرنامج وجود مشرفين من الأسرى يحملون درجة البكالريوس فما فوق، واعتمد الأسرى النسخ للكتب بسبب وجود نسخ محدودة وأعداد كثيرة من المنتسبين للبرنامج، الأمر الذي جعل الأسير ينسخ بيديه ما يقارب من الثمانية كتاب من المقررات، وبعدما حصل الأسرى على الدبلوم انصب اهتمام الأسرى للبحث عن جامعة فلسطينية أخرى تمنح شهادة البكالوريوس، وبالفعل وافقت جامعة الأقصى على المشروع الذي كان بمثابة تحد للسجان [535].

واستطاع عدد كبير من الأسرى الحصول على شهادة البكاريوس من جامعة الأقصى التي احتفلت في نهاية أغسطس 2015م بتخريج الفوج الحادي والعشرين من طلابها تحت شعار» فوج الأسرى والمسرى»، حيث كان من ضمن الطلبة الخريجين قرابة 256 أسير من بينهم محررين، وآخرين مازالوا داخل المعتقلات، وتزين حفل التخرج بصور الأسرى الذين تحدوا الصعاب وحصدوا أفضل الدرجات العليا [536].

لم يكتف الأسرى بالحصول على شهادة البكالوريوس بل سعوا للحصول على الدراسات العليا، ووافقت جامعة القدس أبو ديس على الانتساب لها تحت إشراف الدكتور النائب مروان البرغوثي المتواجد في سجن هداريم، وتخرج عدد منهم على يديه[537]، وفي العام 2015م كانت هنالك اتفاقية ما بين هيئة شؤون الأسرى والمحررين وجامعة القدس المفتوحة لفتح شعب دراسية في السجون في عدد من التخصصات « كالخدمة الاجتماعية، واللغة العربية، والتربية الإسلامية « بشرط وجود لجنة مكونة من خمسة مشرفين من حملة الماجستير والدكتوراة في الأقسام[538]، بدأت هذه التجربة في سجن هداريم لعدة اعتبارات « توافر الطاقم الأكاديمي، إقبال شديد من الأسرى على التعليم بسبب المحكوميات العالية، قلة التنقلات قياساً بالسجون الأخرى، المسؤولية والجدية والشفافية في التعامل مع الملف « الأمر الذي لم يتوافر في سجون أخرى بسبب التوترات المتعافبة كسجن ريمون، وكلما توافرت الشروط سيتم البدء بالبرنامج لأي سجن أو معتقل جديد، وذلك لتحقيق طموح الأسرى من جانب، والقيام بالواجب الوطني من قبل الجامعة باتجاههم من الجانب الآخر [539]

3. الجامعات العربية والدولية:

استطاع عدد من الأسرى تحقيق بعض الإنجازات على صعيد التعليم بمراسلة الجامعات العربية والدولية، وذلك بعد حملة مراسلات معتمداً على مساعدة الأهل والمحامين والمؤسسات الحقوقية المختلفة، حتى تجاوبت معهم بعض الجامعات العربية والدولية، وقدر

(535) الأسير المحرر رائد خالد غباين: مقابلة أجراها الباحث، 19/8/2015، غزة.

(536) موقع دنيا الوطن: http://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2015/08/30/767673.html

(537) أمثال الأسير: إسلام صالح جرار من مدينة جنين شمال الضفة الغربية، والأسير محمود ابو سرور من بيت لحم، والأسير عبد الناصر عيسى وجميعهم من برنامج الدراسات الإقليمية تخصصدراسات إسرائيلية()، والأسير رشيد نضال صبري الذى أنهى رسالة الماجستير من جامعة بيرزيت وهو ق معتقل عوفر، وكانت رسالته في إدارة الأعمال بعنوان « إدارة الجودة في الصناعات الفلسطينية للبرمجيات»، والأسير طارق عبد الكريم فياض الذى ناقش رسالة الماجستير من جامعة القدس ابو ديس، وكانت رسالته حول « تأثير الانتفاضة على الاقتصاد الإسرائيلي» ()، والأسير وائل عبد الله طحاينة تمكن ق العام 2004 من مناقشة رسالة الماجستير من معتقل عوفر مع جامعة النجاح الوطنية الفلسطينية وغيرهم كثر.

(538) مسئول برنامج التعليم ق هيئة الأسرى وائل السعدونى: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 19/7/2015.

(539) الدكتور جهاد البطش نائب رئيس جامعة القدس المفتوحة: مقابلة أجراها الباحث، 19/8/2015، غزة.

لرسائلهم أن تولد في الخفاء [540]كما عاشت سنوات في طي الكتمان بسبب محاربة إدارة السجون لتلك الظاهرة، وتمت مناقشة الرسائل عبر الهواتف النقالة المهربة [541].

4. البحث العلمى:

لم ينشط البحث العلمي في السنوات الأولى للاعتقال لعدة أسباب منها:

أ- وجود أولويات واهتمامات لدى المعتقلين كبناء المجتمع الاعتقالي الصحي.

ب- عدم توافر الكوادر المدربة على البحث، والتركيز على الثقافة العامة دون البحث والتدقيق.

ج- مجال الحياة في الاعتقال ضيق بحيث لا تتعدى النواحي التي يمكن أن تبحث علمياً[542].

د- عدم توافر مكتبات علمية عامة واسعة في بدايات الاعتقال.

ه- بقاء الوعي السياسي بعمقه الأيدلوجي مسيطراً، لأنه كان نمطاً لتربية المعتقل.

و- انشغال الكوادر الأكثر وعياً بالمهام التنظيمية التي خصصت معظم وقتها في العمل التنظيمي.

ز- عدم اقتناع المعتقلين بالاقتباس الأكاديمي كأسس للبحث، والنظر إليه كشيء من الضعف[543].

ويرى الباحث أن هذا الأمر تغير في أعقاب الانتفاضات وخاصة انتفاضة 2000م في أعقاب اعتقال الكفاءات العلمية والأكاديمية، والكوادر التنظيمية، والسماح بإدخال الكتب، والسماح بالجامعة المفتوحة في إسرائيل، والجامعات الأخرى بشكل غير رسمي، ومشاهدة الفضائيات ومتابعة المتغيرات وخاصة السياسية.

فركز عدد كبير من المعتقلين على البحث العلمي وطبع الكثير منها في مجالات منوعة في مجال الاعتقال والقانون الدولي، والديمقراطية، والمتغيرات السياسية ومستقبل المنطقة، وفي

(540) وحصل الأسير ناصر عبد الله عبد الجواد من بلدة دير بلوط قرب نابلس على شهادة الدكتوراة الجامعة الأمريكية المفتوحة فى واشنطن، وكانت رسالته بعنوان « نظرية التسامح مع غير المسلمين فى المجتمع المسلم « فى العام 1997 م، وحصل الأسير القائد مروان البرغوثى على درجة الدكتوراة في العلوم السياسية بتاريخ 16/3/2010، من معهد البحوث والدراسات العربية التابع للجامعة العربية في القاهرة، وترأس لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور أحمد يوسف عميد المعهد وأستاذ العلوم السياسية، والأستاذة الدكتورة نيفين مسعد، والأستاذ الدكتور علي الجرباوي، والتى كانت بعنوان « الأداء التشريعي والرقابي والسياسي للمجلس التشريعي الفلسطيني وإسهامه في العملية الديمقراطية في فلسطين 2008-1996».

وحصل كلاً من الأسيرين إياد أبو خيزران و قاسم عواد على شهادة البكالوريوس من جامعة العالم الأمريكية عام 2010، وحصل الأسير عبد الحافظ سعدى غيظان على شهادة الدكتوراة في الإدارة العامة من جامعة العالم بالتنسيق مع جامعة بئر زيت بشهر فى أيلول لعام 2010, وحصل الأسير حاتم قفيشة على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة العالم الأمريكية بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف على رسالته التى كانت بعنوان «تآكل قوة الردع الإسرائيلية»، وقد أتم إعدادها داخل معتقل النقب الصحراوي.

(541) ابراهيم أبو الهيجا: المنسيون فى غياهب الاعتقال الصهيونى، مصر، الجيزة، مركز الاعلام العربى، 2004: ص155.

(542) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص181.

(543) المركز الفلسطينى لقضايا السلام والديمقراطية، مرجع سابق، ص18.

الأفكار والبرامج والحركات الوطنية والإسلامية والقضية الفلسطينية، وفي الشأن الإسرائيلي، والأمن، والمنظومة الدولية، وفي شروط النهضة والحضارة وغير ذلك من المجالات.

ثالثاً- تعلم اللغات:

تميز المعتقلون باهتمامهم الكبير في تعلم اللغات وخاصة العبرية التي كانت مفتاح للانتساب للجامعة المفتوحة في إسرائيل، وقراءة المجتمع الإسرائيلى من خلال وسائل الإعلام المتوافرة بشدة لعدم منع الفضائيات العبرية، وقوة البث الإذاعي للقنوات العبرية وخاصة أثناء التغطيات للأحداث الميدانية والعمليات العسكرية وما يخصهم في المفاوضات السياسية، ولوجود الصحف العبرية وإمكانية الاشتراك بها، وهنالك ثلاثة عوامل جعلت المعتقلين الفلسطينيين أكثر اهتماماً بتعلم اللغات عامة في المعتقلات وهي:

الأول: تبلور الحركة الثقافية والفكرية، وبروز وعي لدي المعتقلين بأهمية تعلم اللغات، لأنها تشكل جسراً نحو الاستفادة مما وصل إليه وحصَّله الآخرون، وهذا ما يفسر حماس الكثير من المعتقلين لتعلم اللغة الانجليزية والفرنسية والأسبانية وحتى الروسية.

الثاني: هذا العامل ارتبط باللغة العبرية والذي جاء استجابة للحاجة ومتطلبات الواقع، أي لمعرفة ما يدور حولهم، وكذلك لمخاطبة الإدارة والسجان، وتقديم المطالب وغير ذلك من حاجات يومية.

الثالث: هو مركب بين ما هو نضالي وما هو معرفي، وتمثل في السعي للتعرف على العدو، وتفحص بواطن قوته وضعفه بغية أخذ ذلك بالحسبان لدى صياغة البرامج والتوجهات النضالية [544].

لذا نجد الكثير من الأسرى يتقنون اللغة العبرية[545]، ووجد الباحث عدداً كبيراً من المعتقلين توجهوا أيضاً لدراسة اللغة الانجليزية لعدة أسباب:

1. توافر الكتب التعليمية من خلال الصليب الأحمر والأهالي.
2. عدد كبير من الأسرى من يملك الأرضية للتعليم الذاتي للغة الانجليزية بسبب دراستهم لها في المدارس والجامعات.
3. توافر المدرسين من حملة الشهادات والأكاديميين ممن يتقنون اللغة الانجليزية.
4. الحالة التنافسية في تعلم اللغات بين الأسرى.
5. إجبار طلبة الجامعة المفتوحة في اسرائيل على اجتياز خمسة مستويات كشرط لتسجيل الكورسات المتقدمة الأربعة قبيل التخرج.

(544) حسن عبد الله: الصحافة العبرية فى تجربة المعتقلين الفلسطينيين، مرجع سابق، ص54.
(545) عدنان جابر: مرجع سابق، ص173.

6. كانت لغة المؤسسات الدولية والحقوقية أثناء زياراتهم للسجون للاطلاع على أحوالها كالصليب الأحمر الدولي.

وهنالك عدد قليل من الأسرى الذين تعلموا اللغة الفرنسية من أسرى التحقوا بالثورة الفلسطينية وعاشوا في دول المغرب العربي وخاصة الجزائر، وآخرون تعلموا الروسية من طلبة اعتقلوا خلال عودتهم من روسيا ودول شرق أوروبا، وآخرون تعلموا لغات متفرقة[546]، وكان لأسرى الداخل المحتل الفضل الكبير في تعليم الأسرى اللغة العبرية، كونهم تعلموها في المدارس، واختلطوا بالمجتمع الإسرائيلي قبل الاعتقال، ومع مر سنين الاعتقال توافر عدد كبير من المعلمين الأسرى وخاصة القدامى ممن لا حصر لهم في تعليم اللغة العبرية في السجون.

لقد وسَّع تعلم اللغات اطلاع المعتقلين، ونوَّع تجاربهم، وزاد مصادر معلوماتهم، وفتح قنوات أخرى لكسر الحصار عنهم، ما يبرهن أن المعتقلين الفلسطينيين والعرب كان لديهم إصرار نادر على استثمار الوقت خلف القضبان، فيما هو مفيد ونافع، وتشكل اللغات صورة إيجابية من صور كثيرة في تجربة المعتقلين بعضها وثق كتابياً، والكثير منها لم يوثق، من هنا فإن الاهتمام باللغات وتعلمها وتناولها من مناضل متعلم إلى مناضل تلميذ، هي شكل إبداعي، جعلت من تعلم اللغات وسيلة للاطلاع على ثقافات الشعوب الأخرى [547].

رابعاً- تعلم القرآن الكريم وأحكامه وحفظه:

اهتم الأسرى في السجون بالجانب الروحاني والعبادات، لأن طبيعة الإنسان أي كان دينه وجنسه يكون أقرب إلى الله في الضيق من أي وقت مضى، فيكثر الأسير من الصلاة والصيام والتسبيح والعبادات في الزنازين والمعتقلات، واعتنى الأسرى بقراءة القرآن الكريم وتعلموا من خلال الجلسات اليومية وخاصة في أقسام الجماعة الإسلامية أحكام التلاوة والتجويد، وهنالك أعداد كبيرة من الأسرى من حفظوا القرآن عن ظهر قلب.

فتعلم القرآن الكريم شكل مادةً للصبر وقت العسر للأسرى، وزاد للتزود منه خلف القضبان، فكان المحطة التي استراح في ظلها الأسرى عند اشتداد الكرب، ووجدوا في كنفه ما يقوي عزائمهم لحظة التعب والضعف[548].

---

(546) على سبيل المثال لا الحصر المناضلة « عايدة سعد « تعلمت اللغة العبرية في السجن منذ السبعينات ودرستها لغيرها من الفتيات المناضلات، وأخريات علمن المناضلات العبرية كالأسيرة لينا الجربوني، وآمنة منى، وأسيرات انتسبن للجامعة المفتوحة في اسرائيل كالأسرى.

(547) حسن عبد الله: الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين، مرجع سابق، ص55.

(548) لم يقتصر حفظ القرآن على أسرى فصائل المقاومة الإسلامية (الجهاد الإسلامي وحماس)، بل هنالك عدد كبير من أسرى حركة فتح ممن حفظوا القرآن وكتبوه بخط اليد ليثبّتوه، والأسير إبراهيم البيادسة اعتقل رفيقاً في تنظيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ومحكوماً بالمؤبد لمدى الحياة وتمكن من حفظ القرآن كاملاً أثناء الاعتقال.

الأسير المحرر مصعب البريم قال: كنا نهرب إلى القرآن الكريم لنحيا بمعيته قبل أن يقتلنا الوقت والسجان وظلمة الاعتقال، فوجدنا فيه خير أنيس، كوننا كنا في أجواء محنة وعذاب وقهر، وبيئة معقدة التركيب تحتاج لاستراحات روحانية، والوقت منحنا القدرة على التنافس على حفظه، واللجان الثقافية أفرزت جزء من ميزانيتها لتشجيع وتحفيز الأسرى على ذلك، مما جعل الأسرى يحفظون سور لا تقل عن حزب وأكثر في اليوم الواحد، والأسرى تمكنوا من حفظ القرآن ما بين عام إلى عامين، وجمع سجن نفحة ما يقارب من الأربعين حافظاً للقرآن الكريم، ومثيل ذلك العدد « أقل أو أكثر « في سجون ومعتقلات أخرى، ودخل علم السند المتصل عن النبي صلى الله عليه وسلم لحفظة القرآن إلى السجون بوجود الشيخ الدكتور عيد دحادحة في العام 2008 في سجن رِيمون ومن ثم انتشر إلى باقي السجون، وتلقى عدد من الأسرى على يديه وتلاميذه الشهادات المصدقة من وزارة الأوقاف.

ونظم الأسرى عملية تحفيظ القرآن الكريم في السجون لمنحهم الشهادات التأهيلية والمتقدمة في أحكام التلاوة والتجويد بالتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الدينية الفلسطينية، وكونت لجان للامتحانات ومشرفين في كل قسم، ومجموعات للتحفيظ وفق مستوى الأسرى سميت بالتأسيسية للمبتدئين ومتقدمة وتأهيلية للجاهزين لتقديم الامتحانات النهائية، وتم تقديم الشهادات التي اعتز بها الأسرى وذووهم في احتفالات عامة لتكريمهم.

في نهاية المبحث يؤكد الباحث أن الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة أولت أهمية كبيرة لتعليم الأسرى في السجون لكل المراحل وجميع المستويات، فالتّعليم في ثقافة الأسرى يعد الحاضنة الأولى للإبداع على كافّة الصعد " الاجتماعيّة والثقافيّة والاقتصاديّة والعسكريّة " وفي كافة المجالات الأخرى، فهو أحد أشكال المقاومة التي تصقل قدرة المناضل لمواجهة السياسيات التجهيلية نحوه، فالتعليم والتوسع في المعارف والثقافات لدى المعتقلين يعدوا أهم الأسلحة بعد الاعتقال، فاهتمام الأسرى بالتعليم يشغل وقت المعتقلين بالمنفعة في الكثير من الجوانب التربوية والتنموية، وفي الاطلاع على الحضارات والثقافات والتجارب النضالية العالمية، والالتحاق بعد التحرر بالجامعات للحصول على الشهادات في الدراسات العليا، ويضمن مستقبل المعتقل على صعيد العمل والمكانة الاجتماعية والتنظيمة.

في نهاية الفصل ويعتقد الباحث أن كل مخططات إدارة مصلحة السجون تحطمت على صخرة العلم والوعي والثقافة التي تسلح بها الأسرى منذ لحظة الاعتقال، وفشلت في تحويلهم إلى عبء يثقل كاهل المجتمع بعد تحريرهم، واستطاع عموم الأسرى أن يبنوا ذواتهم ثقافياً وأكاديمياً، وخرجوا من السجون والمعتقلات كوادر تنظيمية تملك تجربة نضالية واعتقالية أكثر من ذي قبل، وقادة سياسيين وعسكريين فهموا حقيقة عدوهم بأكثر وعي وحكمة ودراية وعمق، وشاركوا في مجتمعاتهم كخبراء ومختصين، وكتاب وأدباء وصحفيين، فانخرطوا في المؤسسات الرسمية والأهلية والفصائل الوطنية، قادة ومفكرين، وأمناء لتنظيماتهم وأعضاء مجلس وطني ووزراء حكوميين.

ولابد من الإشارة أنه لم يقصد من خلال هذا الفصل القول بأن كل المعتقلين على الإطلاق يخرجون من المعتقل بذات المستوى من الكفاءة الثقافية، والقدرة الإبداعية، والمكانات العلمية والأكاديمية، فهنالك من رغبوا عن المشاركة الفعالة بنفس الهمة، ولكن بالعموم خرَّجت المعتقلات أناساً قادرين ومبدعين ساهموا في عملية النضال الفلسطيني في مختلف المجالات وعلى كل المستويات [549].

في الفصل القادم سيتناول الباحث بعض الظواهر الإبداعية في السجون والمعتقلات الإسرائيلية، كالإضرابات المفتوحة عن الطعام لتحقيق الحقوق، والظاهرة الإنسانية المستجدة بالإنجاب عن طريق النطف المهربة، ودور الأسرى في محاولات إنهاء الانقسام الفلسطيني، والتجربة الديمقراطية الاعتقالية.

(549) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص198.

الفصل الرابع
من مظاهر الإبداع في السجون

الفصل الرابع
من مظاهر الإبداع في السجون

كثيرة هى مظاهر إبداع الأسرى في السجون، على صعيد إنجازاتهم الشخصية، وبلورة المواقف والخطوات النضالية، والتجارب الاعتقالية في مواجهة السجان، والتمكن في أعقاب عملية مواجهة ممتدة وطويلة وصعبة وعنيدة من فرض نظام داخلي يتمتع بحد أدنى من الإدارة الذاتية [550] وعملية الدفاع عن الذات والجماعة والتراث الاعتقالي، ومن مظاهر الإبداع تخريج القادة، المتمتعون بالخيال الواسع، وعدم الاستسلام للمشكلات، والتحلي بالصبر للوصول إلى الحلول بأقل التكلفة وأقل الإمكانيات، قادة يتمتعون بالانضباط الذاتي، و يميلون للاستشارة في اتخاذ القرار، ومتقبلون للنقد الذاتي والبناء عليه للوصول إلى الأفضل، متصفون بالعقل المفتوح، والتحلي بالمرونة والاتصاف بالحساسية المطلوبة نحو المشكلات، والقدرة على توليد الأفكار الجديدة، والحزم والقدرة على السيطرة والتوجيه والإشراف، والتميز بالمثابرة وتحمل المسؤولية، وعدم الاستسلام لإدارة مصلحة السجون الإسرائيلية ومخططاتها القمعية وسياساتها العنصرية، والقدرة على التكيف مع المحيط والتقلبات رغم التنقلات وكثرة المتغيرات، والتطلع بنظرة تفاؤلية للمستقبل، والقراءة الجيدة للماضي، وأخذ العبرة من التجارب السابقة، وقراءة واعية للواقع، واستشراف للمستقبل مع اليقين بالنصر والحرية، وجميعها مواصفات للشخصية المبدعة [551].

في هذا الفصل سيتناول الباحث أربعة مباحث تعتبر جزءاً من مظاهر الإبداع للأسرى داخل السجون، أولها، مسيرة الإضرابات المفتوحة عن الطعام والتي بلغت ذروتها قياساً بحركات التحرر العالمية، وثانيهما، أسطورة الإنجاب من داخل الاعتقال كثورة إنسانية في وجه السجان، وثالثهما، الدور الوطني والتدخلات من قلب المعتقلات لفض النزاعات وحالة الانقسام الفلسطيني بوثيقة الأسرى، ورابعهما، ممارسة الديمقراطية من حيث الفهم والوعي بالمبادىء، والتطبيق لها في مجتمع اعتقالي مصغر أقرب إلى المدينة الفاضلة.

(550) زاهى وهبى: مرجع سابق، ص131.

(551) أنظر: د وليد العياصرة: مرجع سابق، ص135.

dinca.m.(1993) .personality traits as interface between the creative potential and creativity.Revue romance do psychologies,vol.37(2) ,PP 145-152.

Elder,linda and Paul ,Richard(2001) .Critical thanking: Thanking to some purpose.journal of developmental Education ,25(1) ,PP 40-42.

Olson ,J.(1999.What academic librarians, librarisanship should know about creative thanking journal of academic , librarisanship ,25.(5) .PP383-390.

Richard, T. 1990. Creativity and problem solving at work.England gower company limited.

Schank , G(1993) .Effects of A creative problem solving curriculum on students of varying Ability levels. Gifted Quartelrly ,vol.37,no.1.PP.32-38.

المبحث الأول
الإضرابات المفتوحة عن الطعام لتحقيق الحقوق

من مظاهر إبداع الأسرى في السجون « القدرة على قراءة الواقع « من حيث حاجة الأسرى للمطالب والحقوق، ودراسة أوضاعهم من حيث القوة والضعف، والتعمق في النظر للواقع الإسرائيلي من حيث شكل الحكومة وائتلافها وشخصية وزير الأمن الداخلي المسؤول عن إدارة مصلحة السجون والمسؤول عنها، والأوضاع الفلسطينية ومكانة الأسرى ضمن أولوياتها في ظل زحمة الأحداث والهموم، ومراقبة الأوضاع العربية والعالمية، والحكمة في اختيار الظرف والتوقيت المناسبين، ودراسة جميع البدائل وفق الإمكانيات المتاحة، والأهم اختيار وسيلة النضال الأكثر تأثير وأقل تكلفة وأكثر ملائمة في مواجهة السجان.

ولقد استخدم الأسرى الكثير من الوسائل النضالية « العنيفة والسلمية، التكتيكية والاستراتيجية « لتحقيق حقوقهم الأساسية والإنسانية، واعتمدوا طريقة النضال السلمي كأحد وسائل النضال المؤثر من خلال الإضرابات المفتوحة عن الطعام، تلك الوسيلة التي تعد امتداداً لأحد أشكال النضال العالمي في وجه الطغاة، فالنضال السلمي يعود امتداده إلى قرون طويلة ما قبل الميلاد، وقد تكون أوّل حركة احتجاجيّة سلميّة مؤرّخة تعود إلى عام 494 قبل الميلاد، حين حجب العامة التعاون عن أسيادهم النبلاء الرومان، تلك الحركة التي افتتحت عصراً جديداً من المواجهة السلميّة مع السلطات، وحديثاً فالتاريخ حافل بالثورات والحركات الاحتجاجيّة السلميّة التي راكمت تجربة إنسانيّة هائلة لمقاومة القهر، والظلم والاحتلال[552].

فالنضال السلمي من خلال العديد من الوسائل وعلى رأسها « الإضرابات المفتوحة عن الطعام « أثبتت نجاعتها وقدرتها على التأثير وتحصيل الحقوق، وفي إبراز قضية الأسرى إعلامياً على المستوى العربي والدولي، وإدانة سلطة الاحتلال قانونياً، كونها تتجاوز الاتفاقيات والمواثيق الدولية، والقانون الدولي الإنساني بمعاملتها السيئة مع المعتقلين، وعملت على الالتفاف حول قضيتهم فلسطينياً وعربياً ودولياً.

في هذا المبحث سيتناول الباحث وسيلة الإضراب المفتوح عن الطعام كأحد أشكال مقاومة الأسرى، وسيتطرق إلى ظروفه وتوقيته، وأنواعه، والخطوات التمهيدية التي تسبقه في الإعداد والتحضير كأسباب لنجاحه.

(552) هاني نعيم: النضال اللاعنفي – الطريق إلى الحرية، لبنان، بيروت، منشورات هنيبعل، 2012، ص5.

أولاً– الإضراب المفتوح عن الطعام (التعريف، والجذور، والأنواع):

1.تعريف الإضراب المفتوح عن الطعام:

الإضراب المفتوح عن الطعام أو ما يعرف بـ «معركة الأمعاء الخاوية أو المعركة الاستراتيجية في السجون « هو امتناع المعتقل عن تناول كافة أصناف وأشكال المواد الغذائية الموجودة في متناول الأسرى باستثناء الماء وقليل من الملح (553)، وتعتبر هذه الخطوة الأخطر والأقسى التي يلجأ إليها المعتقلون لما يترتب عليها من مخاطر جسيمة – جسدية ونفسية- وصلت في بعض الأحيان إلى استشهاد عدد منهم، ويلجأ الأسرى إلى مثل هذه الخطوة بعد نفاذ كافة الخطوات النضالية التكتيكية الأخرى، وعدم الاستجابة لمطالبهم عبر الحوار المفتوح بين السلطات الاحتلالية، واللجنة النضالية التي تمثل المعتقلين، حيث أن الأسرى يعتبرون الإضراب المفتوح عن الطعام، وسيلة لتحقيق هدف وليس غاية بحد ذاتها، كما تعتبر أكثر الأساليب النضالية السلمية وأهمها، من حيث الفعالية والتأثير على إدارة المعتقلات والسلطات والرأي العام لتحقيق مطالبهم، كما أنها تبقى أولاً وأخيراً معركة إرادة وعزيمة وتصميم(554)، وهنالك أنواع من الإضرابات وفق الأهداف، كالإضرابات الاحتجاجية، والتضامنية، والمطلبية، والسياسية (555)،

(554) يعد الإضراب المفتوح عن الطعام من الوسائل السلمية الإحتجاجية منذ قديم الزمان، فلقد أُستخدم في إيرلندا ما قبل المسيحية، حيث كانت تعرف باسم «troscadh» أو «Cealachan» وكانت توجد قواعد محددة للإضراب عن الطعام في ذاك الوقت، وفي كثير من الأحيان يكون الإضراب عن الطعام أمام منزل الجاني، ويعتقد العلماء أن الإضراب أمام منزل الجاني يرجع إلى الأهمية العالية في حسن الضيافة آنذاك، حيث يعتبر السماح للشخصالمضرب عن الطعام بالموت أمام المنزل عار كبير لصاحب هذا المنزل، ويقول آخرون أن هذا الإضراب يكون فقط لليلة واحدة، حيث لا يوجد أي دليل في إيرلندا يدل على موت المضربين عن الطعام، وكان الهدف الأول للإضراب عن الطعام في ذاك الوقت استرداد الديون أو الحصول على العدالة، وتوجد أساطير لـ سانت باتريك قديس أيرلندا تقول بأنه استخدم الإضراب عن الطعام.

أما في الهند، فقد ألغت الحكومة الهندية عام 1861 ممارسة الإضراب عن الطعام من أجل الحصول على العدالة أمام باب الطرف المخالف (عادة المدين)، وهذا يدل على انتشار هذه الممارسة قبل ذلك التاريخ أو على الأقل الوعي العام بها، وهذه الممارسة الهندية قديمة وتعود إلى نحو 400 إلى 750 قبل الميلاد.

وأكثر من اشتهر بالمقاومة السلمية "المهاتما غاندي" الذى سجن مرات لدى الحكومة البريطانية وبسبب مكانته العالمية فقد كرهت الحكومة البريطانية أن يموت وهو في عهدتها، وذلك خوفاً من تأثر سمعتها بهذا الحدث، وشارك "غاندي" في العديد من أحداث الإضراب عن الطعام وذلك احتجاجاً على الحكم البريطاني في الهند وتبعه الكثير من المناضلين الهنود في استخدام هذه الوسيلة النضالية، وخاضت المُطالبات بحق اقتراع المرأة في مطلع القرن العشرين إضراباً عن الطعام في السجون البريطانية، وكانت "ماريون دونلوب" أول من بدأت الإضراب عن الطعام في العام 1909، وقد توفيت كل من "ماري كلارك" و"جين هيوارت" و"كاثرين فراي" وغيرهن نتيجة لما تعرضن له من إطعام قسري بالقوة، وقد استخدمت المُطالبات الأمريكيّات بحق الاقتراع للمرأة أيضاً بهذه الطريقة من الإحتجاج السياسي أسوة بنظيراتهن البريطانيات.

وقد تجذرت ثقافة الإضراب المفتوح عن الطعام بعمق في المجتمع الإيرلندي والفلسطيني، فقد استخدم الجمهوريون الإيرلنديون هذه الطريقة منذ العام 1917 وأيضاً خلال الحرب الإنجليزية-الإيرلندية في العقد الثاني من القرن الماضي، وأول إضراب عن الطعام قام به الجمهوريون قابله البريطانيون بالإطعام القسري، والذي تصاعد في العام 1917 ووصل ذروته باستشهاد "توماس آش" في سجن "مونتجوي"، وبعد نهاية الحرب الأهلية الإيرلندية في أكتوبر من العام 1923 دخل ما يقرب من 8000 سجين من الجيش الجمهوري الإيرلندي في إضراب عن الطعام احتجاجاً على استمرار دولة إيرلندا الحرة في اعتقالهم، وقد لجأ الجيش الجمهوري الإيرلندي المؤقت لهذه الطريقة مجدداً في مطلع سبعينيات القرن الماضي، وفي العام 1981م توفي عدد منهم في تلك الإضرابات كان أشهرهم « بوبي ساندز « الذى توفى نتيجة الاضرابات فى 5 مايو/ آيار 1981م.

واستخدم أيضاً تلك الوسيلة السلمية « الكوبيون « ففي إبريل من العام 1972 قام المنشق السياسي والشاعر المسجون " بيدرو لويس بوايتيل " بإعلان إضرابه عن الطعام، حيث عاش ما يقارب 53 يوماً على السوائل فقط، مما أدى إلى وفاته في 25 مايو/ آيار 1972، واشتهرت العديد من الحركات الثورية التى ناضلت ضد الاستعمار وسلطات الاحتلال باستخدام هذه الوسيلة النضالية كجنوب أفريقيا، ومثل الإضراب المفتوح عن الطعام أكثر صور الإحتجاج الفلسطيني فى السجون الإسرائيلية، وكانت أوائل التجارب الفلسطينية للإضرابات المفتوحة عن الطعام فى سجن نابلس فى تشرين الثانى / نوفمبر 1968 لثلاثة أيام، وفى سجن عسقلان، والرملة، ومعتقل بيت ليد « وكفاريونا فى الثامن عشر من فبراير/ شباط 1969م واستمر لتسعة أيام «، واتسمت جميعها بالعفوية، ولقد دفع الشعب الفلسطيني العديد من الشهداء خلال هذه المسيرة كان أولهم الشهيد عبد القادر أبو الفحم فى11 يوليو / تموز1970م فى أعقاب أول إضراب جماعى ومنظم من حيث الإعداد وعدد المشاركين فى الإضراب الذى بدأ فى 5 يوليو / تموز 1970 بسجن عسقلان، واستشهاد آخرين أثناء إضراباتهم الجماعية والفردية، والتى وصلت إلى ما يقارب من 260 يوماً متتالية فى إضرابات فردية، فى أعقاب شرارة إضرابات فجرها الشيخ المجاهد خضر عدنان في ديسمبر/ كانون الأوّل 2011، والتى كانت الأطول والأقسى فى تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة رفضاً لسياسة الاعتقال الإدارى.

(554) وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية: http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=3796

(555) زهير المصرى، نجود أحمد: مرجع سابق، ص17.

أما عن تصنيف الإضرابات من حيث المدة فهنالك:

- **الإضراب المحدود:** وهو الامتناع عن تناول الطعام لفترة تقل عن ثلاثة أيّام بُغية استنكار موقف ما يخص قضية معينة، أو حالة تضامن مع شخص معزول أو مريض أو كحالة احتجاجية مؤقتة.

- **الإضراب غير المحدود عن الطعام:** وهو الامتناع عن تناول الطعام لفترة زمينة غير محدودة، وتقترن فترة انقضائها بتحقيق المطالب التي نفذّ من أجلها الإضراب وتبقى مفتوحة وقد تقترن بسقوط شهداء، حيث يتم الإعلان بين المضربين عن الطعام أن الإضراب سيبقى مفتوحاً إلى أجل غير مُسمّى.

1. تصنيف الإضرابات المفتوحة عن الطعام:

أ - تصنيف من حيث المشاركة:

- **إضرابات جماعية:** دخول جماعي للأسرى باستثناء الحالات المرضية المزمنة، وقد يمتد لكل السجون أو غالبيتها كإضراب (1970و1992م)، أو للمعظم كما الإضرابات السياسية وإضراب 2012، وغالباً ما يحمل قضايا مطلبية تتمثل بتحسين الظروف المعيشية.

- **إضرابات فردية:** دخول فردي تطوعي في إضراب مفتوح عن الطعام، كشكل نضالي فرضته أسباب ذاتية وموضوعية[556]، استدعته الظروف في ظل عدم الإجماع أو تحقيق الأغلبية المطلوبة للدخول في خطوات استراتيجية تحمل أهداف سامية ووطنية كرفض الاعتقال الإداري، أو التمديدات تحت مسمى مقاتل غير شرعي، أو المطالبة بتطبيق قانون أسرى الحرب على الأسرى الفلسطينيين، وقضايا أخرى، وبرزت بشكل كبير في الأعوام ما بين (2011 – 2015م).

ب- تصنيف من حيث الأهداف:

- **الإضرابات الاحتجاجية:** مثلت تلك الإضرابات وسيلة احتجاج على قضايا مطلبية كالتفتشات ومنع الزيارات، وسوء الطعام كماً ونوعاً، أو الاستهتار بحياة أسير معرضة حياته للخطر والمطالبة بنقله للمستشفى، أو بسبب منع إدخال احتياجات الأسرى من ملابس وأغطية وأحذية عبر الزيارات وقضايا أخرى.

- **الإضرابات التضامنية:** مثل الإضراب عن الطعام لوجبات أو أيام مع الأسرى المضربين عن الطعام احتجاجاً على اعتقالهم الإداري التعسفي بلا لوائح اتهام، أو التضامن مع الأسرى المعزولين لفترة طويلة بشروط غير محتملة وغير إنسانية مخالفة لكل الاتفاقيات الدولية.

---

(556) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص336.

- **الإضرابات المطلبية:** وهي أكثر الإضرابات تكراراً منذ بدء الحركة الأسيرة، وتصل لفترات طويلة حتى تلبية إدارة السجون لمطالبهم، وتهدف تلك الإضرابات إلى تحسين شروط حياة الأسرى المعيشية، والرعاية الطبية، وشروط زيارة الأهل، وتطبيق الاتفاقيات الدولية على الأسرى في التعليم وشروط الاعتقال، والتهوية، والحقوق الأساسية، وقضايا مطلبية تقتضيها الحاجة من فترة إلى أخرى [557].

- **الإضرابات السياسية:** لم تمر الاتفاقيات السياسية التي وقعت بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي بشأن الأسرى مروراً عابراً، بل واجهت غضباً شديداً وانتقاداً لاذعاً من قبل الأسرى، وقاموا بثلاث إضرابات سياسية مفتوحة عن الطعام للمطالبة بحريتهم[558]، كان أولها في21 يونيو/ حزيران 1994م، والثاني في 18 يونيو/ حزيران 1995م، والثالث في 5 كانون أول / ديسمبر1998م، وكان لهذه الإضرابات التأثير الكبير بالضغط على طواقم المفاوضات والرعاة الدوليين للعملية السياسية للضغط من أجل الإفراج عنهم، وتم الإفراج عن الآلاف بموجب المفاوضات السياسية ونضالات الحركة الأسيرة في السجون بإبراز قضيتهم، باستثناء من قام بعمليات مقاومة نوعية تسببت بجرح أو قتل مستوطنين رفضت دولة الاحتلال الإفراج عنهم، وبقي عدد منهم في السجون بعد أكثر من 20 عام على اتفاقية أوسلو[559].

الإضرابات المفتوحة عن الطعام في القانون الدولي:

أكدت الاتفاقيات الدولية على ضرورة احترام خيارات المحتجزين والحفاظ على كرامتهم الإنسانية، ويتفق موقف اللجنة الدولية للصليب الأحمر الدولي مع موقف الرابطة الطبية العالمية والمنصوص عليه في إعلاني « مالطا وطوكيو « من العام 2006م، واللتا أكدتا على حق الأسير أينما كان أن يختار وسيلته النضالية وخاصة إذا ما كانت بوسيلة سلمية، ومنها الإضرابات المفتوحة عن الطعام[560].

---

(557) زهير المصرى، نجود أحمد: مرجع سابق، ص17.

(558) عيسى قراقع: مرجع سابق، ص87.

(559) من أهم اضرابات الحركة الفلسطينية الأسيرة إضراب سجن الرملة بتاريخ 18/2/1969 واستمر (11) يوماً، وإضراب معتقل كفار يونا بتاريخ 18/2/1969 واستمر ثمانية أيام، وإضراب الأسيرات الفلسطينيات في سجن نفي ترستا بتاريخ 28/4/1970 واستمر تسعة أيام، وإضراب سجن عسقلان بتاريخ 5/7/1970 واستمر سبعة أيام، وإضراب سجن عسقلان بتاريخ 13/9/1973 25 يوما، واضراب 1976 والذي انطلق من سجن عسقلان لتحسين شروط الحياة الإعتقالية واستمر (45) يوماً، واضراب 24/2/1977في عسقلان واستمر لمدة (20) يوماً، واضراب نفحة بتاريخ 14/7/1980 واستمر (32) يوماً، واضراب سجن جنيد في سبتمبر عام 1984واستمر (13) يوم، و إضراب سجن جنيد في 25/3/1987وشارك فيه أكثر من (3000) أسير فلسطيني، من مختلف السجون واستمر (20) يوماً، واضراب سجن نفحة في 23/6/1991 واستمر (17) يوماً، وإضراب 27/9/1992 الذي شمل معظم السجون. وشارك فيه نحو سبعة آلاف أسير واستمر 17 يومًا في غالبية السجون و19 يومًا في أخرى، وقد اعتبر هذا الإضراب من أنجح الإضرابات التي خاضها الأسرى الفلسطينيون من أجل الحصول على حقوقهم، وإضراب/6/1994، الذي شمل معظم السجون احتجاجاً على الآلية التي نفذ بها الشق المتعلق بالإفراج عن خمسة آلاف أسير فلسطيني حسب الاتفاق السياسي « أوسلو « واستمر الإضراب ثلاثة أيام، وإضراب الأسرى بتاريخ 18/6/1995 تحت شعار (إطلاق سراح جميع الأسرى والأسيرات دون استثناء واستمر لمدة (18) يوماً، و إضراب أسرى سجن عسقلان عام 1996 واستمر 18 يومًا على الماء و الملح، واضراب 5/12/1998 إثر قيام إسرائيل بالإفراج عن (150) سجين جنائي، واضراب 1/5/2000؛ احتجاجاً على سياسة العزل، واضراب سجن نيفي تريستا بتاريخ 26/6/2001 حيث خاضته الاسيرات واستمر لمدة 8 أيام متواصلة احتجاجاً على أوضاعهن السيئة، وإضراب شامل في كافة السجون بتاريخ 2004-8-15 واستمر 19 يوماً، وإضراب أسرى سجن شطة في 72006-10 واستمر 6 أيام وذلك احتجاجا عيى تفتيش الاهل المذل على الزيارات وكذلك لتحسين ظروف المعيشة، و إضراب أسرى الجبهة الشعبية وبعض المعزولين واستمر 22 يوما في عام 2011 للمطالبة بوقف سياسة العزل الانفرادي، وإضراب 17/4/2012 والذي بدأ بمشاركة تدريجية للأسرى ووصل عدد الأسرى المضربين ما يزيد عن 1500 أسير واستمر 28 يوم مطالبين بإلغاء العزل الإنفرادي، والحد من سياسة الاعتقال الإداري، والسماح بالزيارات لأسرى غزة، وإلغاء قانون شاليط، وإضراب الأسرى الإداريين في 24/4/2014 احتجاجاً على استمرار اعتقالهم الإداري دون تهمة أو محاكمة، مطالبين بإلغاء سياسة الاعتقال الإداري، واضراب أسرى حركة الجهاد الاسلامى ضد العزل الانفرادى بتاريخ في 9/12/2014 والذى استمر عشرة أيام، وكان آخرها اضراب الأسيرين خضر عدنان ل 56 يوم بلا مدعمات والافراج عنه في 12/7/2015 والأسير محمد علان في 17/6/2015 بنفس الطريقة والذى استمر 65 يوما متتالية ورفضهما لأخذ كل أشكال الفيتامينات والمدعمات الغذائية وإجراء الفحوصات الطبية وإعتمادهما على الماء فقط، احتجاجا على إعتقالهما الإداري،وكان اضرابهما خطوة هامة نحو إنهاء هذه السياسة الجائرة والتعسفية، والعشرات من الإضرابات الفردية لأبطال فلسطينيين لا يتسع المجال لذكرهم جميعاً.

(560) موقع فلسطينيو 48: http://www.pls48.net/?mod=print&ID=1183555

وهـذا الأمـر يقـود الباحـث « لتحريـم التغذيـة القسريـة «، كمخالفـة قانونيـة، لجـأت اليهـا دولـة الاحتـلال في منتصـف 2014 بقـرار مـن الكنيسـت الإسرائيـلي، الـذي أعطـى سـلطات الاحتـلال صلاحيـة إطعـام المعتقلـين الفلسـطينيين المضربـين عنـوة، مـما شـكل خطـراً عـلى صحـة وحيـاة المضربـين، الأمـر الـذي يعيـد للأذهـان مـا كان يمـارس بحـق المضربـين بمـا يعـرف بنظـام « الزونـدا « في سـبعينيات وثمانينيـات القـرن المـاضي والتـي أدت إلى استشـهاد العديـد مـن الأسرى[561].

ثانياً- الخطوات العملية لإنجاح معركة الإضراب المفتوح عن الطعام:

أ - خطوات تحضيرية تسبق الإضرابات:

يـأتي الإضراب المفتـوح عـن الطعـام في أعقـاب فشـل كل الخطـوات التكتيكيـة والوصـول لحائـط مسـدود في وجـه مطالـب الأسرى بواسـطة الحـوار، والمراسـلات، والمحاكـم الإسرائيليـة، وفي ظل تفاقم الأوضـاع المعيشـية لـلأسرى، حينهـا تبـدأ المشـاورات بهـدف اسـتعادة الحقـوق[562] بـين الفصائـل، وفي اللجنـة الوطنيـة العامـة، وفي حـال التوافـق والاتفـاق بمسـئولية كاملـة ضمـن حسـابات دقيقـة في السـجن الواحـد، وبـين السـجون، ومـع التنظيـمات والقيـادات الفلسـطينية في الخـارج.

وتبـدأ المراسـلات التـي توضـح ظـرف الأسرى وتعنـت الاحتـلال في التعاطـي مـع مطالبهـم، والمطالبـة بالمسـاندة والدعـم مـن قبـل (المؤسسـات التـي تُعنـى بقضيـة الأسرى، والمؤسسـات الحقوقيـة والانسـانية الفلسـطينية والعربيـة والدوليـة، الرسـمية منهـا والأهليـة، ووسـائل الإعـلام، والنقابـات والاتحـادات، والمجالـس الطلابيـة للجامعـات، وأعضـاء الكنيسـت العـرب، والمتضامنـين مـع القضيـة الفلسـطينية، والجامعـة العربيـة والمؤتمـر الإسـلامي، وغـير ذلـك مـن الجهـات المتضامنـة والصديقة)[563].

وقـد تأخـذ تلـك التحضـيرات والمراسـلات أكـثر مـن عامـين متتاليـين[564]، ويتـم تحديـد سـاعة الصفر بعـد ملائمـة الظـروف الذاتيـة المتعلقـة بـالأسرى، والموضوعيـة ذات العلاقـة بالأوضـاع الفلسـطينية والسياسـية العامـة للمحيـط والمنطقـة، وشـكل الحكومـة الإسرائيليـة وائتلافهـا وتوجهاتهـا[565]، وتبرز قضيـة الإبـداع لـدى الأسرى في الإضرابـات المفتوحـة عـن الطعـام بعمليـة التخطيـط والتنسـيق والتعبئـة وتوفـير عوامـل النجـاح المتمثلـة ب:-

1. تحديـد الأهـداف «الدنيـا كخطـوط حمـراء لا يمكـن التنـازل عنهـا بـأي حـال مـن الأحـوال[566]، والأهـداف القصـوى كطمـوح يأمـل ويتمنـى الأسرى مـن تحقيقهـا»، والعمـل عـلى دقـة التخطيـط والتوقيـت ونضـوج الظـروف الذاتيـة والموضوعيـة.

(561) أمثال « الأسير الشهيد راسم حلاوة، وعلى الجعفرى، واسحق مراغة، وما لحق بأذى بصحة عشرات آخرين.
(562) فهد أبو الحاج، مرجع سابق، ص44.
(563) سليم حسين الزريعي: مقابلة أجراها الباحث، 10/1/2015، غزة.
(564) الأسير المحرر زهير الشوشنية: مقابلة أجراها الباحث، 3/11/2015، غزة.
(565) الأسير المحرر علام الكعبى: مقابلة أجراها الباحث، 18/6/2015، غزة.
(566) سلمان جاد الله: المواجهة والاحتراف، مرجع سابق، ص2 – ص60.

2. التعبئة النضالية والمعنوية عبر الجلسات والتعاميم النضالية، والإرشاد والتوجيه والتنويه للمحظورات، ووسائل إدارة مصلحة السجون لكسر الخطوة وإفشالها، ويتم التركيز على الأسرى الجدد الذين لم يخوضوا تجارب إضرابات سابقة، معتبرين أن الإضراب المفتوح عن الطعام في يد المعتقل (كالنار الذي يتطهر به نضالهم) [567].

3. العمل على شمولية الخطوة النضالية وذلك بامتدادها لكل السجون والمعتقلات كجبهة موحدة واسعة تربك إدارة السجون وتوسع رقعة التضامن الخارجي.

4. العمل على وحدة الصف الاعتقالي وزيادة ترسيخ الوحدة الوطنية الاعتقالية، وتنقية الأجواء الاعتقالية والتعالي على الخلافات وأشكال الشرذمة [568]، حيث أن إدارة مصلحة السجون تراهن على الخلافات لإفشال الخطوات الاستراتيجية كالإضراب المفتوح عن الطعام [569].

5. التركيز على كل الجهات والمؤسسات الرسمية والأهلية الإعلامية والجماهيرية والحقوقية الفلسطينية والعربية والدولية من خلال المراسلات.

6. القدرة على قراءة الظروف والمستجدات العامة، وخاصة التركيبة الفلسطينية والإسرائيلية الداخلية ومؤخراً التطورات والأحداث العربية المحيطة كجهات داعمة ومساندة.

7. وحدة القرار والاتفاق على قيادة الإضراب وتكوين قيادة مركزية وطنية موحدة تتحدث باسم كل قلاع الأسرى، وإيجاد قيادات ظل بديلة في حال النقل والعزل لبعضهم، والتحذير من الالتفاف عليها بقيادات فرعية للسجون قد تؤدي لشرذمة القرار الوطني العام، الذي قد يؤدي لانسحابات منفردة للبعض على حساب الآخر، بوعود وامتيازات خاصة بكل سجن.

ب- خطوات عملية في بداية الإضرابات:

في أول أيام الإضراب يتم تبليغ إدارة مصلحة السجون بقرار الأسرى ومطالبهم، ويتم جمع كل المواد الغذائية الموجودة في السجن وتسليمها للإدارة، ويتم استثناء الأسرى المرضى وكبار السن منه حفاظاً على حياتهم، ويتم نقلهم لغرف خاصة في قسم منعزل حتى لا يتأثر الأسرى برائحة الطعام الذي يصل إليهم [570]، وتستمر الحالة التعبوية والتثقيفية للأسرى وفق أيام الإضراب [571]، ويتم اطلاع القاعدة التنظيمية على كل المستجدات الخاصة بنتائج الحوار مع طواقم إدارة مصلحة السجون، والحذر من وسائل سلطات الاحتلال والعيادة

(567) محمد القيسي: مرجع سابق، ص192.
(568) عبد الحق شحادة: مرجع سابق، ص52.
(569) حلمي عنقاوي: مرجع سابق، ص251.
(570) نائل رمضان: مرجع سابق، ص33.
(571) فلحظة الدخول في الإضراب يتم التركيز على كيفية الحفاظ على السعرات الحرارية للجسم وعدم هدرها في الحركة والجهد وحتى التفكير، وتجنب الحديث عن الطعام والشراب للتحكم في إفرازات المعدة، والمحافظة على تناول الملح الذي يساعد على الرغبة في تناول الماء بالكميات الكبيرة والتي تساعد على الاستمرارية والحفاظ على حاجة الجسم منها، والحفاظ على الجهاز الهضمي.

الطبية في ترهيب الأسرى أو ترغيبهم لكسر الإضراب، والالتزام بالقرار الوطني، والحفاظ على السرية، والحذر من الانهيار «، على قاعدة أن (الدخول في الإضراب المفتوح عن الطعام تطوعي واختياري ولكن الاستمرار فيه إجباري حتى النصر أو الشهادة)، ويتعرض للمسائلة كل من يشذ عن هذه القاعدة، ويتم وضع الأسرى في الحالة الإسنادية في الخارج من خلال أجهزة المذياع والهواتف المهربة، وبث روح التحدي والتفاؤل بالنصر القريب.

ج- نهاية الإضراب:

نهاية الإضراب المكللة بتحقيق المطالب هي أفضل اللحظات وأبهج الفرحات للأسرى المضربين، فنشوة الانتصار لحظة فك الإضراب لا يعادلها نشوة، لأنها تعزز الروح المعنوية لدى الأسرى أمام السجان، والتي ستشكل انطلاقة جديدة في مسيرة اعتقالهم بظروف وشروط حياة تجعلهم أكثر شعور بالعزة والكرامة والتطور للأفضل داخل السجون، والحركة الأسيرة وضعت شروط لإنهاء الإضراب بقرار خطي من اللجنة النضالية العامة في أعقاب استجابة دولة الاحتلال للمطالب التي تم الاتفاق عليها، والمسبوقة بإجراء مفاوضات مباشرة على أعلى المستويات المختصة من الطرف الإسرائيلي كمدير إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية العامة المسماة « بالنتسيفوت- נציבות « أو وزارة الأمن الداخلي المسئولة عنها، أو أية جهة مخولة لإجراء مفاوضات شريطة الحصول على ضمانات مقنعة للمسائل التي تستوجب الانتظار سواء أكان ذلك عن طريق جهة ثالثة موثوقة للأسرى أو محايدة كالصليب الأحمر الدولي، والتلبية الفورية للمسائل التي لا تستوجب الانتظار واعتبار ذلك حقوقاً للأسرى وليس امتيازات تمتلك دولة الاحتلال حق سحبها متى شاءت[572]، ويتم اشتراط عودة المنقولين والمعزولين من القيادات والكوادر، وإعادة كل ما تم سحبه من ممتلكات للأسرى كالأجهزة الكهربائية والملابس وغيرها، وفي أعقاب فك الإضراب يتم إرشاد الأسرى طبياً بكيفية العودة التدريجية للطعام والشراب، وإعادة الكانتين والأطعمة والمعلبات التي تم إخراجها من قبل الأسرى لحظة الدخول في الإضراب المفتوح عن الطعام، ويتم عبر النشرات والتعاميم الوطنية والفصائلية الإشادة بموقف المضربين والمساندين في الخارج، وتوجيه التحية للأسرى على تضحياتهم وجهودهم وصبرهم وللداعمين لهم في كل مكان.

ويرى الباحث أن الإضراب المفتوح عن الطعام سلاح ذو حدين، لصالح الأسرى في حالات التضامن والضغط على الاحتلال للاستجابة لمطالبهم، وضدهم في حال افتقار الإضراب لأهم سبب في نجاحه المتمثل بأشكال المساندة والدعم الخارجي، والذي يتوجب على الأسرى قراءته جيداً قبل الدخول في أي خطوة استراتيجية، وللحالتين شواهد كثيرة بالسلب والإيجاب على حد سواء في الإضرابات الفردية أوالجماعية.

ثالثاً- الممارسات الإسرائيلية خلال الإضراب:

عللت دولة الاحتلال أسباب أي خطوة احتجاجية للمعتقلين بربطها بالسياسة، فقد دأب منذ

(572) جبريل الرجوب: زنزانة رقم 704، عمان، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، 1985، ص101.

البداية مسئولو مصلحة السجون (שב"ס) على اعتبار أن الإضراب المفتوح عن الطعام يتم بمبادرة من قادة المنظمات الذين يعملون من داخل السجون وبالتنسيق مع التنظيمات في الخارج، والإيحاء للعالم بأن السجون أصبحت خلايا ومجموعات واسعة، ويوجد بها مجالس قيادة ومحاكم، وأن هدف الأسرى منها مواصلة النضال ضد الدولة حتى داخل السجون، وأنهم عناصر خطيرة تسعى دائماً للتمرد [573]، وعمدت دولة الإحتلال عند كل محطة نضالية تصوير الأسرى الفلسطينيين « باطلاً « أنهم مجرد « مخربين وإرهابيين خارجين عن القانون «، وليسوا أسرى حرب يدافعون عن حقوقهم وأرضهم ووطنهم ضد احتلال بغيض[574]، يأتي هذا التوصيف ضمن إدراك السلطات الإسرائيلية أبعاد وآثار الإضراب المفتوح عن الطعام، كونه يحرجها ويكشف عورة الديمقراطية وادعاءات حقوق الإنسان عالمياً، ويعري انتهاكاتها وتجاوزاتها للاتفاقيات الدولية، ويشكل رافعة وقفزة نوعية في تحسين شروط حياة الأسرى في فترة قياسية وبالعنوة مثله مثل عمليات تبادل الأسرى، كاستجابات لا تخضع لحسن النوايا بل بالإكراه، والقوة السلمية التي تجبر إدارة مصلحة السجون على التعاطى مع مطالب الأسرى الكبيرة التي لا يمكن تحقيقها عبر الخطوات التكتيكية والحوار.

كما أن الإضراب يدول قضية الأسرى عبر المؤسسات الحقوقية ووسائل الإعلام (المشاهدة والمقروءة والمسموعة والإلكترونية) كقضية سياسية، تبرز قضية عادلة بامتياز، ومظلومية فلسطينية واضحة مقابل احتلال عنصري ظالم ومنبوذ جاثم على صدر شعب مستعمَر ومضطهد، أما عن إجراءات سلطات الاحتلال في مواجهة الإضراب، فمنذ المعلومة الأولى التي تصل أجهزة الأمن الإسرائيلية عن الإضراب تبدأ الإجراءات القمعية الترغيبية والترهيبية النفسية والعملية لتقويضه في مهده، وتسعى من خلال تلك الإجراءات أن توصل رسالة أن السجين لا يملك شيء من أمره، وأنها هي الآمرة الناهية، والتأكيد على حضورها كقوة حاكمة لا يستطيع أحد صدها لحظات المواجهة، وتقوم بعدد من الخطوات عند كل محطة[575].

1. **فترة التحضير:** تقدم إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية على عدد من الخطوات قبل الإضراب كتكثيف الإجتماعات مع لجنة الحوار واللجنة الوطنية العامة لقراءة الموقف والتعرف على المطالب، ومن ثم بإطلاق الوعود الكاذبة وكسب المزيد من الوقت بحجة فحص المطالب، ومن خلال بث الإشاعة السلبية والمغرضة عن عدم جدوى الخطوة، وأن الخارج مليء بالهموم والمشاكل والاهتمامات البعيدة عن قضية الأسرى، ونشر الأخبار المحبطة بعدم الاستجابة للأسرى ولو أدى الأمر إلى استشهاد أعداد منهم، والبدء بالنقليات وعزل القيادات لخلق البلبلة والإرباك ووقف التنسيق بين السجون.

2. **في أعقاب الدخول في الإضراب:** تقوم إدارة السجون بالعديد من الإجراءات في أعقاب الدخول في خطوة الإضراب مثل (كالإعلان عن حالة الطوارىء، واستدعاء قوات كبيرة من السجانين والبدء بسحب كل ممتلكات الأسرى والأغراض من الغرف والكهربائيات وخاصة التلفاز والراديو ومنع الصحف لعزل الأسير عن العالم الخارجي وعدم اطلاعه على

(573) جهاد البطش: مرجع سابق، ص172173.

(574) ناصر عبد الجواد: مرجع سابق، ص30.

(575) طارق أبو شلوف: ملحمة الكرامة 2012، غزة، فلسطين، الناشرمؤسسة مهجة القدس للأسرى والشهداء، 2013، ص95 .

حـالات التضامـن التـي تقـوي عزيمتـه، وسـحب كل ممتلـكات الأسرى باسـتثناء الفرشـة وغطـاء للأسـير، وبعـض الملابـس القليلـة ومنشـفة والقليـل مـن الملـح وأحيانـاً يتـم سـحبها ومعجـون الأسـنان والشـامبو، وتبـدأ بحمـلات التفتيـش، وتقليـص سـاعات الفـورات لسـاعة واحـدة في اليـوم، ثـم يمتـد المـشروع لعـزل المزيـد مـن القيـادات والكـوادر المؤثـرة التـي تمثـل مجمـوع الأسرى، ويتـم منـع زيـارات الأهـالي والمحامـين، والمؤسسـات الحقوقيـة والدوليـة كالصليـب الأحمـر الـدولي في كثـير مـن الأحيـان[576]، ومـع امتـداد الإضراب تحـاول إدارة السـجون تجاهـل إضراب الأسرى والتعمـد بعـدم الاجتـماع بهـم أو مناقشـة مطالبهـم، وتصعـد مـن إجراءاتهـا القمعيـة فتجلـب مجموعـة مـن المدنيـين الجنائيـين اليهـود في غرفـة وسـط قسـم الأسرى المضربـين[577]، ويقومـوا بشـويْ « اللحـوم المدهنـة وقـلْي الباذنجـان والطماطـم « عمـداً بهـدف نـشر رائحتـه القويـة، للتأثـير عـلى نفسـيات ومعنويـات المضربـين، وإزعـاج القسـم بالموسـيقى الصاخبـة [578]، وفي بعـض الأحيـان يتـم نقـل أعـداد مـن الأسرى مـن بينهـم قيـادات وكـوادر ونخـب وإجبارهـم عـلى نـزع ملابسـهم تمامـاً وضربهـم، ومسـاومتهم في العيـادات [579]، وفي كثـير مـن الأحيـان قامـت الإدارة بالاسـتفراد بـالأسرى عنـد نقلهـم والاعتـداء عليهـم جسـدياً، أو قتلهم[580]بشـكل غـير مبـاشر مـن خـلال إطعامهـم قسريـاً بالتغذيـة القسريـة [581].

3. **مـع نهايـة الإضراب:** تقـوم إدارة السـجون باشـتراط التعاطـي مـع المطالـب بفـك الإضراب، وأنـه لا يمكـن أن يتـم إخضـاع إدارة السـجون بالقـوة، وأنهـا تحتـاج لفحـص المطالـب مـع الجوانـب الأمنيـة والسياسـية، ومـع الوقفـات الشـعبية الخارجيـة، وأشـكال الضغـط مـن قبـل المؤسسـات الحقوقيـة والدوليـة، والتدخـلات الخارجيـة مـن جهـات رسـمية وأهليـة، والاحتـكاك المبـاشر بـين المتضامنـين والجيـش المسـتوطنين والتخوفـات مـن انتفاضـات تحمـل شـعار الأسرى، وتكثيـف الـدور الإعلامـي، والتخـوف مـن عواقـب استشـهاد عـدد منهـم، وفي ظـل هـذه الظـروف تقـوم الطواقـم المفاوضـة الإسرائيليـة المفاوضـة بالاجتماعـات المتكـررة ومحـاولات الالتفـاف عليهـا مـن خـلال البدائـل، كالموافقـة عـلى الجامعـة العبريـة بـدل الجامعـات الفلسـطينية والعربيـة، وشراء احتياجـات الأسرى مـن الكانتـين بـدل إدخالهـا عـبر الأهـالي، والموافقـة عـلى بعـض القنـوات الفضائيـة العربيـة الترفيهيـة والعبريـة وليـس الإخباريـة وفـق طلبـات الأسرى، وإدخـال عـدد مـن الكتـب بقـدر إخـراج مثيلهـا.

---

(576) طارق أبو شلوف: ملحمة الكرامة 2012، غزة، فلسطين، الناشرمؤسسة مهجة القدس للأسرى والشهداء، 2013، ص95 – 96.

(577) فؤاد قاسم الرازم: مقابلة أجراها الباحث، 3/11/2015، غزة.

(578) سيطان الولي: سلال الجوع، رام الله، فلسطين ،الرعاة للدراسات والنشر، 2006، ص102..

(579) حدثـت مثـل تلـك الانتهـاكات مـع 26 معتقـل تـم نقلهـم مـن نفحـة إلى الرملـة في اليـوم التاسـع مـن الإضراب في 21/7/1980، واجبارهـم عـلى تنـاول الحليـب بالقـوة والعنـف وفي سـجن الدامـون في مايـو /آيـار 1970، أمـا عـلى صعيـد الأطبـاء وعيـادة السـجن فغالبـاً مـا تتحـول مـن مـكان للشـفاء، وإغاثـة المـرضى إلى مـكان لمسـاومة الأسـير المـضرب عـلى موقفـه، وإلى سـاحة صراع سـاخنة، فتحـاول الطواقـم الطبيـة في السـجون كسـر الإضراب مـن خـلال عـرض الطعـام والـشراب عـلى الأسرى الذيـن يتـم نقلهـم للعيـادات بسـبب حـالات الإغـماء والإعيـاء، وتحـذر الأسرى مـن خطـورة الإضراب عـلى حيـاة ومسـتقبل الأسـير، وتلعـب العيـادة دور الثعلـب الماكـر مـن خـلال السياسـة الناعمـة، وفي عيـادة السـجن في اضراب نفحـة عـام 1980م حمـل أحـد الأطبـاء ويدعـى « فيلمـتن» هـراوة وقـام بـضرب الأسرى ووضـع الكلبشـات في إيديهـم، وأطعـم المضربين بالأنبـوب عنـوة، وقتـل الأسرى الثلاثـة « عـلى الجعفـرى وراسـم حـلاوة وإسـحاق مراغـة «، ومـن الاجـراءات بـدء الإدارة بالحـرب النفسـية بالإشـاعة أو عـبر مكـبرات الصـوت، وبخلـط القليـل مـن الحقائـق بالأكاذيـب لتحويـل الاكاذيـب حقائـق، وبتوزيـع نـشرات مطبوعـة تتضمـن مخاطـر الإضراب والتحذيـر مـن الإسـتمرار فيـه، وأن العـالم الخارجـي غـير مهتـم باضرابكـم ومنشـغل بالسـوبر سـتار والألعـاب الاولمبيـة أو بأخبـار الانقسـام والثـورات العربيـة، ويبـث الأخبـار الكاذبـة كفـك القيـادة إضرابهـا في العـزل بعـد النقـل، وفـك الإضراب في بعـض السـجون الأخـرى، ومحاولـة الالتفـاف عـلى قيـادة الإضراب بقيـادات بديلـة والمحاولـة لفتـح الخطـوط الجانبيـة مـن خـلال بعـض الوعـودات.

(580) كاستشهاد على الجعفرى وراسم حلاوة في في يوليو / تموز 1980.

(581) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة – جامعة القدس: المصدر السابق، ص122.

في تلك الظروف الحساسة تبدأ معركة (العض على الأصابع) من خلال رفض الأسرى لبدائل إدارة مصلحة السجون، والإصرار على مطالبهم كاملة، في أعقاب التضحيات الجسام وسقوط الشهداء في بعض المعارك، وفي ظل الشعور بالمساندة القوية من قبل الجماهير الفلسطينية والعربية والدولية ووسائل الإعلام، وأحياناً يتم الوصول لحلول توافقية في حال الشعور بضعف أشكال المساندة، أو التخوف من حالات استشهاد لطول الإضراب، أو نتيجة ظروف معينة ذات العلاقة بالمحيط السياسي، أو بشكل ائتلاف الحكومة الإسرائيلية وتعنتها، أو لأسباب أخرى.

وللباحث تجربة شخصية فى هذا السياق حيث أنه خاض ستة إضرابات مفتوحة عن الطعام، أولها بعد عامين من اعتقاله فى 27 أيلول/ سبتمبر1992 بسجن عسقلان استمر لمدة 15 يومًا متواصلة ولم تلتزم الإدارة بالاتفاق فعاد الأسرى للإضراب يومين إضافيين حتى استجابت لبقية المطالب، والثاني: في سجن نفحة فى العام 1994م واستمر ثلاثة أيام إثر توقيع اتفاقية القاهرة احتجاجاً على آلية الإفراجات، والثالث: في سجن نفحة فى 18 يونيو / حزيران 1995 تحت شعار إطلاق سراح جميع الأسرى والأسيرات قبيل مفاوضات طابا فى أعقاب اتفاقية أوسلو واستمر (18) يوماً، والرابع: في نفحة في 5 ديسمبر / كانون الأول 1998 إثر قيام الاحتلال بالإفراج عن (150) سجين جنائي ضمن صفقة الإفراج التي شملت (750) أسيراً وفق اتفاقية واي ريفر وعشية زيارة الرئيس الأمريكي آنذاك بيل كلنتون للمنطقة وكان أقل من عشرة أيام، والخامس: في سجن نفحة فى الأول من مايو / أيار من العام 2000 احتجاجاً على سياسة العزل الانفرادي والقيود والشروط الصعبة على زيارات أهالي المعتقلين الفلسطينيين وامتد ما يقارب من 22 يومًا، والإضراب السادس: قبيل الافراج عنه بأشهر قليلة، حيث أنه كان متواجداً فى سجن جديد يسمى ريمونيم فى محيط مدينة " نتانيا " وسط أسرى جدد قبيل إضراب 15 أغسطس / آب 2004، وبدأت التعبئة التنظيمية للأسرى بعد تحديد نقطة الصفر للدخول الجماعى دون إعلان عام، فأبلغته الإدارة بالنقل إلى عزل سجن " هداريم " قبل الإضراب بأسبوعين فى ظروف مأساوية بصحبة أسيرين آخرين من قدامى الأسرى وهما (الأسير ماجد شاهين والأسير المجاهد ناصر القصاص) متهمةً الثلاثة بالتحريض، وتم الإضراب فى الموعد المتفق عليه مع السجون الأخرى، ومن ثم تم نقل الثلاثة من العزل إلى سجن هداريم بعد خوض الإضراب للأسرى بشكل جماعى والذى استمر 19 يومًا متتالية.

4. في نهاية المبحث يمكن القول أن الأسرى المزودون بإيمانهم وعدالة قضيتهم وقناعاتهم بمعركتهم أثبتوا من خلال إشهار سلاح جوعهم وشهدائهم، وأرطال لحمهم أن الكف باستطاعتها أن تهزم المخرز، وأن الإرادة أقوى بكثير من القوة [582]، وأن قلة الإمكان تهزم الإمكان مهما بلغ ظلمه وجبروته بقوة الحق، فنجحوا بعزيمتهم من انتزاع موافقة إدارات السجون على توفير شروط انسانية وثقافية وصحية واجتماعية ضرورية للإبداع[583]، ولولا تلك التضحيات الكثيرة خلال مسيرة اعتقالهم الطويلة والمتكررة لما تحققت الطموحات الكبيرة فى حياتهم.

(582) محمد صبحة، فؤاد الخفش: مرجع سابق، ص12.

(583) د سامى الأخرس، كامل مسعود : مرجع سابق، ص70.

ويـرى الباحـث مـن عمـق التجربـة لهـذه المعـارك النضاليـة «الإضرابـات المفتـوح عـن الطعـام" وبمـا تحمـل مـن معانـاة وعذابـات وصـبر وانتظـار للنـصر، ومـن جهـد المفاوضـات المضنيـة مـع عـدو أكـثر شـهرة عـلى طـول التاريـخ بقضايـا التسـويف والتلكـؤ والمكـر والخديعـة والالتفـاف عـلى الحقائـق وتزويـر الواقـع، أن الإضرابـات المفتوحـة عـن الطعـام في السـجون تمثـل ذروة سـنام العمليـة الكفاحيـة والمقاومـة السـلمية.

فبالإضرابـات المفتوحـة عـن الطعـام هـزم جـنرالات الصـبر الفلسـطينيون جـنرالات الحـرب الصهاينة، وانتـصرت رغبـة الحيـاة عـلى مخطـط المـوت، وانتزعـت الحركـة الوطنيـة الفلسـطينية الأسـيرة حقوقهـا مـن مخالـب القهـر والظلـم المتمثلـة بـإدرة مصلحـة السـجون الإسرائيليـة.

ويعتقـد الباحـث أن لا مجـال لتصـور واقـع السـجون عـلى مـدار عـشرات السـنين بـلا إنجـازات نتائـج الإضرابـات المفتوحـة عـن الطعـام كخطـوات اسـتراتيجية، فبالإضرابـات انتقـل واقـع الأسرى مـن أفـران إسرائيليـة نازيـة هدفـت لصهـر القـوة النضاليـة ودفـن الـروح المعنويـة في مقابـر للأحيـاء إلى أماكـن تنصقـل فيهـا بنيـة الرجـال الوطنيـة والثقافيـة والأخلاقيـة، وتـتربى فيهـا الأجيـال الفلسـطينية لتخـرج الكفـاءات والقيـادات المتمتعـة بالقـدرات والإمكانيـات، لذلـك يطلـق عـلى الإضرابـات أُمْ الخطـوات الإبداعيـة، التـي ولـدت بنتائجهـا الإبداعـات الأخـرى عـلى شـتى الصعـد والمجـالات داخـل المعتقـلات.

وللأمانـة العلميـة فالإضرابـات المفتوحـة عـن الطعـام تفاوتـت نتائجهـا، فلـم تكـن بمسـتوى متـوازي مـن الإنجـازات، فـإضراب 1970م يختلـف عـن إضراب 1992م وعـن إضراب 2004م وعـن إضراب 2012م، فـكلٌ لـه ظروفـه الذاتيـة والموضوعيـة، وبالعمـوم فمجـرد القـرار بدخـول الإضراب بصـورة فرديـة أو جماعيـة وخوضـه بمـا يحمـل مـن مخاطـر يشـكل بـلا شـك انتصـاراً كبـيراً للإنسـان والحـق الفلسـطيني عـلى السـجان والباطـل الإسرائيـلي.

المبحث الثاني
أطفال النطف المهربة حالة نضالية مستجدة في السجون

سفراء الحرية، أطفال النطف المهربة، الإنجاب من داخل السجون «، جميعها مسميات تدل على أحدث معركة إنسانية مستجدة لصناعة الحياة، حكاية بدأت بفكرة، وانتهت بحقيقة رغم كل قيود الاحتلال، معركة اعتمدت على حرب الأدمغة بين الأسرى والسجان، قوامها التطلع للحياة بعين متفائلة، وأبطالها أناس مظلومين عزَّل امتلكوا سلاح الإرادة والصمود والأمل بالمستقبل، يفكرون ويخططون ويبتكرون ويبدعون، في وجه إدارة ظلامية تألقت في صناعة الموت، ورغم كل الممارسات والقيود والوسائل الأمنية أخفقت في كسر إرادة الأسرى وحرمانهم من حقوقهم الأساسية « بالإنجاب وتحقيق غريزة الأبوة مثل باقي البشر.

ظاهرة تهريب النطف برزت في أوساط الأسرى الفلسطينيين المتزوجين، ومن أمضوا فترات طويلة، ومن ذوي الأحكام العالية، ممن حرموا تكوين أسر وإنجاب ذرية بسبب قيام الاحتلال الصهيوني باختطافهم واعتقالهم من بين أهلهم وذويهم وزوجاتهم، وتشير الإحصائيات أنّ 30-40% من الأسرى في السجون من هم متزوجون، هذا يعني أن العقوبة ستكون مضاعفة مرات بحقه وبحق وزوجته بالإضافة لعائلته، وبهذا سيقع العقاب على ما ليس له أي جانب في الفعل، وخاصة على الزوجة التي تشعر بالوحدة بسبب غياب الزوج لسنين طويلة، ولأنه الحق الفلسطيني والتحدي لهذا السجان قرر عدد من الأسرى القيام بتهريب نطفهم خارج السجن عبر طرق وأساليب لا تخطر على بال بشر، من أجل الحصول على ذرية، وتكوين أسر وبناء حياة عائلية رغم الغياب القصري عن المجتمع[584].

في هذا المبحث سيتناول الباحث قضية غريبة عجيبة، كانت حلماً وأصبحت خاطراً ثم احتمالاً، وأضحت بإرادة وإصرار حقيقةً لا خيالاً، وسيتطرق الباحث إلى بدايات الفكرة، وتطورها، وأسبابها، وشروطها، وآثارها على مجمل قضية الأسرى على المستوى الاجتماعي والإعلامي والحقوقي، وفي فضح انتهاكات دولة الإحتلال وممارساتها العنصرية، وردود فعل إدارة السجون وأجهزة الأمن الإسرائيلي بالتعامل معهم ومع أطفالهم الذين أنجبوا وهم خلف القضبان.

أولاً- جذور الفكرة وإرهاصاتها:

إنجاب الأطفال للإنسان شيئاً فطرياً، فلا يكاد يوجد من لا يحب أن يكون له أبناء، كونهم

(584) محمد أحمد عطا الله: أطفال يولدون رغم السجان، سفراء الحرية، غزة، فلسطين، الناشر موقع مفوضية الأسرى والمحررين، 2015، ص1 .

زينة الحياة الدنيا، فقد تجد من يبذل أعز ماله من أجل الحصول على طفل لكي يتحقق له شعور الأبوة، وهذا الشعور يشترك فيه الذكر والأنثى، الغني والفقير، والحر والأسير، وإذا كان هذا الشعور متحققاً للإنسان الذي ينعم بالحرية، والذي بإمكانه أن يتزوج، ويعيش حياته الطبيعية، فكيف بالأسير الذي لا يلتقي بأهله على فترات بعيدة وغير منتظمة إلا من خلف الأسلاك والقضبان[585]؟ ومن هنا بدأت الحكاية والتفكير والنقاش المعمق للقضية وعلى فترات طويلة مكثت ما يقارب من العقدين من الزمن

وبرزت ثلاثة إشكاليات أساسية لتحقيق هذه الأمنية وهي:

أ – الجانب الشرعي: تخطى الأسرى في السجون معضلة الفتوى الشرعية من خلال إجازة المجامع الفقهية لعملية التلقيح الصناعي بين الأزواج في حالة الضرورة، فهي مباحة في حالة العجز عن الإنجاب بالشكل الطبيعي، في حال رغبة الزوجين في التناسل وإنجاب الذرية، لأن التناسل مصلحة مشروعة لهما[586]، وحصل الأسرى على فتوى شرعية لجواز الإنجاب من داخل السجون عن طريق الزراعة[587].

ب- الجانب الاجتماعي: برزت الكثير من التحديات والنقاشات لدى الأسرى في أعقاب الكثير من التساؤلات على المستوى الاجتماعي، بسبب عدم وعي المجتمع لهذا الخيار كونه غير مسبوق قد يعرض الزوجة للحرج، وهنالك تخوفات كبيرة من عدم تصديق واستيعاب هذه التجربة في حال حملها خلال اعتقال زوجها منذ سنوات طويلة، وقد يكون هنالك إستقصاد للمس بها من قبل المخابرات الإسرائيلية التي تحارب الظاهرة بلا أخلاق من خلال التشكيك ونشر الأخبار الكاذبة والإشاعة المغرضة عن طريق المتساقطين، وتلقفها من بعض الحاقدين ومن ثم المس بكرامة وشرف المرأة وكذلك الأسير والمقربين .

لذلك بحث الأسرى عن الحاضنة الاجتماعية التي تحميه وعائلته على كل المستويات، بدايةً

---

(585) نائل رمضان: مرجع سابق، ص103.

(586) نفس المصدر: ص105.

(587) أجاز الزراعة كلا من الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي والشيخ المرحوم حامد البيتاوي، ومن دائرة الإفتاء بفلسطين وعلى رأسها الشيخ عكرمة صبرى، وأجازها كلاً من د.عماد حمتو أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة فلسطين وأحد علماء الأزهر الشريف بفلسطين، والشيخ د. سميح حجاج المفتي والمحاضر بجامعة فلسطين بغزة، والشيخ عبد الباري خلة رئيس لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف والشئون الدينية بقطاع غزة.

والجميع أكد « أن الإنجاب فطرة بشرية محببة للإنسان، لقوله تعالى: « الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا »، ولأن حفظ النسل من مقاصد الزواج ومقاصد الشريعة، فلا بد للإنسان أن يحافظ عليها بالطرق والوسائل الشرعية، فإذا كان المكلف يستطيع الإنجاب بالطريقة العادية التقليدية وهو اللقاء الجنسي بين الزوجين فلا يجوز التلقيح الصناعي وغيره من الطرق المعاصرة، أما إن كان هناك ضرورة كالمشاكل التي تواجه أحد الزوجين ويكون العلاج لها الزراعة فلا بأس من ذلك بشروط وضوابط خاصة، ومن حق الأسير الحرية وطلب الولد فإذا حرم الحرية فلا يحرم الولد، فالولد قرة عين أبويه وعليه فلا بأس من التلقيح الصناعي الحاصل بين الأسير وزوجته عن طريق تهريب النطفة ولكن بشروط دقيقة منها:

1. الدقة في نقل النطفة وعدم نقل أكثر من نطفة للشخصالناقل تجنبا لشبهة التبديل.
2. التأكد من نقل العينة من الأسير وحقنها في زوجته فقط.
3. إشهاد الأسير على النطفة التي أخرجها منه.
4. أن يكون الناقل ثقة.
5. إعلام أهل الزوج وأهل الزوجة بذلك.
6. إعلام الجهات الشرعية والقضائية والرسمية والقانونية بتلك العملية.

بهذه الضوابط يجوز التلقيح ولا حرج به، وهو نوع من الثورة والتمرد على المحتل وتحدى له.

مـن قناعـة الزوجـة بالفكـرة كونهـا الشريـك الأسـاسي في القضيـة لتحمـل العـبء، وكونهـا أكـثر الجهـات تحديـاً أمـام المجتمـع للـشروع بهـذه الفكـرة وتحقيقهـا، ومـن ثـم قناعـة المقربـين مـن الوالديـن كرعـاة أساسـيين وشـاهدين عـلى تنفيـذ المهمـة ورعايتهـا، وقناعـة العائلـة والحـي والمجتمـع لتبنـي هـذه القضيـة كنـوع مـن التحـد للسـجان.

ولحل هذه المعضلة الاجتماعية اقترح بعض الأسرى حلولاً تتمحور في:

1. تنـاول فكـرة تهريـب النطـف والزراعـة لزوجـة الأسـير عـبر وسـائل الإعـلام المشـاهدة والمقروءة والمسـموعة والالكترونيـة، والفضائيـات الفلسـطينية والعربيـة، ولربمـا كان الأسـبق في هـذا الاتجـاه فيلـم «انتـزاع» الـذي عـرض في العـام 2009م، والـذي جسـد فكـرة تهريـب النطـف مـن داخـل السـجون إلى خارجهـا قبـل نجـاح أول نطفـة في العـام 2012م.

2. أن تقـوم وزارة الأوقـاف بتعميـم الفكـرة عـبر الخطبـاء في المسـاجد لإثـارة الموضـوع بشـكل مكثـف.

3. أن تقـوم المؤسسـات العاملـة في مجـال الأسرى بتوزيـع نـشرات وعقـد ورش العمـل بوجـود أهـالي الأسرى لاسـتيعاب الفكـرة[588].

ج- الجانـب الأمنـي: فكـر الأسرى بحلـول للإنجـاب مـن داخـل السـجون، وفـق القوانـين الدوليـة، ومـا هـو متعـارف عليـه في سـجون عربيـة، ومـا هـو متـاح ومعمـول بـه مـن نظـام في السـجون الإسرائيليـة، ودرس الأسرى هـذه الحالـة بتمعـن في فـترة مبكـرة مـا قبـل الـشروع بتهريـب النطـف، وكانـت البدايـات بمناقشـة الخلـوة الشرعيـة داخـل السـجن، عـلى أسـاس الإجتمـاع بـين الزوجـين في غرفـة خاصـة معـدة داخـل السـجن يتـم اللقـاء فيهـا بـين الزوجـين لفـترة معلومـة في أوقـات محـددة بحيـث يتـم نقـل الزوجـة مـن خـارج السـجن إلى داخلـه فتلتقـي بزوجهـا في الغرفـة المخصصـة بحيـث تحـدث المعـاشرة بينهـما، وهـذه الغرفـة تكـون تحـت الإدارة المسـؤولة عـن السـجن، والمعروفـة في السـجون الإسرائيليـة، وبخاصـة لـدى الأسرى الجنائيـين اليهـود باسـم (חדר אהבה_ حيـدر أهافـا أى غرفـة الحـب)[589].

وكثـيرة هـي المـدارس لـدى علـماء الإجتـماع في أوربـا والعـالم التـي تؤكـد عـلى الآثـار الإيجابيـة لاجتـماع الأزواج في السـجون كوسـيلة تأهيليـة وإصلاحيـة[590]، ومنـذ أكـثر مـن قـرن تعاملـت بـه بعـض السـجون الأمريكيـة في ولايـة ميسيسـبي (Mississippi) في العـام 1900م مـع الأسرى السـود الذيـن اشـتغلوا في الحقـول أثنـاء وجودهـم في السـجن[591]، وكذلـك في ولايـة أوريجـون وكاليفورنيـا، وعمـل بنظـام الخلـوة في السـجن في الكثـير مـن دول العـالم، كالولايـات المتحـدة الأمريكيـة والـدول

(588) الأسـير المحـرر إيـاد عطـا أبـو فنـون: زواج الأسـير وطلاقـه والمسـتجدات في ذلـك، بحـث مقـدم لكليـة الدراسـات العليـا بجامعـة الخليـل، قسـم القضـاء الشرعـي، للحصـول عـلى درجـة الماجسـتير، 2013، ص267 .

(589) نفس المصدر: ص244.

(590) Accordino, M.p.,& Guerney ,B.Jr.(1998) .An evaluation of the relationship enhancement program with prisoners and their wives internation- al journal of Offender and Comparative Criminology,42,(1) , 5-15.

(591) صحيفة هآرتس الاسرائيلية: http://www.haaretz.co.il/misc/1.1150868

الأوروبية والآسيوية وأمريكا الجنوبية ودول أفريقيا [592]، ودعا لهذه الفكرة علماء اجتماع كثر [593]، وعلى المستوى العربي كانت المملكة العربية السعودية أول من طبقت « الخلوة الشرعية « في سجونها في العام 1978م، وتلتها في ذلك الخصوص كل من الكويت واليمن وقطر والإمارات العربية المتحدة ودول عربية أخرى، وأصدرت دار الإفتاء المصرية فتوى رسمية بختم شعار وزارة العدل أكد فيها المفتي د. علي جمعة: « بالجواز الشرعي لاختلاء المسجون بزوجته، والزوجة المسجونة بزوجها لممارسة الحقوق الشرعية الخاصة بالزوجين [594].

أما على صعيد السجون الإسرائيلية فأول من طرح فكرة « الخلوة الشرعية « مع الزوجة للنقاش الأسير المحرر جبر وشاح خلال اعتقاله في العام 1993م في سجن نفحة، وتم تناول الفكرة من جميع جوانبها، وكتب في ذلك مقالاً لازال يحتفظ به خطياً حتى بعد الإفراج عنه ضمن إفراجات اتفاقية أوسلو، معللاً الأمر بالأحكام الجنونية والجائرة والصارخة بالمؤبدات لمرات لمدى الحياة، وتطرق لحق الزوجة بالإنجاب، كونها تنتظر زوجها لسنوات طوال دون ونيس في الحياة، بالإضافة لضغط المجتمع عليها لطلب الطلاق بسبب انسداد أفق الإفراج عن الأسرى، وحتى لا تقهر في حال تم الإفراج عن الزوج وهي في سن اليأس إذا ما طلب الذرية لاجئاً لتحقيق أمنيته للزواج بأخرى[595].

ولكن الأسير وشاح ورفاقه في السجن رفضوا الفكرة بعد دراسة معمقة لها، لأسباب أمنية أهمها:

1. عدم أخلاقية العدو الإسرائيلي، الذي لا يتوانى من فضح الخلوة بالصوت والصورة.
2. التخوفات الأمنية من استغلال تلك الصور كابتزاز وضغط على الأسير وزوجته واستخدامها كوسيلة إسقاطهما أمنياً وأخلاقياً.
3. الفارق بين الدول التي تحبس رعاياها وتعمل على تأهيلهم وإصلاحهم ليكونوا عناصر إيجابية في المجتمع بعد تحررهم، وبين العدو الصهيوني الذي يسعى بشتى الأساليب لتحطيم بنية الأسير ونفسيته، وتحويله عبء على مجتمعه.
4. الحذر من جانب الأسرى في كل ما يتعلق بالحماية له ولذويه.
5. عدم قبول تلك الفكرة من جانب زوجات الأسرى وعائلاتهم لانتمائهم لمجتمع متدين ومحافظ، وعدم تشجيعها وتبنيها وطنياً واجتماعياً [596].

(592) سفير بن مسفر الجعيد: تقييم تجربة الخلوة الشرعية لنزلاء السجون، دراسة مقدمة للحصول على درجة الماجستير فى العلوم الاجتماعية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، قسم العلوم الاجتماعية، المملكة العربية السعودية، 2008 ص26.

(593) أمثال: كولومبس هوبر، وأوجين زيمانز، وروث شونل كافان، وجوزيف بالوج وغيرهم.

(594) بوابة القاهرة: http://www.cairoportal.com/story/847

(595) الأسير المحرر جبر وشاح: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 25/4/2015.

(596) الأسير المحرر إياد عطا أبو فنون : مرجع سابق، ص246 .

ثانياً- عنصرية اسرائيلية باتجاه الأسرى العرب:

عارضت دولة الاحتلال فكرة الإنجاب للأسرى الفلسطينيين والعرب بكل الوسائل « بالخلوة الشرعية والنطف المهربة والحرية المؤقتة والاجتماع بالأهل لساعات ثم العودة " وعملت على محاربتها بكل الطرق، واتضح هذا الرفض في أعقاب عقد قران عميد الأسرى العرب الشهيد سمير القنطار على فتاة فلسطينية من مدينة حيفا المحتلة خلال الاعتقال، وذلك في العام 1993م، والذي أثار ضجة كبيرة في الأوساط الإسرائيلية، الأمر الذي دفع رئيس الوزراء ورئيس دولة اسرائيل الأسبق شمعون بيرس بالتصريح إعلامياً « ذرية سمير القنطار لن ترى النور ما دمت على قيد الحياة « [597]

وقد بررت مديرة مصلحة السجون أوريت أوداتو « אורית אדאטו « رفض الإنجاب للأسرى الفلسطينيين السياسيين عبر مقابلة متلفزة على إحدى القنوات الاسرائيلية بالبعد الأمني، تخوفاً من تهريب أدوات ممنوعة للأسرى من خلال الخلوة.

ويعتقد الباحث بصحة قرار الأسرى الفلسطينيين برفض فكرة الإنجاب عن طريق « الخلوة الشرعية « في سجون المحتل، في حين يؤكد على عنصرية الاحتلال في التعاطي معهم بشعار دنيء « أن الإرهابي سينجب ارهابياً مثله « في حين سمحت للسجين الإسرائيلي الأمني « إيغال عمير- יגאל עמיר "[598] قاتل رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق إسحاق ربين[599]، الأمر نفسه تكرر مع السجين الإسرائيلي الأمني عامي بوبر « עמי פופר " [600].

وما يدلل على العنصرية والتمييز لدى دولة الاحتلال رفض طلب السماح بالإنجاب للأسير الفلسطيني « وليد دقة « كحالة مشابهة [601].

ثالثاً- الإنجاب عن طريق النطف المهربة:

في أعقاب القيود والممنوعات الإسرائيلية، والتخوفات الأمنية لخيار «الخلوة الشرعية"، والمحاربة الإسرائيلية لأي خيارات بإخراج النطف والتلقيح الصناعي بطرق رسمية، بدأ الأسرى يفكرون بطرق إبداعية بديلة لتحقيق الإنجاب كحق إنساني، فبرزت فكرة الإنجاب عن

---

(597) محمد أحمد عطا الله: أطفال يولدون رغم السجان، سفراء الحرية، غزة، فلسطين، منشور الكترونياً، موقع مفوضية الأسرى والمحررين، 2015، ص5 .

(598) مع العلم أن « إيغال عمير « يقضي عقوبة المؤبد، وبعد الخوض بإضرابات عن الطعام، ومحاولته تهريب النطف تحت المعطف، توجه لمحكمة العدل العليا الإسرائيلية وجلب له محاميه المدعو شموئيل دافيد كاسبر الموافقة الرسمية له « بالخلوة الزوجية « كباقي الأسرى اليهود، وتمكن بذلك من انجاب طفل.

(599) موقع مغرس: http://www.maghress.com/alittihad/188073

(600) « السجين اليهودي عامي بوبر « قتل فيما عرف بالأحد الأسود في 20 مايو / أيار 1990 « ببندقية من طراز أم 16 « سبعة من العمال الفلسطينيين من مدينة خانيونس جنوب قطاع غزة، وأصاب أحد عشر آخرين بجراح مختلفة بمنطقة "ريشون لتسيون" قرب تل أبيب، ومع هذا سمحت له إدارة مصلحة السجون الاسرائيلية بالزواج الرسمي في العام 1993م، وأنجب طفله البكر في العام 1995 م، وطفلين آخرين من بعده.

(601) الأسير « وليد دقة « مواليد 1961م من سكان باقة الغربيّة في المثلث الشمالي بفلسطين المحتلة عام 48، والمعتقل منذ العام 1986، والمحكوم عليه بالسجن المؤبّد مدى الحياة (ولا زال معتقلاً حتى تاريخ الدراسة 2015)، والذي عقد قرانه على ناشطة حقوقية في العام 1999، والتي رفضت المحكمة المركزية في الناصرة التماساً قدمه مركز «عدالة» عن طريق المحاميّة عبير بكر في 27 يوليو/ تموز 2008 السماح له بإنجاب طفل، كحلم لم يفارق هاجسه بتحقيق الأبوة، والذي كتب عنه العديد من القصصالقصيرة والخواطر، كون الوقت لا يعمل لصالحه، ولأن تحريره لا يبدو في الأفق، وهو وزوجته يأخذان بالتقدم بالسن، وادعت المحاميّة أنّ سلب حق الأسير «دقة» في إنجاب الأطفال يشكل مسًا خطيرًا في حقوقه الدستوريّة، كحقه في ممارسة حياة عائليّة وحقه في الكرامة وفي مضي فترة محكوميته بشكل لائق وإنساني لا يستند على مبدأ النقمة، وإنّ أي تأخير في السماح للأسير بتحقيق حقه في إنجاب الأطفال سيسبب له ضررًا أبديًا، والنتيجة التي كانت برفض الالتماس دليل واضح على التمييز بين السجناء العرب واليهود لصالح اليهود في الحقوق، على الرغم من تشابه الفعل على اختلاف القضية لصالح الفلسطيني كمقاوم للمحتل مقابل إرهاب استيطاني مناقض للانسانية وللاتفاقيات والمواثيق الدولية.

طريق « النطف المخزنة [602]، ومن ثم بدأت فكرة تهريب النطف من السجون[603]، ويمكن إرجاع أول محاولات تهريب للنطف إلى العام 2002م [604] ولم تنجح حينها بسبب « قلة خبرة الأسرى في حفظ حياة الحيوانات المنوية وتوصيلها للخارج، والإمكانيات العلمية والمهنية في قضية الزراعة والتلقيح في فلسطين وتهيئة الإرشادات الطبية والتحضير للعمليات، وتوفير الظروف والمناخات الاجتماعية والنفسية والوطنية للفكرة «.

وفيما يتعلق ببعض عوامل النجاح لم تتوافر الأنابيب الحافظة للنطف المهربة في السجون، وبعثتها للأسير روحي مشتهى الذي لم تنجح محاولته لربما لأسباب لها علاقة بظروف الزيارات، أما عن طرق التهريب التي تم الإعلان عنها وكشفها من قبل الاحتلال، فكانت عبر هدايا الأسرى لذويهم يوم الزيارات، وذلك بوضع النطف مكان نواة التمر، أو داخل حبات الشوكلاتة والحلويات، وطرق لا زالت غير مكتشفة ولم يتم الإعلان عنها بَعْد لاستمرار نجاح الظاهرة.

- **أول سفير حرية من السجون:**

سجلت الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة أول انتصار في إنجاب الأطفال عن طريق النطف المهربة في 13 أغسطس / آب 2012م، وكان أول سفير للحرية « الطفل مهند « ابن الأسير عمار الزبن، المحكوم بـ (27 مؤبداً و25 عاماً)، ولم يقدم المركز الذي أجرى عملية التلقيح حتى تهيأت الظروف الاجتماعية، وبعد الحصول على فتوى دينية رسمية، واحتضان مجتمعي، وبمباركة عدد كبير من المؤسسات والقيادات الفلسطينية الوطنية والإسلامية، وبدعم من كوادر الحركة الوطنية الأسيرة في السجون، وحينما طلبت زوجة الأسير عمار الزبن من المركز القيام بهذه العملية في العام 2006م، تم تأجيل الموضوع ليتم أخذ الموافقة من الجميع، وتتهيأ كافة الظروف والأجواء الاجتماعية والعائلية والمؤسساتية للأمر، وقام المركز بالعملية بعد القناعة باستكمال كل المتطلبات في العام 2012م، أي بعد 6 سنوات من الطلب[605].

وبهذا تحول الأسير عمار الزبن وطفله الأول مهند عنواناً لمرحلة جديدة، وأساساً لبداية انطلاقة نوعية، نحو تعميم التجربة والانتقال من الانتصار الفردي إلى الانتصارات الجماعية، وانتزاع لحق سلبته إدارة السجون الإسرائيلية، وأقرته المواثيق الدولية وكفلته الشريعة الإسلامية، انتصار هو الأول، شجع الآخرين ومهد الطريق وشكل عنواناً لمعركة جديدة ضد الاحتلال والسجان، فانتشرت ثقافة القبول بالتخصيب، وغدت ظاهرة توشك أن تعم السجون، فمن الأسرى من سجل نجاحات مماثلة، ومنهم من تنظر زوجته استكمال فترة الحمل لتضع مولودها، ومن الزوجات من ينتظرن إتمام التحضيرات الطبية لإجراء عملية التلقيح، لكن

(602) من قبل الأسير عباس السيد مواليد 1966، من طولكرم، والمحكوم بالمؤبد 36 مرة، كونه خزّن عينات قبل اعتقاله في العام 1997م في أحد المراكز المتخصصة بهدف الإنجاب عن طريق زراعة الأجنة، ولقد اقترح على زوجته أثناء الاعتقال استخدام العينة المودعة في المركز الطبي، ورغم عدم تقبلها للأمر في بداية الأمر إلا أنها عاودت التفكير وقررت الإقدام على التجربة رغم ما قد تسببه من حرج اجتماعي، معتبرةً أنها تؤدي رسالة انسانية

(603) أجرى الباحث الأسير إياد أبو فنون قبل تحرره من الأسر في العام 2011م خلال كتابة رسالته بعنوان « زواج الأسير وطلاقه والمستجدات في ذلك « استطلاعاً في قسم 3 بسجن هداريم، الذي يضم عينة تقدر ب (120) أسير من ذوي الأحكام العالية من معظم الفصائل الوطنية والإسلامية، وشارك في الاستطلاع 84%، وامتنع 16 % وأشارت النتائج إلى أن 65% من المتزوجين ممن لم ينجبوا قبل الاعتقال يفكرون بالإنجاب وهم داخله.

(604) الأسير المحرر جبر وشاح: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 25/4/2015.

(605) د سالمأبو خيزران مسؤول زراعة نطف الأسرى بمستشفى رزان التخصصي نابلس: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 25/4/2015.

ثقافة تهريب النطف، انتشرت وسوف تنتشر أكثر، وسوف تلاقي تأييداً واسعاً فيما بعد، من رجال الدين والسياسة وأطراف الحركة الأسيرة قاطبة، ولقد تكررت التجربة من بعد، حتى غدت ظاهرة لافتة وثورة من أجل الحياة[606]، ولقد سجل التاريخ أن أول عملية تهريب من السجون كان بطلها الأسير عمار الزبن، وأول سفير للحرية ابنه « مهند »، في حين كان الطفل «محمد كريم « ابن الأسير سائد صلاح، من مدينة جنين، والمحكوم 27 عاماً، هو آخر سفراء الحرية[607]، ليرتفع عدد الأطفال الذين أنجبوا عبر تهريب «النطف المنوية» من داخل السجون إلى أكثر من (40) طفلا وفق تاريخ الدراسة حتى نهاية 2015م[608]، ولا زالت محاولات الأسرى مستمرة، والظاهرة في ازدياد بسبب الدعم والمساندة لها من كل الاتجاهات، وحقيقة الأمر أن السجون لم تشهد منذ بداية الاحتلال هذا التطور الفائق في مقدرة الأسرى على تهريب النطف المنوية وإنجاب الأطفال كما شهدته الأعوام القليلة الماضية، وإن هذا الإنجاز الإنساني أعطى قوة معنوية ونفسية للأسير وعائلته وجدد أملهم بالحرية « [609].

ويرى الباحث أن أطفال النطف منحت الزوجة ثقة الاستمرار بالحياة الزوجية مع زوجها الأسير، وجنبتها قهر زواج زوجها بعد الإفراج عنه بحثاً عن الإنجاب، وخففت الضغوط الاجتماعية عليها للبقاء على عهد التواصل مع زوجها رغم الأحكام العالية، وقضت توق الأسير لغريزة الإنجاب الذي حاول الاحتلال من خلال اعتقاله قطع النسل.

رابعاً- مواجهة الاحتلال لهذه لظاهرة النطف المهربة:

من الطبيعي أن تشكل ظاهرة تهريب النطف قلقاً كبيراً للاحتلال، في ظل الإجماع الإسرائيلي من خطر الديموغرافيا التي تشكل أحد أهم التحديات التي تواجهه مستقبلاً، ومن أجل الحفاظ على التفوق الديموغرافي قامت دولة الاحتلال باستقدام مجموعات ليست يهودية خالصة كالروس والإثيوبيين [610]، فالزيادة السكانية الفلسطينية بالشكل العام تشكل هاجساً لديه، وستكون أكثر رفضاً وحساسية إذا ما كانت الزيادة - ولو قليلة- متعلقة بنسل الأسرى وتحديهم لتحقيق الإنجاب رغم الإعتقال.

فكانت أولى ردات الفعل الإسرائيلية على لسان الناطقة باسم مصلحة السجون الإسرائيلية المسؤولة عن احتجاز الأسرى الفلسطينيين السياسيين « سيفان فايتسمان « التي قالت: « إن إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية على علم بتهريب النطف من جانب الأسرى ومحاولاتهم، وأننا سنضع حد لهذه الظاهرة، ولقد تم تشكيل لجنة تحقيق للموضوع، وحسب النتائج سنصدر التعليمات الجديدة التي ستقلل بشكل كبير من الأدوات والطرق التي تهرب فيها الحيوانات المنوية "، وبينت فايتسمان أن إدارة مصلحة السجون اكتشفت وسائل وطرق

(606) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص348.
(607) موقع الحدث اليوم: http://www.alhadathtoday.com/?page=News&id=7314
(608) موقع مركز الأسرى للدراسات: http://alasra.ps/ar//index.php?act=post&id=27544
(609) وكالة معاً الإخبارية: http://www.maannews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=750977
(610) موقع مركز الأسرى للدراسات: http://alasra.ps/ar//index.php?act=post&id=28293

التهريب، وبينت أن لجنة التحقيق الجديدة أصدرت تعليمات لن تعرض للإعلام لأنه في حال كشفها سيحاول الأسرى الفلسطينيون الالتفاف عليها[611].

وفي أعقاب تشكيل لجنة التحقيق قامت إدارة مصلحة السجون بعدة خطوات مثل « التفتيش الدقيق للأسرى، والهدايا، والملابس التي يخرجها بهدف تبديلها عبر الأهل في يوم الزيارات، وكذلك تفتيش الأطفال الصغار، ومن يضبط أثناء تهريب النطف يتم عزله ويمنع من الزيارات، وأحياناً يتم نقله إلى سجن آخر ويغرم مالياً [612].

ولعل أقسى أنواع العقاب منع دولة الاحتلال منح هؤلاء الأطفال بطاقة هوية فلسطينية، كما ترفض الاعتراف بشهادات الميلاد وأرقام الهويات التي تخرجها وزارة الداخلية الفلسطينية، كما تمنعهم من زيارة آبائهم في السجن للمضايقة على المعتقلين وتعقيد تواصلهم مع الخارج لكون هذه الإجراءات غير قانونية [613]، و لعل أكثر ما لفت انتباه الباحث للتدليل على تخبط دولة الاحتلال في التعامل مع الظاهرة منع أطفال النطف من زيارة آبائهم في السجون.

في نهاية المبحث يجزم الباحث والأسرى والمتابعون « أن عملية تهريب النطف تعد إنجازاً وطنياً وإنسانياً وحقوقياً كبيراً، وتعتبر وسيلة نضالية جديدة للأسرى بحثاً عن الحياة والأمل والحرية، وهي خطوة للتغلب على قيود السجّان، وكسرت شوكة أحكامه المؤبدة، فإنجاب الأطفال حق مشروع لكل إنسان على وجه الأرض، والأسرى انتزعوا هذا الحق رغم أنف الاحتلال مسارعةً لقطار الحياة بالأمل والإرادة في معركة البقاء والوجود [614].

رئيس هيئة الأسرى والمحررين عيسى قراقع يعتبر أن عملية تهريب النطف تمثل إنجازاً كبيراً وتحدياً للظروف القاسية التي يعيشها المعتقلون الفلسطينيون، فإنجاب الأطفال عن طريق التخصيب أقوى رسالة حياة على جوهر الأسرى الذين يتطلعون إلى المستقبل والحرية[615]، ووصف ظاهرة النطف المهربة بثورة التحدي الإنساني، واختراقاً لكل أشكال العزل والظروف الصعبة والقاسية التي يعيشها الأسرى بالسجون، ورسالة حياة عميقة للعالم تقول: « بأننا نحب الحياة ولا نريد سوى أن نعيش كبشر لنا أطفال وبيت وعائلة، وهذا هو هدفنا الإنساني والوطني والنضالي، وأضاف: أن الأسير اثبت أنه إنسان له الحق في الحياة والحرية، رداً على كل أشكال التعسف الإسرائيلية التي تسعى إلى تجريده من إنسانيته وتشويه صورته، حيث يرى الأسير في طفله القادم نبض حياة متجددة في الوقت الذي تقوم به إسرائيل بقتل واعتقال الأطفال الفلسطينيين، وهي رسالة أخلاقية من الأسرى بامتياز «[616].

(611) موقع الحدث الفلسطيني: مصدر سابق، http://www.alhadath.ps/article.php?id=a02504y10495236Ya02504

(612) الأسير المحرر أحمد محيى الدين حرزالله: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 20/10/2015.

(613) موقع الحدث الفلسطيني: http://www.alhadath.ps/article.php?id=a02504y10495236Ya02504

(614) الأسير المحرر خضر خليل شعث: مقابلة أجراها الباحث، غزة، 2/11/2015.

(615) موقع الحدث الفلسطيني: http://www.alhadath.ps/article.php?id=a02504y10495236Ya02504

(616) وكالة معاً الإخبارية: http://www.maannews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=750977

ومـن النتائـج الإيجابيـة لظاهـرة تهريـب النطـف أنهـا سـلطت الضـوء عـلى القضايـا الإنسـانية لـلأسرى بشـكل كبـير في العـالم، وأظهـرت العنصريـة التـي يتعـرض لهـا المعتقلـون السياسـيون القابعـون في سـجون الاحتـلال الإسرائيـلي[617]، ويـرى الباحـث أن سـفراء الحريـة، أبنـاء النطـف المهربـة حملـوا رسـائل عـدة للعـالم، رسـالة مطالبـة لتجريـم سياسـات الاحتـلال التـي تتعامـل مـع آبائهـم بـكل تلـك الوحشـية مـن الأحـكام الردعيـة الخياليـة، واعتقالهـم في ظـروف غـير آدميـة وغـير إنسـانية، وعـلى العنصريـة وسياسـة التمييـز في السـجون مـا بـين اليهـودي والفلسـطيني في كافـة التعامـلات والحقـوق والممارسـة، وأن الاحتـلال يحـرم آباءهـم مـن حقوقهـم الأساسـية وعـلى رأسـها حـق الإنجـاب والتعليـم والعـلاج والتواصـل مـع الأهـل عـبر الزيـارات المنتظمـة، وإنهـاء العـزل الانفـرادي والأحـكام الإداريـة بـدون لائحـة اتهـام وبملفـات سريـة، ويحملـوا ملـف الأسرى بـكل مكوناتـه وانتهـاكات الاحتـلال بحقهـم للمؤسسـات الحقوقيـة والإنسـانية المحليـة والعربيـة والدوليـة.

(617) موقع الحدث الفلسطيني: مصدر سابق، http://www.alhadath.ps/article.php?id=a02504y10495236Ya02504

المبحث الثالث
تأثير الأسرى ووثيقة الوفاق الوطني كأساس للمصالحة الفلسطينية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم
«واعتصموا بحبل اللَّه جميعا ولا تفرقوا»

انطلاقًا من الشعور العالي بالمسؤولية الوطنية والتاريخية ونظرًا للمخاطر المحدقة بشعبنا، وفي سبيل تعزيز الجبهة الفلسطينية الداخلية وصيانة وحماية الوحدة الوطنية ووحدة شعبنا في الوطن والمنافي، ومن أجل مواجهة المشروع الإسرائيلي الهادف لفرض الحل الإسرائيلي، ونسف حلم شعبنا وحق شعبنا في إقامة دولته الفلسطينية المستقلة الكاملة السيادة، هذا المشروع والمخطط الذي تنوي الحكومة الإسرائيلية تنفيذه خلال المرحلة القادمة تأسيسًا على إقامة واستكمال الجدار العنصري وتهويد القدس وتوسيع المستوطنات الإسرائيلية والاستيلاء على الأغوار وضم أجزاء واسعة من الضفة الغربية وإغلاق الباب أمام شعبنا في ممارسة حقه في العودة.

ومن أجل المحافظة على منجزات ومكتسبات شعبنا التي حققها من خلال مسيرة كفاحه الطويل ووفاء لشهداء شعبنا العظيم وعذابات أسراه وأنات جرحاه، وانطلاقاً من أننا ما زلنا نمر في مرحلة تحرر طابعها الأساسي وطني ديمقراطي مما يفرض استراتيجية سياسية كفاحية متناسبة مع هذا الطابع.

ومن أجل إنجاح الحوار الوطني الفلسطيني الشامل، واستنادًا إلى إعلان القاهرة والحاجة الملحة للوحدة والتلاحم، فإننا نتقدم بهذه الوثيقة [618].

بهذه الكلمات المسؤولة، وبكل ذلك الانتماء المتجذر للشعب والوطن في أعماق التاريخ، وبذلك المستوى والإدراك والحرص على المصالح الوطنية العليا، والتنبؤ والاستشراف بالمستقبل القريب والبعيد لمجمل القضية الفلسطينية، بدأ الأسرى مقدمة وثيقتهم التي عرفت « بوثيقة الأسرى " في مايو/أيار 2006م، والتي توصل إليها قادة الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة « باسم كافة الأسرى « كإحدى أهم مظاهر الإبداع التي خرجت باسمهم من داخل السجون الإسرائيلية.

في هذا المبحث سيتناول الباحث عدد من الموضوعات منها، أسباب الانقسام الفلسطيني

(618) جمعية الأسرى والمحررين: وثيقة الوفاق الوطني، مركز الدراسات والتوثيق والمعلومات، غزة، فلسطين، 2006، ص5.

وآثاره وتداعياته، ومبادرة الأسرى بالكثير من النقاشات والحوارات في السجون لتجنيب شعبهم ويلاته، والتعريف بقادة الفصائل صنَّاع الوثيقة، والعناصر الأساسية التي حرص الأسرى التأكيد عليها من خلالها، ومدى صلاحيتها حتى تاريخ الدراسة في تحقيق المصالحة الوطنية الفلسطينية.

أولاً- بدايات الانقسام الفلسطيني:

شهدت الساحة الفلسطينية في 14 يونيو / حزيران 2007م حدثاً أشبه بالزلزال السياسي، أطلقت عليه حركة فتح مصطلح «الانقلاب» ووصفته حركة حماس «بالحسم" ونعته المحايدون "بالانقسام" وشهدت سنواته الكثير من الأحداث والمحطات ما بين التوتر والاشتباكات والمواجهات المسلحة، وبين الحوارات والمفاوضات والاتفاقات في فلسطين بلقاءات مباشرة، وخارجها بوساطات عربية مصرية وسعودية وقطرية وغيرها.

ومن المحللين والكتاب مَنْ أعاد جذور الانقسام لأسباب تتعلق بفترات سابقة ممتدة لها جذورها الفكرية والأيدلوجية والبرامج والأهداف، ومنهم من أعاده إلى ما بعد انطلاق حركة حماس، ومشاركتها الفاعلة في الانتفاضتين (1987 – 2000م)، ومن ثم ممارسة دورها السياسي ما قبل وبعد اتفاقية أوسلو 1993م، إلا أن الباحث سيقتصر في بحثه على الأسباب المباشرة « أي ما بعد الانتخابات الفلسطينية الثانية التي جرت في 25 كانون ثاني/ يناير 2006م، وأحداث 14 يونيو/حزيران 2007م مع تحول الانقسام السياسي بين الحركتين إلى انقسام جغرافي وسياسي معاً .

عانت الساحة السياسية الفلسطينية خلال فترة الانقسام من عدد من الإشكاليات والمعيقات وأسباب أخرى من دوافع المصالحة، وأهمها: عدم انخراط كل مكونات الشعب الفلسطيني تحت مظلة واحدة، رغم كثرة الحديث عن ترميم هياكل وأنظمة وبرنامج منظمة التحرير الفلسطينية، وانضمام حركتي حماس والجهاد الإسلامي إليها، وغياب الرؤية الاستراتيجية الموحدة للفصائل، وعدم التوافق على أولويات العمل الوطني، وعدم التوافق والتناسق بين برنامجي المفاوضات والمقاومة، إلى جانب تشتت مراكز صناعة القرار الفلسطيني وتعرضها لضغوط داخلية وخارجية عديدة [(619)].

ويرى الباحث أن الشعب الفلسطيني أشبع وعوداً ومحالاوت وتدخلات واتفاقات وقرارات خلال سنوات الانقسام العجاف، والتي دفع خلالها ثمناً باهظاً، من جوعه ودمه وصبره ومعاناته، وأضحى ضحيةً للواقع المرير الذي حوله أشبه بالأسير في سجن كبير، وترك الانقسام الكثير من الآثار الجسيمة عليه في كل مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية " حيث أنه أعطى ذريعة للاحتلال للتهرب من العملية السياسية، وتكثيف سياسة التهويد والاستيطان، وتراجع الاهتمام الدولي بالقضية الفلسطينية كقضية سياسية إلى مجرد اهتمامات إنسانية من إغاثة ومساعدات غذائية، وأضعف الانقسام خيار المقاومة، وخلَّف أزمات اقتصادية، مع غياب شبه كامل للقانون".

(619) د محسن صالح: التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2011، بيروت، لبنان، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2012، ص2.

بـات واضحـاً للقـوى السياسـية كافـة، اسـتحالة بقـاء الأمـور عـلى ما هـي عليه، واسـتحالة الاسـتمرار في سياسـة المناكفـة وتبـادل الاتهامـات، وبـضرورة العـودة إلى إجـراء مراجعـة سياسـية شـاملة في إطـار مـن الحـوار الوطنـي يشـارك فيـه القـوى السياسـية كافـة، وكذلـك فعاليـات المجتمـع المـدني وممثلـو القطـاع الخـاص، ولكـن المخـرج مـن الأزمـة جـاء مـن خلـف القضبـان مـن الحركـة الوطنيـة الأسـيرة [620].

ثانياً- الأسرى والانقسام الفلسطيني:

لعبـت الحركـة الوطنيـة الأسـيرة في سـجون الاحتـلال دوراً فريـداً ومميـزاً في المصالحـة الوطنيـة الفلسـطينية، مـن خـلال إصدارهـا وثيقـة الأسرى بعـد حالـة الاقتتـال والانقسـام السـياسي الـذي وقـع بـين حركتـي حـماس وفتـح، وقـد جـاءت وثيقـة الأسرى [621] أو « وثيقـة الوفـاق الوطنـي « لتشـكل رافـداً يؤسـس لحـوار وطنـي شـامل يبنـى عليـه في إعـادة اللحمـة الوطنيـة لمؤسسـات السـلطة الوطنيـة وفصائـل العمـل الوطنـي الفلسـطيني، وفي التاسـع مـن مايـو / آيـار 2006م تـم الإعـلان عنهـا باسـم الحركـة الوطنيـة الفلسـطينية الأسـيرة في السـجون الإسرائيليـة [622].

كـما سـبق مـن ذكـر، قـرأ الأسرى المـأزق الفلسـطيني قبـل وقوعـه، وشـاهدوا نهايـة النفـق المظلـم قبـل الدخـول إليـه، فحـذروا القـوى الفلسـطينية مـن الانجـراف نحـوه كونـه سـيقوض أسـس المجتمـع الفلسـطيني وركائـزه، ولـن يكـون إلا لصالـح العـدو الإسرائيـلي ومشروعـه الصهيـوني.

وبـدأ نقـاش مسـتفيض ومعمـق بـين الأسرى القـادة للبحـث عـن أقـوى وأضعـف سـبل التقاطـع والاختـلال في السـاحة الوطنيـة[623] للوصـول إلى أفضـل صيغـة جامعـة للاتفـاق عـلى برنامـج وطنـي موحـد للعمـل السـياسي الفلسـطيني، واسـتمرت الحـوارات داخـل المعتقـل لمـدة شـهرين كاملـين، مـا بـين نقـاش وحـذف وإضافـة للأفـكار، وكتابـة مسـوداتها وتعديلهـا، إلى أن خرجـت الوثيقـة بالشـكل المعـروف لأبنـاء شـعبنا، ومـن الأهميـة بمـكان الإشـارة هنـا إلى أن الأسرى القـادة [624] كلهـم تعاونـوا بشـكل مثمـر وبنَّـاء في صياغـة تلـك الوثيقـة الهامـة [625].

(620) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص149 .

(621) أنظر ملحق نصوثيقة الأسرى كاملة: ص284.

(622) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص145 .

(623) القيـادى فى الجبهـة الديمقراطيـة مصطفـى بدارنـة أحـد صنـاع وثيقـة الأسرى وصـف بعـد تحـرره فى صفقـة وفـاء الأحـرار متابعـة الأسرى للأوضـاع المتفاقمـة فى الخـارج بالقـول « كنـا كأسرى نراقـب ونتابـع بكثـير مـن القلـق والخـوف حالـة الصراع المحتـدم عـلى السـلطة والنفـوذ، بعـد حالـة الاسـتعصاء التـي بـدأ يعيشـها النظـام السـياسي الفلسـطينى فى أعقـاب انتخابـات المجلـس التشريعـي الثانيـة 2006، والتـى كانـت تنـذر بمخاطـر الحـرب الأهليـة، وهـذا مـا دفعنـا لأن نبـادر قبـل بـدء أعـمال مؤتمـر المصالحـة فى رام اللـه أيـار/2006 بشـهرين تقريبـاً لتـدارس الحالـة الوطنيـة باتجـاه بلـورة مـشروع سـياسي وطنـي نقدمـه باسـم الحركـة الأسـيرة للقـوى الوطنيـة خـارج المعتقـل، ومـع بلـورة فكـرة مؤتمـر المصالحـة أسرعنـا في إنجـاز وثيقـة الوفـاق الوطنـي لنقدمهـا لطاولـة الحـوار الوطنـي في ذلـك المؤتمـر، كنـت الوحيـد فى قسـم آخـر مـن السـجن، ولكـن هـذا لم يمنـع تواصلـي مـع الآخريـن إلى أن تـم إنجـاز صيغـة نهائيـة للوثيقـة، حيـث سـاعدتنا بعـض الظـروف لأن التقـي الأخ مـروان مبـاشرة في قاعـة زيـارة الأهـل لتخصيصذلـك الوقـت للحديـث حـول تلـك الصيغـة واعتمادهـا نهائيـاً، هـذا بالطبـع كان عـلى حسـاب لقائنـا وحديثنـا مـع أهلنـا الذيـن جـاؤوا لزيارتنـا، الذيـن لم ينالـوا الا بعـض الدقائـق للحديـث معنـا «.

(624) ومـن أبـرز القـادة الذيـن صاغـوا الوثيقـة مـع التأكيـد عـلى مشـاركة كـوادر وتنظيـمات أخـرى كانـوا ممثـلى شـعبهم فى مطلـب الوحـدة الوطنيـة، وممثـلى تنظيماتهـم فى وضـع خريطـة المصالحـة الممثلـة بوثيقـة الأسرى مـن داخـل السـجون وهـم:

- الأسير مروان حسيب البرغوثى ممثلاً عن حركة فتح.
- الأسير عبد الخالق حسن النتشة ممثلاً لحركة حماس.
- الأسير بسام راغب السعدى ممثلاً عن حركة الجهاد الإسلامى.
- الأسير عبد الرحيم محمود ملوح ممثلاً عن الجبهة الشعبية.
- الأسير مصطفى كامل بدارنة ممثلاً عن الجبهة الديمقراطية وغيرهم .

(625) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة – جامعة القدس، موسوعة تجارب الأسرى الفلسطينيين والعرب، مرجع سابق، ص441.

رابعاً- وثيقة الأسرى:

أكدت وثيقة الأسرى في ثمانية عشر بنداً مفصلاً على مجمل القضايا الرئيسية الفلسطينية يوجزها الباحث، " بتوجيه الخطاب لكل الشعب الفلسطيني في كل مكان وأينما تواجد (في الوطن والمنافي)، وحددت الوثيقة هدفه بتحقيق الحرية والعودة والاستقلال، وتقرير المصير والدولة المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، وأكدت على حق العودة ومضاعفة الجهد لدعم اللاجئين، وتحرير جميع الأسرى والمعتقلين كواجب وطني مقدس على الجميع، وطالبوا بتفعيل منظمة التحرير الفلسطينية وانضمام حركتي حماس والجهاد الإسلامي إليها، وأكدوا على حق الشعب الفلسطيني في المقاومة بمختلف الوسائل، إلى جانب العمل السياسي والتفاوضي والدبلوماسي والاستمرار في المقاومة الشعبية، وتوحيد الخطاب السياسي الفلسطيني، مع ضرورة إجراء إصلاح شامل لمؤسسات السلطة، وتشكيل حكومة وحدة وطنية بمشاركة كل القوى السياسية الراغبة للنهوض بالوضع الفلسطيني محليًا وعربيًا وإقليمياً ودولياً، والتأكيد على أن إدارة المفاوضات هي من صلاحية «م. ت. ف» ورئيس السلطة الوطنية على قاعدة التمسك بالأهداف الوطنية الفلسطينية، والعمل على تشكيل جبهة مقاومة موحدة باسم جبهة المقاومة الفلسطينية، لقيادة وخوض المقاومة ضد الاحتلال وتشكيل مرجعية سياسية موحدة لها، والتمسك بالنهج الديمقراطي والحفاظ على مباديء الديمقراطية وصونها، ورفض الحصار، ودعوة الحكومات العربية لتنفيذ قرارات القمم العربية السياسية والمالية والاقتصادية والإعلامية الداعمة للشعب الفلسطيني وصموده، والتأكيد على أن السلطة الوطنية الفلسطينية ملتزمة بالإجماع العربي والعمل العربي المشترك، ودعوة الشعب الفلسطيني للوحدة والتلاحم ورص الصفوف، ورفض التدخل في الشؤون الداخلية الفلسطينية، ونبذ كل مظاهر الفرقة والانقسام، والتأكيد على حرمة الدم الفلسطيني، والالتزام بالحوار أسلوبا وحيدا لحل الخلافات، وتطوير المؤسسة الأمنية الفلسطينية بكل فروعها للقيام بمهمة الدفاع عن الوطن والمواطنين في مواجهة العدوان والاحتلال، وحفظ الأمن والنظام العام وتنفيذ القوانين، وتوسيع دور وحضور لجان التضامن الدولية والمجموعات المحبة للسلام لدعم صمود الشعب الفلسطيني[626]"، وتم التوقيع على الوثيقة باستثناء حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين التي تحفظت على البند المتعلق بالانتخابات والمفاوضات [627].

خامساً- الاتفاق على الوثيقة:

رحب الكل الفلسطيني بشكل مبدئي بوثيقة الأسرى كمبادرة من الأسرى في السجون لإعادة الوحدة الوطنية، وأكد الجميع على أهميتها كأساس للمصالحة، وبعد مخاض عسير في أعقاب استئناف الحوارات بين الفصائل نجحت القوى والفعاليات الفلسطينية في 27 يونيو/حزيران 2006م في الوصول إلى اتفاق حول وثيقة نهائية، أطلق عليها « وثيقة الوفاق الوطني " وهي بالأساس وثيقة الأسرى بعد أن أدخلت عليها تعديلات بناءاً على اقتراح بعض أطراف الحوار.

(626) جمعية الأسرى والمحررين: وثيقة الوفاق الوطنى، مركز الدراسات والتوثيق والمعلومات، غزة، فلسطين، 2006، ص1 - 16.
(627) الجزيرة نت: http://www.aljazeera.net/news/arabic/2006/5/26

في نهاية المبحث يرى الباحث أن وثيقة الأسرى تشكل حالة إبداعية للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، لأنها تبلورت قبيل الأحداث وقرأت الواقع الفلسطيني ومستقبله قبل حدوثه، ولأنها تمثل حالة الإجماع للقوى والفصائل الفلسطينية داخل السجون في أعقاب نقاشات معمقة ومفتوحة، " ولأنها نجحت في رسم أهداف الشعب الفلسطيني ونضالاته، وآليات وسبل تحقيق هذه الأهداف، كما ترسم منهجاً لإصلاح أوضاع المؤسسة الفلسطينية، وبإجماع القوى الفلسطينية كافة وممثلي المؤسسة الرسمية، وفعاليات المجتمع المدني والقطاع الخاص[628] ".

والحالة الإبداعية للوثيقة أنها تمثل الإطار التوافقي الصالح لبرنامج سياسي ونضالي وائتلافي موحد مشترك، يسعى لتشكيل حكومة وحدة وطنية، على قاعدة البرنامج الوطني المشترك، وتجاوز الحالة الانقسامية التناحرية[629].

ولأنها لا زالت المبادرة الأكثر ملائمة لإنهاء الإنقسام الفلسطيني، كونها تجيب على القضايا والمتطلبات الوطنية، ولأنها بعيدة عن التجاذبات والمصالح الحزبية والمطامع الشخصية، ولأن من عكف على صياغتها قادة لديهم التاريخ والتجربة النضالية، والقدرة على تفهم الواقع الفلسطيني وتركيبته الاجتماعية والسياسية، وإدراك خطورة الانقسام وآثاره على الكل الفلسطيني في الداخل والخارج، ولأن وثيقة الأسرى حصلت على الإجماع الوطني والإسلامي، وتم تبنيها ومباركتها حتى من طرفي الانقسام « حركتى فتح وحماس «، لذلك لازالت صالحة وقادرة على على توحيد الساحة الفلسطينية فيما لو قام المعنيون بتنفيذ بندها[630]، وخاصة في ظل تعثر كل مبادرات المصالحة أو توصلها لاتفاقات دون قدرة على التنفيذ، والتي خلفت حالة من الريبة والشك وانعدام الثقة والإحباط، تلك القناعات التي باتت تشكل مكوناً في الثقافة المجتمعية الفلسطينية، وأصبح الفلسطينيون يشكون في كل شيء، حتى في قدرتهم على تجاوز واقعهم المرير[631].

في نهاية المبحث يعتقد الباحث أن ما يشير لإبداع الأسرى في وثيقة الأسرى بأنها لا زالت تحافظ على بريقها، كونها تشكل إرادة الأسرى في السجون وخارجها، بما يحملون من قيم وأخلاق وعطاءات وتضحيات وقراءة لخطورة الموقف، وأمل وطموح عالي في الوحدة كأسس لاستكمال مشوارهم الذي بدأوه خلال مشوارهم النضالي والجهادي في معركة التحرير والسيادة والحرية والاستقلال.

ولا زال يرى الباحث أن هنالك الكثير من الإمكانيات لإعادة الاعتبار للوثيقة في ظل تأثير المكانة العميقة للأسرى في السجون، ولجيش المحررين بعشرات بل بمئات الآلاف خارج السجون، هذا الجيش المؤثر لمكانته الاعتبارية وحضوره التنظيمي والنقابي والإعلامي فيما لو شكَّل تياراَ ضاغطاً على الفصائل المنقسمة، ولفظ الشخصيات المتنفذة والحاقدة والمنتفعة

(628) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص152 .

(629) الحوار المتمدن: http://www.ahewar.org/debat/print.art.asp?t=0&aid=69859&ac=1

(630) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة :ابداعات انتصرت على القيد، المؤتمر الأول، مرجع سابق، ص17.

(631) د. إبراهيم أبراش: صناعة الإنقسام الفلسطيني، القدس، فلسطين، صادر عن دار الجندي، 2014، ص257.

مـن ظاهـرة الانقسـام خـارج النسـيج الوطنـي وتحميلهـا مسـئولية آثـار الانقسـام ومحاكمتهـا وطنيـاً، وإجبارهـا للقبـول بمبـادىء وثيقـة الأسرى أو وثيقـة الوفـاق الوطنـي التـي تـم الاتفـاق عليهـا عـلى أرضيـة بنـود وثيقـة الأسرى، كوثيقـة إبداعيـة [632]، وإنهـاء الانقسـام البغيـض الـذي أطلـق عليـه البعـض « بالنكبـة الثانيـة « بمـا خلـف مـن تداعيـات سـلبية عـلى كل الصعـد.

(632) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة :ابداعات انتصرت على القيد، المؤتمر الثالث:، مرجع سابق، ص32.

المبحث الرابع
شكل التجربة الديمقراطية في السجون وانعكاسها على حياة الأسرى

قد يكون من الغرابة الحديث عن تجربة ديمقراطية للأسرى بين جدران سجون مغلقة، وممارسات قمعية قهرية غير معقولة من قبل سلطات الاحتلال، من حيث تجريم مبدأ التجمع على أساس تنظيمي أو بتكوين نواة مجتمع اعتقالي قائم على الحد الأدنى من القيم والشراكة والعقد الاجتماعي في أدنى صوره وشكله، وتقييد الحريات وتكميم الأفواه والعقابات على أتفه القضايا، والرقابة الشديدة على حركة الأسرى بكل أشكالها الحياتية والثقافية والتنظيمية والأمنية، ومنع عقد اللقاءات بين أعضاء الكوادر التنظيمية المنتخبة، ونقلهم المتواصل لإيجاد حالة من عدم الاستقرار التنظيمي الذي يرسي دعائم الممارسة الديمقراطية وثقافتها على أيدي نخب تألقت وأبدعت في استيعاب الأسرى الجدد وزرع مبادئها بهم منذ لحظات الاعتقال الأولى [633].

وعلى الرغم من كل تلك العوائق فقد تجاوز الأسرى تلك العقبات ببدائل، وتطورت المسيرة الديمقراطية في السجون مع تطور الأوضاع الداخلية للأسرى مرحلة بعد أخرى، كل كان لها خصائصها وظروفها في شكل الإمكانيات، والروابط، واللوائح الداخلية، وإفراز القيادات وكيفية اتخاذ القرارات، والرقابة، والمحاسبة، والمساواة، والحقوق، والحريات.

ويمكن القول أن الممارسة الديمقراطية في السجون تبقى نسبية، قائمة على المشاركة في صناعة القرار السياسى والكفاحي، أكثر من الحديث عن العلاقة بين الحكم والمواطن، وقوانين وتشريعات وأنظمة وحريات وتعددية سياسية وثقافية وحقوق للفئات الاجتماعية المهمشة والضعيفة وغير ذلك من أهداف وقيم ومبادىء [634].

في هذا المبحث سيتطرق الباحث لنشأة الديمقراطية ومبادئها الأساسية واسقاطها على واقع الاعتقال، وبداية المسيرة الديمقراطية وتطورها في السجون، وإلى أهم مظاهرها وإبداع الأسرى، وانعكاسها الإيجابي والمؤثر على الحياة الاعتقالية.

أولاً- منشأ الديمقراطية وتعريفها:

ظهرت الديمقراطية في بادئ الأمر كمذهب سياسي فلسفي على يد كبار كتاب القرن الثامن عشر أمثال: جون لوك في انجلترا، وجون جاك روسو ومنتسكيو في فرنسا، وكانت غاية

(633) أنظر / الأسير محمود صبحة : مرجع سابق، ص52- 57.

(634) محسن أبو رمضان: التحول الديمقراطى فى فلسطين، رام الله، فلسطين، مركز رام الله للدراسات وحقوق الانسان، 2008، ص8.

المذهب الفلسفي الديمقراطي هي محاربة الحكم الاستبدادي المطلق الذي ساد في أوروبا آنذاك، وبالذات في انجلترا وفرنسا، فأبرز الكتاب أن السيادة لا ترجع للملك بل للشعب الذي يمثل مجموعة السيادة العليا، هذا دون أن ننسى أن جذورها الفلسفية تمتد وتضرب في التاريخ القديم، من خلال كتابات أفلاطون وأرسطو وديموقريطيس وسقراط وغيرهم من الكتاب والفلاسفة اليونان، الذين تكلموا عن حكم الشعب لنفسه وبنفسه، ولكن ليس بالشكل الذي نراه اليوم من المفاهيم المعاصرة للديمقراطية[635].

"فالديمقراطية" بشكل عام تعني حق الشعب في ممارسة السلطة في الدولة باعتباره صاحب السيادة، والتعريف المبسط للديمقراطية هو « حكم الشعب «[636]، وفي هذا المجال قال الفيلسوف لينكولن أن «الديمقراطية « هي حكم الشعب بقيادة الشعب لخدمة الشعب [637]، ولا تبعد دوائر المعارف والقواميس عن هذا التعريف، فالقاموس السياسي الأمريكي يذهب إلى أن الديمقراطية هي نظام للحكومة تمارس فيه السلطة السياسية بواسطة الشعب[638]، ويرجع أصل كلمة « الديمقراطية « من الناحية اللفظية في الأساس كلمة يونانية مركبة من جزأين، الجزء الأول Demos وتعني الشعب، والجزء الثاني Kratos وتعني حكم أو سلطة [639]، وبالتالي فالمواطنون وفقاً لهذا التعريف لهم حرية الاختيار ما بين متنافسين على أصوات الناخبين، لكن ما بين انتخابات وأخرى يتخذ القادة السياسيون القرارات، وفي الانتخابات التالية يمكن للمواطنين الناخبين أن يتخلصوا من القيادات الموجودة، ويحلوا محلها قيادات أخرى متفق ومصالحهم بصورة سلمية[640]، وتحت إطار هذا المفهوم فتمنح المجتمعات الديمقراطية إمكانية المنافسة الحقيقية بين المرشحين على السلطة وقت الانتخابات[641]، مع التأكيد أن الحكم الديمقراطي بممارسته مقيد، ومصدر تقييده التزامه بمبدأ حرية الأفراد والسعي للحفاظ على كرامتهم، وعدم قدرته على ممارسة السلطة المطلقة بلا قانون والتي تمارسها السلطات الدكتاتورية [642]، وفي السلطة الديمقراطية الكل ملتزم بالقانون، والجميع متساوي أمامه [643]، والديمقراطية تؤكد على حقوق الإنسان وحريته، وعلى مبدأ المساواة للجميع في كل المجالات (الاقتصادية والاجتماعية كما القانونية والسياسية) [644]، كما أن الدستور مصدر مهم لضبط عنان السلطة [645]، وهي لا تقتصر على المؤسسات والقوانين، والانتخابات والحكم، بل أيضاً على القيم والثقافة والسلوك[646]، وعلى الرغم من تعدد مدارس الديمقراطية إلا أنها جميعاً اتفقت على مبادىء أساسية متفق عليها [647].

(635) محمد رفعت عبد الوهاب: النظم السياسية، الاسكندرية، دار الجامعة الجديدة، 2007، ص179.

(636) רות חיים יהודה : שלטון העם על ידי העם, יבנה, תלאביב ,1949, עמ» 9.

(637) طلال أبو عفيفة: الدبلوماسية والاستراتيجية في السياسة الفلسطينية، بدون مكان ودار نشر، 1997، ص625.

(638) Jack Plano and Millon green berg (eds,) ,The American Political Dicttionary (New York: Halt Rinehart and Winston Ihc , 1967) PP.6.

(639) Philip P.Wieiner ,Dicttionary of the History of Ideas (New York ,Charles Seribners Sons,1973) ,PP.652.

(640) Joseph Schumpeter ,capitalism , Socialism , , Socialism and Democracy (London: Allen and Unwin , 1950) , PP.250.

(641) Yanai, N: Party leadership in Israel, Ramat Gan,Turtledove ,1981 ,PP, 196.

(642) בנימין נויברגר: הדמוקרטיה הישראלית , תלאביב , האונבירסיטה הפתוחה , 1998 , עמ» 9.

(643) نفس المصدر: עמ» 10

(644) Benyamin , Neuberger: Modern Democracy: intellectyul Roots andBasic Concepts , Tel-Aviv , The Open University ,1998,PP.54.

(645) Benyamin , Neuberger: Democracy in Israel , Tel-Aviv , The Open University ,1998,PP. 19.

(646) בנימין נויברגר: הדמוקרטיה המודרנית שורשים רעיוניים ותפיסות יסוד , תלאביב , האונבירסיטה הפתוחה , 1985 , עמ» 93.

(647) Benyamin , Neuberger: Modern Democracy: intellectyul Roots andBasic Concepts , Tel-Aviv , The Open University ,1998,PP.55.

ثانياً- بدايات الديمقراطية في السجون:

يستنتج ميشيل فوكو في كتابه (المراقبة والمعاقبة - ولادة السجن) أن السجن ليس مصدره القانون الجنائي بل هو سبق القانون وجاء هذا فيما بعد لينظمه، إن السجن بمؤسسته الخاصة وطريقة نشوئه وهيكليته المتعلقة به وحده كما لو كان سلطة مضافة إلى الدولة والمجتمع، ويعتبر السجن بهندسته وجاهزيته مكاناً مثالياً لإنتاج الجسد الانضباطي، ويرى أيضاً أنه « أصبح للشرعيات حوامل جماعية وشعبية وأهداف سياسية واضحة، واشتد الالتباس بين المعارض السياسي والمتهم الجنائي، وقد أفادت السلطات طويلاً من هذا الالتباس بحيث سنت قوانين كثيرة ذات صبغة جنائية موجهة إلى أشكال المعارضة السياسية الخالصة والأيدلوجية المعينة «[648].

ولقد مارس الأسرى الديمقراطية وتوسعوا فيها بالنضال الدؤوب، وإعمال الفكر في التجارب التي كانوا يخوضونها، وباكتساب عوامل الثقافة من خلال الإبداع والاطلاع على ثقافة الآخرين، وتطوير مهاراتهم من خلال تجارب الديمقراطية فيما يصل إليهم من دراسات وحوار حولها، وكان للنهوض الأدبي دوره في الإبداع والحوار حول الشكل الأفضل الذي يجب أن يبلغه الأسرى في اكتساب المزايا الديمقراطية في التعامل والارتقاء الإنساني إلى العلاقة الأفضل فيما بينهم، فقد ثبت أنه حتى في غياب الأيدلوجيا الموحدة للمعتقلين السياسيين (بصفتهم معتقلين سياسيين) كان هناك نقاش وحوار يتسم بالروح الديمقراطية بين الأسرى [649].

منذ بداية الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة عاملت السلطات الإسرائيلية الأسرى بالكثير من أشكال السطوة والقوة، وحاربت كل أشكال ومظاهر الديمقراطية في السجون، فانتقت مصلحة السجون قوانين قهرية طبقتها على الأسرى السياسيين أسوة بالجنائيين اليهود كونهم تحت نفس المسئولية والإدارة، متجاوزة الفارق الجوهري في أسباب الاعتقال والنظام والخصوصية بهدف الانتقام وعدم الاعتراف بالمسؤولية القانونية الدولية لهم كأسرى حرب، ومع هذا منعت الفلسطينيين السياسيين من كل امتياز إيجابي منحته للجنائيين، على سبيل المثال لا الحصر: طبقت على الأسرى الفلسطينيين السياسيين نظام التفتيش العاري بسبب تهريب الجنائيين للمخدرات والسموم، وفي المقابل منعت الأسرى الفلسطينيين من تحديد حكم المؤبد بعشرين عاماً، وإفراجات ثلثي المدة، والاتصالات الهاتفية مع الأهالي، وحق الإنجاب، وغير ذلك من الامتيازات التي منحتها للجنائيين، فتعاملت مع الطرفين بشكل انتقائي لصالح الجنائيين اليهود.

ورغم هذه العنصرية في التعامل اليومي مع الأسرى الفلسطينيين، والقولبة السلبية التي روجتها سلطات الاحتلال باتجاههم على المستوى المحلي والدولي إلا أن الأسرى بقوة القوة العنيفة تارة، والناعمة والنضال السلمي تارة أخرى، وبمنطق القانون الدولي والحق والعقل والمنطق استطاعت الحركة الفلسطينية الأسيرة أن تجابه التحديات والمخططات وأبدعت في

(648) فهد أبو الحاج: مرجع أنظر سابق، ص9.
(649) فهد أبو الحاج:، مرجع سابق، ص94.

عـشرات بـل مئـات القضايـا ومنهـا تطـور الحالـة الديمقراطيـة، حيـث أنهـا حولـت السـجون إلى مجتمعـات أشـبه وأرقـى مـن المجتمعـات خـارج السـجون، وجعلـت مـن الممارسـة الديمقراطيـة أساسـاً مهـماً للنجاحـات في الكثـير مـن المسـتويات، فأسسـت مجتمـع قائـم عـلى تـداول السـلطة، وإجـراء الانتخابـات لاختيـار القيـادة التـي تديـر شـؤون مجتمـع الأسرى في المعتقـلات، واحـترام الحقـوق الأساسـية كمبـدأ المسـاواة والحقـوق « حـق التعبـير عـن الـرأي، وحـق الفـرد في حمايـة المجتمـع لـه مـن الاعتـداء عـلى شـخصه أو كرامتـه الإنسـانية، ووجـود القوانـين التـي تحكـم الحيـاة اليوميـة، وتنظـم علاقـة الفـرد بالفـرد، والفـرد بالمجتمـع، وفصـل السـلطات، ووجـود عقـد اجتماعي يتـم التنـازل مـن خلالـه عـن جـزء مـن الحريـة النسـبية التـي يتمتـع بهـا الأسرى، وتفويـض جهـة منتخبـة لهـذه السـلطات لـكي تـصرف شـؤونهم باسـم المجمـوع [650].

ويؤكـد الباحـث مـن خـلال مكانتـه في المؤسسـات التنظيميـة والاعتقاليـة العامـة، وملاحظتـه ومراقبتـه لواقـع السـجون والأسرى، أن الديمقراطيـة في السـجون بـرزت في ثلاثـة مركبـات، الأول: عـلى المسـتوى الفـردي بالثقافـة والسـلوك والممارسـة، والثـاني: عـلى صعيـد بنيـة التنظيـم الواحـد وهياكلـه ولجانـه وشـكل القـرارات فيـه، والثالـث: تجـلى بشـكل واسـع عـلى صعيـد العلاقـة التـي تحكـم الفصائـل والمؤسسـات الاعتقاليـة العامـة في كل سـجن، وبـين السـجون لحظـة اتخـاذ القـرارات الجماعيـة الاسـتراتيجية العامـة، وللتفصيـل أكـثر [651]:

1. على الصعيد الفردي:

يشـيد الباحـث بوظيفـة المجتمـع الاعتقـالي الـذي يصهـر الأسرى بالمفاهيـم والأفـكار الوطنيـة، وبتغليـب المصالـح العليـا عـلى الأنانيـات والحاجـات الشـخصية، ويعمـل عـلى اسـتيعابهم مـن خلال التـدرج في تربيتهـم وصقلهـم مـن الناحيـة النظريـة بالمفاهيـم والمعرفـة والمبـاديء الديمقراطيـة، ومـن الناحيـة العمليـة بتمرينهـم وتدريبهـم عـلى السـلوك القويـم والنضـالي والجماعـي المنضبـط.

ولقـد اكتسـب الأسرى المفاهيـم الديمقراطيـة مـن خـلال انتمائـه للفصائـل الفلسـطينية قبـل الاعتقـال والتـي مارسـت العمليـة الديمقراطيـة في مؤسسـاتها بنسـب متفاوتـة، والتـي حملـت نويـات ديمقراطيـة غـير مكتملـة تحتـاج للمزيـد مـن النمـو مـن أجـل حسـم نقـاط هامـة ومفصليـة في تفكيرهـا بهـذا الشـأن [652]، ويرجـع هـذا الأمـر لعمليـة النضـال الطويـل مـع الاحتـلال وظـروف الشـتات والاعتقـال، والتـي شـكلت عائقـاً ضخـماً في مواجهـة تطويـر الممارسـة الديمقراطيـة[653]، ومـن خـلال الأدبيـات والكتـب والتلفـاز والراديـو والصحـف ومنهـا العبريـة التـي دخلـت المعتقلات، ومؤخـراً مـن الجامعـات التـي انتسـب اليهـا الأسرى وخاصـة الجامعـة المفتوحـة في إسرائيـل

(650) نفس المصدر: ص14.

(651) للمزيـد مـن التفصيـل أنظـر إلى دراسـة كل مـن :خالـد الهنـدي: التجربـة الديمقراطيـة للحركـة الفلسـطينية الأسـيرة، رام الله، مؤسسـة ناديـا للطباعـة والنـشر، 2000. فهـد أبـو الحـاج: التجربـة الديمقراطيـة لـلأسرى الفلسـطينيين في المعتقـلات الإسرائيليـة في الفـترة 2007-1967، القـدس، فلسـطين، مركـز أبـو جهـاد لشـؤون الحركـة الأسـيرة، 2014م.

الأسير محمد صبحة: التجربة الديمقراطية والمؤسسية حركة حماس في السجون، غزة، فلسطين، مكتب اعلام الأسرى، 2015.

(652) وليد سالم: المسألة الوطنية الديمقراطية فى فلسطين، رام الله، فلسطين، مؤسسة ناديا للطباعة والنشر، 2000، ص157.

(653) محمد خالد الأزعر: النظام السياسى والتحول الديمقراطى فى فلسطين، رام الله، فلسطين، مواطن – المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 1996، ص12.

والجامعات الفلسطينية والدولية عبر الدراسة، والأهم من خلال الشعور بحاجة المفاهيم الديمقراطية في مواجهة السجان الذي يحاربهم بمؤسسات منظمة قائمة على تلك الأسس وتتبع نظام سياسي أثنى الديمقراطية لصالح المواطنين اليهود في المجتمع الإسرائيلي، ولأهمية إيجاد نظام داخلي للفصائل يدير العمل الاعتقالي بوسيلة سَلِسَة وناجحة في السجون بعيداً عن الخلافات والصراعات.

فبدأت التنظيمات داخل المعتقلات بالقيام بأعباء وظيفتها الاجتماعية الريادية، وذلك ببناء أسير متشبث بالثوابت الوطنية، والمقدر لرموزها وقيمها الحضارية المنفتحة، والمتمسك بهويته بشتى روافدها، والمعتز بانتمائه لقضيته، والمدرك لواجباته وحقوقه، بالإضافة إلى تربيته على التحلي بفضيلة الاجتهاد المثمر، وتعريفه بالتزاماته تجاه نفسه ومجتمعه الاعتقالي، وعلى التشبع بقيم التسامح والتضامن والتعايش، ليساهم في الحياة الديمقراطية كحاجة أساسية في مواجهة المحتل بثقة وتفاؤل، في اعتماد على الذات وتشبع بروح المبادرة.

كما أن السجن كمجتمع صغير، يعد الورشة الحقيقية التي يتمرن فيها الأسير على الحياة الفضلى وعلى التعاون الاجتماعي وعلى السلوك المدني بصفة عامة، ويعمق من خلالها الممارسة الفعلية في حدود التعايش والتقبل المتاحين، وبذلك ينتج معتقلاً حداثياً قوياً بعلمه وغزارة معارفه وبسلوكه المدني الموجه بداهة نحو البناء لا الهدم[654].

أدرك المجتمع الاعتقالي منذ بدايته أن لا سيّد على الديمقراطية، إلا الديمقراطية نفسها، وليس هنالك من مؤتمن على الديمقراطية، إلا الفرد الديمقراطي الحر، وحين ينجب المجتمع الاعتقالي ذلك الفرد، يضع اللبنة الأولى، للمجتمع الاعتقالي الديمقراطي، كون أن كل أسير يشكل في ذاته نواة ذلك المجتمع، ومن هنا انطلقت نظرية البناء كفكرة [655].

واجتهد المجتمع الاعتقالي بتكريس مبدأ المسئولية لدى الأسرى، مبدأ قام على المفاعلة، أي علاقة تفاعل متبادل، أو منظومة علاقات: علاقة بين الأسير والأسرى الآخرين، والعلاقة بين الأسير والمجتمع الاعتقالي، والعلاقة التي تضبط الأسير بالتنظيم الذي ينتمي إليه ويعيش في كنفه وتحت مظلته، وبذلك يتحول الأسير من شخص باحث عن الذات والمصالح الشخصية إلى شخص يتطلع للأهداف الكبرى والمصالح العليا للمجموع الاعتقالي[656].

ومارس المعتقلون مرتكزات ومبادىء الديمقراطية في السجون، في إطار الفصيل والمجتمع الاعتقالي العام، في الكثير من المجالات، كحق الانتخاب والترشيح، والحقوق والواجبات، وتقبل التعددية الاعتقالية واحترام الأطر الأخرى وعناصرهم وأفكارهم ومعتقداتهم الفكرية والسياسية والدينية، وبالإنصياع لمفهوم الأغلبية في التمثيل الاعتقالي، وتداول التوجيه النضالي « الموجه العام «، واللجان التنظيمية بناءاً على أرضية تداول السلطة، وممارسة الحرية على قاعدة أن الحرية الشخصية تنتهي عند حدود حرية الآخرين، فمارس الأسير حريته في ظل

654 (654) موقع مركز الأسرى للدراسات: http://alasra.ps/ar/index.php?act=post&id=27480

655 (655) موقع الوطن: http://contactus.htm8www.al-watan.com/mobile/viewnews.aspx?n=BF219820

656 (656) موقع أخبار الديمقراطية: http://www.siironline.org/alabwab/akhbar_aldimocrati(15) /akhbar_aldimocrati(15) /390.htm

حـدود الانضبـاط، دون تعكـير صفـو ومـزاج زمـلاءه، في النـوم والسـهر والرياضـة، وحتـى عـلى صعيـد الصـوت والضـوء والحركـة داخـل الغرفـة، لإدراكـه أن الحريـة لا تعنـي أن يفعـل الإنسـان كل مـا يريـده، لأن أشـد الـدول ديمقراطيـة تضـع حـدوداً لحريـات الأفـراد دون أن يقصـد مـن ذلـك القضـاء عـلى الحريـات أو التقليـل مـن شـأنها، بـل تنظيمهـا بغيـة الحفـاظ عـلى مصالـح الجماعـة وحقـوق الآخريـن والنظـام العـام[657]، ولم يسـتعل الأسرى عـلى بعضهـم أو يفضلـوا بعضـاً منهـم عـلى غيرهـم، والتـزم الـكل منهـم بالمواثيـق والدسـاتير واللوائـح الداخليـة والإعتقاليـة، ونظـام المكافـآت والعقوبـات والقانـون عـلى قاعـدة المسـاواة، أمـا مـا سـاعد الأسرى عـلى قناعاتهـم بقيـم الديمقراطيـة، إحاطتهـم بحجـم التحديـات مـن حولهـم، ومعرفتهـم بنفسـهم التـي تحتـاج للآخريـن في بيئـة العـداء والقهـر، لأن العلاقـة بـين الفـرد والبيئـة هـي علاقـة متبادلـة، واذا لم يسـتطع الإنسـان أن يعـي هـذه العلاقـة لـن يكـون بمقـدوره اتخـاذ القـرارات الصحيحـة، ولا كيـف يمكـن أن يتخذهـا، لأن أحـد مفاهيـم الديمقراطيـة أن تختـار وأن تتخـذ قـرارات صحيحـة [658].

2. على الصعيد التنظيمي الداخلي:

يقـدر الباحـث أن الـروح والممارسـة الديمقراطيـة تجسـدت في أبهـى صورهـا داخـل الفصائـل الفلسـطينية في السـجون، ولعـل أبرزهـا، في توزيـع وتشـكيل الهيـاكل واللجـان التنظيميـة، وفي فصـل السـلطات (التنفيذيـة والتشريعيـة والقضائيـة)، حيـث أن كل منهـا يمـارس وظائـف معينـة ومحـددة وتكـون كل سـلطة مسـتقلة عـن الأخـرى مـع تعـاون السـلطات فيـما بينهـا [659]، وفي وجـود القوانـين التـي تتضمنهـا اللوائـح الداخليـة والتنظيميـة لـكل فصيـل[660]، التـي تحـدد الصلاحيـات والمهـام وكذلـك الحـدود للأمـير أو الموجـه العـام، واللجـان التنفيذيـة والمركزيـة والمؤتمـرات الحركيـة، ومجالـس الشـورى واللجـان، وتحـدد صلاحيـات وحـدود كل اللجـان ورؤسـائها « الإداريـة، والثقافيـة، والخارجيـة، والأمنيـة، والثقافيـة، والماليـة، والقضائيـة «، ونظـام العقوبـات العامـة، وتجعـل الديمقراطيـة مـن المشـاركة حقـاً لـكل مواطـن [661]، كل ذلـك تَجَسَـدَ في واقـع السـجون، بالانتخابـات وتـداول السـلطة السـلمي المنتظـم كل سـتة شـهور، ومحاسـبة المسـؤولين دوريـاً في لجـان وصناديـق الانتخابـات.

ولعـل أبـرز تجليـات العمليـة الديمقراطيـة تكمـن في طريقـة الانتخابـات التـي تمـر بعـدة مراحـل في السـجون، وتختلـف في الشـكل والطريقـة والمسـميات مـن تنظيـم إلى آخـر وفـق النظـام الداخـلي المتفـق عليـه بتصويـت فصائـلي بثلثـي الأعضـاء في القلعـة، والمتشـابهة في مضمونهـا وأهدافهـا بـين كل الفصائـل، ففـي المرحلـة الأولى مـن الانتخابـات يتـم تعيـين اللجنـة المشرفـة، ويتـم الإعـلان عنهـا

(657) داوود البازِ: النظم السياسية للدولة والحكومة فى ضوء الشريعة الاسلامية، الاسكندرية، دار الفكر الجامعى، 2006، ص203.

(658) المركز الفلسطينى لتعميم المعلومات: نحو مجتمع ديمقراطى، القدس، فلسطين، جامعة بثر زيت، 1994، ص203.

(659) أحمد سعيد نوفل، وأحمد جمال الظاهر: الوطن العربى والتحديات المعاصرة، القاهرة، الشركة العربية المتحدة، 2008، ص29.

(660) للتوسع أكثر فى الديمقراطية الحزبية أنظر : بيبا نوريس: بناء الاحزاب السياسية: اصلاح الضوابط القانونية والقواعد الداخلية (ستوكهولم: المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات 2004) .

سوزان سكارو: تنفيذ الديمقراطية الداخلية الحزبية، سلسلة الاحزاب السياسية والديمقراطية في الجوانب النظرية (واشنطن: المعهد الوطني الديمقراطي 2005) .

كينيث جاندا: تبني القانون الحزبي، سلسلة الاحزاب السياسية والديمقراطية في الجوانب النظرية (واشنطن: المعهد الوطني الديمقراطي 2005) .

(661) جيلين تندر: الفكر السياسى – الأسئلة الأبدية، ترجمة محمد مصطفى غنيم، القاهرة، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، 1993، ص108.

بالتزامن مع استقالة المؤسسة التنظيمية السابقة، وإفراز مؤسسة تنظيمية جديدة ضمن ضوابط أهمها:

"الدعاية الانتخابية ممنوعة بكل صورها ومن يثبت مخالفته في ذلك يُحوَّل إلى لجنة قضائية، والانتخابات سرية في كل مراحلها، وتتم وفق القوائم المُعَدة لذلك، وأن تعتمد الأسماء الشخصية في ورق الانتخابات وعدم ذكر الكُنية أو الألقاب، و يحظر على الأسير انتخاب نفسه، ويُمنع التنسيق المسبق بين الأسرى، ويُعاقب كل من يثبت بحقه هذا الأمر بأن يُحرم من المشاركة بالانتخابات والترشح، والتصويت حق لكل من تنطبق عليه شروط العضوية كافة، والترشح والتصويت يكون حق لمن أمضى (فترة زمنية متفق عليها في السجن وفق النظام الداخلي)، وعلى من تنطبق عليه شروط العضوية كافة، ومن أمضى فترة أقل يحق له التصويت دون الترشح، أما عن آلية الانتخابات فيتم انتخاب أعضاء مجلس الشورى أو ما يماثله لدى التنظيمات وبما يتناسب مع عدد أسرى الفصيل في السجن، وبدورهم ينتخبون اللجنة التنفيذية المقلصة، واللجنة التنفيذية تقوم بانتخاب الموجه العام أو الأمير أو المسؤول العام للتنظيم "[662].

بعد ذلك يصدر بيان ختامي في مختلف الأقسام يعلن فيه نتائج الانتخابات لكل المراحل, ويعلن عن فتح باب الاعتراضات لمدة (48) ساعة, شريطة أن تكون الاعتراضات مكتوبة ومعلله، وتشكر اللجنة الموكلة بإجراء الانتخابات عبر بيان القاعدة التنظيمية على مشاركتها الإيجابية والفاعلة في العرس الانتخابي.

بعد انتهاء مدة الاعتراض يحق للجنة الانتخابات المركزية إتلاف القسائم الإنتخابية لجميع المراحل، مع الاحتفاظ بالتقرير التفصيلي للعملية الانتخابية بكل مراحلها، ويتم استخلاص العبر من أي أحداث سلبية تخللتها.

ويبدأ المنتخبون الجدد عملهم بعد ذلك، وتعتبر جميع مؤسسات التنظيم السابق مُنْحَلَّة , بينما تبقى اللجان التنفيذية الأخرى (الثقافية, المالية, الإدارية,...الخ) عاملة بشكل مؤقت إلى حين تشكيل لجان جديدة خلال مدة زمنية محددة وفق النظام العام أو اللائحة الداخلية "[663].

أهمية العملية الانتخابية في السجون:

يرى الباحث أن العملية الانتخابية تعد أحد أهم مظاهر التجربة الديمقراطية في السجون، كونها تحدث في ظروف قاسية وتنغيصية من قبل أجهزة الأمن الإسرائيلية وإدارة مصلحة السجون، كما أنها عملية إبداعية راقية، مما لها من انعكاس على حياة الأسرى وتنظيم حياتهم، وتحقيق استقرارهم، وتحقيق القوة النسبية مع السجان، وبالتالي إيجاد معادلة الرعب بين الطرفين.

(662) اللائحة الداخلية لحركة الجهاد الاسلامى فى فلسطين فى السجون : ص33

(663) الأسير محمد صبحة : مرجع سابق، ص32.

ومـما لاشـك فيـه أن إشراك القواعـد في اختيـار ممثليهـم، ومسـاهمتهم في اتخـاذ القـرارات التـي تخـص حياتهـم الاعتقاليـة يجعلهـم جميعـا جـزءاً مـن الواقـع بـكل جزئياتـه، وليـس مجـرد أرقـام تعيـش داخـل الأسر لا يملكـون مـن أمورهـم شـيئاً، وهـذا لا يـأتي إلا عـبر الانتخابـات التـي تحقـق هـذا الغـرض، فتـؤدي إلى آثـار إيجابيـة أهمهـا: (تجعـل التنظيـم القائـم عـلى الحيـاة الاعتقاليـة شرعيًـا كونـه منتخـب مـن قواعـد الأسرى، والتـزام الأسرى بالقـرارات التنظيميـة، والامتثـال للسياسـة الصـادرة عـن اللجـان المنتخبـة حتـى ولـو كانـت مخالفـة لرغبتهـم الشـخصية، كـما أن أسـلوب الانتخـاب يجعـل الناخـب رقيبـاً عـلى عمـل المرشـح الفائـز، قـادراً عـلى محاسـبته عـبر صناديـق الاقـتراع في الـدورة الانتخابيـة القادمـة التـي لا تتعـدى في السـجن أكـثر مـن سـتة أشـهر، هـذه الرقابـة تشـكل محفـزاً للمكلـف بـإدارة العمـل التنظيمـي بشـكل مسـؤول، كـما أن نتائـج الانتخابـات تكشـف غالبـاً عـن توجهـات الناخـب، وبالتـالي يمكـن للهيئـة التنظيميـة التعـرف عـلى مـا يـرضي القاعـدة ومـا يسـخطها, ومـا الـذي أدى إلى هـذه النتائـج، وأخـيراً، فالإنتخابـات نـوع مـن التفاعـل مـع الواقـع، وشـعور لـكل مشـارك أنـه جـزء مـن صناعـة القـرار، الأمـر الـذي يعطيـه شـيئاً مـن الثقـة، ويشـعره بنـوع مـن الأمانـة والمسـؤولية ويدفعـه إلى مزيـد مـن المسـاهمة في تيسـير الحيـاة الاعتقاليـة [664].

3. على صعيد المجتمع الاعتقالي العام:

وقـع عـلى الأسرى خـلال مقاومتهـم للاحتـلال خـارج السـجون، ومـن خـلال بدايـات اعتقالهـم الكثـير مـن الظلـم، وتعرضـوا للمزيـد مـن العنـف، جـراء ظـروف وقسـوة التحقيـق والتعذيـب، وقهـر السـجان، وقهـر القوانـين العنصريـة المجحفـة بحقـه خـلال الاعتقـال، فتلـك الظـروف أوجدت قناعـات لـدى الأسرى الذيـن كانـوا أقـدر عـلى تحديـد مكامـن القـوة والضعـف، والخطـأ والصـواب، واسـتثمار إمكانيـات القـوة الموزعـة بحوزتهـم، واسـتيعابها في إطـار جامـع يجابـه المحتـل بـكل الوسـائل المتاحـة ولعـل أحـد مفتاحهـا في المعتقـلات ممارسـة الديمقراطيـة، فصـاغ الأسرى اللوائـح والمؤسسـات واللجـان، ورسـخوا الكثـير مـن المبـاديء في مجتمعهـم الاعتقـالي، كالتعدديـة وحقـوق الإنسـان والمسـاواة وسـيادة القانـون واحـترام الأقليـة[665].

ووقـف عـلى رأس مواقـع العمـل التنظيمـي هيئـة قياديـة مؤلفـة مـن الجميـع مثلـت كل الفصائـل وسـميت «بالهيئـة الوطنيـة العامـة أو اللجنـة الاعتقاليـة العامـة « تقـوم بعملهـا عـلى أسـاس أنهـا هيئـة متعاونـة متكاملـة تتحمـل مسـؤولياتها داخـل المعتقـلات مـن خـلال هيئـات أو « لجـان « منبثقـة عـن الهيئـة الوطنيـة العامـة، وتتـم مناقشـتها بالتضامـن والمشـاركة الوافيـة لـكل القضايـا، وتتخـذ القـرارات بالأغلبيـة الديمقراطيـة، وبذلـك يكـون خضـوع الأقليـة للأغلبيـة، وخضـوع القيـادات للمؤتمـرات، فمـن أصـول الديمقراطيـة أن يتخـذ القـرار بالأغلبيـة، وتلتـزم بـه وتنفـذه الأقليـة، فالعمليـة الديمقراطيـة تقتـضي أن تكـون نزيهـة، وجديـر بالذكـر أنـه هـذا الوضـع الديمقراطـي النموذجـي فُـرِضَ عـلى المعتقلـين الفلسـطينيين السياسـيين في المعتقـلات الإسرائيليـة من أجـل مواجهـة إدارة المعتقـلات العامـة وتحقيـق الكرامـة [666].

(664) الأسير محمد صبحة: مرجع سابق، ص32.
(665) الأسير المحرر عبد الرحمن شهاب، مقابلة أجراها الباحث، 23/6/2015، قطاع غزة.
(666) فهد أبو الحاج: مرجع سابق، ص112 – 113.

وقد أدارت الحركة الأسيرة بفصائلها، ومن خلال الهيئات الاعتقالية، عملية صراع مرير وطويل النفس مع إدارات سجون الاحتلال، وكانت لها مواقف عظيمة في الصبر والصمود والتضحية، كما تمكنت وبرغم التنافس بينها من إيجاد طريقة للتفاهم حول هذه المسألة بالذات، حيث تعارفت فصائل الحركة الأسيرة على آلية لاتخاذ القرارات النضالية في مواجهة إدارة السجون، وحددت طبيعة عمل الهيئات الاعتقالية، وطبيعة العلاقات الفصائلية ومستوى التفاعل الفكري والاجتماعي بين الفصائل، وإدارة الصراع بين الحركة الأسيرة وإدارة المعتقلات، وتوصلت إلى آليات ديمقراطية في اتخاذ القرار النضالي[667].

وفي هذا السياق وجد المعتقلون أن التعاون بينهم تمليه الضرورة والواجب، وبدونه لا يمكن الارتقاء بأوضاع المعتقل، وإن هذا التعاون يلزمه وجود حد أدنى من التفاهم، وتنسيق المواقف، وعبر الخبرة والتجربة تم التوصل إلى الوسيلة الصحيحة بدلاً من الضغط والعنف والإكراه، ومع تطور الأوضاع وازدياد الوعي، فكوَّن المعتقلون لجاناً مشتركة في كافة المجالات لتنسيق المواقف وتوحيد الآراء وترتيب أوضاعهم بشكل ديمقراطي يُرضي الجميع، ولعل أهم تلك اللجان (لجنة الحوار العامة التي تقابل إدارة مصلحة السجون وتتحاور معها حول طلبات الأسرى الشخصية والاعتقالية العامة، واللجنة الوطنية العامة التي تضم كل القوى الوطنية والإسلامية والتي تتخذ القرارات الجماعية[668]بشكلها الديمقراطي المحض وترسم السياسات العامة للمعتقل، والموجه العام للمعتقل من قبل التنظيم الأكثر عدد في غالب الأحيان، وبشكل نادر ممكن التوافق على شخصية ذات إمكانية وقدرة عالية من فصيل قد لا يكون من أكبر فصيل وفق تفاهم واتفاق اعتقالي عام.

وبلا شك أن التجربة الديمقراطية في السجون حافظت الوحدة الوطنية (وحدة من خلال التعدد والعمل الديمقراطي) التي لم تعد موضوعاً للجدل بين الأسرى، ولقد وجد مبدأ الوحدة الوطنية تعبيراً منظماً له في إطار اعتقالي منظم ومنضبط، عبَّر عن أماني وتطلعات المعتقلين[669].

بهذه الآليات تميزت الحركة الفلسطينية الأسيرة بالعديد من المميزات كممارسات منحتها القوة والأصالة على قاعدة الديمقراطية التي اتسم بها المجتمع الاعتقالي على صعيد الفرد والفصيل والمجموع، ولقد كان واقع الأسر عند الأسرى منظماً تنظيماً دقيقاً وشاملاً، فكل تنظيم له لوائحه ودساتيره، وقوانينه التي يسير عليها، وهناك لوائح وقوانين تنظم العلاقة بين هذه الفصائل بعضها ببعض، وكذلك بينها وبين إدارة السجون في كل ناحية تهم المعتقلين، وبناءاً عليه شكلت المؤسسات واللجان التنظيمية والاعتقالية التي تعالج شؤون المعتقلين الإدارية والنضالية والثقافية والمالية وغيرها، بحيث لا تجد أي مجال كان أو أي نقطة ليس لها حل أو قاعدة تفاهم عند المعتقلين[670]، مجتمع قائم على القانون كنظام عدالة أو ممارسة

(667) خالد الهندى: مرجع سابق، ص139 140 .
(668) محمد لطفى ياسين: مرجع سابق، ص132.
-(669) قدرى أبو بكر: مرجع سابق، ص147.
(670) حلمى عنقاوى: مرجع سابق، ص9.

سـلطة أو قـدرة في الحفـاظ عـلى الحـق[671]، والحريـة والعـدل والمسـاواة، وكان أحـد تعبـيرات الحريـة في السـجون ضـمان اختيـار الانتـماء للتنظيـم الـذي يرغـب فيـه المعتقـل الجديـد منـذ لحظـة دخولـه السـجن بعمليـة فـرز حـرة للعيـش أينـما شـاء لـدى التنظيـمات دون إكـراه، وحريـة الـرأي دون قمـع أوتكميـم للأفـواه، فلـم توجـد سياسـة للتنظيـمات بمنـع أي أسـير مـن أن يعـبر عـن رأيـه بشـكل حـر وديمقراطـي، وأن ينتقـد ويرفـع شـكواه أو رأيـه أو وجهـة نظـره في كل الأمـور، ويشـارك في عمليـة التقييـم الدوريـة الشـاملة التـي تجـرى لمجمـل الحيـاة الاعتقاليـة[672]، ويمـارس الأسرى الحريـة فيـما بينهـم، كونهـم أكـثر النـاس توقـاً إليهـا، ولكونهـم في الأصـل طـلاب حريـة، فالحريـة مطلـب فطـري قامـت ثـورات الشـعوب مـن أجلهـا، وكانـت هـي الـشرارة التـي أشـعلت الشـواظ للخـلاص مـن شـعور العبوديـة، ولهـذا احتلـت كلمـة الحريـة مقامـاً رفيعـاً، فليـس في كل اللغـات كلمـة تخفـق لهـا القلـوب بقـدر مـا تخفـق لكلمـة الحريـة [673]، والواقـع أن الحقـوق والحريـات لا تختـصر بمبـدأ واحـد، وإنمـا هـي مبـاديء عـدة تتمثـل في حريـة الـرأي والمعتقـد والحريـات الشـخصية المختلفـة.

ثالثاً- الرقابة والمساءلة والمحاسبة في السجون:

تشـكل كلاً مـن الرقابـة والمسـاءلة والمحاسـبة أهـم الأدوات الديمقراطيـة لضـمان سـلامة التجربـة الديمقراطيـة في كل مـكان وكل واقـع، ولقـد تحققـت تلـك الأهـداف بعـدة وسـائل داخـل السـجون ولعـل أهمهـا:

1. الرقابة الذاتية بدافع ديني أو أخلاقي أو وطني تمنعه من ممارسة الأخطاء.
2. التقارير الإلزامية من قبل الموجهين ومسؤولي اللجان والمؤسسات.
3. اللجان الرقابية التي يتم تكوينها في أعقاب حدوث خلل تنظيمي أو اعتقالي عام.
4. والانتخابات إحدى صور المساءلة والمحاسبة للمسؤولين من قبل القاعدة التنظيمية.
5. بواسـطة الأعـمال الفنيـة عـبر المجـلات، والمسرحيـات السـامرة، والكاريكاتـورات الناقـدة والأعـمال الفنيـة الأخـرى.
6. اللقـاءات الإداريـة: كأسـلوب اعتمدتـه الحركـة الأسـيرة منـذ نشـأتها عـبر اللقـاءات المبـاشرة الدوريـة في الغـرف وفي السـاحات تحـت شـعار (النقـد والنقـد الـذاتي) عـبر جلسـات مكاشـفة مفتوحـة، يسـأل فيهـا الأسرى المسـؤولين بـكل مـا يخطـر ببالهـم، وعـلى المسـؤول الإجابـة والتوضيـح، وكان هـذا الأسـلوب الأبـرز مـن بـين أسـباب الرقابـة والمسـاءلة الجماعيـة التـي تمارسـه القاعـدة التنظيميـة [674].

(671) أحمد بكار: الديمقراطية حاضراً ومستقبلاً، عمان، وزارة الثقافة، 1997 ،ص40.
(672) خالد الهندى: مرجع سابق، ص124 .
(673) داوود الباز: الشورى والديمقراطية النيابية، الاسكندرية، دار الفكر الجامعى، 2004، ص22.
(674) الأسير محمد صبحة: مرجع سابق، ص43 48.

رابعاً– مواجهة الاحتلال للتجربة الديمقراطية:

تحمل الثقافة الصهيونية العنصرية ثقافة سلبية اتجاه العربي بشكل عام، فاستكثرت واستهجنت عليه إمكانيات الوعي والتقدم والتطور والمفاهيم الديمقراطية، ومن خلال تتبع الباحث للكثير من محاولات الاحتلال وجد الكثير من الوسائل التي وضعها لإحباط المسيرة الديمقراطية الفلسطينية خارج السجون، على اعتبار أنها تشكل حالة نضالية مؤثرة على صعيد وحدة فصائل المقاومة، وسلامة اتخاذ القرار السياسي والعسكري، والطريق لنبذ الخلافات والانقسامات وقبول التعددية السياسية والفكرية، والتنسيق فيما بينها في كل مراحل النضال العسكري والسياسي والقانوني، فاتخذ الكثير من الإجراءات التعسفية بحق الشخصيات والقادة والمفكرين الفلسطينيين من دعاة الحوار والوحدة والتعايش وقبول مباديء الديمقراطية بعمليات الاغتيال والإبعاد والاعتقال، وحرض العالم «باطلاً" لتصنيف القوى الوطنية والإسلامية المقاومة «بالارهابية»، وأغلق المؤسسات الاجتماعية والثقافية والرياضية، وحاول بكل الوسائل ضرب البنى التحتية للمقاومة.

الأمر الذي تكرر بصورة مصغرة في السجون، حيث أن الاحتلال اعتبر أن ممارسة الديمقراطية في السجون تشكل خطراً على سياساته ومخططاته ومؤامراته التي انهارت بفعل وعي الأسرى في مواجهتها ديمقراطياً، ومن خلال دراسة دقيقة لخبراء اجتماعيين اطلعوا وراقبوا السلوك الديمقراطي في السجون حاولوا ببعض الوسائل "كنقل القادة وعزل الكوادر المجربة، وزرع الفتنة والمحاور والشلليات والفوضى[675]، وفي أعقاب الانقسام الفلسطيني خارج السجون استغلت أجهزة الأمن الإسرائيلية هذا الواقع لضرب مصادر القوة لدى الأسرى بوحدة قرارهم، فقامت بفصل الأسرى في الأقسام على أساس فصائلي في محاولة لضرب البنية الأساسية المتمثلة بوحدة موقفهم وسر صلابتهم وصمودهم طوال التجربة الاعتقالية، الأمر الذي لم يتحقق – رغم أنه تأثر بفعل الانقسام - لأن الحوار والتنسيق بين الأسرى لم يتوقف في أي فترة كانت، مهما اختلفت الظروف[676].

في نهاية المبحث ويرى الباحث أن التجربة الديمقراطية للأسرى الفلسطينيين بعد أربعين عاماً في السجون الإسرائيلية أضحت ثقافة متداولة عبر البرامج التنظيمية، وتربية اعتقالية من القدامى إلى الجدد منذ بدء الاعتقال، وقيم ومعاملة يمارسها الأسرى في شؤون حياتهم اليومية، قبل أن تكون ممارسة وسلوك ومؤسسات وقرارات، واعتبر الأسرى أن الكثير من تلك القيم مستوحاة من دينهم كالتسامح والحريات والحقوق والمساواة وقبول الآخر وسيادة القانون والشورى فيما بينهم.

ويمكن القول أن التجربة الديمقراطية في المعتقلات تدرجت ومرت في مخاضات ومحطات، وشهدت تفاعلاً في إطار جدلية العلاقة بين العامل الذاتي والموضوعي، حيث أن الواقع المعيشي بتحدياته ومتطلباته وفر ظرفاً موضوعياً للعامل الذاتي، سواءاً على مستوى الفصيل

(675) الأسير المحرر المبعد سامر أبو سير، مقابلة أجراها الباحث، 23/6/2015، قطاع غزة.
(676) الأسير المحرر المبعد ابراهيم عليان، مقابلة أجراها الباحث، 23/6/2015، قطاع غزة.

أو الفصائل للارتقاء بمفاهيمها وممارساتها الديمقراطية، ومعلوم أن نضج العامل الذاتي قد أسهم في تحسين العامل الموضوعي وتطويره، والموضوعي بدوره ارتد في علاقة تأثيرية بناءاً على الذاتي.

ولو لم يجترح المعتقلون الفلسطينيون التجربة الديمقراطية لتحول الواقع الاعتقال إلى مسرح للصراع والتنافس داخل الفصيل الواحد وعلى صعيد الفصائل الأخرى، ولأصبح الحوار باليد والأدوات الحادة بدل الحوار الإنساني الواعي والهادف، وتوجد تجارب كثيرة في بعض المعتقلات الصغيرة، فحينما غابت العلاقات الديمقراطية تحول المعتقل لساحة للصراع

في نهاية الفصل ومن وحي التجربة الخاصة يرى الباحث أن الأسرى تميزوا بتجربة إبداعية حقيقية استطاعوا من خلالها المقدرة على التعايش[677]، ووعيهم لمتطلبات الواقع الاعتقالي القائم على التعددية الحزبية، والتوجهات الفكرية المختلفة، والعدو المشترك المشرع سيفه والمسلط على رقاب الكل الاعتقال بلا استثناء، وإدراكهم لخطورة الموقف الذي يحتاج للتقارب والوحدة والتفاهم والاستقرار النسبي المناهض لاستهدافات إدارة مصلحة السجون الساعية لشرذمة الأسرى وانفلاشهم وزرع نبذة الخلافات والصراعات بينهم، ولتقويض واقعهم التنظيمي والنضالي، أن يرسوا دعائم مشتركة قائمة على مبادىء وتفاهمات ديمقراطية.

ويجزم الباحث أن الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة كانت قادرة على مواجهة السجان، وشكلت حماية للفرد والجماعة، وحدت من التسيب، ونظمت العلاقة، وأوضحت الحقوق لكل فرد ما له وما عليه، وسيرت الحياة الصعبة والمعقدة في ظل اعتقال طويل له متطلبات، وله اشتراطات قاسية تضغط على الإنسان في رغباته وغرائزه وحريته الفردية [678].

ومن عناصر الإبداع « للحركة الأسيرة امتلاك الرؤية المستقبلية « التي تجعل الجهات قادرة على أن ترى كيف ستكون الأمور في المستقبل مقارنة بما هي عليه الآن[679]، ويتطلع القادة المبدعون والمبتكرون إلى ما وراء الأفق، أنهم يتطلعون للمستقبل مع الحلم بما سيكون عليه هذا المستقبل، كما أنهم يتخيلون المستقبل بنظرة متفائلة أو إيجابية، كما انهم تغييريون وجديون في طرح أفكارهم من خلال اتصالهم الفعال ويوضحون للآخرين كيفية إنجاز الأهداف العامة من خلال الالتزام بالهدف الكلي[680].

(677) **גל גרזון: ליברליזם , קשרים , הקשרים ביקורת, , רעננה , האונבירסיטה הפתוחה** , 2004 , **עמ**»233.

(678) نفس المصدر، ص183.

(679) الدكتور حسين على: الإبداع فى حل المشكلات، سوريا، دمشق، دار الرضا للنشر، 2001، ص26.

(680) د. علاء محمد سيد قنديل: القيادة الإدارية وإدارة الإبتكار، الأردن، عمان، دار الفكر ناشرون وموزعون، 2010، ص166.

خاتمة الدراسة
النتائج والتوصيات

خاتمة الدراسة

في نهاية الدراسة يخلص الباحث من خلال دراسة وتحليل الواقع الاعتقالي، والملاحظة الشخصية بالمعايشة والمراقبة، والتجربة الذاتية من خلال نشاطه في معظم المؤسسات الاعتقالية أثناء السجن لفترة خمسة عشر عاماً متواصلة، والتنقل التاريخي التحليلي من محطة إلى أخرى، ومن خلال المقابلات الشخصية التي أجراها الباحث مع أسرى محررين من كل المناطق في فلسطين، ومن خلال خبرة الباحث العملية في مجال الأسرى ما بعد التحرر [681]، وكذلك بعد اطلاع واسع على عدد كبير من الدراسات الأكاديمية والأبحاث العلمية السابقة التى تناولت أوضاع الأسرى والمعتقلين في السجون الاسرائيلية، ومن خلال الوثائق التي هُرِبَت من السجون، والحصول عليها بطرق ووسائل متعددة قد تعرض أصحابها للكثير من المسؤولية، يؤكد الباحث من خلال تلك العملية المتراكمة والمتكاملة والمتواصلة والمعمقة، والدراسة العقلية والمنطقية لا العاطفية وبالشواهد والإنجازات والمعطيات أن الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة بوحدتها وعقليتها الفذة، وخطواتها التكتيكية والاستراتيجية العنيفة والسلمية استطاعت أن تقهر إرادة سلطات الاحتلال العنصرية، وإدارة مصلحة السجون والأجهزة الأمنية الإسرائيلية، وأن تتجاوز كل مخططاتها التصفوية والتدميرية، واستطاعت من خلال تقديم عشرات الشهداء والعذابات والمعاناة أن تحمي الشعب الفلسطيني وأبناءه من الاسقاط، وأن تربي وتعبىء وتخرج أجيالاً من القادة تبوؤوا بعد الإفراج عنهم مراكز قيادية على مستوى الفصائل الفلسطينية، وكوادر في المؤسسات الوطنية والنقابية الرسمية والأهلية [682].

ويخلص الباحث من خلال الاطلاع على دراسات نظرية تناولت أشكال المقاومة وفنونها، وكذلك الدراسات التى قدمت نماذج تطبيقية لتجارب عالمية مشابهة كمعيار للحكم على انجازات الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة أنها شكلت حالة إبداعية مميزة على صعيد بناء الهياكل والمؤسسات الاعتقالية واتخاذ القرارات، وترتيب بنية الفصائل الداخلية، ونمط التعاون والتنسيق بين الفصائل في السجن الواحد وبين المعتقلات، وعلى صعيد الاهتمام والبناء الثقافي والإنتاج الأدبي والتعليمي، والتأثير الإيجابي السياسي، ومسيرة الإضرابات المفتوحة عن الطعام الفردية والجماعية من حيث امتداد الفترات الزمنية غير المسبوقة والإنجازات التي تحققت من أنياب محتل لم يعترف بالاتفاقيات والمعاهدات العالمية والقانون الدولي الإنساني.

ويرى الباحث أن الأسرى كانوا أكثر حكمة، وأعمق حنكة، وأصلب عزيمة، وأكثر وعي وإبداع، في مواجهة الأزمات، وأكثر حرص على الوحدة الوطنية والتفاهم والمشاركة من الجميع في اتخاذ القرارات على أسس ديمقراطية سليمة، وأكثر كفاءة في استقراء المستقبل بالقدر الذي يحقق الأهداف المرجوة، والقدرة على ترتيب الأولويات وتوجيه اهتمام الأسرى للنافع والمفيد

(681) كونه شغل مستشاراً لوزير شؤون الأسرى والمحررين ومديراً عاماً بها، وناطقاً إعلامياً باسمها في المحافظات الجنوبية، ومديراً لدائرة القانون الدولي، وعضواً مكلفاً بإدارة مكتبها في غزة نتيجة الانقسام في أعقاب تحويلها إلى هيئة، وعمله كمديراً ومؤسساً لمركز الأسرى للدراسات، ومديراً للبرامج في إذاعة صوت الأسرى، وعضواً في لجنة الأسرى للقوى الوطنية والإسلامية بقطاع غزة.

(682) كان منهم الأمناء العامون للفصائل، وأعضاء مكاتب سياسية ولجان مركزية ومسئول ساحات، ووزراء وأعضاء في المجلسين الوطني والتشريعي الفلسطيني، ومتنفذون في القرارات أينما تواجدوا.

واقعـاً ومسـتقبلاً، وتحديـد أفضـل الأسـاليب والوسـائل ببدائـل متعـددة تحـت شـعار «صاحـب بديـل أو خيـار واحـد فاشـل" واختيـار البديـل الأقـل تكلفـة وأكـثر تأثـيرفى تحقيـق الأهـداف المرجـوة تحـت شـعار « الكرامـة أولاً والحريـة ثانيـاً « [683].

ويشـيد الباحـث بتجربـة الإنجـاب التـي خاضهـا الأسرى الفلسـطينيون في السـجون الإسرائيليـة، كحالـة إبداعيـة لم يشـهد لهـا التاريـخ مثيـل، وهـذا مـا يصنفهـا تجربـة إبداعيـة بامتيـاز كونهـا مسـتجدة، وتعـد أحـدث المعـارك مـع السـجان مـن حيـث الشـكل والنـوع والرسـالة والمضمـون ونـوع التحـدي، ويمكـن القـول أن نجـاح تهريـب النطـف مـن الأسرى وإنجـاب الأطفـال تعتـبر ثـورة إنسـانية غـير مسـبوقة في وجـه السـجان، وتميـزت بعـدم الركـون للسـجان في قطـع نسـل الأسرى وحرمانهـم مـن غريـزة الإنجـاب والشـعور بالأبـوة، واتسـمت بفاعليتهـا وانتمائهـا ودورهـا، كـون أن الـصراع الديموغـرافى يعـد أحـد أشـكال الـصراع القائـم بـين الطرفـين (الفلسـطينى والاسرائيـلى) فى فلسـطين المحتلـة، فى أعقـاب سياسـات الاسـتيطان والتهجـير التـى تمارسـه دولـة الاحتـلال بحقهـم.

ويعتقـد الباحـث أن تدخـل الأسرى لإنهـاء الانقسـام الفلسـطيني عـبر وثيقـة الأسرى تعـد خطـوة إبداعيـة وتـأتى في سـياق اسـتشراف المسـتقبل المأسـاوي عـلى الصعيـد الوطنـي عـلى كل الاتجاهـات فيـما لـو لم يتحقـق الوثـاق الوطنـي، لـذا تصنـف وثيقـة الأسرى مـن أهـم المشـاريع التي تسـعى إلى تحقيـق المصالحـة في ظـلّ واقـعٍ ازداد تعقيـداً مـع تغيـر الظـروف السياسـية، وتـأتي أهميتهـا كونهـا خرجـت مـن قيـادات كانـت فاعلـةً ميدانيـاً قبـل الأَسْر، ولأنهـا جـاءت شـاملةً إلى أبعـد الحـدود، واعتُـبرت مخرجـاً مـن الأزمـة التـي تفاقمـت مـع تزايـد المواجهـات بـين طـرفي الانقسـام[684].

كـما أن التجربـة الديمقراطيـة في السـجون، تعـد تجربـة إبداعيـة وفريـدة، نظراً لأنها جـاءت في أجواء القمـع الاحتـلالي، إضافـة إلى أنهـا شـكلت خروجـاً عـلى سـياق غـير ديمقراطـي بالنظـر إلى التركيبـة الاجتماعيـة والسياسـية التـي عايشـها قبـل الاعتقـال[685]، ولا شـك أن التجربـة الديمقراطيـة للحركـة الأسـيرة هـي تجربـة إيجابيـة في التقييـم العـام، وأن هـذه التجربـة جـاءت متقدمـة بمسـتوى كبـير عـن التجربـة الديمقراطيـة خـارج السـجون[686]، ويمكـن القـول أن ديمقراطيـة السـجون الديمقراطيـة الفصائليـة والحزبيـة سـبقت ديمقراطيـة الفصائـل الفلسـطينية والسـلطة الوطنيـة في معاملاتهـا ويومياتهـا ولوائحهـا خـارج السـجون، لذلـك هـي مبدعـة بممارسـاتها وأنظمتهـا ونظـم حياتهـا.

ويعتقـد الباحـث أن الحالـة الفلسـطينية تشـكل حالـة إبداعيـة قياسـاً بحـركات التحـرر العالميـة، فالتجربـة الفلسـطينية أشـبه مـا تكـون مـن حيـث شـكل الاحتـلال وممارسـاته وعنصريتـه وأيدلوجيتـه بحالـة الـصراع في جنـوب أفريقيـا، حيـث أن التجربتـين قامتـا عـلى الاسـتيطان والتوسـع وإنـكار حقـوق الغـير، وعمـل النظامـان العنصريـان الحركـة الصهيونيـة ونظـام الفصـل العنـصري في جنـوب أفريقيـا "الأبارتهايـد"، عـلى التوسـع وتهجـير السـكان الأصليـين والسـيطرة عـلى الأراضي، وأوجـد النظامـان عـدداً كبـيراً مـن القوانـين المخالفـة للاتفاقيـات والمواثيـق الدوليـة.

(683) أنظر: د محمد المصيرفى: إدارة الأزمات، الإسكندرية، مؤسسة حورس الدولية، 2008، ص98 .

(684) موقع مجلة دراسات شرق أوسطية: http://www.mesj.com/new/ArticleDetails.aspx?id=255

(685) فهد أبو الحاج: مرجع سابق، ص179.

(686) خالد الهندى: مرجع سابق، ص189.

لذلك وجد الباحث أهمية لمقارنة التجربتين الاعتقاليتين (الفلسطينية والجنوب أفريقية) من حيث ظروف الاعتقال ونمط حياة الأسرى، إلا أن دولة الاحتلال الإسرائيلي سجلت تفوقاً من حيث الانتهاكات بحق الشعب الفلسطيني على نظيرتها العنصرية في الكثير من القضايا « كبشاعة وسائل التعذيب والتحقيق، والأحكام الردعية، والقوانين العنصرية وتجاوز المواثيق الدولية، وسوء الطعام كماً ونوعاً، وقتل الأسرى عمداً ومحاولات تصفيتهم بشكل مباشر وغير مباشر، واعتقال الفتيات بعمر 12 عام، وتكفي الإشارة إلى أن رمز الحرية المتمثل بنيلسون مانديلا رئيس حزب المؤتمر الوطني الإفريقي أعتقل لفترة « ثمانية وعشرين عاماً »، في حين أبقت دولة الاحتلال الإسرائيلي على اعتقال الأسرى الفلسطينيين وجثامين الشهداء المحتجزة لأكثر من «أربعة وثلاثين» عاماً، وهناك الكثير من الأحكام الردعية على المعتقلين الفلسطينيين وصلت لآلاف السنين.

ووجد الباحث تشابه كبير في ظروف الاعتقال بين التجربتين، في ما يتعلق بوسائل النضال لتحقيق الإنجازات والحقوق، كالتمرد على قرارات السجان، والإضراب عن مزاولة العمل في المرافق، وممارسة العنف ضد السجان، رغم أن نلسون مانديلا غير مقتنع بجدوى وسيلة الإضرابات المفتوحة عن الطعام رغم استخدامه لها، وقال عنها: « لم تكن الإضرابات وسيلة ناجحة في جميع الأحوال، وكنت أعتبرها من الوسائل العاطفية، أو الرومانتيكية غير العملية للاحتجاج، والإضراب عن الطعام في رأيي عمل سلبي جداً فنحن نعاني أصلاً، وبالاضراب نعرض صحتنا للخطر بل نغازل الموت، كنت أفضل دوماً الوسائل الإيجابية القائمة على التحدي والمواجهة، كالإضراب عن العمل أو الامتناع عن التنظيف، والقيام بأعمال تضر بالإدارة ولا تجلب الضرر إلينا"[687]، فكانت التجربة الفلسطينية أقرب إلى التجربة الايرلندية والهندية، اللواتي اتخذن من الإضرابات المفتوحة عن الطعام وسيلة احتجاج سلمية لتحقيق المطالب والحقوق، وتشابهت التجربة الفلسطينية والجنوب أفريقية في الصراع الدائم مع السجان في تحقيق الحقوق، والاهتمام بالوقت والثقافة والتعليم والأدب [688].

(687) نلسون مانديلا: رحلتي الطويلة من أجل الحرية، ترجمة عاشور الشامس، جوهانسبرج، جنوب أفريقيا، جمعية النشر اللغة العربية، 1998، ص423.

(688) قال مانيلا في مذكراته رحلتي الطويلة من أجل الحرية : « لم يكن الخط البياني لتحسن الأوضاع داخل السجن ثابتاً في كل الأوقات، كان التقدم متعثراً وغالباً ما تعقبه انتكاسات، فربما مرت سنوات قبل أن تتحرك خطوة واحدة نحو الأفضل، ثم إذا بهذه الخطوة تلغى في يوم واحد، كنا كمن يدفع صخرة عظيمة إلى أعلى الجبل ثم نراها في لحظات تتدحرج نحو أسفله ». و» كانت جزيرة روبن() بمثابة جامعة، فمع وفود الكثير من السجناء إلى الجزيرة كانت معرفتهم بالمؤتمر الوطني الإفريقي بسيطة للغاية، ومن هنا شرع سيسولو يلقي عليهم دروساً عن نشأة التنظيم، ومع مرور الوقت تحولت تلك الدروس التاريخية إلى منهج متكامل عن تاريخ المؤتمر الوطني وحركة النضال، وسجل كثير من سجناء العنبر للدراسات الجامعية، بينما التحق آخرون لدراسة الثانوية، ومانديلا نفسه حصل خلال الاعتقال على إجازة الحقوق من جامعة لندن، وكانت تصله كتب الحقوق عن طريق السفارة البريطانية ». وفيما يتعلق بعوائق الإبداع والثقافة كانت التجربة متشابهة حيث أن إدارة السجون في جزيرة روبن منعت على شاكلة السجون الإسرائيلية إدخال الكتب، وصادرت إنتاجات الأسرى، وقامت بالتفتيشات والاقتحامات للعنابر، واتخذت من العزل الانفرادي سياسة عقابية للأسرى، ولكن ظروف الاعتقال في السجون الإسرائيلية كان أكثر قسوة حيث أن إدارة السجون الإسرائيلية تفننت في سياسة الاستهتار الطبي، في حين وصف مانديلا معاملة الممرضات له في إحدى المستشفيات بعد عملية أجريت له في الصدر « كانت الممحة مريحة جداً، واستمتعت بفترة نقاهة مريحة وممتعة، وأفرطت الممرضات بتدليلي والعناية بي، وزودنني بالحلويات والمخدات، وأقمن سهرة في حجرتي، حرصاً منهن على حضوري لمنع السجان خروجي في مكان آخر، وأحضرن الكعك والحلويات والهدايا ». وحاربت إدارة السجون الإسرائيلية أي معنى للحياة من تربية للطيور أو ممارسة الزراعة، في حين سمحت إدارة جزيرة روبن وسجن بللسمور بالزراعة وإنشاء حديقة قال عنها مانديلا: « كنت دائماً ميالاً إلى زراعة البساتين ولم تتوفر لي فرصة مزاولتها إلا خلف القضبان»، ومارست إدارة جزيرة روبن على الأسرى العمل بالمحجر كما فرضت إدارة السجون الإسرائيلية على الأسرى في بداية الاعتقال بالعمل في شبك الدبابات، ولكن رحلة المحجر كانت تخفف عن المناضلين في جنوب أفريقيا ووصفها مانديلا بالقول «كنا نسير إلى المحجر مشياً على الأقدام لمدة عشرين دقيقة، كنا نتمتع بمشاهدة الشجيرات والأشجار الكثيفة التي تغطي الأرض ونستنشق رائحة أشجار الأوكالبتوس ونشاهد الظباء وبقر الوحش يرتع في الحقول، وعملنا فيما بعد بجمع الطحالب التي دفعت بها الأمواج إلى الشاطئ، والتي تصدر إلى اليابان الذين يستخدمونها سماداً لتغذية التربة، كانت المناظر خلابة وبديعة، وفزنا بمتعة وسعادة عالية، رأينا السفن العملاقة، وطائر النورس يصطاد السمك، وعجول البحر تداعب الأمواج، وشاهدنا بإعجاب تغيرات الطقس المثيرة ». هذا لا يعني أن الحياة في الجزيرة مرفهة أو مقبولة، بل كانت إدارة الجزيرة تتعامل بعنصرية، وبانتهاكات لحظية وتفصيلية في كل مناحي الحياة، في الضرب والتفتيش، والعمل الشاق في المحجر، وسوء الطعام المصنوع من الذرة المطحونة، والملابس القصيرة التي صنعت من الصوف الخفيف، والأحذية التي صنعت من إطارات السيارات ».

ويعتقد الباحث أن الانتهاكات بحق الآخر، والخروج عن القوانين والمواثيق الدولية، صفات متشابهة للأنظمة الاستعمارية والعنصرية، وغير مرهونة بجغرافيا أو بزمن، والأمثلة كثيرة ومتكررة على امتداد التاريخ، ولكن التجربة الفلسطينية تميزت بتنوع الوسائل النضالية، وعملية التنظيم، وبناء الذات، واستغلال الوقت في التعليم، والتوسع الثقافي، والإنتاج الأدبي والإبداعي.

نتائج الدراسة:

1. لم تعترف دولة الاحتلال بأي مكانة قانونية للأسرى الفلسطينيين، بل تعاملت معهم كخارجين عن القانون وأطلقت عليهم الكثير من التوصيفات الباطلة، ولم تلتزم بالاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان، ولا بمواد وبنود اتفاقيات جنيف الأربع الموقعة عام 1949م وخاصة الاتفاقية الثالثة والرابعة، واللواتي أكدن على الحياة الكريمة والإنسانية للأسرى « مقاومين كأسرى حرب، أو معتقلين مدنيين « وتعاملت بقسوة مع الأسرى الفلسطينيين في السجون والمعتقلات، ولم تلتزم خلال المفاوضات السياسية بالإفراج عن الأسرى ككل شعوب العالم التي عقدت اتفاقيات سياسية، بل تعاملت معها كورقة ضغط على الجانب الفلسطيني، وورقة مساومة، وحولتها لحالة مزاجية مرتبطة بحسن نوايا الحكومة الإسرائيلية ونوع ائتلافها وبرنامجها السياسي.

2. استطاع المعتقلون الفلسطينيون من خلال برامجهم وأنظمتهم وقوانينهم من تحويل السجون من مكان للإبادة المعنوية الجماعية وتحطيم العزيمة النضالية، إلى انصهار الكل في بوتقة الأكاديمية الاعتقالية التربوية والوطنية والثقافية والأدبية والتعليمية، وتمكنوا رغم كل الضغوط والتعذيب الجسدي والنفسي والحرمان من كل الشروط المعيشية الممكنة، التي تتنافى وأبسط الحقوق الإنسانية، على كل الصعد « في تقديم العلاج والطعام بكمية ونوعية لائقة ببني البشر، وزيارة الأهل، ومواصلة التعليم، و تأدية الشعائر الدينية بحرية وغيرها من الحقوق.

3. كما كشفت الدراسة عن حجم الروح التفاؤلية والإبداعية لدى الأسرى من خلال إعداد أنفسهم لما بعد السجن، من خلال التعليم لإكمال الدراسات العليا بعد الحرية، وتوفير فرص العمل والبحث عن الرزق بعد الإفراج، ومن خلال ملء أماكنهم التي سيوظفوا فيها من خلال تطبيق قانون الأسرى الذي يضمن حياة كريمة لهم بعد التحرر من قبل السلطة الوطنية الفلسطينية، ومن خلال زرع بذرة الحياة والعيش في كنف أسرة، من خلال تهريب النطف وحق الإنجاب والفرح بالأبناء، وتطوير الذات للمشاركة في صناعة واتخاذ القرارات التنظيمية والمصيرية داخل التنظيمات ومؤسسات السلطة الفلسطينية والمؤسسات النقابية والأعمال المتنوعة الأخرى.

4. لم يستسلم الأسرى لواقع الاعتقال السيء في كل تفاصيل حياتهم، بل استطاعوا من خلال إمكانياتهم وقدراتهم وثقة شعبهم بهم، أن يشاركوا من خلال وثيقة الأسرى «الوفاق الوطني» التي تلقفها الكل الوطني بالموافقة كأهم أدوات تحقيق المصالحة الفلسطينية التي تعثرت طويلاً، وكان لهم الدور الكبير في تهريب النشرات والقراءات والدراسات

حـول واقـع المجتمـع الإسرائيـلي، ومنظومتـه الائتلافيـة والحزبية، ومسـتقبل المسـيرة السياسـية، والتحذيـر مـن الخـداع الإسرائيـلي لكسـب الوقـت والاسـتمرار بالمخططـات الصهيونيـة الداعيـة لتهجـير شـعب بأكملـه وتعزيـز الاسـتيطان والتهويـد عـلى كل الأرض الفلسـطينية، وقـراءة الأوضـاع العربيـة والدوليـة ومكانـة القضيـة الفلسـطينية في ظـل تطوراتهـا.

5. أجـاب الباحـث مـن خـلال فصـول الدراسـة عـلى أسـئلة البحـث الرئيسـية مـن خـلال إبـراز أشـكال ومظاهـر الجوانـب الإبداعيـة للحركـة الوطنيـة الفلسـطينية الأسـيرة، ومجالاتهـا، ومعوقاتهـا، وكيفيـة التغلـب عليهـا، ونـشر المفاهيـم الإبداعيـة كحريـة الفكـر، وبنـاء الـذات والقـدرات، وتعزيـز التطـور الثقـافي، وتشـجيع حركـة الأدب، ورسـم السياسـات والخطـط والبرامـج لتخريـج القـادة والكـوادر، وإعـمال العقـل، ومـلء الوقـت وإدارتـه بمـا يفيـد، وممارسـة العصـف الذهنـي مـن خـلال النقاشـات والجلسـات المسـتمرة، وإدارة العقـل ومعالجـة الأفـكار، وزرع روح القبـول والحـوار مـع الآخريـن، والنقـد الـذاتي، ومعرفـة الـذات ومراقبـة النفـس، ومهـارات التفكـير، وحـل المشـكلات والأزمـات بطـرق منهجيـة عـبر البدائـل والتكتيـكات، وتنـوع المجـالات الإبداعيـة والابتكاريـة، وإيجـاد اسـتراتيجيات لتطويـر منظومـة الجوانـب الإبداعيـة، وتعزيـز روح المسـاواة وسـيادة القانـون التـي نصـت عليهـا اللوائـح الاعتقاليـة، وأهـم البرامـج التـي وضعهـا الأسرى للحفـاظ عـلى تـراث الحركـة الأسـيرة وتراكـم إنجازاتهـا والحفـاظ عـلى حقوقهـا.

6. اتفقـت نتائـج الدراسـة مـع الفرضيـات التـي وضعهـا الباحـث في بدايـة الدراسـة، إذ أن هنالـك علاقـة جدليـة بـين حجـم الضغـوط التـي تمارسـها إدارة مصلحـة السـجون الإسرائيليـة بحـق الأسرى، وبـين قدرتهـم عـلى الصمـود والتحـدي، فكلـما زادت الضغـوط مـن قبـل السـجان عـلى الأسرى كلـما ابتكـروا الخطـوات النضاليـة الملائمـة والكفيلـة بحفـظ كرامتهـم وتحقيـق حقوقهم التـى تـم مصادرتهـا، وكلـما أبدعـوا فى بلـورة الأفـكار والأسـاليب الجديـدة للتكيـف والمواجهـة والاسـتعداد للتضحيـات، وعلاقـة جدليـة مماثلـة بـين قـوة وضعـف الحركـة الأسـيرة مقارنـةً بالمتغـيرات السياسـية الخارجيـة وتماسـك أو تراجـع الوضـع الفلسـطيني الخارجـي وتأثـيره عـلى الأسرى، فكلـما تميـز الواقـع الفلسـطينى بالوحـدة والقـوة والمقاومـة والتماسـك، كلـما انعكـس هـذا الواقـع عـلى الأسرى بالايجـاب (والعكـس صحيـح)، كـما وتباينـت مسـتويات الوعـي الإبداعـي بـين الأسرى الفلسـطينيين باختـلاف (مـدة الاعتقـال، والفـترة الزمنيـة التـي أمضاهـا في السـجون، والمؤهـل العلمـي)، إذ أن المعتقلـين الذيـن أمضـوا فـترات طويلـة في الاعتقـال، ومـن دخلـوا السـجون بمؤهـلات علميـة، ومـن حوكمـوا محكوميـات عاليـة حققـوا إنجـازات أكـبر مـن غيرهـم، عـلى صعيـد تطويـر الـذات، ومواصلـة التعليـم الجامعـي والدراسـات العليـا، والإنتـاج الأدبي، وممارسـة العمـل التنظيمـي في السـجون وخارجهـا، وتبـوؤوا المكانـات والمسـؤوليات المميـزة حتـى مـا بعـد التحـرر.

وعلى ضوء هذه النتائج يقترح الباحث مجموعة من التوصيات:

1. أهمية تحديد المكانة القانونية للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية على المستوى الدولي والمنظمات الحقوقية والإنسانية، وإلزام دولة الاحتلال بالتعامل وفق تلك المكانة في كامل الحقوق « في الافراجات السياسية، والغذاء، والعلاج، والزيارات ومكان الاعتقال، وفي كل شروط الحياة المنصوص عليها «، وفق الاتفاقيات والمواثيق الدولية، وخاصة اتفاقيتي جنيف الثالثة والرابعة لسنة 1949م، ومتابعة تطبيقها في فلسطين المحتلة من قبل الدول الموقعة عليها لبحث أوجه القصور في الحماية المقررة للأسرى والمعتقلين، وتفعيل دور المؤسسة الدولية للصليب الأحمر وتوثيق أشكال التعذيب والمعاملة وشروط الاعتقال.

2. تشكيل لجنة من محامين وخبراء قانونيين فلسطينيين وعرب ودوليين لبحث آليات استخدام الالتزامات القانونية الخاصة باحترام الاتفاقيات الدولية، وأساليب تطبيقها، وتوثيق جرائم الاحتلال وفق شهادات الأسرى والأسيرات المشفوعة بالقسم، وإعداد ملفات خاصة حول الانتهاكات الإسرائيلية بحقهم، والعمل على تحريكها أمام المحكمة الجنائية الدولية، وكذلك أمام المحاكم الوطنية التي تسمح قوانينها بذلك، والعمل على ملاحقة ومساءلة المجرمين الإسرائيليين الذين ارتكبوا، ويرتكبون جرائم ضدهم، وفقاً للاختصاص الجنائي الدولي والعرف الجنائي الدولي، وخاصة بعد انضمام فلسطين للاتفاقيات الدولية، وبعد اعتراف الجمعية العامة بفلسطين كدولة مراقب.

3. تدويل قضية الأسرى والمعتقلين والتعريف بها في العالم لتشكيل رأي ضاغط ومساند لهم، وذلك من خلال السفارات الفلسطينية والعربية، وبعثاتها لدى المنظمات الدولية، ومن خلال توجيه الدعوات لمنظمات المجتمع المدني، والمؤسسات الحقوقية والإنسانية، وعبر وسائل الإعلام «المشاهد والمقروء والمسموع، وعبر الحملات الكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي بلغات متعددة، والسعي لعقد المؤتمرات الداعمة للأسرى والمؤيدة لهم والمطالبة بتحريرهم، وتغيير الصورة المشوهة التي تبثها دولة الاحتلال للعالم بحقهم، مستخدمة بذلك مراكز القوة من المال والإعلام والنفوذ السياسي التي تؤثر عليه.

4. الالتفاف حول قضية الأسرى والمعتقلين، وجعلها من أهم القضايا الفلسطينية والعربية، والتي لا تقل أهمية عن القضايا الوطنية الأخرى»كالقدس واللاجئين والدولة والمستوطنات، والتمسك بقضيتهم في كل الجبهات المفتوحة مع الجانب الإسرائيلي في المجالات «السياسية والعسكرية والقانونية»، وتوفير كل أشكال الدعم المادي والمعنوي للمعتقلين وذويهم خارج المعتقلات، للحفاظ على إنجازاتهم وصمودهم، واعتبار قضية الأسرى من الثوابت الفلسطينية التي لا يمكن التنازل عنها.

5. تطبيق ومتابعة توصيات جامعة الدول العربية المتعلقة بقضية الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال، والتي أقرتها القمة العربية التي عقدت في دمشق خلال الفترة من 30-29 مارس 2008م بإحياء يوم الأسير الفلسطيني واعتباره يوماً عربياً للأسير، وتوصيات اجتماع مجلس الجامعة على مستوى المندوبين الدائمين في القاهرة بتاريخ 14/11/2009م، والذي كلف المجموعة العربية لاستصدار قرار بطلب رأي استشاري من محكمة العدل الدولية في لاهاي حول الوضع القانوني للأسرى، وتكثيف الحملات السياسية والإعلامية للتعريف بقضيتهم، والمطالبة بإطلاق سراحهم، وحشد الدعم الدولي لمساندتهم، وتنفيذ توصيات المؤتمر الدولي للأسرى في بغداد 2012م تحت رعاية جامعة الدول العربية، تنفيذاً لقرار قمة سِرت 2010م والذي تضمن إنشاء صندوق عربي لدعم الأسرى الفلسطينيين والعرب وعائلاتهم والأسرى بعد تحريرهم.

6. متابعة وتطبيق توصيات المؤتمرات الفلسطينية والعربية والدولية الداعمة للأسرى في فلسطين «كمؤتمرى أريحا وغزة «، وخارج فلسطين في» المغرب والجزائر وتونس والعراق والأردن ودول أوروبية أخرى، والتي كررت نفسها، وطوت صفحات توصياتها وقراراتها دون تنفيذ.

7. إدخال مساقات تعليمية وتربوية ومنهجية تتناول التجربة الاعتقالية، وإبداعات الحركة الوطنية الأسيرة في الكثير من المجالات في المناهج الدراسية الفلسطينية، وحث طلبة الدراسات العليا بالبحث في عمق هذه التجربة التي تستحق التوثيق والحفظ والحماية.

8. تواصل التنسيق بين وزارة التربية والتعليم، وهيئة شؤون الأسرى والمحررين، والمؤسسات الفلسطينية التعليمية، لكسر الحصار الإسرائيلي التعليمي والأكاديمي في السجون، وذلك من خلال مساهمة كل الكليات والجامعات بالتعاون مع هيئة الأسرى وقيادة الحركة الوطنية الأسيرة في السجون لإيجاد الوسائل التعليمية والإدارية التي تمكن الأسرى من مواصلة تعليمهم الثانوي والجامعي عبر مشرفين مؤهلين، ورقابة مهنية، والحصول على الشهادات العليا من خلال مناقشة رسائلهم من داخل السجون عبر الهواتف المهربة.

9. دعوة السلطة الوطنية والفصائل والمؤسسات الفلسطينية لمشاركة الأسرى المحررين، في عملية البناء والتنظيم، والاستفادة من خبراتهم وتجاربهم في الكثير من المجالات الأمنية والعسكرية والتنظيمية والإعلامية في القطاعين المدني والعسكري والقطاع الخاص، واحتضان الكفاءات الأكاديمية التي تخرجت من السجون، وحفرت في الصخر، وتحملت الإضرابات المفتوحة عن الطعام والجوع والآلام لنيل الشهادات الأكاديمية من داخل المعتقلات في ظل القيود الإسرائيلية المطبقة للحيلولة دون حصولهم عليها، ولمكافأتهم على جهودهم، وإشعارهم بمكانتهم وجهودهم، وللاستفادة من خبراتهم غير التقليدية والمميزة، ولطرح تجاربهم الإبداعية المفعمة بالأمل والإرادة أمام الطلبة من الأجيال الناشئة والشابة.

10. العمل على جمع وتوثيق إبداعات الأدب النضالي للأسرى، ووضع برامج تعليمية تربوية لتعزيز الاهتمام به ونشره وحفظه، ووضع خطة لتبني إصدارات الأسرى الأدبية، ودعم أعمالهم اليدوية والفنية، لما تحمله من رسائل وطنية وخيال واسع يطمح للحرية، وتنظيم المعارض لعرض كتابات وأعمال الأسرى والتعريف بها وبقيمتها ورسالتها.

11. وأخيراً يوصى الباحث بأهمية دراسة أشكال الابداع وصور المقاومة الفلسطينية في السجون الاسرائيلية وأساليبها ومظاهر الإبداع والإبتكار في مواجهة أشكال القهر والقمع في السجون الاسرائيلية، والمقارنة التاريخية بالمزيد من العمق بالتجارب النضالية العالمية، والخروج برؤية علمية أكاديمية موسعة، تميز الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة عن غيرها في أشكال الصمود والمقاومة والإبداع.

مراجع الدراسة

قائمة المراجع

المراجع العربية

أولاً- الكتب العربية:

1. إبراهيم أبراش، «**صناعة الانقسام الفلسطيني**»، القدس، فلسطين، دار الجندي، 2014.
2. إبراهيم أبو النجا، «**المنسيون في غياهب الاعتقال الصهيوني**»، القاهرة، مركز الإعلام العربي، 2004.
3. أحمد أبو السعود، «**ومضات من خلف القضبان**»، غزة، وزارة الثقافة العامة، 2014.
4. أحمد أبو غوش، عطية عدنان، قدري أبو بكر، « **المعتقلون الفلسطينيون** »، رام الله، العودة للدراسات والنشر، 2004.
5. أحمد بكار، «**الديمقراطية حاضراً ومستقبلاً**»، عمان، وزارة الثقافة، 1997.
6. أحمد سعيد نوفل، وأحمد جمال الظاهر، «**الوطن العربي والتحديات المعاصرة**»، القاهرة، الشركة العربية المتحدة، 2008.
7. أحمد صدقي الدجاني، «**لا للحل العنصري في فلسطين**»، القاهرة، دار المستقبل العربي، 1994.
8. أحمد قريع، «**المفاوضات المتعددة الأطراف لعملية السلام**»، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية،2007.
9. إياد الرياحي، «**الواقع التنظيمي للحركة الفلسطينية الأسيرة**»، رام الله، مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، فلسطين، 2006.
10. أيمن عامر: **الحل الابداعي للمشكلات بين الوعي والأسلوب** ، القاهرة ، مكتبة الدار العربية للكتاب، 2003 .
11. جبريل الرجوب، «**زنزانة رقم 704**»، عمان، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، 1985.
12. جبور عبد النور: المعجم الأدبي، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، 2005.

13. جمعية الأسرى والمحررين، «**الأسرى الفلسطينيون وجبروت التعذيب الإسرائيلي في السجون الإسرائيلية**»، غزة، مركز الدراسات والتوثيق والمعلومات، 2005.

14. جمعية الأسرى والمحررين، «**الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان**»، غزة، دائرة الإعلام والتوثيق، 2005.

15. جمعية الأسرى والمحررين، «**التقرير السنوي 2004**»، غزة، دائرة الإعلام والتوثيق، 2005.

16. جمعية الأسرى والمحررين، «**السجون والمعتقلات الإسرائيلية**»، غزة، مركز الدراسات والتوثيق والمعلومات، 2005.

17. جمعية الدراسات النسوية، المجموعة العربية للتنمية، «**الأسيرات المحررات الفلسطينيات**»، فلسطين، غزة، شركة مطابع بيت المقدس، 2014.

18. جميل السلحوت، «**أدب السجون**»، القدس، دار الجندي للنشر والتوزيع، 2012.

19. جهاد البطش، «**المعتقلون الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية**»، غزة، فلسطين، مكتبة اليازجي، 2007.

20. جوزيف الخورى طوق، «**اتفاق غزة أريحا أولاً وماذا بعد ؟**»، بيروت، التوزيع الحصري، 1993.

21. حسان الزين، سمير القنطار – «**قصتي**»، بيروت، دار الساقي، 2010.

22. حسن عبد الله، «**أثر الرسالة في حياة المعتقل الفلسطيني**»، رام الله، مركز المشرق للدراسات، 2004.

23. حسن عبد الله، «**الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين**»، القدس، نقابة الصحفيين الفلسطينيين، 2005.

24. حسن عبد الله، «**كلمات على جدار الليل**»، رام الله، مركز المشرق للدراسات، 2004.

25. حسين على، «**الإبداع في حل المشكلات**»، سوريا، دمشق، دار الرضا للنشر، 2001.

26. حلمي عنقاوي، «**المراحل الأولى للمسيرة خلف القضبان**»، الطبعة الأولى، رام الله، مطبعة الغد، 1995.

27. خالد الهندي، «**التجربة الديمقراطية للحركة الفلسطينية الأسيرة**»، رام الله، مؤسسة ناديا للطباعة والنشر، 2000.

28. داوود الباز، «**الشورى والديمقراطية النيابية**»، الإسكندرية، دار الفكر الجامعي، 2004.

29. داوود الباز، «**النظم السياسية للدولة والحكومة في ضوء الشريعة الإسلامية**»، الإسكندرية، دار الفكر الجامعي، 2006.

30. الدائرة الإعلامية لوزارة شؤون الأسرى، «**تقرير شامل**»، فلسطين، غزة، مكتبة الجامعة الإسلامية، 2008.

31. دياب اللوح، «**أوراق متناثرة**»، غزة، فلسطين، مطبعة الرنتيسي، 2002.

32. دين كيث سايمنتن : **العبقرية والابداع والقيادة** ، ترجمة د . شاكر عبد الحميد ، الكويت ، الناشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 1993 .

33. رأفت حمدونة، «**صرخة من أعمق الذاكرة**»، غزة، فلسطين، دائرة شؤون الأسرى، 2006.

34. رائد العامودى، «**القادم إلى خطفك-مذكرات الأسير محمد الشراتحة**»، غزة، فلسطين بدون دار نشر، 2011.

35. ربحي قطامش، نمر شعبان، «**تعذيب السجناء السياسيين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية**»، رام الله، فلسطين، الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، 2003.

36. زاهي وهبي، مروان البرغوثي، «**ألف يوم في زنزانة العزل الانفرادي**»، رام الله، فلسطين، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2011.

37. سامي الأخرس، «**فيروزيات نضالية**»، غزة، فلسطين، مطبعة الأندلس، 2015.

38. سامي الأخرس، كامل مسعود، «**رحيق الوطن**»، غزة، فلسطين، مكتبة الأندلس، 2015.

39. سلمان جاد الله، «**أدب المواجهة**»، غزة، فلسطين، جمعية الأسرى والمحررين، 2000م.

40. سلمان جاد الله، «**المواجهة والاحتراف**»، القدس، مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة بجامعة القدس، 2014.

41. سمير حجازى: قاموس مصطلحات، القاهرة، مكتبة مدبولى، 1990.

42. سمير نعيم، «**المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية**»، القاهرة، المكتب العربي للأوفست، ط 5، 1992م.

43. سيطان الولي، «**سلال الجوع**»، رام الله، فلسطين، الرعاة للدراسات والنشر، 2006.

44. طارق أبو شلوف، «**ملحمة الكرامة 2012**»، غزة، فلسطين، الناشر- مؤسسة مهجة القدس للأسرى والشهداء، 2013.

45. طارق سلمى أبو شلوف، « **الربيع الصامت في منظور الأسرى**»، فلسطين، سجن رامون، 2013.

46. طارق عبد الرءوف عامر، «**الإبداع مفاهيمه وأساليبه ونظرياته**»، القاهرة، الدار العالمية للنشر والتوزيع، 2005.

47. طلال أبو عفيفة، «**الدبلوماسية والإستراتيجية في السياسة الفلسطينية**»، بدون مكان ودار نشر، 1997.

48. عبد الحق شحادة، «**التجربة النضالية لمعتقل عسقلان**»، ط 2، غزة، فلسطين، بدون دار نشر، 1999.

49. عبد الحق شحادة، «**أوراق من خلف جدران الأسر**»، غزة، فلسطين، بدون دار نشر، 2010.

50. عبد الستار قاسم وآخرون، «**التجربة الاعتقالية في المعتقلات الصهيونية**»، ط1، نابلس، قسم العلوم السياسية، جامعة النجاح الوطنية، 1986م.

51. عبد الله عواد، «**دولة مجدو**»، عمان، دار الجليل للنشر، 1992.

52. عبد الناصر فروانة، «**الأسرى الفلسطينيون.. آلام وآمال**»، القاهرة، صادر عن جامعة الدول العربية، 2015.

53. عدنان جابر، «**ملحمة القيد والحرية**»، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر،1979.

54. عقيل حسين عقيل، «**فلسفة مناهج البحث العلمي**»، طرابلس، جامعة الفاتح، 1999م.

55. علاء محمد سيد قنديل، «**القيادة الإدارية وإدارة الابتكار**»، الأردن، عمان، دار الفكر ناشرون وموزعون، 2010.

56. علية عزت عياد: معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، القاهرة ،المكتبة الأكاديمية ،1994.

57. عيسى قراقع، «**الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية بعد أوسلو 1993-1999**»، فلسطين، معهد الدراسات الدولية، جامعة بيرزيت، 2000م.

58. غـادة بـدر، «**أسرانـا في سـجون الاحتـلال الإسرائيـلي**»، الأردن، دار الحامـد للنـشر والتوزيـع، 2006.

59. فاضل يونس، «**زنزانة رقم 7**»، ط3، رام الله، مطبعة المستقبل، 1999.

60. فايـز أبـو شـمّالة، «**السـجن في الشـعر الفلسـطيني المعـاصر**»، رام اللـه، المؤسسـة الفلسـطينيّة للإرشـاد القومـي، 2003.

61. فـراس أبـو هـلال، «**معانـاة الأسـير الفلسـطيني**»، بـيروت، مركـز الزيتونـة للدراسـات والاستشـارات، 2009.

62. فهـد أبـو الحـاج، «**التجربـة الديمقراطيـة لـلأسرى الفلسـطينيين في المعتقـلات الإسرائيليـة في الفـترة 1967-2007**»، القـدس، مركـز أبـو جهـاد لشـؤون الحركـة الأسـيرة، فلسـطين، 2014.

63. قدري أبو بكر، «**من القمع إلى السلطة الثورية**»، عمان، دار الجليل للنشر، 1989م.

46. كامل السوافيرى: الأدب العربى المعاصر فى فلسطين، القاهرة، دار المعارف، 9791.

65. اللجنـة الدوليـة للصليـب الأحمـر الـدولي، «**اتفاقيـات جنيـف**»، القاهـرة، المركـز الإقليمـي الإعلامـي، 2010.

66. محسـن أبـو رمضـان، «**التحـول الديمقراطـي في فلسـطين**»، رام اللـه، فلسـطين، مركـز رام اللـه للدراسـات وحقـوق الإنسـان، 2008.

67. محسـن صالـح، «**التقريـر الاسـتراتيجي الفلسـطيني لسـنة 2011**»، بـيروت، لبنـان، مركـز الزيتونـة للدراسـات والاستشـارات، 2012.

68. محمد التونجى: المعجم المفصل فى الأدب، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1999.

69. محمـد القيـسي، «**الهـواء المقنـع - أبـو عـلى شـاهين 15 عـام فى الاعتقـال**»، مركـز أبـو جهـاد لشـؤون الحركـة الأسـيرة،2014.

70. محمد المصيرفى، «**إدارة الأزمات**»، الإسكندرية، مؤسسة حورس الدولية، 2008.

71. محمـد خالـد الأزعـر، «**النظـام السـياسي والتحـول الديمقراطـي في فلسـطين**»، رام اللـه، فلسـطين، مواطـن – المؤسسـة الفلسـطينية لدراسـة الديمقراطيـة، 1996.

72. محمد رفعت عبد الوهاب، «**النظم السياسية**»، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة، 2007.

73. محمد صبحه، «**التجربة الديمقراطية والمؤسسية حركة حماس في السجون**»، غزة، فلسطين، مكتب إعلام الأسرى، 2015.

74. محمد صبحه، فؤاد الخفش، «**إضراب الكرامة**»، فلسطين، مركز أحرار لدراسات الأسرى وحقوق الإنسان، 2012.

75. محمد عبد الهادى: أساليب وأعداد وتوثيق البحوث العلمية، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، 1995.

76. محمد عوض، «**نسمات من خلف القضبان**»، غزة، فلسطين، الكلمة للنشر والتوزيع، 2015.

77. محمد لطفي ياسين، «**التجربة الاعتقالية في السجون الإسرائيلية**»، الأردن، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، 1989.

78. محمد منير مرسي، «**البحث التربوي وكيف نفهمه**»، القاهرة، عالم الكتب، 1986.

79. محمود عبد العزيز: نلسون مانديلا، الجيزة، مصر، دار الفاروق للاستثمارات الثقافية، 2010.

80. مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة، «**التقرير السنوي 2012**»، جامعة القدس، فلسطين، القدس، 2012م.

81. مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة، «**موسوعة تجارب الأسرى الفلسطينيين والعرب**»، جامعة القدس، فلسطين، القدس، 2014م.

82. المركز الفلسطيني لتعميم المعلومات، «**نحو مجتمع ديمقراطي**»، القدس، فلسطين، جامعة بير زيت، 1994.

83. المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية، «**ثقافة تحدت القيد**»، ورشة عمل، رام الله، فلسطين، 2002.

84. المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية، «**سطور من ذاكرة التجربة**»، بدون دار نشر، رام الله، فلسطين، 2002م.

85. مركز القدس للإعلام والاتصال، «**الاتفاقية الإسرائيلية الفلسطينية المرحلية**»، القدس، فلسطين، مطابع الشركة الوطنية، 1996.

86. مركز الميزان لحقوق الإنسان، «**صرخات من وراء القضبان**»، الرسالة للنشر والإعلام، أم الفحم، فلسطين، 2009.

87. مصطفى كبها، وديع عواودة، «**أسرى بلا حراب - المعتقلون الفلسطينيون والمعتقلات الإسرائيلية الأولى 1948 – 1949**»، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2013.

88. مصلح عبد العزيز، «**حقوق الأسير**»، دار البداية ناشرون وموزعون، بغداد، 2012.

89. معاذ الحنفي، «**أعلق في ليلك الليلك**»، غزة، فلسطين، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، 1998.

90. منقذ أبو عطوان، «**استغلال الأيدي العاملة الأسيرة في سجون الاحتلال الإسرائيلي**»، 2006.

91. منية سمارة، محمد الظاهر، «**سيناريو المعتقلات الصهيونية**»، عمان، دار المنارات، 1985.

92. مؤسسة الحق، «**المواطن التفتيش والاعتقال والمحاكم العسكرية**»، ط 2، فلسطين، رام الله، المؤسسة، 1993.

93. مؤيد عبد الحسين الفضل، «**الإبداع في اتخاذ القرارات الإدارية**»، الأردن، إثراء للنشر والتوزيع، 2009.

94. ناصر عبد الجواد، «**الأسرى - حقوقهم - واجباتهم - أحكامهم**»، ط 2، الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2013.

95. نائل رمضان، «**أحكام الأسرى في سجون الاحتلال الإسرائيلي**»، لبنان، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2012.

96. نداء البرغوثي، «**أسرى الحرب في القانون الدولي**»، القاهرة، دار النهضة العربية، 2015.

97. نلسون مانديلا: رحلتي الطويلة من أجل الحرية، ترجمة عاشور الشامس، جوهانسبرج، جنوب أفريقيا، جمعية النشر اللغة العربية، 1998.

98. هاني نعيم، «**النضال اللاعنفي – الطريق إلى الحرية**»، لبنان، بيروت، منشورات هنيبعل، 2012.

99. هشام عبد الرازق، «**رواية فرسان الحرية**»، فلسطين، وزارة الثقافة، 2008.

100. وجيه محجوب: البحث العلمي ومناهجه، عمان، الأردن، دار المناهج للنشر والتوزيع، 2016.

101. وزارة الإعلام، «**هموم الحركة الأسيرة في ظل السلام**»، رام الله، قسم الدراسات والورشات الإعلامية، 1995.

102. وزارة شؤون الأسرى والمحررين، «**أوقفوا زمن السجن الأسود**»، رام الله، فلسطين،الدائرة الاعلامية لوزارة الأسرى، 2010.

103. وزارة شؤون الأسرى والمحررين، «**تقرير شامل عن أوضاع الأسرى في السجون الإسرائيلية**»، الدائرة الإعلامية للوزارة، فلسطين، 17 / 4/ 2007.

104. وليد العياصرة، «**مهارات التفكير الإبداعي وحل المشكلات**»، الأردن، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع 2013.

105. وليد الفاهوم، «**الحركة النسائية الفلسطينية**»، مواطن - المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله، 2000.

106. وليد الفاهوم، «**فلسطينيات في سجن النساء الإسرائيلي**»، عمان، دار الجليل للنشر، 1985.

107. وليد الفاهوم، «**لابد للقيد أن ينكسر**»، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1979.

108. وليد الهودلى، «**الشعاع القادم من الجنوب**»، ط 3، رام الله، دار البشير للنشر والتوزيع، 2004.

109. وليد رفيق العياصرة، «**مهارات التفكير الإبداعي وحل المشكلات**»، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2013.

110. وليد سالم، «**المسألة الوطنية الديمقراطية في فلسطين**»، رام الله، فلسطين، مؤسسة ناديا للطباعة والنشر، 2000.

111. يحيى السنوار، «**المجد**»، غزة، فلسطين، جمعية واعد للأسرى والمحررين، 2009. 2009.

ثانياً- الكتب المترجمة:

1. بنيامين نتنياهو، «**مكان تحت الشمس**»، ترجمة محمد الدويرى، ط 2، عمان، دار الجليل للنشر، 1996.

2. بيبا نوريس، «**بناء الأحزاب السياسية، إصلاح الضوابط القانونية والقواعد الداخلية**»، (ستوكهولم، المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات 2004).

3. جـون مـا رى هنكرتـس، «**دراسـة في القانـون الـدولي الإنسـاني العـرفي**»، ترجمـة محسـن الجمـل، بـيروت، المركـز الإقليمـي الإعلامـي للصليـب الأحمـر، 2005.

4. جيفـري ديلـمان، مـوسى البكـري، «**اسـتخدام إسرائيـل للتعذيـب بالصدمـة الكهربائيـة**»، ط1، القـدس، مركـز المعلومـات الفلسـطيني لحقـوق الإنسـان، 1991.

5. جيلـين تنـدر، «**الفكـر السـياسي – الأسـئلة الأبديـة**»، ترجمـة محمـد مصطفـى غنيـم، القاهـرة، الجمعيـة المصريـة لنـشر المعرفة والثقافـة العالميـة، 1993.

6. رفيـف دروكـر، أيهـود بـراك – «**الإخفـاق الأكـبر**» (ترجمـة هاشـم حمـدان)، رام اللـه، المركـز الفلسـطيني للدراسـات الإسرائيليـة – مـدار، 2004.

7. سـوزان سـكارو، «**تنفيـذ الديمقراطيـة الداخليـة الحزبيـة**»، سلسـلة الأحـزاب السياسـية والديمقراطيـة في الجوانـب النظريـة (واشـنطن، المعهـد الوطنـي الديمقراطـي، 2005).

8. فيليتسـيا لانغـر، «**الغضـب والأمـل**»، ترجمـة أحمـد خليفـة وآخريـن، بـيروت، مؤسسـة الدراسـات الفلسـطينية، 1993.

9. فيليتسيا لانغر، «**بأم عيني**»، القدس، منشورات صلاح الدين، 1975.

10. كينيـث جانـدا، «**تبنـي القانـون الحـزبي**»، سلسـلة الأحـزاب السياسـية والديمقراطيـة في الجوانـب النظريـة (واشـنطن، المعهـد الوطنـي الديمقراطـي، 2005).

ثالثاً- الدوريات والمجلات:

1. أحمـد شـعبان المرغاويـن. (2003)، «الإبـداع لـدى مرحلـة الجامعيـة الأولي - دراسـة ميدانيـة»، مجلـة التربيـة المعاصرة.

2. الجامعـة الإسـلامية. (2008)، مجلـة الجامعـة الإسـلامية، **العـدد الأول**، المجلـد السـادس عـشر، غـزة، فلسـطين.

3. جامعـة القـدس المفتوحـة. (2013)، مجلـة جامعـة القـدس المفتوحـة، **العـدد 29**، الجـزء الثـاني، غـزة، فلسـطين.

4. رفيـق المـصري. (2007)، «مسـتوى الوعـي السـياسي لـدى أعضـاء حركـة التحريـر الوطنـي (فتـح)»، مجلـة جامعـة الأقـصى، مجلـد (11)، **العـدد الثـاني**، غـزة، فلسـطين.

5. سـحر فرنسـيس. (2014)، «موقـع الأسرى الفلسـطينيين في القانـون الـدولي الإنسـاني»، مجلـة الدراسـات الفلسـطينية، **العـدد 98**.

6. صوت الأسير الإسلامي. (1994)، «أسرى الجهاد الإسلامي سجن جنيد»، مجلة الفرسان، **العدد الثاني**، فلسطين.

7. عاصم حمدان. (سبتمبر 2010)، «المبدع الايرلندي بوبي ساندز وموقف الطالب العربي من الحياة الفكرية في الغرب»، صحيفة المدينة، **عدد سبتمبر**.

8. فايز أبو عون. «10 ألاف فلسطينية دخلت المعتقلات منذ عام 1968»، مجلة الغيداء، **العدد 15**.

9. الكتلة الإسلامية. (2011)، «مذكرات أسير»، غزة، فلسطين، صحيفة الشباب، **العدد الثالث**، غزة، فلسطين.

10. اللجنة الدولية للصليب الأحمر الدولي. (2007)، «مختارات من المجلة الدولية»، برنت رايت للدعاية والإعلان، القاهرة، مصر.

11. مركز التخطيط الفلسطيني. (2011)، «البيان الختامي لمؤتمر الأمم المتحدة حول الأسرى في فينا»، مجلة المركز، **العدد 29**، غزة، فلسطين.

12. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. (2003)، «حوار أسرى في سجن عسقلان»، مجلة الدراسات الفلسطينية، **العدد 54**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، القدس.

13. وزارة الثقافة. (يونيو 2013)، مجلة مدارات، **العدد التاسع**، قطاع غزة، فلسطين.

رابعاً- رسائل علمية:

1. أحمد زايد. (2002)، «التوافق النفسي وعلاقته بمفهوم الذات لأبناء شهداء وأسرى الانتفاضة»، **رسالة دكتوراه غير منشورة**، برنامج الدراسات المشترك بين جامعتي الأقصى وعين شمس، كلية التربية، القاهرة.

2. إسماعيل الداعور. (2013)، دور الأسرى في الحركات السياسية الفلسطينية (1987- 2006)، «**رسالة دكتوراه غير منشورة**»، جامعة الأزهر كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، قسم العلوم السياسية، غزة، فلسطين.

3. إياد عطا أبو فنون. (2013)، «زواج الأسير وطلاقه والمستجدات في ذلك»، «**رسالة ماجستير غير منشورة**»، كلية الدراسات العليا، جامعة الخليل، قسم العلوم السياسية، فلسطين.

4. زياد أبو زياد. (2012)، «تأثير حقبة أوسلو على وحدة وانجازات الحركة الأسيرة في السجون الإسرائيلية 1993- 2012)»، «**رسالة ماجستير غير منشورة**»، جامعة القدس، قسم العلوم السياسية، القدس – أبو ديس.

5. سفير بن مسفر الجعيد. (2008)، «تقييم تجربة الخلوة الشرعية لنزلاء السجون»، **«رسالة ماجستير غير منشورة»**، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، قسم العلوم الاجتماعية، المملكة العربية السعودية.

6. عبد الصبور مرزوق:أدب ثورة 1919، القاهرة، رسالة دكتوراة مقدمة إلى قسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم لنيل درجة الدكتوراة في الآداب ،كلية العلوم، قسم الدراسات الأدبية، **«رسالة ماجستير غير منشورة»**، جامعة القاهرة، 1970.

7. غادة موسى. (2006)، «أثر الاحتلال على ثقافة المقاومة دراسة حالة للثقافة السياسية للمرأة الفلسطينية»، **«رسالة دكتوراه غير منشورة»**، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة.

8. محمد أبو شريعة. (2013)، «الحركة الأسيرة وتأثيرها في السياسة الفلسطينية (2006 - 2012)»، **«رسالة ماجستير غير منشورة»**، جامعة الأزهر كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، قسم العلوم السياسية، غزة، فلسطين.

9. مفيد عرقوب. (2008)، «بناء الجملة في شعر المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية»، **«رسالة دكتوراه غير منشورة»**، جامعة عين شمس، كلية الآداب، جمهورية مصر العربية.

10. منتهى عودة. (2013)، «المؤسسات الفلسطينية العاملة على خدمة الأسرى الفلسطينيين المحررين»، **«رسالة ماجستير غير منشورة»**، جامعة النجاح، نابلس.

11. خامساً- مؤتمرات وندوات علمية:

12. أحمد الريماوي. (2013)، الأسري الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.

13. أحمد حماد، زهير عابد. (2013)، دور العلاقات العامة في التوعية بقضية الأسرى في سجون الاحتلال، غزة، فلسطين، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.

14. إدريس جرادات. (2013)، دور الجلسات التعبوية في سجون الاحتلال الإسرائيلية، غزة، فلسطين، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.

15. إياد شناعة. (2013)، أوضاع ومعاناة الأسيرات والأطفال الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية «1967م – 2012م»، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.

16. تحسين الأسطل. (2013)، معالجة الكاريكاتير في الصحف الفلسطينية لقضية الأسرى في السجون الإسرائيلية، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.

17. حسام حمدونة. (2013)، تصور مقترح لتفعيل دور الجامعات والكليات في تنمية الإبداع لدى طلبة الجامعات، فلسطين، «المؤتمر السنوي الخامس لتنمية ثقافة الإبداع» وزارة الشباب والرياضة، غزة، فلسطين.

18. رشاد المدني. (2013)، واقع الأسيرات الفلسطينيات ومعاناتهم داخل السجون الصهيونية، غزة، فلسطين، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.

19. رفيق حمدونة، منير شقورة. (2013)، « توثيق تجربة الاعتقال الفلسطينية في السجون الإسرائيلية بين الضرورة والتنفيذ وتاريخها»، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.

20. رياض العيلة، عبير ثابت. (2013)، الرؤية المستقبلية لحل قضية الأسرى الفلسطينيين، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.

21. زكريا العثامنة. (2013)، أثر حرب حزيران (يونيو) 1967م على المعتقلين الفلسطينيين، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.

22. زهير المصري، نجود أحمد. (2013)، العلاقات التنظيمية بين الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.

23. عايد محمد الحموز. (2013)، الصلابة النفسية وعلاقتها ببعض أساليب التعذيب الإسرائيلية ضد الأسرى الفلسطينيين في محافظة الخليل، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.

24. فتحي كلوب. (2013)، مفاهيم حقوق الأسرى المتضمنة في محتويات مناهج التربية الوطنية المقررة على تلاميذ المرحلة الأساسية في فلسطين، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.

25. كمال الأسطل. (2013)، القانون الدولي الإنساني وقضية الأسرى الفلسطينيين، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.

26. محمد أحمد العجاتى. (2001)، أزمة الهوية فى الفكر السياسى العربى، دراسة مقارنة فى رؤى حسن حنفى ومحمد عابد الجابرى، «**رسالة ماجستير غير منشورة**»، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، القاهرة.

27. محمود عساف، سميرة خليفة. (2013)، دور الجامعات الفلسطينية بمحافظات غزة في تعزيز قضية الأسرى في سجون الاحتلال وسبل تفعيله، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.

28. مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة. (2013)، إبداعات انتصرت على القيد، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.

29. مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة. (2013)، إبداعات انتصرت على القيد، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.

30. مفيد عرقوب، حسين الدراويش. (2013)، صورة السجين والسجن والسجّان في الشعر الوطني الفلسطيني الأسير، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.

31. نائل إسماعيل. (2013)، الأَسَاليب الإنشائيَّة في شعر الأسرى الفِلَسْطينيين، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.

32. وليد مزهر. (2013)، الاعتقال في السياسة الإسرائيلية في منظور القوانين، «مؤتمر الأسرى»، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.

سادساً- المقابلات:

1. إبراهيم عليان، رئيس ملتقى الأسرى وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 23/6/2015، قطاع غزة.

2. أحلام التميمي، أسيرة محررة، مقابلة أجراها الباحث، 1/11/2015، الأردن.

3. أحمد أبو طه، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 19/11/2015، غزة.

4. أحمد عبد الرحمن أبو حصيرة، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، غزة، 28/10/2015.

5. أحمد محي الدين حرز الله، المتحدث باسم مؤسسة مهجة القدس للشهداء والأسرى وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 19/11/2015، غزة.

6. أسامة أبو حرب، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 20/4/2015، غزة.

7. أكرم سلامة، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، غزة، 23/10/2015.

8. بسام المجدلاوي، مدير عام شؤون الأسرى والمحررين ورئيس لجنة هيئة شؤون الأسرى المكلفة في المحافظات الجنوبية، مقابلة أجراها الباحث، غزة، 19/11/2015.

9. توفيق أبو نعيم، رئيس جمعية واعد للأسرى وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، غزة، 10/12/2014.

10. جبر وشاح، نائب رئيس المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، غزة، 25/4/2015.

11. جهاد البطش، نائب رئيس جامعة القدس المفتوحة، مقابلة أجراها الباحث، 19/8/2015، غزة.

12. خضر خليل شعث، المتحدث باسم ملتقى الأسرى والمحررين وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، غزة، 2/11/2015.

13. خضر عطية محجز، كاتب وأكاديمي وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 23/11/2015، قطاع غزة.

14. خضر محمود عباس، كاتب وأكاديمي وأسير محرر، مقابلة، 15/1/2015، غزة.

15. رامي جمال عزاره، المسئول الإعلامي لمفوضية الأسرى وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 3/11/2015، غزة.

16. رائد خالد غباين، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 19/8/2015، غزة.

17. روضة إبراهيم حبيب، أسيرة محررة، مقابلة، 3/2/2015، غزة.

18. زهير الشوشنية، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 3/11/2015، غزة.

19. زياد سليم سلمي، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 20/4/2015، غزة.

20. سالم أبو خيزران مسئول زراعة نطف الأسرى بمستشفى رزان التخصصي - نابلس، مقابلة أجراها الباحث، غزة، 25/4/2015.

21. سامر أبو سير، قيادي في الجبهة الشعبية وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 23/6/2015، قطاع غزة.

22. سلمان سليم جاد الله، أسير محرر وكاتب، مقابلة أجراها الباحث، 23/11/2015، قطاع غزة.

23. سليم حسين الزريعي، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 10/1/2015، غزة.

24. سميح كامل حجاج، المفتي والمحاضر بجامعة فلسطين بغزة، مقابلة أجراها الباحث، لبنان، بيروت، 17/11/2015.

25. شاكر شبات، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 20/8/2015، غزة.

26. شعبان سليم حسونة، كاتب وروائي وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 7/11/2015، غزة.

27. شكري سلمه، أسير محرر، نائب رئيس هيئة شؤون الأسرى والمحررين، مقابلة أجراها الباحث، 23/4/2015، رام الله.

28. عاطف مرعى، **مدير عام** العلاقات العامة والإعلام وعضو لجنة مكلفة بإدارة هيئة شؤون الأسرى في المحافظات الجنوبية، بادرة أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، غزة، 19/11/2015.

29. عبد الباري محمد خلة، رئيس لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف والشئون الدينية بقطاع غزة، مقابلة أجراها الباحث، غزة، 17/11/201

30. عبد الحق رمضان شحادة، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 15/2/2014، غزة.

31. عبد المنعم حسان أبو عطايا، أسير محرر ومبعد، مقابلة أجراها الباحث، 5/11/2015، إسبانيا.

32. عبد الناصر عوني فروانه، رئيس وحدة الدراسات والتوثيق بهيئة شؤون الأسرى وعضو اللجنة المكلفة بإدارتها في المحافظات الجنوبية، وباحث في قضايا الأسرى، مقابلة أجراها الباحث، غزة،17/11/2015.

33. عبد الهادي غنيم، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 23/4/2015، قطاع غزة.

34. عدنان الأفندي، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، بيت لحم، فلسطين، 10/10/2015.

35. علام الكعبي، قيادي في الجبهة الشعبية وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 18/6/2015، غزة.

36. عماد يعقوب حمتو، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة فلسطين وأحد علماء الأزهر الشريف بفلسطين، مقابلة أجراها الباحث، غزة، 17/11/2015.

37. عمر خليل عمر، شاعر وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 5/1/2015، غزة.

38. فايز أبو شماله، شاعر وكاتب وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 7/12/2015، غزة.

39. فهمي محمد كنعان، أسير محرر وأحد مبعدي كنيسة المهد، مقابلة أجراها الباحث، 3/11/2015، قطاع غزة.

40. فؤاد قاسم الرازم، عميد أسرى القدس وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 3/11/2015، غزة.

41. كفاح العارضة، أسير محرر مبعد، مقابلة أجراها الباحث، 23/4/2015، قطاع غزة.

42. محمد مصطفى أبو جلالة، كاتب وشاعر وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 3/11/2015، قطاع غزة.

43. محمود سليمان الزق، قيادي في جبهة النضال الشعبي وأسير محرر، مقابلة، 6/11/2015، غزة.

44. محمود مصطفى مرداوي، أسير محرر ومبعد، مقابلة أجراها الباحث، 4/11/2015، غزة.

45. مريم أبو دقة، أسيرة محررة وعضو مكتب سياسي في الجبهة الشعبية، مقابلة، 9/1/2015، غزة.

46. مصعب البريم، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 20/4/2015، غزة.

47. موفق عبد الرحمن حميد، مدير العلاقات العامة بجمعية « حسام «، مقابلة أجراها الباحث، 25/10/2015، غزة.

48. هشام عبد الرازق، وزير الأسرى السابق، مقابلة أجراها الباحث، غزة، 28/9/2015.

49. وائل السعدني، مسئول برنامج التعليم في هيئة الأسرى، مقابلة أجراها الباحث، غزة، 19/7/2015.

50. وليد الهودلي، كاتب وروائي وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 10/11/2015، رام الله.

51. يحيى محمود يحيى، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، 2/10/2015، جباليا.

سابعاً- مواقع الانترنت:

1. أحرار لدراسات الأسرى وحقوق الإنسان: www.ahrar.ps

الموضوع : أسرى العزل / أسلوب ممنهج للموت البطيء

نشر بتاريخ / 27، أغسطس, 2012

2. الأسرى للدراسات: www.alasra.ps/ar

الموضوع : تعريف الأسير الفلسطينى

نشر فى يوم / الثلاثاء , 23 سبتمبر 2014, 03:05

3. بوابة القاهرة: www.cairoportal.com

الموضوع : أسرار الخلوة الشرعية في السجون الداخلية ..

كتب عواد سالم الأحد، 19 يناير 2014

4. الجزيرة نت: www.aljazeera.net

الموضوع : نص وثيقة الأسرى الفلسطينيين للوفاق الوطني

نشر بتاريخ: 16/3/2015

5. الحدث اليوم: www.alhadathtoday.com

الموضوع : سفير الحرية السابع والاربعون يرى النور

نشر يوم الاربعاء :2015 -23- 12

6. دنيا الوطن: com.alwatanvoice.www

الموضوع : مائة أسير بينهم محررون يتخرجون من الجامعة

تاريخ النشر : 2015-08-30

7. سكاى نيوز: www.skynewsarabia.com

الموضوع : اتصالات مكثفة للإفراج عن الأسرى

نشر فى يوم السبت 29 مارس, 2014

8. سما الإخبارية: www.samanews.com/ar

الموضوع : نبذة عن تبادل 1985 بين القيادة العامة واسرائيل

نشر الخميس 17 أبريل , 2014

9. صحيفة رأى اليوم: www.raialyoum.com

الموضوع : رئيس هيئة شؤون الأسرى والمحررين يؤكد اعتقال مليون فلسطينى منذ النكبة حتى تاريخ النشر

نشر فى 13 مايو 2015

10. فلسطين خلف القضبان: www.palestinebehindbars.org

الموضوع : في الذكرى الـ 21 للإنتفاضة الأولى

نشر بتاريخ 7/12/2008

11. مركز المعلومات الوطني الفلسطيني – وفا: www.wafainfo.ps

الموضوع : هيئة الأسرى: الاحتلال مارس التعذيب بحق 99% من الأسرى الأطفال

تاريخ النشر : 2015/07/28

12. معاً الإخبارية: www.maannews.net/arb

الموضوع : تعذيب الأطفال في التحقيق

نشر بتاريخ : 28/07/2015

13. موضوع: www.mawdoo3.com

الموضوع : تعريف الرواية والقصة

نشر بتاريخ 20 نوفمبر2014

المراجع الإنجليزية:

- **Books:**

1. Barbara Harlow, **Resistance Literature**, New York ،Methuen inc and Methuen , 1987.

2. Benyamin , Neuberger،**Democracy in Israel** , Tel-Aviv , The Open University, 1998.

3. Benyamin , Neuberger،**Modern Democracy،intellectual Roots and- Basic Concepts** , Tel-Aviv , The Open University ,1998.

4. Bernardi,Bernardo,The concept and dynamics of culture , (1977) , World Anthropology, The Hague، Mouton.

5. cooley, c:**Human Nature and the Social Order**, New York , Charles Horton , 1964.

6. David Beresford. Ten Men Dead, (New York، Atlantic Press, 1987), 7. ISBN 0-87113-702-X.

7. Jack Plano and Millon green berg (eds,),The American Political Dictionary (New York، Halt Rinehart and Winston Ihc , 1967).

8. Johnston,Hank &Bert Klandermans , eds**., social movement and culture**, university of Minneapolis, 1995.

9. Joseph Schumpeter ,capitalism , Socialism , **Socialism and Democracy** (London، Allen and Unwin , 1950).

10. Inglehart,Ronald،**The silent revolution changing values and political styles among western publics** , Princeton university press , 1977.

11. Kevin Flower and Kareem Khadder (6 May 2012). "Two Palestinians on hunger strike nearing death, says lawyer".

12. Mannheim,karl،**Essays on the sociology of culture** , london,routledge,1994.

13. Mead ,G، Mind, **Self and Society from Stand Point of A Social Behaviorist** ,Chicago Univ ,Press 1962.

14. Modern Palestinian Short Stories in Translation, 44 Authors, (edited by Izzat-Ghazzawi, Claire Peak), Jerusalem،The Palestinian Writers Union, 1998.

15. Philip P.Wieiner, Dictionary **of the History of Ideas** (New York ,Charles Seribners Sons,1973).

16. Prus,Robert,Subcultural mosaic and inter subjective realties،An ethnographic research agenda pragmatizing social sciences , state university of new York press , 1997.

17. Radeliff,Brown،**Method in Social Anthropology**, theuniversity of Chicago,1918.

18. Richard, T. 1990. Creativity and problem solving at work.England gower company limited.

19. Verba,Sidny,Gabriel Almond، the civic culture political attitudes and democracy in five nations , Princeton university press , 1963.

20. Yanai, N،**Party leadership in Israel**, Ramat Gan,Turtledove ,1981.

- **Periodicals:**

A- (Magazine:

1. Accordino,M.p.,&Guerney ,B.Jr.(1998). An evaluation of the relationship enhancement program with prisoners and their wives international journal of Offender and Comparative Criminology,42,(1).

2. Dinca.m.(1993).personality traits as interface between the creative potential and creativity.Revue romance do psychologies,vol.37(2).

3. Elder,linda and Paul ,Richard(2001).Critical thanking، Thanking to some purpose.journal of developmental Education ,25(1).

4. Olson ,J.(1999.What academic librarians, librarianship should know about creative thanking journal of academic ,librarianship,25.(5).

5. Schank , G(1993).Effects of A creative problem solving curriculum on students of varying Ability levels. Gifted Quartelrly ,vol.37,no.1.

6. The Palestinian Academic Society for the Study of International affairs(Passia) ,2000.

- **Newspapers:**

1. Harriet Sherwood (7 May 2012). "Israeli court rejects Palestinian hunger strike prisoners' appeal". The Guardian (London).

2. Khoury، Jack (12 May 2012). “Palestinian prisoners to continue hunger strike”. Haaretz.

3. Sanders، Edmund (12 May 2012). “Talks progress in bid to end Palestinian prisoners’ hunger strike”. Los Angeles Times.

- **Dissertations Theses:**

1. EsmailNashif, Identity Community, and Text، The Production of Meaning among Palestinian Political Captives, for the degree of Doctor of Philosophy, University of Texas at A Ustin, 2004.

2. HadeelAlkazaz, The role of non-formal Education in Development, The Experience of Palestinian Prisoners in Israeli Prisons, for the degree of Doctor of Education, university of Leeds, 1994-1997.

3. RababTmesh, Pain Violence in Palestinian War-Prisoner Narrative, for the degree of Doctor of Philosophy (under preparing), University of Michigan.

4. Shadi Jabber, Artistic expression of the Palestinian Political Prisoners in the Israeli Prisons, for the degree of Master of Arts Therapy, European Graduate School EGS, 2003.

المراجع العبرية:

1. איתמר ריבוניביץ: **ישראל، הערבים והמזרח התיכון** , 1948 – 2012 , כנרת، זמורה – ביתן، דביר، אור – יהודה , 2000.

- ايتـمار ريبونفيتـش: **العـرب والـشرق الأوسـط، 1948 – 2012**، طبريـا، زمـورة بيتـان، أور يهـودا، 2000.

2. בני מוריס: **מתוות קלינטון**، עם עובד, תל אביב، 2004.

- بينـى موريـس: **مبـادرة كلينتـون والـردود الرسـمية مـن اسرائيـل والفلسـطينيين**، عـام عوفيـد، تـل أبيـب، 2004.

3. בנימין נויברגר: **הדמוקרטיה הישראלית**، תל- אביב، האונבירסיטה הפתוחה، 1998

بنيامين نويبرغر: الديمقراطية الاسرائيلية، تل أبيب، الجامعة المفتوحة في اسرائيل، 1998.

4. בנימין נויברגר: **הדמוקרטיה המודרנית שורשים רעיוניים ותפיסות יסוד**، תל- אביב، האונבירסיטה הפתוחה، 1985.

بنيامين نويبرغر: الديمقراطية الحديثة الجذور الفكرية والمفاهيم الأساسية، تل أبيب، الجامعة المفتوحة في اسرائيل، 1985.

5. גילוי דעת בעניין מניעת לימודי אסירים פלסטינים באוניברסיטה הפתוחה،

بيان لأكاديميين اسرائيليين يستنكر منع الأسرى الفلسطينيين من التعليم في الجامعة المفتوحة في اسرائيل:

/https،//atzumaasirim.wordpress.com

6. גל גרזו: ליברליזם، קשרים، הקשרים ביקורת، רעננה، האונבירסיטה הפתוחה، 2004.

غال جرسون: الليبرالية، والعلاقات المراقبة، رعنانا، الجامعة المفتوحة في اسرائيل، 2004.

7. זכויות، זכויות אסירים ביטחוניים , الحقوق: حقوق الأسرى الأمنيين: /http،//www.myrights.co.il

8. מרכז הספר והספריות، مركز الكتاب والمكتبات:

/http،//www.meidaat.org.il/articles-n-studies/issue-011/may-11

9. רונן יניב: אסירים ביטחוניים בבתי - כלא בישראל، מרכז המחקר והמידע בכנסת، ירושלים، 2009.

رونين يانيف: الأسرى الأمنيين في السجون الاسرائيلية، مركز البحث والمعلومات في الكنيست، القدس، 2009.

10. ספריות האסירים הביטחוניים בישראל، מכתבات الأسرى الأمنيين في اسرائيل:

/http،//www.meidaat.org.il/articles-n-studies/issue-011/may-11

11. רות חיים יהודה : שלטון העם על ידי העם، יבנה، תל- אביב ،1949.

روت حاييم يهودا: سلطة الشعب على يد الشعب، يبنا للنشر، تل أبيب، 1949.

12. שליים אבי: קיר הברזל – ישראל והעולם הערבי، ספרי עליית הגג، ידיעות אחרונות، ספרי חמד، תל אביב، 2000.

آفي شلايم: الجدار الحديدي - إسرائيل والعالم العربي، يديعوت أحرونوت، كتب حميد، تل أبيب، 2000.

13. مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان- بتسيلم: www.btselem.org/arabic

14. الموقع الإلكتروني لصحيفة هآرتس الإسرائيلية: www.haaretz.co.il

15. الموقع الكتروني العبري (واللا): www.walla.co.il/it

ملاحـــق الدراسة

استمارة مقابلة شبه مقننة

الاسم : .....

العمر : .....

مكان السكن : .....

الحالة الاجتماعية : .....

فترة الاعتقال : .....

السجن الذى نزل به :.....

المستوى التعليمى : .....

الانتماء التنظيمى: .....

المكانة القيادية والمواقع التى أشغلها خلال الاعتقال : .....

درجة الاتزان :.....

الحالة الصحية :.....

تقييم الباحث : .....

.....

.....

.....

.....

اليوم : ..... والتاريخ : .....

بعض المواد في اتفاقية جنيف بشأن معاملة الأسرى المؤرخة في 12 آب/ أغسطس 1949م
اعتمدت وعرضت للتوقيع والتصديق والانضمام من قبل المؤتمر الدبلوماسي لوضع اتفاقيات دولية لحماية ضحايا الحروب المعقود في جنيف خلال الفترة من 21 نيسان/ أبريل إلي 12 آب/ أغسطس 1949م
تاريخ بدء النفاذ: 21 تشرين الأول/ أكتوبر 1950 وفقا لأحكام المادة 138

الباب الأول: أحكام عامة

المادة 13

يجب معاملة أسرى الحرب معاملة إنسانية في جميع الأوقات. ويحظر أن تقترف الدولة الحاجزة أي فعل أو إهمال غير مشروع يسبب موت أسير في عهدتها، ويعتبر انتهاكا جسيما لهذه الاتفاقية. وعلى الأخص، لا يجوز تعريض أي أسير حرب للتشويه البدني أو التجارب الطبية أو العلمية من أي نوع كان مما لا تبرره المعالجة الطبية للأسير المعني أو لا يكون في مصلحته.

وبالمثل، يجب حماية أسرى الحرب في جميع الأوقات، وعلى الأخص ضد جميع أعمال العنف أو التهديد، وضد السباب وفضول الجماهير.

وتحظر تدابير الاقتصاص من أسرى الحرب.

المادة 14

لأسرى الحرب حق في احترام أشخاصهم وشرفهم في جميع الأحوال.

ويجب أن تعامل النساء الأسيرات بكل الاعتبار الواجب لجنسهن. ويجب على أي حال أن يلقين معاملة لا تقل ملاءمة عن المعاملة التي يلقاها الرجال.

يحتفظ أسرى الحرب بكامل أهليتهم المدنية التي كانت لهم عند وقوعهم في الأسر. ولا يجوز للدولة الحاجزة تقييد ممارسة الحقوق التي تكفلها هذه الأهلية، سواء في إقليمها أو خارجه إلا بالقدر الذي يقتضيه الأسر.

المادة 15

تتكفل الدولة التي تحتجز أسرى حرب بإعاشتهم دون مقابل وبتقديم الرعاية الطبية التي تتطلبها حالتهم الصحية مجانا.

المادة 16

مع مراعاة أحكام هذه الاتفاقية فيما يتعلق برتب الأسرى وجنسهم، ورهنا بأية معاملة مميزة يمكن أن تمنح لهم بسبب حالتهم الصحية أو أعمارهم أو مؤهلاتهم المهنية، يتعين علي الدولة الحاجزة أن تعاملهم جميعا على قدم المساواة، دون أي تمييز ضار على أساس العنصر، أو الجنسية، أو الدين، أو الآراء السياسية، أو أي معايير مماثلة أخرى.

الباب الثالث: الأسر

القسم الأول: ابتداء الأسر

المادة 17

لا يلتزم أي أسير عند استجوابه إلا بالإدلاء باسمه بالكامل، ورتبته العسكرية، وتاريخ ميلاده، ورقمه بالجيش أو الفرقة أو رقمه الشخصي أو المسلسل. فإذا لم يستطع فبمعلومات مماثلة.

إذا أخل الأسير بهذه القاعدة باختياره فإنه قد يتعرض لإنتقاص المزايا التي تمنح للأسرى الذين لهم رتبته أو وضعه.

علي كل طرف في النزاع أن يزود جميع الأشخاص التابعين له والمعرضين لأن يصبحوا أسرى حرب، ببطاقة لتحقيق الهوية يبين فيها اسم حاملها بالكامل، ورتبته، ورقمه بالجيش أو الفرقة أو رقمه الشخصي أو المسلسل أو معلومات مماثلة، وتاريخ ميلاده. ويمكن أن تحمل بطاقة الهوية أيضا توقيع حاملها أو بصمات أصابعه أو كليهما، وقد تتضمن كذلك أية معلومات أخرى يرغب طرف النزاع إضافتها عن الأشخاص التابعين لقواته المسلحة. وكلما أمكن يكون اتساع البطاقة 6.5 * 10 سنتيمترات وتصدر من نسختين. ويبرز الأسير بطاقة هويته عند كل طلب لكن لا يجوز سحبها منه بأي حال من الأحوال.

ولا يجوز ممارسة أي تعذيب بدني أو معنوي أو أي إكراه على أسرى الحرب لاستخلاص معلومات منهم من أي نوع. ولا يجوز تهديد أسرى الحرب الذين يرفضون الإجابة أو سبهم أو تعريضهم لأي إزعاج أو إجحاف.

يسلم أسرى الحرب العاجزون عن الإدلاء بمعلومات عن هويتهم بسبب حالتهم البدنية أو العقلية إلى قسم الخدمات الطبية. وتحدد هوية هؤلاء الأسرى بكل الوسائل الممكنة مع مراعاة أحكام الفقرة السابقة.

يجري استجواب أسرى الحرب بلغة يفهمونها.

المادة 18

يحتفظ أسرى الحرب بجميع الأشياء والأدوات الخاصة باستعمالهم الشخصي -ماعدا الأسلحة، والخيول، والمهمات الحربية، والمستندات الحربية- وكذلك بخوذتهم المعدنية والأقنعة الواقية من الغازات، وجميع الأدوات الأخرى التي تكون قد صرفت لهم للحماية الشخصية. كما تبقى في حوزتهم الأشياء والأدوات التي تستخدم في ملبسهم وتغذيتهم حتى لو كانت تتعلق بعدتهم العسكرية الرسمية.

لا يجوز في أي وقت أن يكون الأسرى بدون وثائق تحقيق هويتهم. وعلى الدولة الحاجزة أن تزود بها الأسرى الذين لا يحملونها.

لا يجوز تجريد أسرى الحرب من شارات رتبهم وجنسيتهم، أو نياشينهم، أو الأدوات التي لها قيمة شخصية أو عاطفية.

لا يجوز سحب النقود التي يحملها أسرى الحرب إلا بأمر يصدره ضابط وبعد تقييد المبلغ وبيان صاحبه في سجل خاص، وبعد تسليم صاحب المبلغ إيصالا مفصلا يبين فيه بخط مقروء اسم الشخص الذي يعطي الإيصال المذكور ورتبته والوحدة التي يتبعها. وتحفظ لحساب الأسير أي مبالغ تكون من نوع عملة الدولة الحاجزة أو تحول إلي هذه العملة بناء علي طلب الأسير طبقا للمادة 64.

ولا يجوز للدولة الحاجزة أن تسحب من أسرى الحرب الأشياء ذات القيمة إلا لأسباب أمنية. وفي هذه الحالة تطبق الإجراءات المتبعة في حالة سحب النقود.

تحفظ في عهدة الدولة الحاجزة الأشياء والنقود التي تسحب من الأسرى بعملات مغايرة لعملة الدولة الحاجزة دون أن يطلب أصحابها استبدالها، وتسلم بشكلها الأصلي إلى الأسرى عند انتهاء أسرهم.

المادة 19

يتم إجلاء أسرى الحرب بأسرع ما يمكن بعد أسرهم، وينقلون إلى معسكرات تقع في منطقة تبعد بقدر كاف عن منطقة القتال حتى يكونوا في مأمن من الخطر.

لا يجوز أن يستبقي في منطقة خطرة، وبصورة مؤقتة، إلا أسرى الحرب الذين يتعرضون بسبب جروحهم أو مرضهم لمخاطر أكبر عند نقلهم مما لو بقوا في مكانهم.

يجب ألا يعرض أسرى الحرب للخطر دون مبرر أثناء انتظار إجلائهم من منطقة قتال.

المادة 20

يجب أن يجري إجلاء أسرى الحرب دائما بكيفية إنسانية وفي ظروف مماثلة للظروف التي توفر لقوات الدولة الحاجزة في تنقلاتها.

على الدولة الحاجزة أن تزود أسرى الحرب الذين يتم إجلاؤهم بكميات كافية من ماء الشرب والطعام وبالملابس والرعاية الطبية اللازمة. وعليها أن تتخذ جميع الاحتياطات لضمان سلامتهم أثناء نقلهم، وأن تعد بأسرع ما يمكن قائمة بأسرى الحرب الذين يتم إجلاؤهم.

فإذا اقتضى الأمر مرور أسرى الحرب أثناء نقلهم بمعسكرات انتقالية، وجب أن تكون مدة إقامتهم في هذه المعسكرات أقصر ما يمكن.

القسم الثاني: اعتقال أسرى الحرب

الفصل الأول: اعتبارات عامة

المادة 21

يجوز للدولة الحاجزة إخضاع أسرى الحرب للاعتقال. ولها أن تفرض عليهم التزاما بعدم تجاوز حدود معينة من المعسكر الذي يعتقلون فيه، أو بعدم تجاوز نطاقه إذا كان مسورا. ومع مراعاة أحكام هذه الاتفاقية فيما يتعلق بالعقوبات الجنائية والتأديبية، لا يجوز حجز أو حبس الأسرى إلا كإجراء ضروري تقتضيه حماية صحتهم، ولا يجوز أن يدوم هذا الوضع على أي حال لأكثر مما تتطلبه الظروف التي اقتضته.

يجوز إطلاق حرية أسرى الحرب بصورة جزئية أو كلية مقابل وعد أو تعهد منهم بقدر ما تسمح بذلك قوانين الدولة التي يتبعونها. ويتخذ هذا الإجراء بصفة خاصة في الأحوال التي يمكن أن يسهم فيها ذلك في تحسين صحة الأسرى، ولا يرغم أي أسير على قبول إطلاق سراحه مقابل وعد أو تعهد.

على كل طرف في النزاع أن يخطر الطرف الآخر، عند نشوب الأعمال العدائية، بالقوانين واللوائح التي تسمح لرعاياه أو تمنعهم من قبول الحرية مقابل وعد أو تعهد. ويلتزم أسرى الحرب الذين يطلق سراحهم مقابل وعد أو تعهد وفقا للقوانين واللوائح المبلغة على هذا النحو بتنفيذ الوعد أو التعهد الذي أعطوه بكل دقة، سواء إزاء الدولة التي يتبعونها، أو

الدولة التي أسرتهم. وفي مثل هذه الحالات، تلتزم الدولة التي يتبعها الأسرى بأن لا تطلب إليهم أو تقبل منهم تأدية أية خدمة لا تتفق مع الوعد أو التعهد الذي أعطوه.

المادة 22

لا يجوز اعتقال أسرى الحرب إلا في مبان مقاومة فوق الأرض تتوفر فيها كل ضمانات الصحة والسلامة، ولا يجوز اعتقالهم في سجون إصلاحية إلا في حالات خاصة تبررها مصلحة الأسرى أنفسهم.

يجب بأسرع ما يمكن نقل أسرى الحرب المعتقلين في مناطق غير صحية، أو حيث يكون المناخ ضاراً بهم، إلي مناخ أكثر ملاءمة لهم.

تجمع الدولة الحاجزة أسرى الحرب في المعسكرات أو أقسام المعسكرات تبعا لجنسياتهم ولغاتهم وعاداتهم، شريطة أن لا يفصل هؤلاء الأسرى عن أسرى الحرب التابعين للقوات المسلحة التي كانوا يخدمون فيها عندما أسروا إلا بموافقتهم.

المادة 23

لا يجوز في أي وقت كان إرسال أي أسير حرب إلي منطقة يتعرض فيها لنيران منطقة القتال، أو إبقاؤه فيها، أو استغلال وجوده لجعل بعض المواقع أو المناطق في مأمن من العمليات الحربية.

يجب أن توفر لأسرى الحرب، بقدر مماثل لما يوفر للسكان المدنيين المحليين، ملاجئ للوقاية من الغارات الجوية وأخطار الحرب الأخرى، ويمكنهم -باستثناء المكلفين منهم بوقاية مآويهم من الأخطار المذكورة- أن يتوجهوا إلي المخابئ بأسرع ما يمكن بمجرد إعلان الإنذار بالخطر. وبطبق عليهم أي إجراء آخر من إجراءات الوقاية يتخذ لمصلحة الأهالي.

تتبادل الدول الحاجزة، عن طريق الدول الحامية، جميع المعلومات المفيدة عن الموقع الجغرافي لمعسكرات أسرى الحرب.

كلما سمحت الاعتبارات الحربية، تميز معسكرات أسرى الحرب نهارا بالحروف PW أو PG1، التي توضع بكيفية تجعلها مرئية بوضوح من الجو. علي أنه يمكن للدول المعنية أن تتفق علي أية وسيلة أخري لتمييزها. ولا تميز بهذه الكيفية إلا معسكرات أسرى الحرب.

المادة 24

تجهز المعسكرات الانتقالية أو معسكرات الفرز التي لها طابع الدوام في أوضاع مماثلة

للأوضاع المنصوص عنها في هذا القسم، ويفيد الأسرى فيها من نفس نظام المعسكرات الأخرى.

الفصل الثاني: مأوى وغذاء وملبس أسرى الحرب

المادة 25

توفر في مأوي أسرى الحرب ظروف ملائمة مماثلة لما يوفر لقوات الدولة الحاجزة المقيمة في المنطقة ذاتها. وتراعي في هذه الظروف عادات وتقاليد الأسرى، ويجب ألا تكون ضارة بصحتهم بأي حال.

وتنطبق الأحكام المتقدمة على الأخص على مهاجع أسرى الحرب، سواء من حيث مساحتها الكلية والحد الأدنى لكمية الهواء التي تتخللها أو من حيث المرافق العامة والفراش، بما في ذلك الأغطية.

ويجب أن تكون الأماكن المخصصة للاستعمال الفردي أو الجماعي لأسرى الحرب محمية تماما من الرطوبة، ومدفأة ومضاءة بقدر كاف، وعلى الأخص في الفترة بين الغسق وإطفاء الإضاءة. وتتخذ جميع الاحتياجات لمنع أخطار الحريق.

وفي جميع المعسكرات التي تقيم فيها أسيرات حرب مع أسرى في الوقت نفسه، تخصص لهن مهاجع منفصلة.

المادة 26

تكون جرايات الطعام الأساسية اليومية كافية من حيث كميتها ونوعيتها وتنوعها لتكفل المحافظة على صحة أسرى الحرب في حالة جيدة ولا تعرضهم لنقض الوزن أو اضطرابات العوز الغذائي. ويراعي كذلك النظام الغذائي الذي اعتاد عليه الأسرى.

وعلي الدولة الحاجزة أن تزود أسرى الحرب الذين يؤدون أعمالاً بالجرايات الإضافية اللازمة للقيام بالعمل الذي يؤدونه.

ويزود أسرى الحرب بكميات كافية من مياه الشرب. ويسمح لهم باستعمال التبغ.

وبقدر الإمكان، يشترك أسرى الحرب في إعداد وجباتهم، ولهذا الغرض، يمكن استخدامهم المطابخ. وعلاوة علي ذلك، يزودون بالوسائل التي تمكنهم من تهيئة الأغذية الإضافية التي في حوزتهم بأنفسهم.

وتعد أماكن مناسبة لتناول الطعام.

ويحظر اتخاذ أي تدابير تأديبية جماعية تمس الغذاء.

المادة 27

تـزود الدولـة الحاجـزة أسرى الحـرب بكميـات كافيـة مـن الملابـس، والملابـس الداخليـة والأحذيـة، الملائمـة لمنـاخ المنطقـة التـي يحتجـز فيهـا الأسرى.

وإذا كان مـا تسـتولي عليـه الدولـة الحاجـزة مـن ملابـس عسـكرية للقـوات المسـلحة المعاديـة مناسـبا للمنـاخ، فإنـه يسـتخدم لكسـاء أسرى الحـرب.

وعلى الدولة الحاجزة مراعاة استبدال وتصليح الأشياء سالفة الذكر بانتظام.

وعـلاوة عـلى ذلـك، يجـب صرف الملابـس المناسـبة لـلأسرى الذيـن يـؤدون أعـمالاً، حيثـما تسـتدعي ذلـك طبيعـة العمل.**المـادة 28**

تقـام مقاصـف (كنتينـات) في جميـع المعسـكرات، يسـتطيع أن يحصـل فيهـا الأسرى عـلى المـواد الغذائيـة، والصابـون، والتبـغ، وأدوات الاسـتعمال اليومـي العاديـة. ويجـب ألا تزيـد أسـعارها عـلى أسـعار السـوق المحليـة.

تسـتخدم الأربـاح التـي تحققهـا مقاصـف المعسـكرات لصالـح الأسرى، وينشـأ صنـدوق خـاص لهـذا الغـرض. ويكـون لممثـل الأسرى حـق الاشـتراك في إدارة المقصـف وهـذا الصنـدوق.

وعنـد غلـق أحـد المعسـكرات، يسـلم رصيـد الصنـدوق الخـاص إلى منظمـة إنسـانية دوليـة لاسـتخدامه لمصلحـة أسرى حـرب مـن نفـس جنسـية الأسرى الذيـن أسـهموا في أمـوال الصنـدوق. وفي حالـة الإعـادة العامـة إلى الوطـن، تحتفـظ الدولـة الحاجـزة بهـذه الأربـاح مـا لم يتـم اتفـاق بـين الـدول المعنيـة يقـضي بغـير ذلـك.

الفصل الثالث: الشروط الصحية والرعاية الطبية

المادة 29

تلتـزم الدولـة الحاجـزة باتخـاذ كافـة التدابـير الصحيـة الضروريـة لتأمـين نظافـة المعسـكرات وملاءمتهـا للصحـة والوقايـة مـن الأوبئـة.

يجـب أن تتوفـر لأسرى الحـرب، نهـارا وليـلا، مرافـق صحيـة تسـتوفي فيهـا الـشروط الصحيـة وتراعي فيهـا النظافـة الدائمـة. وتخصـص مرافـق منفصلـة للنسـاء في أي معسـكرات توجـد فيهـا أسـيرات حـرب.

ومن ناحية أخري، وإلى جانب الحمامات والمرشات (الأدشاش) التي يجب أن تزود بها المعسكرات، يزود أسرى الحرب بكميات كافية من الماء والصابون لنظافة أجسامهم وغسل ملابسهم، ويوفر لهم ما يلزم لهذا الغرض من تجهيزات وتسهيلات ووقت.

المادة 30

توفر في كل معسكر عيادة مناسبة يحصل فيها أسرى الحرب علي ما قد يحتاجون إليه من رعاية، وكذلك علي النظام الغذائي المناسب. وتخصص عند الاقتضاء عنابر لعزل المصابين بأمراض معدية أو عقلية.

أسرى الحرب المصابون بأمراض خطيرة أو الذين تقتضي حالتهم علاجا خاصا أو عملية جراحية أو رعاية بالمستشفى، ينقلون إلى أية وحدة طبية عسكرية أو مدنية يمكن معالجتهم فيها، حتى إذا كان من المتوقع إعادتهم إلى وطنهم في وقت قريب. ويجب منح تسهيلات خاصة لرعاية العجزة، والعميان بوجه خاص، ولإعادة تأهيلهم لحين إعادتهم إلى الوطن.

يفضل أن يقوم بعلاج أسرى الحرب موظفون طبيون من الدولة التي يتبعها الأسرى، وإذا أمكن من نفس جنسيتهم.

لا يجوز منع الأسرى من عرض أنفسهم على السلطات الطبية المختصة لفحصهم. وتعطي السلطات الحاجزة لأي أسير عولج شهادة رسمية، بناء علي طلبه، تبين طبيعة مرضه وإصابته، ومدة العلاج ونوعه. وترسل صورة من هذه الشهادة إلى الوكالة المركزية لأسرى الحرب.

تتحمل الدولة الحاجزة تكاليف علاج أسرى الحرب، بما في ذلك تكاليف أي أجهزة لازمة للمحافظة على صحتهم في حالة جيدة، وعلى الأخص الأسنان والتركيبات الاصطناعية الأخرى والنظارات الطبية.

المادة 31

تجري فحوص طبية لأسرى الحرب مرة واحدة على الأقل في كل شهر. ويشمل الفحص مراجعة وتسجيل وزن كل أسير. والغرض من هذه الفحوص هو علي الأخص مراقبة الحالة العامة لصحة الأسرى وتغذيتهم ونظافتهم، وكشف الأمراض المعدية، ولاسيما التدرن والملاريا (البرداء) والأمراض التناسلية. وتستخدم لهذا الغرض أكثر الطرائق المتاحة فعالية، ومنها التصوير الجموعي الدوري بالأشعة على أفلام مصغرة من أجل كشف التدرن في بدايته.

المادة 32

يجوز للدولة الحاجزة أن تكلف أسرى الحرب من الأطباء، والجراحين، وأطباء الأسنان، والممرضين أو الممرضات بمباشرة مهامهم الطبية لمصلحة أسرى الحرب التابعين لنفس الدولة،

حتى إذا لم يكونوا ملحقين بالخدمات الطبية في قواتهم المسلحة. وفي هذه الحالة يستمر اعتبارهم أسرى حرب ولكنهم يعاملون معاملة أفراد الخدمات الطبية المناظرين الذين تستبقهم الدولة الحاجزة، ويعفون من أداء أي عمل آخر كالمنصوص عنه في المادة 49.

الفصل الرابع: أفراد الخدمات الطبية والدينية

المستبقون لمساعدة أسرى الحرب

المادة 33

أفراد الخدمات الطبية والدينية، الذين تستبقهم الدولة الآسرة لمساعدة أسرى الحرب، لا يعتبرون أسرى حرب. ولهم مع ذلك أن ينتفعوا كحد أدنى بالفوائد والحماية التي تقضي بها هذه الاتفاقية، كما تمنح لهم جميع التسهيلات اللازمة لتقديم الرعاية الطبية والخدمات الدينية للأسرى.

ويواصلون مباشرة مهامهم الطبية والروحية لمصلحة أسرى الحرب الذين يفضل أن يكونوا من التابعين للدولة التي ينتمي إليها الأفراد المذكورون، وذلك في إطار القوانين واللوائح العسكرية للدولة الحاجزة، تحت سلطة خدماتها المختصة ووفقا لأصول مهنتهم. وينتفعون كذلك بالتسهيلات التالية في ممارسة مهامهم الطبية أو الروحية:

(أ) يصرح لهم بعمل زيارات دورية لأسرى الحرب الموجودين في فصائل العمل أو المستشفيات القائمة خارج المعسكر. ولهذا الغرض، تضع الدولة الحاجزة وسائل الانتقال اللازمة تحت تصرفهم.

(ب) يكون أقدم طبيب عسكري في المعسكر مسؤولا أمام سلطات المعسكر الحربية عن كل شئ يتعلق بأعمال أفراد الخدمات الطبية المستبقين. وتحقيقا لهذه الغاية، تتفق أطراف النزاع عند نشوب الأعمال العدائية على موضوع الرتب المناظرة لأفراد الخدمات الطبية، بمن فيهم الأفراد التابعون للجمعيات المنصوص عنها في المادة 26 من اتفاقية جنيف لتحسين حال الجرحى والمرضى بالقوات المسلحة في الميدان، المؤرخة في 12 آب/أغسطس 1949م. ويكون لهذا الطبيب العسكري الأقدم، وكذلك لرجال الدين، الحق في الاتصال بسلطات المعسكر المختصة بشأن جميع المسائل المتعلقة بواجباتهم. وعلى هذه السلطات أن تمنحهم جميع التسهيلات اللازمة لإجراء الاتصالات المتعلقة بتلك المسائل.

(ج) وعلى الرغم من أن هؤلاء الأفراد يخضعون لنظام المعسكر الداخلي المستبقين فيه، فإنهم لا يرغمون على تأدية أي عمل خلاف ما يتعلق بمهامهم الطبية أو الدينية.

وتتفق أطراف النزاع أثناء الأعمال العدائية على إمكان الإفراج عن الأفراد المستبقين وتضع الإجراءات التي تتبع في ذلك.

ولا يعفى أي حكم من الأحكام المتقدمة الدولة الحاجزة من التزاماتها إزاء أسرى الحرب من وجهة النظر الطبية أو الروحية.

الفصل الخامس: الأنشطة الدينية والذهنية والبدنية

المادة 34

تترك لأسرى الحرب حرية كاملة في لممارسة شعائرهم الدينية، بما في ذلك حضور الاجتماعات الدينية الخاصة بعقيدتهم، شريطة أن يراعوا التدابير النظامية المعتادة التي حددتها السلطات الحربية.

تعد أماكن مناسبة لإقامة الشعائر الدينية.

المادة 35

يسمح لرجال الدين الذين يقعون في أيدي العدو ويبقون أو يستبقون بقصد مساعدة أسرى الحرب، بتقديم المساعدة الدينية وممارسة شعائرهم بحرية بين أسرى الحرب من نفس دينهم وفقا لعقيدتهم. ويوزعون على مختلف المعسكرات وفصائل العمل التي تضم أسرى حرب يتبعون القوات ذاتها، ويتحدثون نفس لغتهم أو يعتنقون نفس العقيدة. وتوفر لهم التسهيلات اللازمة، بما فيها وسائل الانتقال المنصوص عنها في المادة 33، لزيادة أسرى الحرب الموجودين خارج معسكرهم. ويتمتعون بحرية الاتصال فيما يختص بالأمور التي تتعلق بواجباتهم الدينية مع السلطات الدينية في بلد الاحتجاز والمنظمات الدينية الدولية، شريطة خضوع المراسلات للمراقبة. وتكون الرسائل والبطاقات التي قد يرسلونها لهذا الغرض إضافة إلي الحصة المنصوص عنها في المادة 71.

المادة 36

لأسرى الحرب الذين يكونون من الدينيين، دون أن يكونوا معينين كرجال دين في قواتهم المسلحة، أن يمارسوا شعائرهم بحرية بين أعضاء جماعتهم، أيا كانت عقيدتهم. ولهذا الغرض، يعاملون نفس معاملة رجال الدين المستبقين بواسطة الدولة الحاجزة، ولا يرغمون علي تأدية أي عمل آخر.

المادة 37

عندما لا تتوفر لأسرى الحرب خدمات رجل دين مستبقي أو أسير حرب من رجال دينهم،

يعين بناء على طلب الأسرى للقيام بهذا الواجب رجل دين ينتمي إلى عقيدتهم أو إلى عقيدة مشابهة لها، وإذا لم يوجد، فأحد العلمانيين المؤهلين، إذا كان ذلك ممكنا من وجهة النظر الدينية. ويتم هذا التعيين، الذي يخضع لموافقة الدولة الحاجزة، بالاتفاق مع طائفة الأسرى المعنيين، وإذا لزم الأمر بموافقة السلطات الدينية المحلية من المذهب نفسه. وعلى الشخص الذي يعين بهذه الكيفية مراعاة جميع اللوائح التي وضعتها الدولة الحاجزة لمصلحة النظام والأمن العسكري.

المادة 38

مع مراعاة الأفضليات الشخصية لكل أسير، تشجع الدولة الحاجزة الأسرى على ممارسة الأنشطة الذهنية، والتعليمية، والترفيهية والرياضية، وتتخذ التدابير الكفيلة بضمان ممارستها، بتوفير الأماكن الملائمة والأدوات اللازمة لهم.

وتوفر لأسرى الحرب فرص القيام بالتمارين الرياضية، بما في ذلك الألعاب والمسابقات والخروج إلى الهواء الطلق. وتخصص مساحات فضاء كافية لهذا الغرض في جميع المعسكرات.

الفصل السادس: النظام

المادة 39

يوضع كل معسكر لأسرى الحرب تحت السلطة المباشرة لضابط مسؤول يتبع القوات المسلحة النظامية للدولة الحاجزة. ويحتفظ هذا الضابط بنسخة من هذه الاتفاقية، وعليه أن يتأكد من أن أحكامها معروفة لموظفي المعسكر والحراس، ويكون مسؤولا عن تطبيقها تحت إشراف حكومته.

على أسرى الحرب، باستثناء الضابط، أن يؤدوا التحية لجميع ضباط الدولة الحاجزة وأن يقدموا لهم مظاهر الاحترام التي تقضي بها اللوائح السارية في جيوشهم.

ولا يؤدي الضباط الأسرى التحية إلا لضباط الرتب الأعلى في الدولة الحاجزة. غير أنه يتعين أداء التحية لقائد المعسكر أيا كانت رتبته.

المادة 40

يسمح بحمل شارات الرتب والجنسية وكذلك الأوسمة.

المادة 41

يعلن في كل معسكر نص هذه الاتفاقية وملاحقها وأي اتفاق خاص مما تنص عليه المادة

6، بلغة أسرى الحرب، في أماكن يمكن فيها لجميع الأسرى الرجوع إليها. وتسلم نسخ منها للأسرى الذين لا يستطيعون الوصول إلى النسخة المعلنة، بناء على طلبهم.

تبلغ جميع أنواع اللوائح والأوامر والإعلانات والنشرات المتعلقة بسلوك أسرى الحرب بلغة يفهمونها، وتعلن بالكيفية الموصوفة آنفا، وتسلم نسخ منها لمندوب الأسرى. وكل أمر أو طلب يوجه بصورة فردية لأسرى الحرب يجب كذلك أن يصدر إليهم بلغة يفهمونها.

المادة 42

يعتبر استخدام الأسلحة ضد أسرى الحرب، وبخاصة ضد الهاربين أو الذين يحاولون الهرب وسيلة أخيرة يجب أن يسبقها دائما إنذارات مناسبة للظروف.

الفصل السابع: رتب أسرى الحرب

المادة 43

تتبادل أطراف النزاع عند نشوب الأعمال العدائية الإبلاغ عن ألقاب ورتب جميع الأشخاص المذكورين في المادة 4 من هذه الاتفاقية، بغية ضمان المساواة في المعاملة بين الأسرى من الرتب المتماثلة، وفي حالة إنشاء ألقاب ورتب فيما بعد، فإنها تبلغ بطريقة مماثلة.

وتعترف الدولة الحاجزة بالترقيات التي تمنح لأسرى الحرب والتي تبلغها بها الدولة التي ينتمي إليها الأسرى على النحو الواجب.

المادة 44

يعامل أسرى الحرب من الضباط ومن في حكمهم بالاعتبار الواجب لرتبهم وسنهم.

ولتأمين خدمة معسكرات الضباط، يلحق بها عدد كاف من الجنود الأسرى من نفس قواتهم المسلحة، وبقدر الإمكان ممن يتكلمون نفس لغتهم، مع مراعاة رتب الضباط ومن في حكمهم من الأسرى، ولا يكلف هؤلاء الجنود بتأدية أي عمل آخر.

ويحب بكل وسيلة تيسير إدارة مطعم الضباط بواسطة الضباط أنفسهم.

المادة 45

يعامل أسرى الحرب الآخرون بخلاف الضباط ومن في حكمهم بالاعتبار الواجب لرتبهم وسنهم.

ويجب بكل وسيلة تيسير إدارة المطعم بواسطة الأسرى أنفسهم.

الفصل الثامن: نقل أسرى الحرب بعد وصولهم إلى المعسكر

المادة 46

عندما تقرر الدولة الحاجزة نقل أسرى الحرب يجب أن تراعي مصلحة الأسرى أنفسهم، وذلك على الأخص لعدم زيادة مصاعب إعادتهم إلى الوطن.

ويجب أن يجري نقل أسرى الحرب دائما بكيفية إنسانية وفي ظروف لا تقل ملاءمة عن ظروف انتقال قوات الدولة الحاجزة. ويجب أن تؤخذ في الاعتبار دائما الظروف المناخية التي اعتاد عليها الأسرى، ويجب ألا تكون ظروف نقلهم ضارة بصحتهم بأي حال.

على الدولة الحاجزة أن تزود أسرى الحرب أثناء النقل بمياه الشرب والطعام بكميات كافية تكفل المحافظة عليهم في صحة جيدة، وكذلك بما يلزم من ملابس ومسكن ورعاية طبية. وتتخذ الدولة الحاجزة الاحتياطات المناسبة، وبخاصة في حالة السفر بالبحر أو الجو لضمان سلامتهم أثناء النقل، وتعد قبل رحيلهم قائمة كاملة بأسماء الأسرى المرحلين.

المادة 47

يجب ألا ينقل المرضى أو الجرحى من أسرى الحرب إذا كانت الرحلة تعرض شفاءهم للخطر، ما لم تكن سلامتهم تحتم هذا النقل.

وإذا كانت منطقة القتال قريبة من أحد المعسكرات وجب عدم نقل أسرى الحرب الموجودين فيه إلا إذا جرى النقل في ظروف أمن ملائمة أو كان بقاؤهم في مكانهم يعرضهم إلى مخاطر أشد مما لو نقلوا منه.

المادة 48

في حالة النقل، يخطر الأسرى رسميا برحيلهم وبعنوانهم البريدي الجديد، ويبلغ لهم هذا الإخطار قبل الرحيل بوقت كاف ليتسنى لهم حزم أمتعتهم وإبلاغ عائلاتهم.

ويسمح لهم بحمل أمتعتهم الشخصية والمراسلات والطرود التي تكون قد وصلتهم، ويمكن تحديد وزن هذه الأمتعة إذا اقتضت ظروف النقل ذلك بكمية معقولة يستطيع الأسير نقلها بحيث لا يتجاوز الوزن المسموح به بأي حال خمسة وعشرين كيلوغراما.

وتسلم لهم المراسلات والطرود المرسلة إلى معسكرهم السابق دون إبطاء، ويتخذ قائد المعسكر بالاتفاق مع ممثل الأسرى الإجراءات الكفيلة بضمان نقل مهمات الأسرى المشتركة والأمتعة التي لا يستطيعون حملها معهم بسبب التحديد المقرر بموجب الفقرة الثانية من هذه المادة.

تتحمل الدولة الحاجزة تكاليف عمليات النقل.

المادة 64

تحتفظ الدولة الحاجزة بحساب لكل أسير تسجل به البيانات التالية على الأقل:

1. المبالغ المستحقة للأسير أو التي تصرف له كمقدمات من راتبه أو أجور عمل أو بأي صفة أخرى، المبالغ التي تسحب من الأسير بعملة الدولة الحاجزة، والمبالغ التي تسحب من الأسير وتحول بناء على طلبه إلى عملة الدولة المذكورة.

2. المبالغ التي تصرف للأسير نقدا أو بأي شكل آخر مماثل، والمبالغ التي تدفع نيابة عنه وبناء على طلبه، المبالغ المحولة طبقا للفقرة الثالثة من المادة السابقة.

المادة 143

يسجل مجلس الاتحاد السويسري هذه الاتفاقية لدى الأمانة العامة للأمم المتحدة. ويخطر مجلس الاتحاد السويسري الأمانة العامة للأمم المتحدة كذلك بأي تصديقات أو إنضمامات أو إنسحابات يتلقاها بصدد هذه الاتفاقية.

إثباتا لذلك، قام الموقعون أدناه، الذين أودعوا وثائق تفويضهم، بتوقيع هذه الاتفاقية.

حرر في جنيف، في هذا اليوم الثاني عشر من آب/أغسطس 1949م باللغتين الإنجليزية والفرنسية، ويودع الأصل في محفوظات الاتحاد السويسري. ويرسل مجلس الاتحاد السويسري صورا مصدقة من الاتفاقية إلى جميع الدول الموقعة، وكذلك إلى الدول التي تنضم إلى الاتفاقية[689].

(986) مكتبة حقوق الانسان: https://www1.umn.edu/humanrts/arab/b092.html

الجزء الأول من اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة

اعتمدت وعرضت للتوقيع والتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة

للأمم المتحدة 39/46 المؤرخ في 10 كانون الأول/ديسمبر 1984م

تاريخ بدء النفاذ: 26 حزيران/يونيه 1987، وفقا لأحكام المادة 27 (1)

إن الدول الأطراف في هذه الاتفاقية، إذ ترى أن الاعتراف بالحقوق المتساوية وغير القابلة للتصرف، لجميع أعضاء الأسرة البشرية هو، وفقا للمبادئ المعلنة في ميثاق الأمم المتحدة، أساس الحرية والعدل والسلم في العالم، وإذ تدرك أن هذه الحقوق تستمد من الكرامة المتأصلة للإنسان، وإذ تضع في اعتبارها الواجب الذي يقع على عاتق الدول بمقتضى الميثاق، وبخاصة بموجب المادة 55 منه، بتعزيز احترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، ومراعاتها على مستوى العالم.

ومراعاة منها للمادة 5 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمادة 7 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، وكلتاهما تنص على عدم جواز تعرض أحد للتعذيب أو المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة.

ومراعاة منها أيضا لإعلان حماية جميع الأشخاص من التعرض للتعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة، الذي اعتمدته الجمعية العامة في 9 كانون الأول/ ديسمبر 1975م، ورغبة منها في زيادة فعالية النضال ضد التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية في العالم قاطبة.

اتفقت على ما يلي:

الجزء الأول

المادة 1

1. لأغراض هذه الاتفاقية، يقصد «بالتعذيب» أي عمل ينتج عنه ألم أو عذاب شديد، جسديا كان أم عقليا، يلحق عمدا بشخص ما بقصد الحصول من هذا الشخص، أو من شخص ثالث،

على معلومات أو على اعتراف، أو معاقبته على عمل ارتكبه أو يشتبه في أنه ارتكبه، هو أو شخص ثالث أو تخويفه أو إرغامه هو أو أي شخص ثالث - أو عندما يلحق مثل هذا الألم

أو العذاب لأي سبب من الأسباب يقوم على التمييز أيا كان نوعه، أو يحرض عليه أو يوافق عليه أو يسكت عنه موظف رسمي أو أي شخص آخر يتصرف بصفته الرسمية. ولا يتضمن ذلك الألم أو العذاب الناشئ فقط عن عقوبات قانونية أو الملازم لهذه العقوبات أو الذي يكون نتيجة عرضية لها.

2. لا تخل هذه المادة بأي صك دولي أو تشريع وطني يتضمن أو يمكن أن يتضمن أحكاما ذات تطبيق أشمل.

المادة 2

1. تتخذ كل دولة طرف إجراءات تشريعية أو إدارية أو قضائية فعالة أو أية إجراءات أخرى لمنع أعمال التعذيب في أي إقليم يخضع لاختصاصها القضائي.

2. لا يجوز التذرع بأية ظروف استثنائية أياً كانت، سواء أكانت هذه الظروف حالة حرب أو تهديدا بالحرب أو عدم استقرار سياسي داخلي أو أية حالة من حالات الطوارئ العامة الأخرى كمبرر للتعذيب.

3. لا يجوز التذرع بالأوامر الصادرة عن موظفين أعلى مرتبة أو عن سلطة عامة كمبرر للتعذيب.

المادة 3

1. لا يجوز لأية دولة طرف أن تطرد أي شخص أو أن تعيده («أن ترده») أو أن تسلمه إلى دولة أخرى، إذا توافرت لديها أسباب حقيقية تدعو إلى الاعتقاد بأنه سيكون في خطر التعرض للتعذيب.

2. تراعي السلطات المختصة لتحديد ما إذا كانت هذه الأسباب متوافرة، جميع الاعتبارات ذات الصلة، بما في ذلك، في حالة الانطباق، وجود نمط ثابت من الانتهاكات الفادحة أو الصارخة أو الجماعية لحقوق الإنسان في الدولة المعنية.

المادة 4

1. تضمن كل دولة طرف أن تكون جميع أعمال التعذيب جرائم بموجب قانونها الجنائي، وينطبق الأمر ذاته على قيام أي شخص بأية محاولة لممارسة التعذيب وعلى قيامه بأي عمل آخر يشكل تواطؤا ومشاركة في التعذيب.

2. تجعل كل دولة طرف هذه الجرائم مستوجبة للعقاب بعقوبات مناسبة تأخذ في الاعتبار طبيعتها الخطيرة.

المادة 5

1. تتخذ كل دولة طرف ما يلزم من الإجراءات لإقامة ولايتها القضائية على الجرائم المشار إليها في المادة 4 في الحالات التالية:

(أ) عند ارتكاب هذه الجرائم في أي إقليم يخضع لولايتها القضائية أو على ظهر سفينة أو على متن طائرة مسجلة في تلك الدولة،

(ب) عندما يكون مرتكب الجريمة المزعوم من مواطني تلك الدولة،

(ج) عندما يكون المعتدى عليه من مواطني تلك الدولة، إذا اعتبرت تلك الدولة ذلك مناسبا.

2. تتخذ كل دولة طرف بالمثل ما يلزم من الإجراءات لإقامة ولايتها القضائية على هذه الجرائم في الحالات التي يكون فيها مرتكب الجريمة المزعوم موجودا في أي إقليم يخضع لولاياتها القضائية ولا تقوم بتسليمه عملا بالمادة 8 إلى أية دولة من الدول التي ورد ذكرها في الفقرة 1 من هذه المادة.

3. لا تستثنى هذه الاتفاقية أي ولاية قضائية جنائية تمارس وفقا للقانون الداخلي.

المادة 6

1. تقوم أي دول طرف، لدى اقتناعها، بعد دراسة المعلومات المتوفرة لها، بأن الظروف تبرر احتجاز شخص موجود في أراضيها يدعى أنه اقترف جرما مشارا إليه في المادة 4 باحتجازه أو تتخذ أية إجراءات قانونية أخرى لضمان وجوده فيها. ويكون الاحتجاز والإجراءات القانونية الأخرى مطابقة لما ينص عليه قانون تلك الدولة على ألا يستمر احتجاز الشخص إلا للمدة اللازمة للتمكين من إقامة أي دعوى جنائية أو من اتخاذ أي إجراءات لتسليمه.

2. تقوم هذه الدولة فورا بإجراء التحقيق الأولي فيما يتعلق بالوقائع.

3. تتم مساعدة أي شخص محتجز وفقا للفقرة 1 من هذه المادة على الاتصال فورا بأقرب ممثل مختص للدولة التي هو من مواطنيها، أو بممثل الدولة التي يقيم فيها عادة إن كان بلا جنسية.

4. لدى قيام دولة ما، عملا بهذه المادة، باحتجاز شخص ما، تخطر على الفور الدول المشار إليها في الفقرة 1 من المادة 5، باحتجاز هذا الشخص وبالظروف التي تبرر اعتقاله. وعلى الدولة التي تجرى التحقيق الأولي الذي تتوخاه الفقرة 2 من هذه المادة أن ترفع فورا ما توصلت إليه من النتائج إلى الدول المذكورة مع الإفصاح عما إذا كان في نيتها ممارسة ولايتها القضائية.

المادة 7

1. تقوم الدولة الطرف التي يوجد في الإقليم الخاضع لولايتها القضائية شخص يدعى ارتكابه لأي من الجرائم المنصوص عليها في المادة 4 في الحالات التي تتوخاها المادة 5، بعرض القضية على سلطاتها المختصة بقصد تقديم الشخص للمحاكمة، إذا لم تقم بتسليمه.

2. تتخذ هذه السلطات قرارها بنفس الأسلوب الذي تتبعه في حالة ارتكاب أية جريمة عادية ذات طبيعة خطيرة بموجب قانون تلك الدولة. وفي الحالات المشار إليها في الفقرة 2 من المادة 5 ينبغي ألا تكون معايير الأدلة المطلوبة للمقاضاة والإدانة بأي حال من الأحوال أقل صرامة من تلك التي تنطبق في الحالات المشار إليها في الفقرة 1 من المادة 5.

3. تكفل المعاملة العادلة في جميع مراحل الإجراءات القانونية لأي شخص تتخذ ضده تلك الإجراءات فيما يتعلق بأي من الجرائم المشار إليها في المادة 4.

المادة 8

1. تعتبر الجرائم المشار إليها في المادة 4 جرائم قابلة لتسليم مرتكبيها في أية معاهدة لتسليم المجرمين تكون قائمة بين الدول الأطراف. وتتعهد الدول الأطراف بإدراج هذه الجرائم كجرائم قابلة لتسليم مرتكبيها في كل معاهدة تسليم تبرم بينها.

2. إذا تسلمت دولة طرف طلبا للتسليم من دولة لا تربطها بها معاهدة لتسليم المجرمين، وكانت الدولة الأولى تجعل التسليم مشروطا بوجود معاهدة لتسليم المجرمين، يجوز لهذه الدولة اعتبار هذه الاتفاقية أساسا قانونيا للتسليم فيما يختص بمثل هذه الجرائم. ويخضع التسليم للشروط الأخرى المنصوص عليها في قانون الدولة التي يقدم إليها طلب التسليم.

3. تعترف الدول الأطراف التي لا تجعل التسليم مرهونا بوجود معاهدة بأن هذه الجرائم قابلة لتسليم مرتكبيها فيما بينها طبقا للشروط المنصوص عليها في قانون الدولة التي يقدم إليها طلب التسليم.

4. وتتم معاملة هذه الجرائم، لأغراض التسليم بين الدول الأطراف، كما لو أنها اقترفت لا في المكان الذي حدثت فيه فحسب، بل أيضا في أراضي الدول المطالبة بإقامة ولايتها القضائية طبقا للفقرة 1 من المادة 5.

المادة 9

1. على كل دولة طرف أن تقدم إلى الدول الأطراف الأخرى أكبر قدر من المساعدة فيما يتعلق بالإجراءات الجنائية المتخذة بشأن أي من الجرائم المشار إليها في المادة 4، بما في ذلك توفير جميع الأدلة الموجودة في حوزتها واللازمة للإجراءات.

2. تنفذ الدول الأطراف التزاماتها بمقتضى الفقرة 1 من هذه المادة وفقا لما قد يوجد بينها من معاهدات لتبادل المساعدة القضائية.

المادة 10

1. تضمن كل دولة إدراج التعليم والإعلام فيما يتعلق بحظر التعذيب على الوجه الكامل في برامج تدريب الموظفين المكلفين بإنفاذ القوانين، سواء أكانوا من المدنيين أو العسكريين، والعاملين في ميدان الطب، والموظفين العموميين أو غيرهم ممن قد تكون لهم علاقة باحتجاز أي فرد معرض لأي شكل من أشكال التوقيف أو الاعتقال أو السجن أو باستجواب هذا الفرد أو معاملته.

2. تضمن كل دولة طرف إدراج هذا الحظر في القوانين والتعليمات التي يتم إصدارها فيما يختص بواجبات ووظائف مثل هؤلاء الأشخاص.

المادة 11

تبقى كل دولة قيد الاستعراض المنظم قواعد الاستجواب، وتعليماته وأساليبه وممارساته، وكذلك الترتيبات المتعلقة بحجز ومعاملة الأشخاص الذين يتعرضون لأي شكل من أشكال التوقيف أو الاعتقال أو السجن في أي إقليم يخضع لولايتها القضائية، وذلك بقصد منع حدوث أي حالات تعذيب.

المادة 12

تضمن كل دولة طرف قيام سلطاتها المختصة بإجراء تحقيق سريع ونزيه كلما وجدت أسباب معقولة تدعو إلى الاعتقاد بأن عملا من أعمال التعذيب قد ارتكب في أي من الأقاليم الخاضعة لولايتها القضائية.

المادة 13

تضمن كل دولة طرف لأي فرد يدعى بأنه قد تعرض للتعذيب في أي إقليم يخضع لولايتها القضائية، الحق في أن يرفع شكوى إلى سلطاتها المختصة وفي أن تنظر هذه السلطات في حالته على وجه السرعة وبنزاهة. وينبغي اتخاذ الخطوات اللازمة لضمان حماية مقدم الشكوى والشهود من كافة أنواع المعاملة السيئة أو التخويف نتيجة لشكواه أو لأي أدلة تقدم.

المادة 14

1. تضمن كل دولة طرف، في نظامها القانوني، إنصاف من يتعرض لعمل من أعمال التعذيب وتمتعه بحق قابل للتنفيذ في تعويض عادل ومناسب بما في ذلك وسائل إعادة تأهيله على

أكمل وجه ممكن، وفي حالة وفاة المعتدى عليه نتيجة لعمل من أعمال التعذيب، يكون للأشخاص الذين كان يعولهم الحق في التعويض.

2. ليس في هذه المادة ما يمس أي حق للمعتدى عليه أو لغيره من الأشخاص فيما قد يوجد من تعويض بمقتضى القانون الوطني.

المادة 15

تضمن كل دولة طرف عدم الاستشهاد بأية أقوال يثبت أنه تم الإدلاء بها نتيجة للتعذيب، كدليل في أية إجراءات، إلا إذا كان ذلك ضد شخص متهم بارتكاب التعذيب كدليل على الإدلاء بهذه الأقوال.

المادة 16

1. تتعهد كل دولة طرف بأن تمنع، في أي إقليم يخضع لولايتها القضائية حدوث أي أعمال أخرى من أعمال المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة التي لا تصل إلى حد التعذيب كما حددته المادة 1، عندما يرتكب موظف عمومي أو شخص آخر يتصرف بصفة رسمية هذه الأعمال أو يحرض على ارتكابها، أو عندما تتم بموافقته أو بسكوته عليها. وتنطبق بوجه خاص الالتزامات الواردة في المواد 10، 11، 12، 13 وذلك بالاستعاضة عن الإشارة إلى التعذيب بالإشارة إلى غيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة.[690]

2. لا تخل أحكام هذه الاتفاقية بأحكام أي صك دولي آخر أو قانون وطني يحظر المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة أو يتصل بتسليم المجرمين أو طردهم [691].

(690)حقوق الإنسان: مجموعة صكوك دولية، المجلد الأول، الأمم المتحدة، نيويورك، 1993، رقم المبيع-A.94.XIV Vol.1, Part 1، ص 409.

(691) مكتب حقوق الانسان: https://www1.umn.edu/humanrts/arab/b039.html

من أشكال التعذيب للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية

شكل رقم: 1

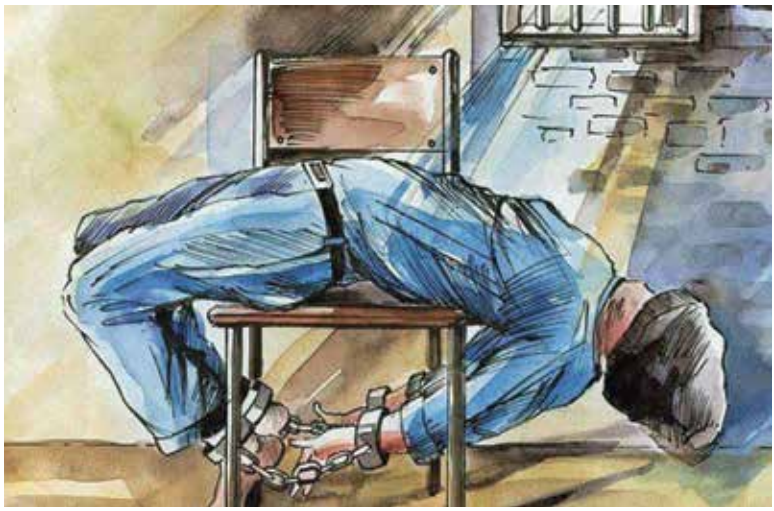

شكل رقم: 2

شكل رقم: 3

شكل رقم: 4

نص وثيقة الأسرى الفلسطينيين للوفاق الوطني

مايو/ أيار 2006

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

«واعتصموا بحبل اللَّه جميعا ولا تفرقوا»

انطلاقا من الشعور العالي بالمسؤولية الوطنية والتاريخية ونظرا للمخاطر المحدقة بشعبنا، وفي سبيل تعزيز الجبهة الفلسطينية الداخلية وصيانة وحماية الوحدة الوطنية ووحدة شعبنا في الوطن والمنافي، ومن أجل مواجهة المشروع الإسرائيلي الهادف لفرض الحل الإسرائيلي، ونسف حلم شعبنا وحق شعبنا في إقامة دولته الفلسطينية المستقلة الكاملة السيادة، هذا المشروع والمخطط الذي تنوي الحكومة الإسرائيلية تنفيذه خلال المرحلة القادمة تأسيسا على إقامة واستكمال الجدار العنصري وتهويد القدس وتوسيع المستوطنات الإسرائيلية والاستيلاء على الأغوار وضم أجزاء واسعة من الضفة الغربية وإغلاق الباب أمام شعبنا في ممارسة حقه في العودة.

ومن أجل المحافظة على منجزات ومكتسبات شعبنا التي حققها من خلال مسيرة كفاحه الطويل ووفاء لشهداء شعبنا العظيم وعذابات أسراه وأنات جرحاه، وانطلاقا من أننا ما زلنا نمر في مرحلة تحرر طابعها الأساسي وطني ديمقراطي مما يفرض إستراتيجية سياسية كفاحية متناسبة مع هذا الطابع.

ومن أجل إنجاح الحوار الوطني الفلسطيني الشامل، واستنادا إلى إعلان القاهرة والحاجة الملحة للوحدة والتلاحم، فإننا نتقدم بهذه الوثيقة (وثيقة الوفاق الوطني) لشعبنا العظيم الصامد المرابط، وإلى الرئيس محمود عباس أبو مازن، وقيادة منظمة التحرير الوطني الفلسطيني، وإلى رئيس الحكومة إسماعيل هنية ومجلس الوزراء، وإلى رئيس المجلس الوطني الفلسطيني وأعضائه، ورئيس المجلس التشريعي الفلسطيني وأعضائه، وإلى كافة القوى والفصائل الفلسطينية، وإلى كافة المؤسسات والمنظمات الأهلية والشعبية، وقيادة الرأي العام الفلسطيني في الوطن والمنافي، آملين اعتبار هذه الوثيقة كلا متكاملا وأن تلقى دعم ومساندة وموافقة الجميع وتسهم بشكل أساسي في التوصل إلى وثيقة الوفاق الوطني الفلسطيني:

1- إن الشعب الفلسطيني في الوطن والمنافي يسعى من أجل تحرير أرضه وإنجاز حقه في الحرية والعودة والاستقلال وفي سبيل حقه في تقرير مصيره بما في ذلك حقه في إقامة دولته المستقلة وعاصمتها مدينة القدس الشريف على جميع الأراضي المحتلة عام 1967م، وضمان حق العودة للاجئين، وتحرير جميع الأسرى والمعتقلين، مستندين في ذلك إلى حق شعبنا

التاريخي في أرض الآباء والأجداد، وإلى ميثاق الأمم المتحدة، والقانون الدولي، وما كفلته الشرعية الدولية.

2- الإسراع في إنجاز ما تم الاتفاق عليه في القاهرة في مارس/آذار 2005م فيما يتعلق بتطوير وتفعيل منظمة التحرير الفلسطينية وانضمام حركتي حماس والجهاد الإسلامي إليها بوصفها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني في كافة أماكن تواجده، وبما يتلاءم مع المتغيرات على الساحة الفلسطينية وفق أسس ديمقراطية، ولتكريس حقيقة تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد لشعبنا، وبما يعزز قدرة منظمة التحرير في القيام والنهوض بمسؤولياتها في قيادة شعبنا في الوطن والمنافي وفي تعبئته والدفاع عن حقوقه الوطنية والسياسية والإنسانية في مختلف الدوائر والمحافل والمجالات الدولية والإقليمية. وأن المصلحة الوطنية تقتضي تشكيل مجلس وطني جديد قبل نهاية عام 2006 مبما يضمن تمثيل جميع القوى والفصائل والأحزاب الوطنية والإسلامية وتجمعات شعبنا في كل مكان وكافة القطاعات والمؤسسات والفعاليات والشخصيات على أساس نسبي في التمثيل والحضور والفاعلية النضالية والسياسية والاجتماعية والجماهيرية والحفاظ على منظمة التحرير الفلسطينية إطاراً جبهوياً عريضاً وائتلافاً وطنياً شاملاً وإطاراً وطنياً جامعاً للفلسطينيين في الوطن والمنافي، ومرجعية سياسية عليا.

3- حق الشعب الفلسطيني في المقاومة والتمسك بخيار المقاومة بمختلف الوسائل، وتركيز المقاومة في الأراضي المحتلة عام 67 إلى جانب العمل السياسي والتفاوضي والدبلوماسي والاستمرار في المقاومة الشعبية الجماهيرية ضد الاحتلال بمختلف أشكاله ووجوده وسياساته، والاهتمام بتوسيع مشاركة مختلف الفئات والجهات والقطاعات وجماهير شعبنا في هذه المقاومة الشعبية.

4- وضع خطة فلسطينية للتحرك السياسي الشامل وتوحيد الخطاب السياسي الفلسطيني على أساس برنامج الإجماع الوطني الفلسطيني والشرعية العربية وقرارات الشرعية الدولية المنصفة لشعبنا تمثلها منظمة التحرير والسلطة الوطنية رئيسا وحكومة، والفصائل الوطنية والإسلامية، ومنظمات المجتمع المدني والشخصيات والفعاليات العامة، من أجل استحضار وتعزيز وحشد الدعم العربي والإسلامي والدولي السياسي والمالي والاقتصادي والإنساني لشعبنا وسلطتنا الوطنية، ودعما لحق شعبنا في تقرير المصير والحرية والعودة والاستقلال ولمواجهة خطة إسرائيل في فرض الحل الإسرائيلي على شعبنا ولمواجهة الحصار الظالم علينا.

5- حماية وتعزيز السلطة الوطنية الفلسطينية باعتبارها نواة الدولة القادمة، هذه السلطة التي شيدها شعبنا بكفاحه وتضحياته ودماء وعذابات أبنائه، وإن المصلحة الوطنية العليا تقتضي احترام الدستور المؤقت للسلطة والقوانين المعمول بها واحترام مسؤوليات وصلاحيات الرئيس المنتخب لإرادة الشعب الفلسطيني بانتخابات حرة ديمقراطية ونزيهة، واحترام

مسـؤوليات وصلاحيـات الحكومـة التـي منحهـا المجلـس التشريعـي الثقـة. وأهميـة وضرورة التعـاون الخـلاق بـين الرئاسـة والحكومـة والعمـل المشـترك وعقـد الاجتماعـات الدوريـة بينهـما لتسـوية أيـة خلافـات بالحـوار الأخـوي اسـتنادا إلى الدسـتور المؤقـت والمصلحـة الوطنيـة العليـا وضرورة إجراءإصـلاح شـامل في مؤسسـات السـلطة الوطنيـة وخاصـة الجهـاز القضـائي، واحـترام القضـاء بكافـة مسـتوياته وتنفيـذ قراراتـه وتعزيـز وتكريـس سـيادة القانـون.

6- تشـكيل حكومـة وحـدة وطنيـة عـلى أسـاس يضمـن مشـاركة كافـة الكتـل البرلمانيـة، وبخاصـة حركتـي فتـح وحـماس والقـوى السياسـية الراغبـة عـلى قاعـدة هـذه الوثيقـة وبرنامـج مشـترك للنهـوض بالوضـع الفلسـطيني محليـا وعربيـا وإقليميـا ودوليـا، ومواجهـة التحديـات بحكومـة وطنيـة قويـة تحظـى بالدعـم الشـعبي والسـياسي الفلسـطيني مـن جميـع القـوى، وكذلـك بالدعـم العـربي والـدولي وتتمكـن مـن تنفيـذ برنامـج الإصـلاح ومحاربـة الفقـر والبطالـة، وتقديـم أفضـل رعايـة ممكنـة للفئـات التـي تحملـت أعبـاء الصمـود والمقاومـة والانتفاضـة وكانـت ضحيـة للعدوان الإجرامـي الإسرائيـلي وبخاصـة أسر الشـهداء والأسرى والجرحـى وأصحـاب البيـوت والممتلـكات التـي دمرهـا الاحتـلال وكذلـك العاطلـين عـن العمـل والخريجـين.

7- إن إدارة المفاوضـات هـي مـن صلاحيـة «م. ت. ف» ورئيـس السـلطة الوطنيـة عـلى قاعـدة التمسـك بالأهـداف الوطنيـة الفلسـطينية وتحقيقهـا عـلى أن يتـم عـرض أي اتفـاق مصيـري عـلى المجلـس الوطنـي الفلسـطيني الجديـد للتصديـق عليـه أو إجـراء اسـتفتاء عـام حيـث مـا أمكـن.

8- تحريـر الأسرى والمعتقلـين واجـب وطنـي مقـدس يجـب أن تقـوم بـه وبكافـة الوسـائل القـوى والفصائـل الوطنيـة والإسـلامية و»م. ت. ف» والسـلطة الوطنيـة رئيسـا وحكومـة والتشريعـي وكافـة التشـكيلات المقاومـة.

9- ضرورة العمـل ومضاعفـة الجهـد لدعـم ومسـاندة ورعايـة اللاجئـين والدفـاع عـن حقوقهـم والعمـل عـلى عقـد مؤتمـر شـعبي تمثيـلي للاجئـين ينبثـق عـن هيئـات متابعـة وظيفتـه التأكيـد عـلى حـق العـودة والتمسـك بـه ودعـوة المجتمـع الـدولي لتنفيـذ القـرار 194 القـاضي بحـق العـودة للاجئـين وتعويضهـم.

10- العمـل عـلى تشـكيل جبهـة مقاومـة موحـدة باسـم جبهـة المقاومـة الفلسـطينية، لقيـادة وخـوض المقاومـة ضـد الاحتـلال وتوحيـد وتنسـيق العمـل والفعـل للمقاومـة وتشـكيل مرجعيـة سياسـية موحـدة لهـا.

11- التمسـك بالنهـج الديمقراطـي وبإجـراء انتخابـات عامـة ودوريـة وحـرة ونزيهـة وديمقراطيـة طبقـاً للقانـون، للرئيـس والتشريعـي وللمجالـس المحليـة والبلديـة، واحـترام مبـدأ التـداول السـلمي للسـلطة والتعهـد بحمايـة التجربـة الفلسـطينية الديمقراطيـة واحـترام الخيـار الديمقراطـي ونتائجـه واحـترام سـيادة القانـون والحريـات الضروريـة والعامـة وحريـة الصحافـة والمسـاواة بـين المواطنـين في الحقـوق والواجبـات دون تمييـز وحمايـة مكتسـبات المـرأة وتطويرهـا وتعزيزهـا.

12- رفض وإدانة الحصار الظالم على شعبنا الذي تقوده الولايات المتحدة وإسرائيل ودعوة العرب شعبيا ورسميا لدعم ومساندة الشعب الفلسطيني و»م. ت. ف» وسلطته الوطنية ودعوة الحكومات العربية لتنفيذ قرارات القمم العربية السياسية والمالية والاقتصادية والإعلامية الداعمة لشعبنا الفلسطيني وصموده وقضيته الوطنية والتأكيد على أن السلطة الوطنية الفلسطينية ملتزمة بالإجماع العربي والعمل العربي المشترك.

13- دعوة الشعب الفلسطيني للوحدة والتلاحم ورص الصفوف ودعم ومساندة «م. ت. ف» والسلطة الوطنية الفلسطينية رئيسا وحكومة، وتعزيز الصمود والمقاومة في وجه العدوان والحصار، ورفض التدخل في الشؤون الداخلية الفلسطينية.

14- نبذ كل مظاهر الفرقة والانقسام وما يقود إلى الفتنة وإدانة استخدام السلاح مهما كانت المبررات لفض النزاعات الداخلية، وتحريم استخدام السلاح بين أبناء الشعب الواحد والتأكيد على حرمة الدم الفلسطيني، والالتزام بالحوار أسلوبا وحيدا لحل الخلافات والتعبير عن الرأي بكافة الوسائل بما في ذلك معارضة السلطة وقراراتها على أساس ما يكفله القانون وحق الاحتجاج السلمي وتنظيم المسيرات والتظاهرات والاعتصامات شريطة أن تكون سلمية وخالية من السلاح ولا تتعدى على المواطنين وممتلكاتهم والممتلكات العامة.

15- إن المصلحة الوطنية تقتضي ضرورة البحث عن أفضل الأساليب والوسائل المناسبة لاستمرار مشاركة شعبنا وقواه السياسية في قطاع غزة في وضعه الجديد في معركة الحرية والعودة والاستقلال وتحرير الضفة والقدس وبما يجعل من القطاع الصامد رافعة وقوة حقيقية لصمود ومقاومة لشعبنا في الضفة والقدس، وإن المصلحة الوطنية تقضي بإعادة تقييم الوسائل والأساليب النضالية الأنجع في مقاومة الاحتلال.

16- ضرورة إصلاح وتطوير المؤسسة الأمنية الفلسطينية بكل فروعها على أساس عصري بما يجعلها أكثر قدرة على القيام بمهمة الدفاع عن الوطن والمواطنين في مواجهة العدوان والاحتلال، وحفظ الأمن والنظام العام وتنفيذ القوانين وإنهاء حالة الفوضى والفلتان الأمني وإنهاء المظاهر المسلحة والاستعراضات، ومصادرة سلاح الفوضى والفلتان الأمني الذي يلحق ضررا فادحا بالمقاومة ويشوه صورتها ويهدد وحدة المجتمع الفلسطيني، وضرورة وتنسيق وتنظيم العلاقة مع قوى وتشكيلات المقاومة وتنظيم وحماية سلاحها.

17- دعوة المجلس التشريعي لمواصلة إصدار القوانين المنظمة لعمل المؤسسة الأمنية والأجهزة بمختلف فروعها، والعمل على إصدار قانون يمنع ممارسة العمل السياسي والحزبي لمنتسبي الأجهزة والالتزام بالمرجعية السياسية المنتخبة التي حددها القانون.

18- العمل من أجل توسيع دور وحضور لجان التضامن الدولية والمجموعات المحبة للسلام لدعم صمود شعبنا ونضاله العادل ضد الاحتلال والاستيطان وجدار الفصل العنصري سياسيا

ومحليـا، ومـن أجـل تنفيـذ قـرار محكمـة العـدل الدوليـة في لاهـاي المتعلـق بإزالـة الجـدار والاســتيطان وعــدم مشروعيتهــما.

الوثيقة صادرة عن:

حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح): النائب مروان البرغوثي أمين سر حركة «فتح».

حركة المقاومة الإسلامية «حماس»: الهيئة القيادية العليا الشيخ عبد الخالق النتشة.

حركة الجهاد الإسلامي: الشيخ بسام السعدي.

الجبهـة الشـعبية لتحريـر فلسـطين: عبـد الرحيـم ملـوح عضـو اللجنـة التنفيذيـة نائـب الأمـين العـام للجبهـة.

الجبهة الديمقراطية: مصطفى بدارنة.

ملاحظة:- حركة الجهاد الإسلامي تحفظت على البند المتعلق بالمفاوضات.

رسائل خرجت من السجون:

1. رسالة من أسيرة فلسطينية لابنتها في يوم زفافها (كلمات أدبية راقية):

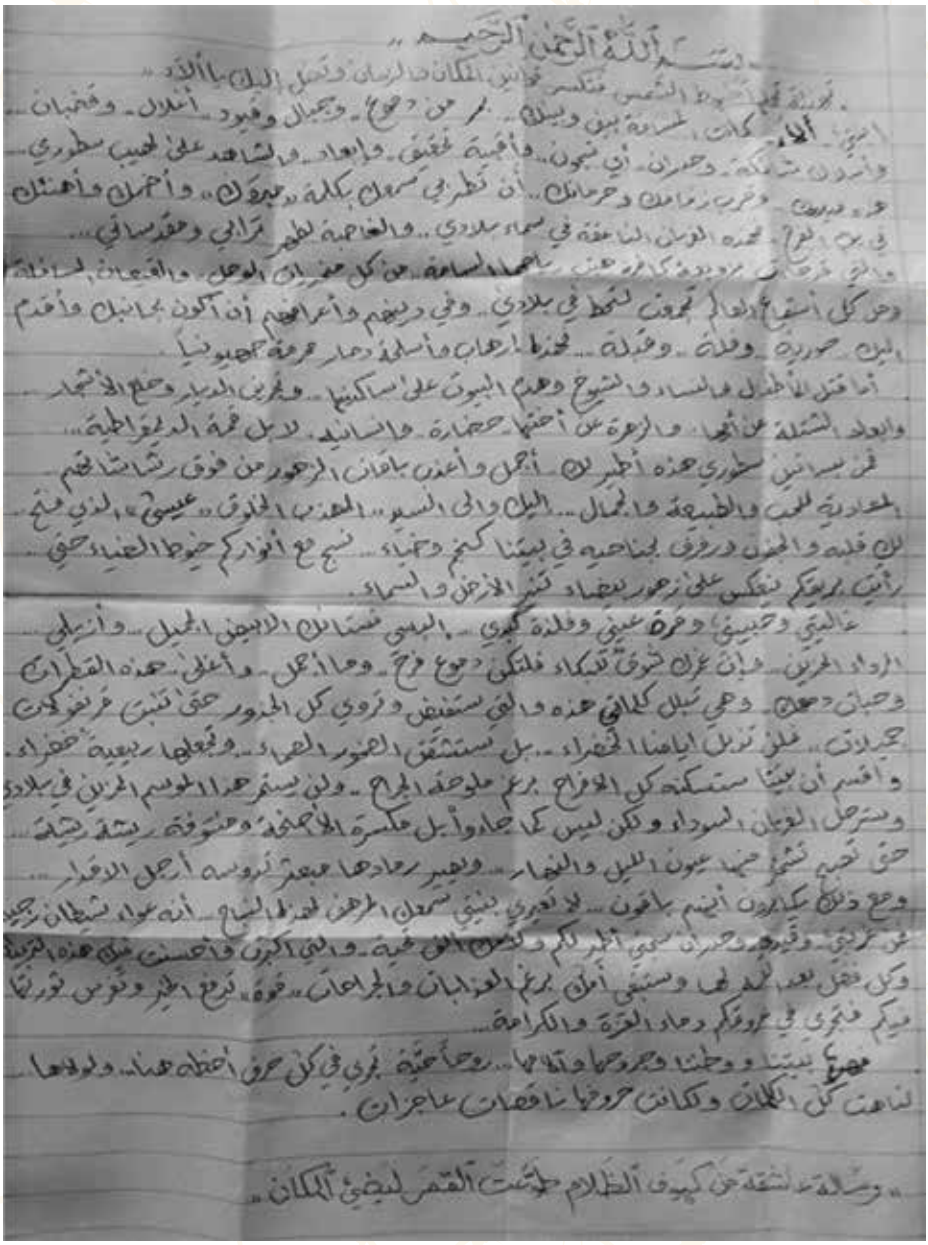

2. رسالة شكر وجهها الأسرى للمتضامنين معهم بعد إضراب مفتوح عن الطعام:

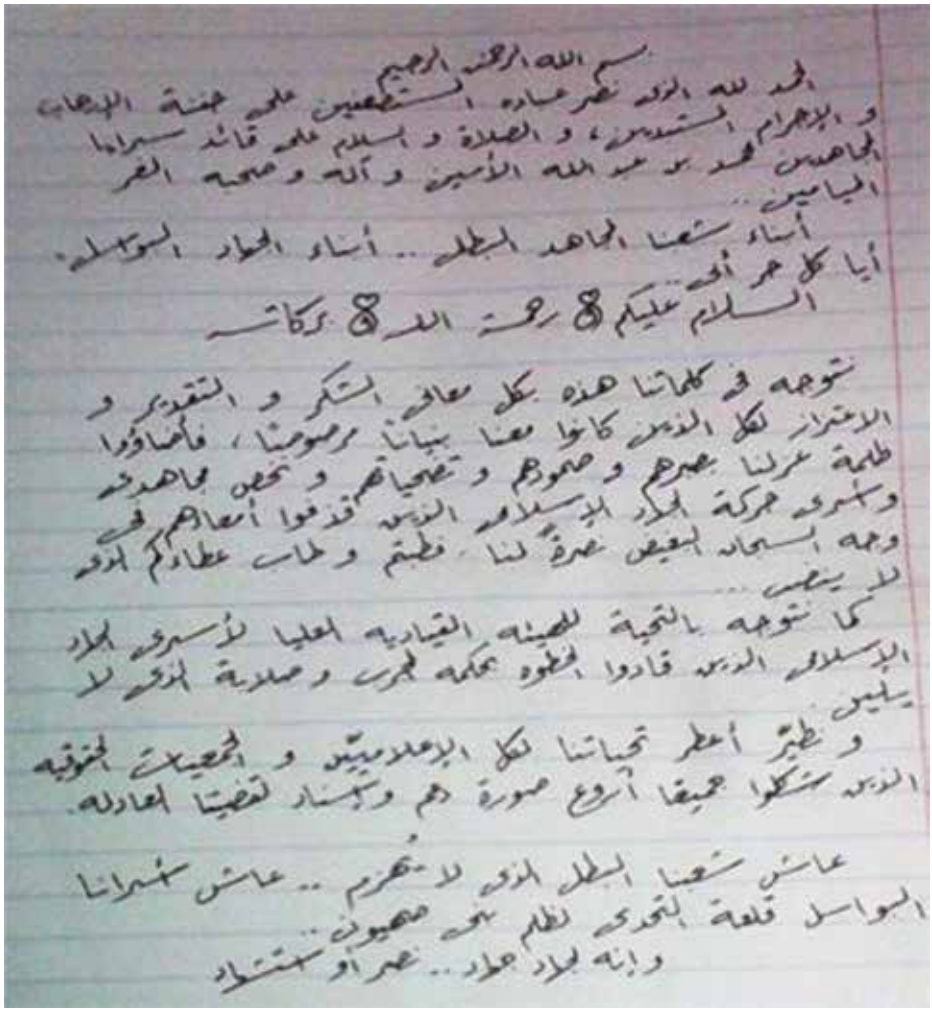

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نصر عباده المستضعفين على جبهة الإجرام والاستبداد، والصلاة والسلام على قائد سرايا المجاهدين محمد بن عبد الله الأمين وآله وصحبه الغر الميامين..

أبناء شعبنا المجاهد البطل.. أبناء الجهاد المسلح..

أيها كل حر أينما كنتم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نتوجه في كلماتنا هذه بكل معاني الشكر والتقدير والاعتزاز لكل الذين كانوا معنا بيانا مرسوما، فأضاؤوا ظلمة عزلتنا بصرهم وصمودهم وتضحياتهم ونحن مجاهدون وأسرى حركة الجهاد الإسلامي الذين قذفوا أنظارهم في وجه السجان البغيض عنوة لنا فطبتم وطاب عطاؤكم الذي لا ينضب...

كما نتوجه بالتحية للهيئة القيادية العليا لأسرى الجهاد الإسلامي الذين قادوا خطوه بحكمة لمرس وصلابة الذي لا يلين.

وطيّر أعطر تحياتنا لكل الإعلاميين والجمعيات الحقوقية الذين شكلوا جميعا أروع صورة دعم وإسناد لقضيتنا العادلة.

عاش شعبنا البطل الذي لا يُهزم.. عاش شهداؤنا الأبرار قلعة التحدي لظلم وجور صهيون..

وإنه لجهاد جهاد.. نصر أو استشهاد

3. رسالة موردة للأهل:

4. الرسائل المكبسلة بخط دقيق لتهريبها للخارج أو لسجن آخر:

نماذج سياسية تحررت من السجون

استطاع عدد كبير من الأسرى الفلسطينيين ممن أمضوا فترات طويلة في السجون أن يتبوؤوا أماكن قيادية عالية في الكثير من المؤسسات الرسمية والأهلية والتنظيمات والحركات السياسية على سبيل المثال لا الحصر:

1. أسرى محررون أعضاء في المجلس التشريعي أمثال:

أحمد نصر، عبد العزيز شاهين (أبو علي)، هشام عبد الرازق، موسى أبو صبحة، مروان البرغوثي، حسام خضر،عبد الفتاح حمايل، زهران أبو قبيطة، محمد الحوراني، محمد ابراهيم (ابو علي يطا)، محمد دحلان، جمال حويل، مروان البرغوثي، ماجد ابو شمالة، بسام الصالحي، عيسى قراقع، أحمد سعدات، حسن يوسف، محمد النتشة، عمر عبد، إبراهيم أبو سالم، أحمد الحاج علي، فتحي القرعاوي، حاتم قفيشة، خالد طافش، عزام التميمي، نزار رمضان، محمد ابو جحيشة وغيرهم.

2. أسرى محررون تبوأوا منصب وزير مثل:

عبد العزيز شاهين، هشام عبد الرازق، عيسى قراقع، د سفيان أبو زايدة، أشرف العجرمي، محمد دحلان، الدكتور عبد الرحمن حمد، عماد الفالوجي، حسين الشيخ، جمال الشوبكي، د جواد الطيبي، فريح ابو مدين، ربيحة ذياب، ناصر الدين الشاعر، إسماعيل هنية ، محمود الزهار، عطا الله أبو السبح، وصفي قبها، عيسى الجعبري، خالد أبو عرفة وغيرهم [692].

3. أسرى محررون قيادات في الفصائل الفلسطينية أمثال:

لجنة مركزية لحركة فتح (كالدكتور زكريا الأغا، محمود العالول، د. مروان البرغوثي، محمد دحلان، محمد اشتيه، حسين الشيخ)، و قيادات حركة حماس وعلى رأسهم الشيخ الشهيد أحمد ياسين، وكذلك الشهيد عبد العزيز الرنتيسى، والشهيد م. إسماعيل أبو شنب، والشهيد صلاح شحادة، والشيخ إسماعيل هنية، وجمال ناصر، وجمال سليم، ورئيس المجلس التشريعى عبد العزيز دويك، وحسن يوسف، وإبراهيم أبو الهيجا، ويحيى السنوار، وروحي مشتهى، وتوفيق أبو نعيم، وحسن المقادمة، وأسامة المزيني، والشهيد أحمد الجعبري، ومحمد شمعة، والشهيد سعيد صيام، وجمال أبو الهيجا، ونزار عوض الله، وابراهيم المقادمة، ومجموعة كبيرة من الأسرى المحررين ممن تم الافراج عنهم في صفقة وفاء الأحرار من العام 2011م.

ومن قيادات حركة الجهاد الإسلامي من الأسرى أمينها العام الشهيد د. فتحي الشقاقي، وجميع أعضاء المكتب السياسي لحركة الجهاد الإسلامي، كنائب الأمين العام زياد النخالة الذي أمضى (15) عاما في سجون الاحتلال الإسرائيلي وخرج في صفقة تبادل الأسرى، وكذلك

(692) إسماعيل الداعور: دور الأسرى في الحركات السياسية الفلسطينية(1987 2006) ،رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية جامعة الأزهر غزة، 2013، ص107.

عبد العزيز الميناوي [693]، ود. محمد الهندي، و الشيخ نافذ عزام، والشيخ عبد الله الشامي، د. أنور أبو طه، وعبد الناصر أبو جاموس، وخالد صالح، وخالد البطش، وإبراهيم النجار، د جميل عليان، والشيخ بسام السعدي الذى اعتقل أكثر من عشرين عاماً، وفؤاد الرازم عميد الأسرى المقدسيين وقد أمضى فى السجون 31 عاماً، وأحمد أبو حصيرة الذى أمضى على اعتقالين ما يقارب من 35 عاماً، والأسير خضر عدنان ومجموعة كبيرة من الأسرى المحررين ممن تم الافراج عنهم فى صفقة وفاء الأحرار من العام 2011.

ومن قيادات الجبهة الشعبية من الأسرى والمحررين القائد الأسير الأمين العام الحالي للجبهة أحمد سعدات المعتقل في سجون الاحتلال، والمحكوم عليه بالمؤبدات لمدى الحياة، و عبد الرحيم ملوح عضو اللجنة التنفيذية وشغل نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين،والشهيد القائد محمود الغرباوي، والدكتورة مريم أبو دقة عضو المكتب السياسى للجبهة، وعضو المجلس التشريعى النائب خالدة جرار، والشهيد محمد الأسود الشهير بجيفارا غزة والأسرى المحررين علام الكعبى، وسامر أبو سير، وأحمد أبو السعود، وعدد كبير من القيادات فى الفصائل الأخرى كالقيادى محمود الزق (أبو الوليد)، وأحمد سلامة عضو المكتب السياسى للجبهة العربية الفلسطينية وغيرهم.

ومن قيادات الجبهة الديمقراطية من الأسرى المحررين مثل (حلمي الأعرج، ابراهيم منصور منصور، وائل رشدي خلف، محمد سلامة، سامر العيساوي، محمد دويكات ،عبد الله الماكن، سليم استيته، وبسام ومصطفى المسلماني، وجدي جودة، وجمال زقوت) وغيرهم ممن تم الافراج عنهم فى صفقة وفاء الأحرار من العام 2011 [694]، وغيرهم كثر لا مجال للحصر.

(693) إسماعيل الداعور: دور الأسرى في الحركات السياسية الفلسطينية(1987 2006) ،رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم الإداريةجامعة الأزهرغزة، 2013، ص91.

(694) المصدر السابق: ص81 .

تحف وفنون خرجت من السجون:

من أدب السجون:

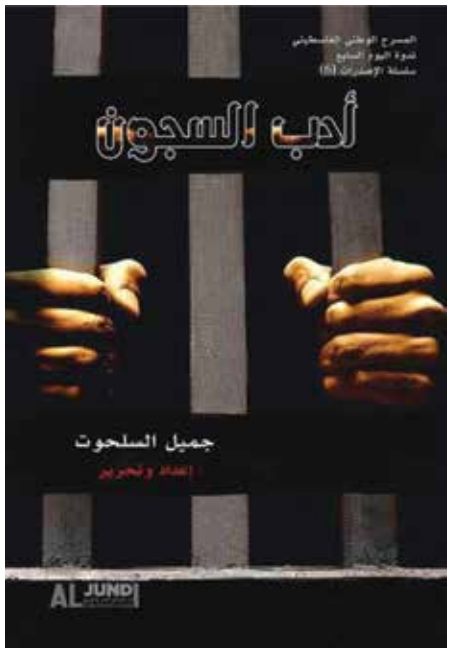

شكل رقم (1)

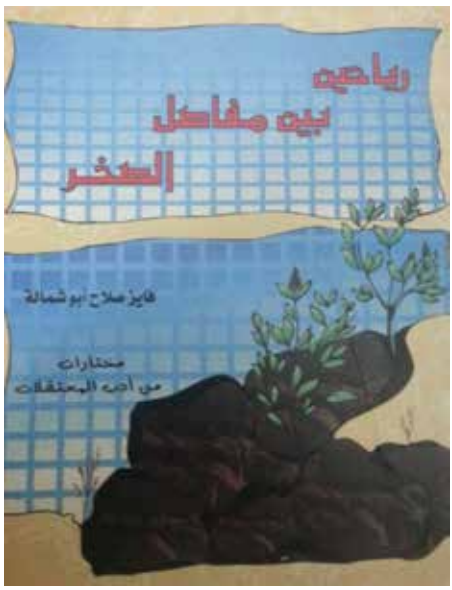

شكل رقم (2)

شكل رقم (3)

شكل رقم (4)

ملخص الدراسة

تتناول الدراسة « الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة في الفترة ما بين 1985 إلى 2015م».

سأتناول في الدراسة صراع العقول بين الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة وإدارة مصلحة السجون الإسرائيلية على مستوى إدارة الوقت وبناء الذات في شتى المجالات، بالتفكير والتخطيط ووضع البدائل والوسائل والأهداف وتحقيق الحقوق، وسأفسر العلاقة بين السياسات والمخططات الصهيونية التي استخدمها السجان لتحقيق مآربه المتمثلة بتقويض الروح النضالية والثقافية والوطنية لدى المعتقلين، وبين إبداعات الأسرى التي تسلحت بالإرادة الصلبة، والعزيمة المستندة إلى الوعي، والقدرة الفائقة في ترسيخ أسس المواجهة النضالية الاستراتيجية والتكتيكية، السلمية والعنيفة الواعية.

وسأسلط الضوء على الزاوية الأهم من قضية الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين، والتي ستظهر معالمها بشكلٍ مختلف وغير تقليدي قياساً بما كُتب عن الأسرى والسجون، حيث أن العادة جرت في التعاطي مع قضيتهم بالكثير من البكائيات وإبراز جانب الانتهاكات والعذابات التي تحولت في ذهن المتابع والمتضامن الفلسطيني والعربي والدولي إلى شيء مألوف وغير جذاب وغير منصف في آنٍ واحد، تلك الصورة النمطية التي غيَّبت مئات الإضاءات والإشراقات والإبداعات والانتصارات التي تألق بها الأسرى.

وسأجيب من خلال الدراسة عن السؤال الرئيسي المتمثل بـ :

- كيف استطاعت الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة أن تواجه ممارسات سلطات الاحتلال الإسرائيلي في السجون بطرق ابتكارية ووسائل إبداعية؟ وما هي أشكال المقاومة التي استخدمتها للتغلب على العوائق التي واجهتها؟

وعن الأسئلة الفرعية التالية:

1. ما هي العلاقة بين ظروف الأسرى القاسية وابتكار أساليب مقاومة لمواجهتها؟
2. هل تنوعت وسائل المقاومة والمجالات الإبداعية لدى الحركة الأسيرة؟
3. كيف استطاعت الحركة الفلسطينية الأسيرة من تراكم إنجازاتها الإبداعية؟ وكيف تمكنت من الحفاظ عليها رغم تقلب الظروف والمتغيرات السياسية؟
4. كيف تمكن الأسرى من إيجاد استراتيجيات وأدوات تتلاءم مع خصوصية الاعتقال لتنمية قدرات الأسرى وتعزيز أشكال الصمود لديهم؟

وتعددت المناهج والأدوات البحثية التي استخدمتها في الدراسة وكان أهمها:

لكـون الدراسـة تنـدرج في إطـار الدراسـات البينيـة، لكونهـا تجمـع مـا بـين العلـوم السياسـية والتاريـخ والمجـالات الإبداعيـة، فاسـتخدمت المنهـج التاريخـي التحليـلي، والمنهـج الوصفـي التحليـلي، واسـتعنت باقـتراب ومنهاجيـة « التحليـل الثقـافي «، والأدوات البحثيـة وأهمهـا الملاحظـة والمشـاهدة مـن خـلال المعايشـة الشـخصية لطـول فـترة الاعتقـال التـي اسـتمرت خمسـة عـشر عامـاً متتاليـة.

وقمـت بتقسـيم الدراسـة إلى (إطـار نظـري وأربعـة فصـول رئيسـية وخاتمـة، وتضمـن كل فصـل منهـا أربعـة مباحـث):

- الإطـار النظـري شـمل: « المقدمـة، وتوضيـح مشـكلة الدراسـة، وأهـم التسـاؤلات والفرضيـات، وأهميـة الدراسـة وأهدافهـا، والمناهـج التـي اسـتخدمتها، والأدوات والإجـراءات، وأسـباب اختيـاري للدراسـة ومبرراتهـا، والمصطلحـات والدراسـات السـابقة وتقسـيم الدراسـة «.

- والفصـل الأول كان بعنـوان الحركـة الأسـيرة النشـأة والتطـور، بينـت فيـه نشـأة الحركـة الوطنيـة الفلسـطينية الأسـيرة، ومظاهـر التضييـق والانتهـاكات بحـق الأسرى في الكثـير مـن النواحـي، واجتهـدت خلالهـا في تقسـيم مراحـل تطـور الحركـة الوطنيـة الفلسـطينية الأسـيرة، والوسـائل النضاليـة التـي اتبعهـا الأسرى في مواجهـة الاحتـلال، وعوائـق سـلطات الاحتـلال لطمـس الجوانـب الإبداعيـة للمعتقلـين.

- والفصـل الثـاني حمـل عنـوان: «عوامـل الإبـداع -الظـروف والمتغـيرات « تناولـت فيـه العوامـل التـي سـاهمت في تنميـة الإبـداع لـدى الحركـة الأسـيرة، والآليـات الاعتقاليـة لتطويـر منظومـة الجوانـب الإبداعيـة داخـل السـجون، وانعـكاس المتغـيرات السياسـية عـلى واقـع الأسرى وإنجازاتهـم.

- والفصـل الثالـث كان بعنـوان: « الحالـة الثقافيـة والتعليميـة في السـجون» عرضـت خلالـه بالتحليـل وسـائل الاحتـلال لتفريـغ المعتقلـين مـن محتواهـم النضـالي والثقـافي، والمسـيرة الثقافيـة للحركـة الأسـيرة، والعوامـل التـي سـاعدت في ظهـور أدب السـجون، والمسـيرة التعليميـة لـلأسرى كأحـد أهـم مظاهـر الإبـداع في السـجون.

- والفصـل الرابـع كان بعنـوان: « مـن مظاهـر الإبـداع في السـجون « فصلـت فيـه أهـم ابداعـات الأسرى كالإضرابـات المفتوحـة عـن الطعـام، وظاهـرة أطفـال النطـف المهربـة كحالـة نضاليـة مسـتجدة في تاريـخ حـركات التحـرر العالميـة، وجهـود المعتقلـين الفلسـطينيين في إنهـاء الانقسـام الفلسـطيني عـلى السـاحة السياسـية الداخليـة مـن خـلال « وثيقـة الأسرى « كأسـاس للمصالحـة، والتجربـة الديمقراطيـة في السـجون وانعكاسـها عـلى حيـاة الأسرى.

- وانتهت الدراسة بالخاتمة التي أكدت أن الحركة الفلسطينية الأسيرة من خلال عملية متراكمة ومتكاملة ومتواصلة ومعمقة، ودراسة عقلية ومنطقية لا عاطفية وبالشواهد والإنجازات والمعطيات استطاعت بوحدتها وخطواتها التكتيكية والاستراتيجية العنيفة والسلمية أن تقهر إرادة سلطات الاحتلال العنصرية، وإدارة مصلحة السجون والأجهزة الأمنية الإسرائيلية، وأن تتجاوز كل مخططاتها التصفوية والتدميرية، وأن تربي وتعبئ وتخرج أجيالاً من القادة تبوؤوا بعد الإفراج عنهم مراكز قيادية على مستوى الفصائل الفلسطينية، وكوادر في المؤسسات الوطنية والنقابية الرسمية والأهلية، وأنها شكلت حالة إبداعية مميزة على صعيد بناء الهياكل والمؤسسات الاعتقالية واتخاذ القرارات، وترتيب بنية الفصائل الداخلية، ونمط التعاون والتنسيق بين الفصائل في السجن الواحد وبين المعتقلات، وعلى صعيد الاهتمام والبناء الثقافي والإنتاج الأدبي والتعليمي، والتأثير الإيجابي السياسي، ومسيرة الإضرابات المفتوحة عن الطعام الفردية والجماعية من حيث امتداد الفترات الزمنية غير المسبوقة والإنجازات التي تحققت من أنياب محتل لم يعترف بالاتفاقيات والمعاهدات العالمية والقانون الدولي الإنساني.

وفي نهاية الدراسة خلصت إلى النتائج التالية:

1. لم تعترف دولة الاحتلال بأي مكانة قانونية للأسرى الفلسطينيين، بل تعاملت معهم كخارجين عن القانون وأطلقت عليهم الكثير من التوصيفات الباطلة، ولم تلتزم بالاتفاقيات الدولية فيما يتعلق بحقوقهم، وعلى المستوى السياسي تعاملت مع قضيتهم كورقة ضغط على الجانب الفلسطيني، وورقة مساومة.

2. استطاع المعتقلون الفلسطينيون من خلال برامجهم وأنظمتهم وقوانينهم من تحويل السجون من أمكان للإبادة المعنوية الجماعية وتحطيم العزيمة النضالية، إلى انصهار الكل في بوتقة الأكاديمية الاعتقالية التربوية والوطنية والثقافية والأدبية والتعليمية وإكمال الدراسات العليا بعد الحرية.

3. لم يستسلم الأسرى لواقع الاعتقال والتحنيط بين جدرانه، بل استطاع الأسرى من خلال إمكانياتهم وقدراتهم، أن يؤثروا إيجاباً بالواقع المحيط، وينشروا المفاهيم الإبداعية كحرية الفكر، وبناء الذات والقدرات، وتعزيز التطور الثقافي، وتشجيع حركة الأدب، ورسم السياسات والخطط والبرامج لتخريج القادة والكوادر، وإعمال العقل، وملء الوقت وإدارته بما يفيد.

وعلى ضوء هذه النتائج يقترح الباحث مجموعة من التوصيات أهمها:

1. أهمية تحديد المكانة القانونية للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية على المستوى الدولي والمنظمات الحقوقية والإنسانية، وإلزام دولة الاحتلال بالتعامل وفق تلك المكانة في كامل الحقوق.

2. تشكيل لجنة من محامين وخبراء قانونيين فلسطينيين وعرب ودوليين لبحث آليات استخدام الالتزامات القانونية الخاصة باحترام الاتفاقيات الدولية، وأساليب تطبيقها، وتوثيق جرائم الاحتلال وفق شهادات الأسرى والأسيرات المشفوعة بالقسم، وإعداد ملفات خاصة حول الانتهاكات الإسرائيلية بحقهم.

3. تدويل قضية الأسرى والمعتقلين والتعريف بها في العالم لتشكيل رأي ضاغط ومساند لهم، وذلك من خلال السفارات الفلسطينية والعربية، وبعثاتها لدى المنظمات الدولية، ومن خلال توجيه الدعوات لمنظمات المجتمع المدني، والمؤسسات الحقوقية والإنسانية، وعبر وسائل الإعلام المشاهد والمقروء والمسموع.

4. الالتفاف حول قضية الأسرى والمعتقلين، وجعلها من أهم القضايا الفلسطينية والعربية، والتي لا تقل أهمية عن القضايا الوطنية الأخرى « كالقدس واللاجئين والدولة والمستوطنات، والتمسك بقضيتهم في كل الجبهات المفتوحة مع الجانب الإسرائيلي في المجالات « السياسية والعسكرية والقانونية «.

5. تطبيق ومتابعة توصيات جامعة الدول العربية المتعلقة بقضية الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال، والتي أقرتها القمم العربية، ولاسيما القمة التي عقدت في دمشق خلال الفترة ما بين التاسع والعشرين والثلاثين من مارس من العام ألفين وثمانية، والتي دعت إلى إحياء يوم الأسير الفلسطيني في السابع عشر من نيسان من كل عام، واعتباره يوماً عربياً للأسير.

6. متابعة وتطبيق توصيات المؤتمرات الفلسطينية والعربية والدولية الداعمة للأسرى، والتي كررت نفسها، وطوت صفحات توصياتها وقراراتها دون تنفيذ.

7. إدخال مساقات تعليمية وتربوية ومنهجية تتناول التجربة الاعتقالية، وتواصل التنسيق بين وزارة التربية والتعليم، وهيئة شؤون الأسرى والمحررين، والمؤسسات الفلسطينية التعليمية، لكسر الحصار الإسرائيلي التعليمي والأكاديمي في السجون.

8. العمل على جمع وتوثيق إبداعات الأدب النضالي للأسرى، ووضع برامج تعليمية تربوية لتعزيز الاهتمام به ونشره وحفظه، ووضع خطة لتبني إصدارات الأسرى الأدبية.

وأختم، بتقديم أسمى آيات الشكر والتقدير إلى الأستاذة الدكتورة نادية أبو غازي، التي أتاحت لي شرف التتلمذ على يديها، فكانت بتواضعها وجزيل عطائها وموفور علمها، مثالاً كريماً للإنسانية السامية، والأستاذية الحقة، وكان لتوجيهاتها عظيم الأثر في إتمام هذه الرسالة العلمية بصورتها الحالية.

كما أتقدم ببالغ الشكر والتقدير لكل من ساعدني في إنجاز هذا العمل، بدءاً بالطاقم الأكاديمي والإداري بمعهد البحوث والدراسات العربية، ومروراً بجميع الأخوة والرفاق والمجاهدين من الأسيرات والأسرى المحررين الذين ساهموا بالإجابة على أسئلة البحث برضا ودون تذمر.

وأهدي عملي هذا: إلى معلم البشرية ومنبع العلم نبيّنا محمد (صلى الله عليه وسلم وآله)، وإلى الشهداء الأكرم منا جميعاً، وإلى الزملاء من الأسرى والأسيرات، وإلى والدي (أبو رأفت) الذي لم يبخل عليَّ يوماً بشيء، وإلى والدتي (أم رأفت) التي كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي، وإلى عمى توفيق ستوم الذى ساندنى، وإلى إخواني وأخواتي، وإلى زوجتي ورفيقة دربي، وإلى زهراتي الأربعة «نور وآية وجنى وإيمان» وقمري الذي أشرقت دنيايَ برؤياه «خليل»، وإلى عموم شعبي الفلسطيني الصامد والمكافح، أهدي هذا العمل.

إنتهت بحمد الله